مجمع البحرين

للشيخ ناصيف اليازجي

دار صادر
بيروت

مجمع البحرين

مجمع البحرين

الشيخ ناصيف اليازجي ومجمع البحرين

في مستهل القرن التاسع عشر المتصل بعصر الانحطاط وتفشي الرطانة في كل قطر عربي قام في لبنان جماعة حرصوا على اللغة العربية وآدابها فراحوا يتلقفونهما ويتدارسون ما وقع لهم من كتب مخطوطة أو مطبوعة في اوروبا أو الآستانة يحيون آثار ما اندثر من نتاج أفكار العلماء والأئمة الأفذاذ ، وما زالوا يقلّدونهم ويطرّسون على منوالهم حتى استقامت لهم اللغة ودانت لهم البلاغة ، فشرعوا ينظمون وينثرون ، فأرجعوا إلى الضاد روعتها وبيانها بأسلوب لا يخلو من السجع المملّ أحياناً ، إلاّ أنه يترفّع عن الرطانة وضعف التركيب ، وطريقتهم هذه المسجّعة قد حرصت على مفردات اللغة وسلامة الذوق وسلوك النهج القويم إلى التوسّل في الكتابة فقلّدوا ابن المقفّع وسهل ابن هارون والجاحظ والصابىء والقاضي الفاضل ، ولا أعدو الحقيقة إن أنا قلت : إن لبنان كان حصن الضاد وفيه نبغ غير واحدٍ من حملة لواء العربية وفي جملتهم الشيخ ناصيف بن عبدالله بن ناصيف اليازجي الحوراني الأصل والحمصي المنزح واللبناني الموطن والمولد . وُلد في كفرشيما « لبنان » جنوبيّ مدينة بيروت سنة ١٨٠٠، وكان أبوه طبيباً على مذهب ابن سينا يميل إلى العلم وتذوّق الأدب ، فبث في فؤاد ولده حبّهما وحمله على الدرس ، ولما اتقن القراءة ، وأصبح يستوعب ما يقرأ ، انقطع إلى الدرس والمطالعة على نفسه برغم قلّة الكتب المطبوعة وندورة المخطوط منها يتلقّف زبدتها ويستسيغ فوائدها، وساعده على ذلك حافظة حادّة وذكاء مرهف فاكتهل علاّمة زمانه ،

جمع من العلوم العربية ما قصّر عنه غير واحدٍ حتى غدا مرجعا في علوم اللغة حقيقتها ومجازها ، بالإضافة إلى تاريخ العرب وأخبار أيامهم .

وترامت شهرته إلى الأمير بشير الشهابيّ الكبير فقرّبه إليه وجعله كاتب يده ، ولبث في خدمته نحو اثنتي عشرة سنة إلى سنة ١٨٤٠ وهي السنة التي خرج فيها الأمير من لبنان منفيّاً . فهبط الشيخ ناصيف إلى بيروت يعلّم في الكليّة الإنجيليّة السوريّة ، هي اليوم « الجامعة الأميركيّة »، والكليّة البطريركيّة ، والمدرسة الوطنيّة التي أنشأها العلاّمة بطرس البستاني الكبير ، ويصحّح الكتب في مطبعة الأميركان .

وكان منزله ببيروت مقصد العلماء ومرجع الفتاوى الأدبيّة وعكاظ المحاضرات العلميّة والمطارحات اللغويّة . وفي جملة آثاره التي خلّفها لنا كتاب « مجمع البحرين » وهو بين يديك ، وفيه ستّون مقامة نهج فيها منهج الحريريّ ، فجاءت برهاناً على سعة اطّلاعه ،وعلوّ كعبه في اللغة نظماً ونثراً .

وهاءنذا أعرض في لمحة مختصرة إلى هذا الأثر الأدبي: جعل الشيخ راوية مقاماته سهل بن عبّاد وبطلها ميمون بن خزام ، ولا تخلو مقامة من مقاماته من أمثال ضمّنها المقامة ثم شرحها شرحاً مشبعاً لم يترك فيه زيادة لمستزيد ، كما في المقامة النجديّة التي اورد فيها غريب اللغة وقديمها ، وفي المقامة الحجازية وفيها عرض إلى الحياة الاجتماعية في البلاد العربية ، ونتلمّس ميل الشيخ الديني في المقامة العقيقيّة وإعراضه عن حطام الدنيا، وكانت هذه المقامة داعية إلى كتابة التسع والخمسين مقامةً لما رأى الشيخ من إعجاب الأدباء بها يوم تلاها في الجمعية الأدبيّة السوريّة ، ورغب إلى المستشرقين أن يُعنَوا بها . ونجد المطارحات النحوية في المقامة الكوفيّة والمقامة الأزهريّة والمقامة الرمليّة ، وأمّا العروض ففي المقامة العراقية . والطب ففي المقامة الطبيّة ، وفيها خطبة في

الطبّ ووصيّة في حفظ الصحة ومسائل طبّيّة . والفلك ففي المقامة الفلكيّة وفيها ذكر الكواكب السيّارة والبروج والمنازل وما إلى ذلك من متعلقات علم الفلك . ولم يدع مناسك الحج ومشاعره تفوته فعقد مقامة سمّاها المقامة المكّيّة وتراه فيها واعظاً منذراً حاثّاً على التقوى واتّباع الهدى ، وينهي مقاماته بالمقامة القدسيّة وفيها قصيدته الدينية ومطلعها :

قم بالدجى يا أيُّها المتعبّد حتى متى فوق الأسرّة ترقد

وإنه ليصعب عليّ أن آتي بلمحة خاطفة على كلّ ما حواه « مجمع البحرين » من فوائد علمية وأدبية ولغويّة ودينية ، وهو بين يديك فقلّب صفحاته وأنعم النظر وأعمل الفكر تجد فوق ما قلت بكثير ، وما قصدي إلاّ أن أقدّم تعريفاً بالمؤلف وبالكتاب ؛ وقد قال مؤلفه في مقدمته إنه أراد أن يجمع في المقامات ما استطاع من الفوائد والقواعد والغرائب والشوارد والأمثال والحِكَم والقصص، ونوادر التراكيب ومحاسن الأساليب والأسماء التي لا يعثر عليها إلاّ بعد جهد .

ولا ريب أن الناظر في الكتاب هذا يرى الرموز والأحاجي والحوادث التاريخية والتفاصيل الدقيقة عن عادات العرب ومفاخرهم وغزوهم ومأكلهم ومشربهم وملبسهم ومعاملتهم للطارق ليلاً وللزائر نهاراً ، ويتبين لي أن الشيخ رغب في أن يباري الحريريّ في مقاماته فقلّد أُسلوبه معنى ومبنى واستعصى ذلك على غير واحد ممّن أرادوهُ فأخفقوا فيه واستقام للشيخ ناصيف وزاد عليه عشر مقامات فكان له ستون مقامة وللحريري خمسون . والناظر في « مجمع البحرين » هذا يجد أنه جمع بين دفتيه الغريب والشارد ، وامتطى بُراق الفكر يطوف بأبطال روايته الصحراء فلم يدع شاردة أو واردة إلاّ ذكرها . وعلى الجملة فإن كتاب « مجمع البحرين » دائرة معارف لغوية ،

جمعت ضروب النظم والنثر والأمثـال ، فهو ولا ريب مرجع موثق لطلاب اللغة وعلمائها ، ومنهل عذب للأدباء الذين يرغبون في الاطلاع على الأساليب الصحيحة ، وأفانين التراكيب والألفاظ الوضعية ، والأساليب البيانية ممّا لا يجدونها مجموعة في كتاب واحد كما في « مجمع البحرين. » . وكانت وفاة الشيخ مفلوجاً ببيروت في ٢٦ آذار سنة ١٨٦٩ .

عيسى سابا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل المقامات، لأهل الكرامات. حمداً يُزلِفنا إلى[1] مقامهِ الأسنى، ويتحِفنا ببركات أسمائه الحُسنَى. أمَّا بعدُ فيقول الفقير[2] إلى آلاء ربّه المنّان، ناصيف بن عبدالله اليازجي أحد الأُمَّة العيسوية في[3] جبل لبنان: إنني قد تطفّلت على مقام أهل الأدب، من أيمّة العرب،[4] بتلفيق أحاديث تقتصر من شَبَهِ مقاماتهم على اللقب. ونسبت وقائعها إلى[5] ميمون بن خزامٍ ورواياتها إلى سُهَيل بن عبّاد، وكلاهما هَيُّ بن بَيٍّ مجهول[6] النسبة والبلاد. وقد تحرّيت أن أجمع فيها ما استطعت من الفوائد والقواعد، والغرائب والشوارد. والأمثال والحِكَم، والقِصَص التي يجري بها القلم، وتسعى لها القدم. إلى غير ذلك من نوادر التراكيب، ومحاسن الأساليب، والأسماء التي لا يُعثَر عليها إلاّ بعد جهد التنقير والتنقيب. هذا مع اعترافي

١ المقامات: يحتمل أن يكون جمع مقام أو مقامة. يزلفنا: يقربنا.

٢ الأسنى: الأعلى.

٣ آلاء: نعم.

٤ تطفلت: تخلقت بخلق طفيل الكوفي الذي كان يأتي الولائم من غير أن يدعى إليها.

٥ تلفيق: متعلق بفعل التطفل. اللقب: تشبه مقاماتهم بالاسم فقط.

٦ هي بن بي: كناية عمن لا يعرف ولا يعرف أبوه.

بأن ذلك ضربٌ من الفضول ، بعد انتشار ما أبرزهُ أولئك الفحول . غير[1] أنني تطاولت عليهِ مع قِصَر الباع ، طمعاً في طلاوة الجديد وإن كان من[2] سَقَط المتاع . وأنا ألتمس من أولي الألباب أن يقابلوني بالمعذرة ، ويعاملوا ذنبي بالمغفرة . فإن الإغضاء عن الملام من شِيَم الكرام ، والسلام .

١ بأن ذلك : إشارة إلى إنشاء هذه المقامات . بعد انتشار ما أبرزه أولئك الفحول : أي بعد اشتهار المقامات التي أنشأتها كبار الأيمة كالحريري وبديع الزمان وغيرهما .

٢ طلاوة الجديد : إشارة إلى قولهم : لكل جديد طلاوة .

المقـامة الأولى

وتعرف بالبدوية

حكى سُهَيلُ بنُ عَبَّادٍ قـال: مَلِلْتُ الحَضَر ، ومِلتُ إلى السَّفَر .[1]
فامتَطَيتُ ناقةً تسابِقُ الرِّياح ، وجعلتُ أخترِقُ الهِضاب والبِطاح .[2]
حتى خيَّم الغَسَق ، وتصرَّم الشَّفَق . فدُفِعتُ إلى خيمةٍ مضروبة ، ونارٍ[3]
مشبوبة . فقلت :

مَنْ يا تُرَى القَومُ النزُولُ هَهُنا هل بِهِم الخوفُ أم الأمنُ لنا ؟
قد كانَ عن هذا الطريق لي غِنَى

وإذا رجلٌ من وراء الحجاب ، قد استضحَكَ وأجاب :[4]

إنَّنيَ ميمونُ بني الخِزامِ وهذهِ لَيلَى ابنتي أمـامي[5]
نَعَم وهـذا رَجَبٌ غُلامي مَنْ رامَ أنْ يَدخُلَ في ذِمامي
يأْمَنُ من بوائِقِ الأيّام[6]

---

١ مللت الحضر : ضجرت من الإقامة .
٢ البطاح : الأراضي المتسعة .
٣ الغسق : الظلام .
٤ من وراء الحجاب : من داخل الخيمة .
٥ ميمون : اسم الرجل . بني الخزام : اسم عشيرته .
٦ بوائق : دواه .

قال : فسكَنَ مني ما جاش ، من الجاش . ودخلتُ فإذا رجلٌ [1] أشمطُ الناصية ، يكتنفُهُ الغلامُ والجارية . فحيَّيتُ تحيَّةَ ملتاح ، [2] وجثمت جِثمةَ مرتاح . وبات الشيخ يُطرِفُنا بحديثٍ يشفي الأوام ، [3] ويشفي من السَّقام . إلى أن رقَّ جلبابُ الظلماء ، وانشقَّ حجابُ السماء ، [4] فنهضنا بهم في تلك الهيماء . حتى إذا أشرفنا على فريق ، يُناوِحُ الطريق. [5] عرَضَ لنا لصوصٌ قد أطلقوا الأعنَّة ، وأشرعوا الأسِنَّة . فأخذ الشيخَ القَلَق ، وقال أعوذ بربِّ الفَلَق ، من شرِّ ما خلق. ولما التقَتِ العين بالعين[6]، على أدنى من قاب قوسين . قال : يا قوم هل أدلُّكُم على تجارة ، تقوم بحقِّ[7] الغارة ؟ قالوا : وما عسى أن يكون ذاك ؟ حيَّاك الله وبيَّاك ! فقال : ياغلامُ اهبِطْ بهم إلى مراعي الريف ، وأنا أقِفُ هنا أراعي كاللغيف . قال سُهيلٌ:[8] فلما توارى بهم أوفض الشيخ على ناقته القَلوص ، حتى أتى الحيَّ فنادى [9] اللصوص . وطلب المَراعيَ فانهالت في أثره الرجال ، وإذا اللصوصُ قد ساقوا قِطعةً من الجِمال . فأطبقوا عليهم من كل جانب ، وأخذوهم أسْرى إلى المضارب . حتى إذا أثخنوهم شدُّوا الوِثاق،وقد كادت أرواحُهم تبلغ التراق. [10]

---

١ يقال : جاشت القدر إذا غلت . الجاش : اضطراب القلب عند الخوف .

٢ أشمط : مختلط السواد بالبياض . الناصية : شعر مقدم الرأس . الغلام : رجب . الجارية : ليلى . ملتاح : متلهف .

٣ يشفي : يروي . الأوام : العطش .

٤ جلباب : قميص .

٥ الهيماء : فلاة لا ماء فيها . فريق : حي من العرب . يناوح : يقابل .

٦ الفلق : الصبح .

٧ قاب قوسين : أي قابي قوس وهما طرفاها من المقبض إلى السية . وهذا من باب القلب .

٨ الريف : الأرض المخصبة . اللغيف : الذي يحرس ثياب اللصوص ولا يسرق معهم .

٩ أوفض : أسرع . القلوص : الفتية .

١٠ المضارب : الخيام . أثخنوهم : أكثروا جراحهم . التراق : جمع ترقوة وهي أعلى الصدر . وأصلها التراقي فوقف عليها بالحذف كما في الكبير المتعال ونحوه .

ثم أدخلونا إلى بيتٍ طويل الدعائم ، في صدره شيخٌ كأنه قيسُ بنُ عاصم.[1] فقال : أحسنت أيها النذيرُ فستُوَفّي لك الكيل ، ونعطيك ما لهؤلاء اللصوص من الأسلاب والخيل . فابتسم الشيخُ من فوره[2] ، وقال : جَدَحَ جُوَينٌ من سَويقِ غيره. قال : قد رأيتُ ما لا يُرى ، فعند الصباح يَحمدُ[3] القومُ السُّرى . ولما كان الغد أهابَ بنا داعي الأمير ، ونفحنا بصُرَّةٍ من[4] الدنانير ، فضممناها إلى أسلاب اللصوص وخرجنا نجدُّ المسير . ولما استوى الشيخ على القَتَب ، أخذته هِزّةُ الطرب . فأنشأ يقول :[5]

أنا الخزاميُّ سليلُ العَرَبِ أذهَبُ بين الناس كلَّ مذهبِ
وألبسُ الجِدَّ ثيابَ اللعبِ وأستَقي من كلِّ برقٍ خُلَّبِ[6]
وأتّقي باللُّطفِ كلَّ مِخلَبِ وألتقي الرُّمحَ بلَدْنِ القَصَبِ[7]
ولا أبالي بالفتى المُجرَّبِ لو أنهُ عمرو بنُ مَعدي كَرِبِ[8]
عَليَّ دِرعٌ من نسيج الأدبِ تكِلُّ عنها ماضياتُ القُضُبِ[9]
ولي لسانٌ من بقايا الحِقَبِ يَقنِصُ بالمكر أُسودَ الهِضَبِ[10]

---

١ قيس بن عاصم : رجل من بني منقر كان من أجلاء العرب معروف بالحلم .
٢ من فوره : أي لساعته .
٣ يقال جدح السويق إذا لته بالسمن أو غيره ، وجوين ، مصغراً : اسم رجل . وهو مثل يضرب لمن يجود من مال غيره . ما لا يرى : أي ما لا يراه غيرك .
٤ السرى : مشي الليل ، وهو مثل يضرب لرجاء الخير بعد المشقة . أهاب بنا : دعانا . نفحنا : أعطانا .
٥ القتب : رحل الناقة .
٦ خلب : فارغ من المطر .
٧ المخلب للسباع وجوارح الطير بمنزلة الظفر للإنسان . لدن : لين .
٨ عمرو بن معدي كرب : هو فارس بني زبيد كان من أبطال العرب المعدودين .
٩ القضب : السيوف القاطعة .
١٠ الحقب : السنين . والحقب ، بضمتين : الدهر . الهضب : الجبال المنبسطة .

والصدقُ، إن ألقاكَ تحت العَطَبِ ، لا خيرَ فيه فاعتصِمْ بالكَذِبِ
بِمثل هذا كان يوصيني أبي

قال : فلما فرغ من إنشاده ، تزمَّل ببِجاده . وقال : يا قومُ اتَّبعوا[1] من لا يسألكم أجراً ، ولا تستطيعون بدونه نصراً . ثم انطلق بين أيدينا كالدليل ، وهو يمزُجُ الوخد بالذميل ، إلى أنت نُشِرَت راية الأصيل. فنزلنا[2] وارتبطنا الأنعام ، وأضرمنا النار للطَّعام . وقام الشيخ حتى دنا من ناقتي فحل[3] العِقال ، وأخذ يتخطَّى ويتمطَّى[4] ذاتَ اليمين وذاتَ الشِّمال . فنفرت الناقة في مجاهل تلك الأرض ، وجعل يستوقفُها زجراً فتشتدُّ في الركض . فبادرْتُ أعدو إليها حتى استأنَسَتْ من النِّفار ، ورجعتُ بها أتَنَوَّرُ تلك النار ، وإذا الشيخ قد أخذ كلَّ ما هناك وسار . فصَفَقتُ صفقةَ الأوَّاه ، وقلت :[5] لا حولَ ولا قوَّة إلاَّ بالله . ثم عمدتُ إلى عقال ناقتي المُجفِلة ، وإذا طِرسٌ قد عُقِلَ به مكتوباً فيه بعد البسملة :[6]

قلْ لسُهَيلٍ : لستَ بالمغبونِ ، لولايَ ذُقتَ غُصَّةَ المَنُونِ ![7]
فأنتَ والناقـــةُ في يميني مُلكٌ بحـقٍّ ليس بالممنـونِ
لكن عفوتُ عنـك كالمديونِ وهبتُهُ الدَّينَ لِحسنِ الدِّينِ
فقدِّمِ الشكرَ إلى ميمونِ !

قال : فعَجِبتُ من أخلاقهِ ، وأسِفتُ على فِراقهِ . ووَددتُ على ما بي من الفاقة ، لو مكثَ واستتبع الناقة .

---

١ تزمل : التف . البجاد : ثوب مخطط من أكسية العرب .
٢ الوخد : السير السريع . الذميل : السير اللين . الأصيل : ما بعد العصر إلى المغرب .
٣ الأنعام : المواشي .
٤ يتمطى : يمد باعه .
٥ الأواه : الأسيف .
٦ البسملة : بسم الله الرحمن الرحيم .
٧ المنون : الموت .

المقـامة الثانية

وتعرف بالحجازية

حَدَّثَ سهيلُ بن عبَّادٍ قال : نهضتُ من الأهواز ، اريدُ قُطرَ الحجاز.[١] فخرجتُ أطوي السباسبَ والبسابسَ ، في عُصبةٍ من أولي الخُلابِس .[٢] فكنت أتفكَّهُ منهم بالحديث ، وأتنقَّلُ منه بالقديمِ إلى الحديث . وما زلنا[٣] نطعنُ في المفاوِز ونَضرِب ، حتى دخلنا مدينة يَثرِب . فأقمنا بها غِرارَ[٤] شهر ، كغُرَّةٍ في جبين الدهر . وبينما نحنُ في ليلةٍ بين الرِّحال ، إلى جيرةٍ بمكان الكُليتين من الطِّحال . سمعنا زفرةَ متنهِّد ، يليهـا صوت كئيبٍ[٥] يُنشِد :

يا من يردُّ عليَّ ما فَقَدَت يدي ... هيهاتِ ليس يُرَدُّ أمسِ إلى الغدِ !
فقدَت يدي طيبَ الحياةِ !وهل ترى ... لي مطمعٌ في الغابرِ المتجـدِّدِ ؟
ماذا يفيد العيشُ صاحبَ كُربةٍ ... لهفانَ يُمسي في الهموم ويغتدي ؟

---

١ الأهواز : تسع كور بين البصرة وفارس .

٢ السباسب : الفلوات المهلكة . البسابس : القفار . عصبة : جماعة . الخلابس : الحديث الرقيق .

٣ أتنقل : أنتقل بواسطة ذكر القديم منه إلى ذكر الحديث .

٤ نطعن : نذهب . المفاوز : فلوات لا ماء فيها . نضرب : نسير في طلب الرزق . يثرب : مدينة الرسول . غرار : مقدار .

٥ بمكان الكليتين من الطحال : أي ملاصقة لنا ، وهو من قوله :

فكونوا أنتم وبني أبيـكم ... مكان الكليتين من الطحـال

الموت أطيب من حيــــاةٍ مُرَّةٍ   تَقضي لياليها كقضم الجلمدِ ![1]
مَضَتِ الليالي البيضُ في زمن الصبا   وأتى المشيبُ بكل يومٍ أسْوَدِ
يا حبَّــذا مــا فرَّ من أيامنــا   لو كان يُمسَك عنــدنا كمُقيَّدِ !
أنفقتُ صفو العيش حتى إنــهُ   لم يبقَ لي إلاَّ ثُمالُ المَوردِ[2]
يا ليتَ ذي الأكدارَ أولَ معهدٍ   كانت ، وذاكَ الصفوَ آخرَ معهدِ
ويحي ! متى أمسي ولي نَفَسٌ بلا   صَعَدٍ وأنفاسٌ بغير تصَعُّدِ ؟[3]
ما كنتُ أحسدُ سيِّداً في ملكهِ   واليومُ أحسدُ عبدَ عبدِ السيِّدِ !

قال : فلما سمع القوم لهجتهُ الشجيَّة ، ورأوا ما له من سلامة السجيَّة .[4] رقَّت افئدتهم عليه ، وصبَت عواطفهم إليه . وقالوا : هل لنا من يطرقُ[5] مضجعَهُ ، ويؤنِسنا بالتمازج معَهُ ؟ فما عتَّم الرجل أن وقف بنــا منتصباً ، وأنشدنا مقتضباً :[6]

أنا الذي ساح البــلا في ساحتي ،   أباحَ سِرّي واستباحَ باحتي ![7]
روحي كريحاني ، وراحي راحتٍ   ريحاً ،فراحت راحتي من راحتي ![8]

فاستحلى القومُ هذا التجنيس ، وأحلُّوا الرجل محلَّ الأنيس . ثم استطلعوهُ طلعَ أمرهِ ، ومــا ذاق من خلّهِ وخمرهِ . فقــال : يا كرام العرب ،

١ القضم : الأكل بأطراف الأسنان . الجلمد : الصخر .
٢ الثمال : ما يبقى في أسفل الحوض .
٣ صعد : مشقة وشدة .
٤ السجية : الطبيعة .
٥ يطرق : يأتي ليلا .
٦ مقتضباً : مرتجلا .
٧ ساح : من السياحة . باحتي : ساحة داري .
٨ ريحاً : مثل الريح .

وكعبة الأرب . إني لقد كنتُ أفري وأقري وأفدي وأسدي . وما[1] زلتُ أُلبِسُ وأُطعِم ، وأُجيز وأُنعم . حتى ذهب ما في السَّفَط جُزافاً ،[2] ونَفِدَ ما في الكظيمة استنزافاً . فصِرتُ أجوَعَ من ذُؤَالة، وأعطشَ من[3] ثُعالة . وإني لَطالما كانت تصدع وطأتي الصَّفا ، ويخدش براجمي السَّفَا .[4] فصرت أمشي بقدم الأخنب . وأبسُط راحة الأكنب . ولم يُبقِ ليَ الدهر[5] سوى وَلد،أذلَّ من بيضة البلد. وقد خطبت لهُ جاريةً تعولني وإيَّاه،لأقضيَ[6] غابر هذه الحياة . فلما حان الهِداءُ وآن البناءُ . قال ذَوُوها : لا صِهار ،[7] إلاّ بالإمهار . فنقدتهم ما راج ، وخرجت أسعى بما غبر كجابي الخَراج .[8] وقد أبرزتُ لكم حضيضتي ، وبضيضتي . وأطلعتكم على عُجَري وبُجَري .[9] فإن أحسنتم فأنا من الشاكرين ، وإلاّ فإني من العاذرين. فاستحسنوا إشارتهُ ، واستلطفوا عِبارَتَه . وقالوا : رَحُبَت بك الدار ، وحباهُ كلٌّ واحدٍ[10] بدينار . فانثنى وهو يُثني جميلًا ، ويمشي ذميلًا . فلما أصبحتُ قصدتُ[11]

---

١ أفري : أقطع . أسدي : أحسن .

٢ السفط : وعاء كالصندوق يلبس بالجلد .

٣ الكظيمة : بئر بجانب أخرى بينهما مجرى في الأرض . استنزافاً : يقال نزف ماء البئر إذا نزحه كله . ذؤالة : علم للذئب وهو مثل في الجوع .

٤ ثعالة : علم للثعلب وهو مثل في العطش . تصدع : تشق . الصفا : جمع صفاة وهي الصخرة الملساء . براجمي : مفاصل أصابعي . السفا : شوك البهمى ونحوها ، يريد أنه كان قوي الأعضاء لكنه ناعم مترفه لكثرة الرغد وسعة العيش .

٥ الأخنب : الضعيف الرجلين . الأكنب : من غلظت يده من العمل .

٦ البلد : عش النعام ، وهو مثل يقال فلان أذل من بيضة البلد . قالوا هي بيضة تتركها النعامة في فلاة من الأرض فلا ترجع إليها .

٧ الهداء : الزفاف . البناء : أي بناء الخيمة عليها للدخول بها .

٨ راج : تيسر . غبر : بقي .

٩ بضيضتي : أي كل ما عندي . عجري وبجري : أي عيوبي وكل أمري .

١٠ حباه : أعطاه .

١١ انثنى : رجع . ذميلا : مشياً دون السريع .

مثواهُ ، لأصطبحَ بنجواه . وإذا هو صاحبُنا ابن الحِزام ، وقد قام لديه[1] ذاكَ الغُلام . فقلت : أهذا الخطيب المعهود ، فأين المِلاك المشهود ؟ قال :[2] أرجو أن يكونَ خطيباً ، فإني أراه لبيباً . ثم قال : يا بُنَيّ إن الرامي[3] بعلّة الوَرَشان ، يأكلُ رُطَبَ المُشان ، وهذه إحدى حُظَيّات لُقمان ،[4] فإن رأيتَ ما سيكونُ ذَهَلتَ عمّا كان . واعلم أن العيش نُجعة ، والحرب[5] خُدعة . فإذا لم تَغلِبْ ، فاخلِبْ . وإذا بُليتَ بسوء المَصير ، فعليك[6] بحسن التدبير . فلَبِثتُ عنده يومي أجمع ، أتمتّع بالمنظر والمسمع . وهو يُطرِفني بما مرّ برأسه من العِبَر ، ويُحدّثُني بما خَتَل وخَتَر ، والخُبْر[7،] عندي يَعضُد الخَبَر . إلى أن زالت الشمس أو كادت تزول ، فاستلقى على[8] وسادته وأنشأ يقول :

أعوذُ بالمهيمِن الفيّاضِ   من أهل هذا الزمن المهتاضِ[9]

---

١ مثواه : منزله . اصطبح : من الصبوح وهو الشرب في الغداة . بنجواه : بمحادثته . ابن الحزام : الشيخ ميمون صاحبه في السفوة الأولى .

٢ الغلام : الغلام الذي كان معه وهو رجب خادمه . الملاك : وليمة الخطبة . المشهود : الذي يحضره الناس .

٣ خطيباً : صرف معنى الخطيب الذي ذكره سهيل إلى معنى الواعظ ودل عليه بقوله إني أراه لبيباً وهو يريد أن يعرفه بأن تلك حيلة منه ، وذلك من باب تلقي المخاطب بغير ما يترقب .

٤ الورشان : طائر وهو ذكر القماري ويقال له ساق حر . المشان : نوع من التمر وهو مثل يضرب لمن يتظاهر بطلب شيء والمراد منه شيء آخر . حظيات : جمع حظية مصغر حظوة وهي سهم صغير لا نصل له . ولقمان هو ابن عاد المشهور . وهذا مثل يضرب لمن عرف بالشر ثم جاءت منه هنة يسيرة .

٥ نجعة : طلب المرعى في مكانه .

٦ اخلب : اخدع ، وهو مثل .

٧ ختل : خدع . ختر : غدر .

٨ الخبر : أي أن اختباره له بما شاهده منه يصادق اخباره عن نفسه .

٩ المهيمن : من أسماء الله ومعناه الشاهد . المهتاض : الظالم .

أسلَمُهم كالأرقم الصِّلاصِلِ ، يلسَعُ كلَّ قادمٍ وماضِ ! [1]
إياكَ يا صاحِ من التغاضي واحذَر ولو من طلحة الفيّاض [2]
من عاشرَ الخلقَ بخُلقٍ راضٍ ، وباشَرَ الجفون بالإغماضِ
هيهاتِ أن يخلو من انقباضِ ، ما الختلُ يا بُنيَّ من أغراضي !
لكن تصدّى الظلم لانتهاضي أن أدفع الأمراضَ بالأمراضِ
والظلمُ من خبائث الحياضِ يُلجي إلى تدنّسِ الأعراض [3]
لو أنصفَ الناسُ استراح القاضي

قال ولما فرغ ارتجازه دعا بالطعام ، وقطع الكلام . فجلسنا نتناول ما حضر ، ثم قمنا نتذاكر السَّمَر ، في ظِلّ القمر . إلى أن تهافت الليل ، ومال[4] عليّ الكرى كلَّ الميل . فأوغلت في النوم حتى حذَتني قارصةُ الشمسِ ، وإذا[5] الشيخ قد ارتحلَ فساءَني اليومُ أكثرَ مما سرَّني أمس .

---

١ الأرقم : الحية التي فيها سواد وبياض . الصلاصل : المتلفت يميناً وشمالا .
٢ التغاضي : التغافل . طلحة الفياض : رجل من كرام العرب وهو طلحة بن عبد الله التميمي أحد الطلحات الخمسة المشهورين عندهم .
٣ يلجي : يضطر .
٤ السمر : حديث الليل . تهافت : تساقط متتابعاً .
٥ أوغلت : تعمقت . حذتني : لذعتني .

المقـــامة الثالثة

وتعرف بالعقيقية

حكى سهيلُ بن عبَّاد قال : بكرتُ يوماً بكورَ الزاجر ، في مَعْمَعان[1] ناجر ، خوفاً من اصطكاك الهواجر . فأمعنت في السِّياحة ، وجعلت أقطع[2] ساحةً بعد ساحة . حتى إذا تخلّلت بعض الغيطان ، وقد سال عليها مُخاط[3] الشيطان . رأيت كتيبةً من الرجال ، على كثيب من الرمال . فبذلت في[4] شاكلة الجواد المِهماز ، ورددتُ صدور الأرض على الأعجاز . حتى أدركت[5] القوم ، في منتصف اليوم . وإذا جنازةٌ قد أودعوها التراب ، وشيخٌ على دَكّةٍ قد افتتح الخِطاب . فقال : يا كرام المعاشر والعشائر ، وأولي[6] الأبصار والبصائر ، أرأيتم ما أحرج هذا البيت ، وأسمج هذا الميت ؟ طالما[7] جدّ وكدّ ، واشتدّ واعتدّ . وركب الأهوال ، واحتشد الأموال . فانظروا أين ما جمع ، وهل أتى بشيءٍ منه إلى هذا المضجع . وطالما شمخ ، وبدَخ .[8]

---

١ الزاجر : الذي يتفاءل بالطير فيبكر بالتعرض لها عند مرورها . معمعان : شدة الحر .

٢ ناجر : اسم لأشهر الصيف . اصطكاك : اشتداد الحر . الهواجر : جمع هاجرة وهي نصف النهار عند اشتداد حره .

٣ تخللت ، يقال : تخللت القوم أي دخلت بينهم . الغيطان : الأراضي السهلة .

٤ مخاط الشيطان : غزل عين الشمس .

٥ شاكلة : خاصرة . المهماز : ما ينخس به . رددت صدور الأرض على الاعجاز : جعلت ما أمامي ورائي .

٦ دكة : مسطبة .

٧ أحرج : أضيق .

٨ شمخ : تكبر . بدخ : اعتز .

وامرف ، واستطرف . وتأنّق في الطعام والشراب ، واستكرم المِهاد[1] والثياب ، وتضمّخ بالعبير والملاب . فاعتبروا كيف صار جيفةً لا تُطاق ،[2] وكريهةً لا تستطيع أن تلحظها الأحداق . فإن كنتم قد ضَمِنتم الخلود ، وأمِنتم اللحود. فتمتّعوا بشهواتكم مليّاً ، واتركوا ما رأيتم نسياً منسيّاً .[3] وإلاّ فالبِدارَ البِدار،إلى طرح العالم الغرّار . فإن المعيدَ من نظر إلى دينه دون دُنياهُ ، وأخذ الأهبة لأخراه قبل أولاهُ . والشقيُّ من نظر قريباً ، فبات خصيباً ، وعاش رحيباً، وغفل عن يوم يجعلُ الوِلْدان شيباً . ثم فاضت عيناه بالدموع ، وأطرق برأسه من الخشوع . وأنشد :[4]

واهاً لمن خافَ الإلهَ واتّقى ... وعافَ مُشترى الضلال بالهُدى
وظلّ يَنهى نفسه عن الهوى ... إنّ إلى الربّ الكريم المنتَهى
وليسَ للإنسان إلاّ ما سعى ... نعمْ ! وإنّ سَعيَهُ سوف يُرى
ما هذه الدنيا سوى طَيْفِ كَرى ... فانتبهوا يا غافلينَ للسُّرى ![5]
وشمّروا الذيلَ وبادروا الوحى ... من قبل أن يدعوَكم داعي الردى[6]
واطّرحوا كلّ نعيمٍ وغِنى ... واستهدفوا لوقع أسهم البِلى
وأقرضوا الله فنِعمَ من وفى ، ... ما أجهلَ الناسَ وأذهلَ النُّهى[7]
لو أنّ هذا المال في هذا الورى ... قال:ألستُ ربّكم ? قالوا : بلى[8]

---

١ استطرف : تنقل من طعام إلى آخر . تأنق : أتقن واستجاد . المهاد : المضاجع .
٢ تضمخ : تلطخ . الملاب : نوع من الطيوب .
٣ ملياً : طويلا .
٤ أطرق : نظر إلى الأرض .
٥ الطيف : الخيال يأتي في النوم .
٦ بادروا الوحى : عاجلا . الردى : الموت .
٧ النهى : العقول .
٨ الورى : الخلق .

ولما فرغ من أبياته زَفَر زَفرةَ الضِّرام، وقال: « كلٌّ من عليها فانٍ، [1] ويبقى وجهُ ربِّك ذو الجلال والإكرام » ، ونزل وهو يمسح عَبَراتِه بفضلة اللِّثام. فخُيِّل للقوم أنه قد هبط من السماء، وقالوا هذا ممَّن يمشي على الماء. ثم أقبلوا يُهرَعون إليه، وطفقوا يُقبِّلون يديه، ويتبركون بمس [2] [3] بُردَيه. وأتحفه كلٌّ منهم بما شاءَ، وقالوا له: الدُّعاءَ الدُّعاءَ! فلما أحرز المال هبَّ إلى الفرس، بأسرع من رَجْع النَّفَس. وقام القوم فودَّعوه، ثم تطرَّقوا فشيَّعوه. فلما أبعد عن الربوة، قِيدَ غلوة. إذا امرأةٌ كأنها من [3] حُورِ الجنان، تنتظره على المكان. فتأفَّف وقال: يا لَكاعِ! لولا حاجةُ [4] الرِّفاق، لأشهدتُ عليكِ بالطلاق. فقالوا: ما هذه الجارية، يا مُبارك الناصية؟ [5] قال: هي امرأةٌ لي صحبتُها في هذه الرِّحلة، لتخفف عني بعض الثقلة. فأنضاها [6] الكلال حتى لا تستطيعُ أن تمشي فنذهب، ولا أستطيع أن أترجَّلَ [7] لتركب. فتقدم إليها فتًى ببِرذَونةٍ قد امتطاها، وقال: اركبي باسم الله [8] مجراها. فقال الشيخ: جزاكَ الله خيرَ الجزاء وجزاء الخير، ثم أقسم على القومِ فعادوا وكأنَّ على رؤوسهم الطير. قال سهيلٌ: وكنت قد عرفت [9] حين أماط اللِّثام، أنه ميمون بن خزام. فقلت: إن الشيخ قد أتى الله [10]

---

١ زفر: أخرج نفسه بعد مده إياه. زفرة الضرام: يقال: زفرت النار إذا سمع لها صوت عند التهابها.

٢ يهرعون: يمشون مسرعين.

٣ تطرقوا: أخذوا في الطريق. الربوة: التل. قيد: مسافة. غلوة: مقدار رمية السهم.

٤ يا لكاع: يا لئيمة، وهو يستعمل في النداء خاصة مبنياً على الكسر.

٥ الطلاق: يريد أن يريهم أنها زوجته.

٦ أنضاها: هزلها.

٧ الكلال: الإعياء.

٨ البرذون: صنف من الخيل يتخذ للحمل غالباً.

٩ أقسم على القوم: أقسم عليهم أن يرجعوا. على رؤوسهم الطير: ساكتين من الهيبة. وأصله أن الغراب يقع على رأس البعير فيلتقط منه ما يؤذيه من الدبيب فلا يحرك البعير رأسه لئلا يطير الغراب عنه.

١٠ أماط: أزاح.

بقلبٍ سليم ، والله يهدي من يشاءُ إلى صِراطٍ مستقيم . بَيدَ أني طوَيتُ عنه كشحي ، لأعلمَ هل أصاب قِدحي . فتراجعتُ مع الراجعين ، وتولَّيت عنه[1] حتى حين . فمكثت هُنَيهةً أترقَّبه ، ثم انبعثت أتعقَّبهُ . حتى انتهى إلى دسكرةٍ في الطريق، بجانب العقيق. فنزل عن الحِجْر . واعتزلَ إلى حَجْرة،[2] وافترش أريكتهُ في ظِلِّ حُجْرة . فاعتسفتُ إليه من بعض الجوانب ،[3] وكمنت له كالضاغب . وإذا به قد احتجر دستجةً من الراح ، كزجاجةٍ فيها[4] مِصباح . وأخذ يتعاطى الأقداح ، ويُغازل تلك الخَود الرَّداح . فلما[5] لعِبت بعِطفيه الشَّمُول ، مال على أحد جانبيه وأنشأ يقول :[6]

سقى الغمامُ تُربَ ذاك القبرِ ... فقد سقاني من لذيذ الخمرِ
ما لم أذُقْ نظيرهُ في العمرِ ... أفادني في اليوم قبل العصرِ
ما لستُ أستفيدهُ في الشهرِ ... وإن أكنْ ركبت إثم السكر
فقد أفدتُ القومَ عند الذكر ... مواعظاً تُلينُ صَلْدَ الصخر
فنلتُ من ذاك عظيمَ الأجر ... وصرت أرجو أن يقومَ عذري
عند الإله في مقام الحشرِ ... بأنني كفَّرتُ قبل الوزرِ[7]

قال: فلما فرغ من إنشاده المُريب ، طلعتُ عليه طِلعَةَ الذيب ، وقلت: السلام على الخطيب . فأجفل إجفالَ الحَمَل، وقال: سبق السيفُ العَذَل. إذا[8]

١ الكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع ، يقال طويت عنه كشحي أي أعرضت عنه . قدحي : سهمي ، أي لأعلم هل أصاب ظني فيه . توليت : أدبرت .
٢ دسكرة : مزرعة . العقيق : مسيل الماء . الحجر : المهرة . حجرة : ناحية .
٣ أريكته : فراشه ومتكأه . اعتسفت : مشيت في غير طريق .
٤ الضاغب : الذي يختبىء ليفزع من يمر به . احتجر : وضع في حجره . دستجة : زجاجة كبيرة . الراح : الخمر .
٥ الخود : الجارية الناعمة . الرداح : الممتلئة .
٦ الشمول : الخمر المبردة بريح الشمال .
٧ الوزر : الإثم .
٨ الحمل : الخروف . العذل : الملامة ، وهو مثل يضرب لمن لام بعد وقوع ما لام عليه .

كنتَ طُفيليّاً ، فلا تكن فُضُوليّاً . قلت : فمن التي تشرب الكاس من [1] يديها ؟ أَحَليلةٌ بنيتَ بها أم خليلةٌ أَنِستَ إليها ؟ قال : إن بينهما نقطةً فلا [2] تحاسِب عليها . والآن قد غَلَبَتني سَوْرَةُ المُدام ، وتلعثم لساني عن الكلام ، [3] فاذهب الليلةَ بالسلام . وإذا التقينا غداً أبرزتُ لك المكنون ، ودَرَأْتُ [4] عنك الظنُون . قال : فعلمتُ أنها من خُزَعْبِلاته ، لكنني أجريته على [5] عِلاّته . فثنيتُ عنه عناني ، وانثنيتُ لشاني . [6]

---

١ طفيلياً : نسبة إلى طفيل بن زلال الكوفي . فضولياً : نسبة إلى الفضول وهو دخول الإنسان في ما لا يعنيه .

٢ حليلة : زوجة . خليلة : صديقة. نقطة : يريد النقطة التي على الخاء من الخليلة وليس بينها وبين الحليلة فرق غيرها في الخط .

٣ المدام : الخمر . وسورتها : وثوبها إلى الرأس .

٤ المكنون : المخبأ . درأت : دفعت .

٥ خزعبلاته : خرافاته وأباطيله .

٦ أجريته على علاته : تغاضيت عنه مع عيبه . انثنيت : رجعت .

المقـــامة الرابعة

وتعرف بالشامية

أخبر سُهيل بن عبَّادٍ قـال : دخلت يوماً على صاحب لي بالشام ، أعودُه من داءِ البرسام . فجلست بإزائه ، وأنا أستخبرهُ عن دائـه . وبينما هو يبثُّ[1] شكواه ، ويتأوَّه لبلواه . إذ قيل : قد جاء الطبيب ، فقلت : قطعَتْ جَهيزةُ[2] قول كل خطيب . ونظرتُ فإذا رجلٌ قد أقبلَ يجرُّ ذيل طيلسانه ، ويقرع[3] أديم الأرض بصولجانِه . حتى دخل فسلَّم ، ثم جلس مُعرِضاً ولم يتكلم .[4] فتوسَّمتُهُ[5] وإذا هو شيخُنا ابن خزام ، فاحتفزتُ للقيام ، وأردت أن أستأنف السلام . فأومض إليَّ بجفنيه ، واستوقفني عن التسليم عليه . فقال له المريض : يا مولاي أرى أن صدري قد ضاق ، وتواتر عليَّ الفُواق . فقال : ذَكَرَ[6] الأُستاذ بقراط ، أن ذلك يدلُّ على نضج الأخلاط . وقد وصف له الإمام[7]

---

١ البرسام : مرض في الصدر .

٢ جهيزة : جارية كانت لقوم من العرب ، وكان أعيانهم قد اجتمعوا يخطبون في المصالحة عن دم قتيل بينهم ، وإذا بها قد جاءت تقول : إن أهل القتيل قد ظفروا بالقاتل ! فقالوا : قطعت جهيزة قول كل خطيب ، فسار قولهم مثلا .

٣ الطيلسان : ثوب تلبسه المشايخ .

٤ صولجانه : عصاه المنعطفة الرأس .

٥ توسمته : تفرست فيه لأعرفه .

٦ تواتر : تتابع . الفواق : ريح يتردد في الصدر .

٧ الأخلاط : قال ذلك من باب المخرقة لأنه لا يعرف الطب .

ابن عاتكة ، أن يُسقى شراب الملائكة . لكنه لا يُشترى إلاّ بمائة درهم ، فإن [1]
بذلتها نجوتَ من البلاء الأدهم . فدفعها إليه وقال : حُبّاً وكرامة ، إن ظفرتُ
بالسلامة . قال : وكان أهل المريض قد استضعفوا رجاء الشفاء ، ورأوا طبيبهم
كالكاتب على صفحات الماء ، فاستحضروا بعض نُطُس الأطباء . ووافق تلك [2]
الساعة وفدُه عليه ، فدخل وهو يتهادى بين برديه ، ثم جلس والشيخ يصوّب [3]
طرْفه ويصعّده إليه . فقال : إن شئت أن تُتحفنا بعارفتك ، فذلك من [4]
عارفتك . قال : أنا من أطبّاء جزيرة العرب ، كنت قد انتصبت للتدريس [5]
حتى انقطع الطلب . فاعتزلتُ عن مزاولة العلاج واصطناع الأدوية ، وخرجت [6]
أتفقّد العقاقير في الجبال والأودية . فعظُم الشيخ في عين الطبيب ، وأراد أن
يَسبُر غَوره ليرى أيُخطِئ ظنُّه أم يصيب . فقال : يا مولاي إني رجلٌ من
المتطبّبين ، وقد عثرتُ على مسائلَ أنا منها بين الشك واليقين . قال : على الخبير [7]
بها سقطتَ ، فسل عمّا التقطت . فإن وجدت لذلك عِبرة ، أعطيتكَ الجواب [8]
صُبرةً . قال : كيف يتركّب السرسام ، مع البرسام ؟ وما هي مقادير الأخلاط [9]

١ ابن عاتكة : هذا الرجل لا يوجد في علماء الطب وإنما ذكره خرافة لترويج حيلته . شراب الملائكة : وهذا الشراب لا يوجد في الأدوية وإنما ذكره بهذا الاسم تعظيماً له ليأخذ له ثمناً جزيلا .

٢ كالكاتب على صفحات الماء : مثل يضرب لمن لا يؤثر عمله شيئاً . نطس : حذاق .

٣ يصوب : يحدر .

٤ يصعده : يرفعه .

٥ عارفتك : إحسانك .

٦ الطلب : طلب العلم .

٧ المتطببين : المتداخلين في صناعة الطب .

٨ على الخبير بها سقطت : من أمثال العرب يضرب لمن يسأل عن أمر هو أعلم الناس به .

٩ صبرة : جملة واحدة . السرسام والبرسام : اسمان أعجميان معنى الأول ورم الرأس ومعنى الثاني ورم الصدر ، فإذا استقرت أعراض البرسام وشاركت الدماغ تركب السرسام مع البرسام .

بالنسبة إلى بعضها في الأجسام؟ وما هو المراد عند الأُوَل، بقسمة الطب إلى[1] علم وعمَل ؟ وما هي الكيفيّة المنفعلة والكيفيّة الفاعلة ؟ وما هي الأسباب[2] السابقة والبادية والواصلة ؟ فقال: الله أكبر إن الحديث ذو شجون، وإن لك[3] أجراً غير ممنون. لقد ذكّرتني مائةً من المسائل، جمعتها في بعض الرسائل.[4] وهي مما يُشكِل على الألبّاء، وتتُناقَش به فحول الأطبّاء . فإن شئتَ جعلنا الساعة موعداً، وأتيناك بها غداً. قال : ذاك إليك، فنهض وقال: السلام[5] عليك . وخرج وهو قد اعتضد الصولجان، وانساب انسياب الأفعُوان. قال[6] سهيلٌ : فابتدَرتُ الخروج على الأثر، قبل أن يتوارى عن النظر . فأدركته عن أمد يسير، وهو يُنشد كحادي البعير :

الحمــــد لله وللفــرارِ فقد نجوت من فضوح العارِ !
أفلَتَ من جَرادة العيّـارِ مـــا لي وللنضـال والحِوارِ[7]
ما أنا بالرازي ولا البُخـاري وليس لي في الطّبّ من أسفارِ[8]

١ ما هي مقادير الأخلاط بالنسبة إلى بعضها في الأجسام : كم يكون مقدار كل واحد منها بالنسبة إلى الآخر ، والجواب فيما قيل ان البلغم سدس الدم والصفراء سدس البلغم والسوداء ثلاثة أرباع الصفراء . وذلك في الأبدان المعتدلة . الأول : أي عند الطوائف الأول من الأطباء .

٢ المنفعلة : هي الرطوبة واليبوسة . الفاعلة : هي الحرارة والبرودة .

٣ السابقة : المتقدمة كالطعام والشراب . البادية : الظاهرة كالضربة والسقطة . الواصلة : هي التي يوجد المرض بوجودها ولا يزول إلا بزوالها كالعفن للحميات .

٤ ممنون : مقطوع .

٥ الساعة : أي مثل هذه الساعة من الغد .

٦ اعتضد : جعله على عضده .

٧ أفلت : تفضيل من الإفلات وهو شاذ . العيار : اسم رجل كان أثرم ألقى جرادة ذات يوم في النار ثم ألقاها في فمه وهي حية ففرت من بين أسنانه ، فصارت مثلا . النضال : أصله في الترامي بالسهام ثم استعمل في الكلام مجازاً . الحوار : المراجعة في الكلام بين اثنين فأكثر .

٨ الرازي : هو الشيخ محمد بن زكرياء صاحب كتاب الحاوي في الطب . البخاري : هو الحسن ابن سينا صاحب كتاب القانون في الطب . أسفار : كتب .

أدرُسُها في الليل والنهارِ وسائلٍ مُماحكٍ مِهذارِ[1]

يسألني عن غامض الأسرارِ جعلتُ مثلَ الخادع الغرّارِ[2]

موعِدَهُ الساعةَ فوق النارِ فقل له: صبراً على انتظاري![3]

قال فما استتمَّ الإنشاد، حتى وقفت له بالمرصاد. وقلتُ: عَهِدتكَ[4] بالأمس خطيباً[5]، فمتى صرت طبيباً؟ فقال: إلبسْ لكل حالةٍ لَبوسها، إمّا نعيمَها وإمّا بوسها[6]. دخلتُ يا ابن أخي هذا البلد، وأنا غريبٌ لا سَبَدَ لي ولا لَبَد. فرأيت الأديب عند أمته، أهون من قُعَيس على عمّته. فلما[7] رأيتهم معارِجَ لا تُرتقى، وأراقمَ لا تقبل الرُّقى، جرّدت المِبضَعَ[8] والمشراط، وسأستغفرُ الله لي ولهم إذا وقفنا على الصّراط. قال: وبينما نحن[9] كذلك إذ صاحت الصوائح، وعلا ضجيج النوائح. فقلت لهُ: قاتلك الله ما أقتلك، وأحبَط علمك وعمَلك. قد كنت أهوَنَ من قُعَيس، فصرتَ أشأم من طُوَيس. لو رمى الله بك أصحاب الفيل، أغنيتَ عن الطير الأبابيل.[10]

---

١ وسائل: ورب سائل. مماحك: متعنت في الجدال.

٢ مثل: حال.

٣ الساعة: مفعول آخر، والمراد بالساعة هنا القيامة، وذلك مبني على قوله له إن شئت جعلنا الساعة موعداً.

٤ المرصاد: الطريق.

٥ خطيباً: إشارة إلى خطبته على الجنازة في المقامة التي قبل هذه.

٦ مثل قاله بيهس الفزاري الملقب بالنعامة.

٧ السبد: الشعر. واللبد: الصوف. يكنى بهما عن القليل والكثير. عند أمته: عند أهل هذا البلد. قعيس: رجل من الكوفة زار عمته في الشتاء وكان بيتها ضيقاً فأدخلت الكلب إلى البيت وتركت الرجل خارجاً فمات من البرد. وقيل: رهنته على صاع من الحنطة ثم لم تفكه فصار عبداً للبائع.

٨ معارج: مصاعد.

٩ المشراط: من آلات الأطباء في الجراحة. الصراط: قيل هو جسر يمد للناس يوم القيامة.

١٠ طويس: هو طويس المغني كان مخنثاً يضرب به المثل في الشؤم. أراد بأصحاب الفيل الحبشة أصحاب أبرهة الأشرم. قيل إنهم قصدوا البيت الحرام ليهدموه، فأرسل الله عليهم هذه الطير، وكانت ترميهم بحجارة صغيرة حيثما أصابت الرجل تنفذ من الجانب الآخر فأهلكتهم. الأبابيل: المتفرقة.

فنظر إليّ شَزْراً ، وأنشد يقول شعراً :[1]

لا خيرَ في الناس ! دَعني أفتُكْ بهم ، يا فلانُ
فليس فيهم رجاءٌ ، وليس منهم أمانُ
يا ليتَ ألفَ طبيبٍ مثلي يسوقُ الزمانُ !
فكلَّما قصَّرَ العيشُ يقصرُ العِصيانُ !
فخفَّ عنهم عذابُ الـ أخرى وقلَّ الهوانُ !

ثم قال : هذه معذرتي فإن شئت القَبول ، وإلاّ فدَعْ عنك الفُضول ، وإذا فارقتني فقل ما شئتَ أن تقول . ثم ولَّى يهَرْوِل ، والنائحاتُ تولْوِل . وهو يقول : لو قَدَرتُ أن أدفعَ الموت لبقيتُ إلى الأبد ، ولو شفى الطبيب كلَّ مريضٍ لم يَمُت أحد . فرجعت أقول : هنا كل العَجَب ، لا بين جُمادى ورَجَب .[2]

١ شزراً : بمؤخر عينه غضباً .
٢ مغايرة لقولهم في المثل : العجب كل العجب بين جمادى ورجب .

المقـــامة الخامسة

وتعرف بالصعيدية

أَخبر سُهَيل بن عباد قال : دخلتُ مجلس قاضي الصعيد ، وقد جلس للتهنئة بالعيد . فبينما دنوتُ إليهِ ، وسلَّمتُ عليهِ . دخلت امرأةٌ غَضَّة ، كأنها[1] بُرجُ فِضَّة . وقالت : السلام عليك أيها المولى ، ولا زلتَ بالكرامة أولى فأحسن ردَّ السلام ، وقال : ما وراءَكِ يا عِصام ؟[2] قالت : إنني امرأةٌ من كرائِم العقائل ، وكرام القبائل . قد خطبني إلى والدي العجوز ، رجلٌ[3] يدَّعي أنه من أَصحاب الكنوز . وقد جعل كل مالهِ لي وقفاً ، وصرَّفني في بيتهِ عيناً ووصفاً.[4] فلما حضرت إلى بيتهِ وجدتُه كبيت العنكبوت ، لا شيء فيه من الأثاث والقوت . وهو قد أمسكني جبراً ، وكلفني ما لا أَستطيع عليه صبراً . فمُرْهُ إن شئت بالإنفـاق ، وإلاَّ فالطلاق . فأَشار القاضي إلى الغلام بإحضاره ، والمرأَةُ دليلةٌ له في آثاره . فما كان إلاَّ كقراءَة هل أتى[5]، حتى عادت المرأة والفتى . وبين أيديهما رجلٌ طويل القامة ، كبير العمامة . فتقدم إلى القاضي وهو يقول : أيَّد الله الجالس على بساط الرسول . قال : أيَّد الله

١ غضة : ناعمة .

٢ من أمثال العرب قاله الحرث بن عمرو ملك كندة وكان قد أرسل امرأة يقال لها عصام لتنظر له فتاة يريد أن يخطبها . فلما عادت إليه قال : ما وراءك يا عصام ؟ يريد أن يستخبرها عما ذهبت إليه .

٣ العقائل : جمع عقيلة وهي كريمة الحي .

٤ صرفني في بيته عيناً ووصفاً : أي ولاني على ما في بيته أفعل به ما أريد وأدبره كما أريد .

٥ هل أتى : سورة صغيرة من القرآن .

الحقّ المبين ، وعصمنا وإياك بحبله المتين . ما تقول في دعوى هـذه الجارية ؟ وما أَدراكَ ما هِيَه . قال : هي فِريةٌ وسوس بها إليها الشيطان ، ومِريةٌ[1] ما أنزل الله بها من سلطان . قال : فادفعْ عن نفسك بالتي هي أحسن ، ولا تجادل في أشياءَ إن تبد لك تسؤْك فتحزن. قال : لا حولَ ولا قوّة إلاّ بالله[2] العليّ العظيم ، ثم أشار إلى القاضي وأنشد بصوتٍ رخيم :

أنا أبو ليلى أخو العَجَّاجِ ... وصاحبُ الأَرجاز والأحاجي[3]
عندي من العلمِ لدى المُناجي ... كنزٌ ، ومن مطارف الديباجِ[4]
ما ليس من صِناعة النُّسَّاجِ ، ... لكنني من قِلَّة الرَّواج[5]
قد اشتريتُ دُملُجاً من عاجِ ... بدرهمٍ كالقمر الوهَّاجِ
كنتُ أصونهُ إلى احتياجِ ... إذ لم أكن لغيره براجِ
فذاكَ مالي ، يا أبا فرّاجِ ، ... جعلته في يد بنت الناجي[6]
وقفاً لها ، فلستُ بالمداجي ... وهْي على بيتيَ كالحجَّاجِ[7]
تحكمُ في الإدخال والإخراجِ ... من غير عُرضةٍ ولا حِجاجِ
مَصونةٌ في أحصن الأبراجِ ... آمنةٌ من طارقٍ مُفاجِ[8]

١ ما هيه : ضمير المؤنثة لحقته هاء السكت . فرية : أكذوبة مختلقة . مرية : مظنة وجدال .
٢ تبد : تظهر . تسؤك : مضارع ساء .
٣ العجاج : هو أبو رؤبة المشهور كان من فحول شعراء العرب . يريد أنه نظيره في الشعر . الأحاجي : نوع من الألغاز سيذكر .
٤ مطارف : أردية .
٥ النساج : كناية عن الشعر فإنه يزين الممدوح به كما تزينه الثياب الفاخرة . من قلة الرواج : من كساد العلم والشعر .
٦ فذاك : الإشارة إلى الدرهم . فراج : كنية القاضي . الناجي : اسم أبيها .
٧ لست بالمداجي : نفى المداجاة عن نفسه لأن الوقف في اللغة يراد به السوار من العاج أيضاً وهو قد اشتراه بكل ماله وجعله في يدها . الحجاج : هو كليب بن يوسف الثقفي كان ملكاً في الشام .
٨ طارق : الذي يأتي في الليل . يريد أنه لفقره لا يزوره أحد .

مرتاحةٌ من كل ذي إزعاجِ لا تحملُ الزيتَ إلى السّراجِ [1]
ولا تعاني الرَّحضَ للسِّناجِ وطاجنِ الفالوذ والسكباجِ [2]
وعَرَنِ الكباشِ والنعاجِ فلم تزل صحيحةَ المزاجِ [3]
نقيَّةً من وَضَرِ الأمشاجِ غنيَّةً عن خطرِ العلاجِ [4]
والمرءُ لا يرضى ولو بالتاجِ

قال : وكان المجلس حافلًا بأهل العيد ، ومزدحماً بالأحرار والعبيد. فعجبوا من بداهة الرجل وفكاهته ، ونـُزهة لفظه ونزاهته . وقالوا : ما نراه أخطأ في الدعوى ، لكنها أَخطأَت في الفحوى . فليَجبُر قلبَها كل واحدٍ بدينار ، [5] ولنجعلها زكاة عيد الإفطار . ثم حَصَبَها كلٌّ بدينار حسَب وعده ، وقالوا [6] لها : أنفِقي مما رزقكِ الله حتى يأْتِيَ الله بالفتح أو أَمرٍ من عنده . واستشاط الرجل وقال : أَرأيتم قد أمرتموها بالإنفاق فقد جعلتموها لي بعلًا، وجعلتموني [7] لها أهلًا . فلا تلبثُ أن تقول : قد استنوقَ الجمل ، وتطلـّقني البتّاتَ لعكس [8]

---

١ إذ لا زيت عنده .

٢ الرحض : الغسل . السناج : أثر دخان السراج على الحائط . طاجن : طابق يقلى به . الفالوذ : نوع من الحلوى . السكباج : طعام .

٣ عرن : ما يعلق باليد من دسم اللحم . صحيحة المزاج : لقلة تناول الأطعمة واختلافها .

٤ وضر : دنس . الأمشاج : الأخلاط .

٥ الدعوى : كما ادعى لنفسه . أخطأت في الفحوى : أخطأت في فهم فحوى دعواه لأنها فهمت أنه أراد كنز المال والوقف الذي هو حبس الملك على جهة مخصوصة وإن المراد بالبيت أمتعته . وهو يريد بالكنز العلوم المكنونة في صدره وبالوقف السوار من العاج وبالبيت نفس البناء القائم . وهو قد وفى بكل ذلك فكان الخطأ من جهتها لا من جهته .

٦ حصبها : رماها .

٧ بعلا : زوجاً .

٨ أهلا : زوجة . استنوق الجمل : مثل ، أي صار الجمل ناقة . تطلقني البتات : طلاقاً لا مرجع فيه .

العمل . قالوا : لله درُّك أيها الجندلة ، فما تقول في المسألة ؟ قال : قد رأيتم[1] في الكتاب رأيَ العين ، أن للذكَر مثلَ حظّ الأنثيين . فإن أحسنتم فإليكم ، وإلاّ فكتابُ الله عليكم . قالوا : قُضيَ الأمرُ الذي فيه تستفتيان ، فقد أحسنتَ وما جزاءُ الإحسان إلاّ الإحسان . فاشرأبّ الرجل واستطال ، [2] وأقبل على القاضي وقال :

إن أخطأتْ جاريةٌ في الفهمِ لا يخطِئُ القاضي المتينُ العلمِ
في فَهم شكوايَ وفرض السهمِ [3]

فقال القاضي : شهِد الذي أخرج المرعى ،أنك تريد أن تلسع الأفعى . فخذ هذه الجدوَى ، على أن لا تحضُرني بدَعوى . فلما أحرز الرجل ما أعطاهُ ، [4] برزت المرأةُ كالسِّعلاة . وقالت : أيّد الله القاضي إن الدعوى من قِبَلي ، [5] فقد كان ذلك لي [6] . فأطرق القاضي إطراق المُشفِق ،وقال :إن البلاء موكّلٌ بالمنطِق . ثم قال للشُّرَطيّ : إني أراهما يتداولان مكرَ الليل والنهار ، [7] ويصِلان الدرهم بالدينار . فخذهما بهذه السُّفْتَجَة ،واكفِني كُربة الحَشرجة ، [8] وأربة السَّمرَجة . قال سهيلٌ : ولما أراد الرجل الخروج عطف إليّ ، وقد [9] أغمض إحدى عينيه لتخفى معرفته عليّ . وقال :أعيذك بالله أن لا تكون من

---

١ لعكس العمل : بسبب عكس عملكم في تفويض الإنفاق إليها لأن ذلك للرجال . الجندلة : الصخرة ، كناية عن متانته في الحجة .

٢ اشرأب : مد عنقه متطاولا .

٣ السهم : النصيب .

٤ الجدوى : العطية .

٥ السعلاة : أنثى الغول .

٦ تريد أنها هي التي حضرت بالدعوى على الرجل فإذا كان القاضي يريد أن يقطع الحضور إليه بدعوى ينبغي أن تكون العطية لها حتى لا ترجع ثانية . المشفق : الخائف الحذر .

٧ إن البلاء موكل بالمنطق : مثل يضرب لمن سقط بكلام .

٨ السفتجة : كتاب الحوالة .

٩ أربة : شدة . السمرجة : استخراج الخراج في ثلاث مرات .

الناس ، فإن اعتذرت فلا باس . فلت : ليس معي إلاَّ دينارٌ واحدٌ فاقتسماه،[1]
وإلاَّ فنَظِرةٌ إلى ميسَرةٍ من رزق الله . قال: نعم ولكن إذ تخلّصَت قائبةٌ[2]
من قوب،فإياكَ مطلَ عُرقوب. ثم خرج فانطلقتُ في أثره ، لأقِفَ على كنه[3]
خبره . فلما أبعد عن دار القضاء ، واقتضى سُفتَجته البيضاء ، فتح الشّعرى[4]
الغُميْصاء . فإذا هو صاحبنا ميمونٌ بعينه ، وقد انتفض العَوَر من عينه .[5]
فابتهجتُ بمرآهُ ، واغتبطتُ بملتقاهُ . وقلت له : ما خطبك وهذه الجارية ،
ومتى تزوجتَ في البادية ؟ قال : هِي في البيت ابنتي ، وفي المحكمة زوجتي .
ثم أنشد :

خبُثَ الدّهرُ ، فصارت	أنفسُ النـاسِ بخيلـَه
وإذا حـالُكَ ساءت ،	فليكُن عنـدكَ حيلـَه

ثم غمز بأنامله مَرفِقي ، وقبّل مَفرِقي ، وقال : أستودعُكَ الله إلى أن[6]
نلتقي .

---

١ أن لا تكون من الناس : ان الناس الحاضرين كلهم أعطوه فإذا خرج عن طريقهم لم يكن من الناس . إن اعتذرت فلا باس : إن أردت أن لا تكون من الناس فلا بأس علي بذلك .

٢ نظرة : مهلة . القائبة : البيضة .

٣ القوب : الفرخ ، وهو مثل يضرب لمن انفصل من صاحبه . العرقوب : رجل من العماليق يضرب به المثل في إخلاف الوعد والمماطلة . كنه : نهاية .

٤ اقتضى : استوفى وقبض .

٥ الشعرى الغميصاء : هي نجم يطلع بعد الجوزاء . كنى بها عن عينه التي كان قد أغمضها . وهما شعريان إحداهما هذه والأخرى الشعرى العبور . والعرب يزعمون أن سهيلا تزوج بهذه وذهب بها حتى عبر المجرة وهي نهر في السماء فقيل لها الشعرى العبور . وجاءت أختها فلم تستطع أن تعبر فلبثت تبكي حتى لم تستطع أن تفتح عينيها فقيل لها الشعرى الغميصاء .

٦ المرفق : موصل الذراع في العضد . وغمزه : ضغط عليه بيده . والأنامل : أطراف الأصابع . مفرقي : حيث يفترق الشعر في الرأس .

المقـــامة السادسة

وتعرف بالخزرجية

قال سُهَيل بنُ عَبَّـاد : دخلتُ بلاد العَرَب ، في التماس بعض الأرب . فقصدتُ ناديَ الأوس والخَزْرَج[1] ، لأتفرَّج وأتخرَّج، وآخذَ من ألسنتهم بعض المنهج . فلما صرت في بُهرة النادي ، أخذ بمجامع فؤادي. فجلست بين[2] القوم ساعة ، وأنا أُحدِّق إلى الجماعة . وإذا شيخنا ميمون بن خزام ، قد تصدَّر في ذلك المقام . وهو يقول : من أراد أن يعرف جُهَينة ، أو شاعر[3] مُزَينة . فليحضُرْ ليسمعَ ويرى ، فإنَّ كل الصيد في جوف الفرا . فعمد[4] إليه رجلٌ وقال : أطرِقْ كَرَى ، إن النعامة في القُرى . فقال الشيخ :[5] كل فتاةٍ بأبيها مُعجَبة ، فكن سائلًا أو مسؤولاً لنرى مـا في القِداح من[6]

---

١ أي نادي بني الأوس وهو ابن حارثة بن ثعلبة من عرب اليمن والخزرج أخوه . كل منهما أبو قبيلة تنسب إليه .

٢ بهرة : وسط .

٣ جهينة : رجل من اليمن يضرب به المثل في كثرة الروايات والأخبار .

٤ مزينة : هو زهير بن أبي سلمى أحد أصحاب المعلقات . الفرا : حمار الوحش . وهو مثل أصله أن ثلاثة رجال خرجوا يصطادون فاصطاد أحدهم أرنباً والآخر ظبياً والآخر حمار وحش . فاستبشر الأولان وتطاولا فقال الثالث: كل الصيد في جوف الفرا . أي أنه أعظم الصيد فمن ظفر به أغناه عن كل صيد .

٥ أطرق : أخفض رأسك . الكرى : قيل : إن المراد بالكرى الكروان وقيل طائر آخر وهو منادى بإضمار الحرف . أي لا تستكبر فإن النعامة التي هي أعظم منك قد صيدت وحبست في القرى . وهو مثل يضرب لمن يتكلم وليس عنده غناء .

٦ كل فتاة بأبيها معجبة : مثل يضرب في افتخار كل رجل بما عنده . القداح : سهام الميسر يرمى بها قماراً .

الأنصبة . قال : إنما يُسأَلُ العالِم ، فما هي أسماءُ المطاعم ؟ قال : لَبَّيك[1] وسَعْدَيك ! وأنشد كهَزار الأَيك[2] :

للنُّفَساء الخُرْس والعقيقه للطفل عند عارف الحقيقه[3]
كذلك الإعذارُ للختانِ وذو الحِذاق حافظُ القرآنِ[4]
للخطبة المِـلاكُ والوليمة للعرس والميتُ لهُ الوضيمه
وللبناء جعلوا الوكيرَه ولهـلالِ رَجَبَ العقيرَه
وقيلَ تُحفةٌ لزائرٍ يَرِد وشُنْدُخٌ لما يضلُّ إذ وُجِد
كذا نقيعة القدوم من سَفَر ثم القِرى للضيف عندما حضر
وحيثما لم يكُ من ذاك سبب فإنها مأدُبةٌ عند العرب
وإن تعمَّ دعـوةٌ فالجَفَلى تُدعى وإن خصَّت فتلك النَّقَرى[5]

قال : أحسنتَ يا ضريب الضَّرَب ، فمـا هي نيران العرب ؟ فأنشد :[6]

أولُ نارٍ عندهم نار القِرى وذكر نار الوسم بعدها جرى[7]
ونار الاستسقاء والتحـالُفِ والصيد والحرب لدى التزاحفِ[8]

---

١ الأنصبة : جمع نصيب . إنما يسأل العالم : يحق أن تسأل لأنك عالم .

٢ الأيك : الشجر الكثير الملتف .

٣ للنفساء الخرس : المراد بالخرس طعام الولادة لا ما تطعمه النفساء عينها . وكذا البواقي . والعقيقة للطفل : كانوا يصنعونها عند حلق شعره .

٤ الحذاق : الطعام الذي يصنع لحفظ الولد القرآن يقال له الحذاق .

٥ إذا دعا صاحب الطعام كل القوم فهي الجفلى . وإذا دعا أفراداً منهم فهي النقرى .

٦ ضريب : نظير . الضرب : العسل الأبيض الغليظ .

٧ القرى : الضيافة . الوسم : كانوا يسمون إبل الملوك لترد الماء أولا . ونار الوسم هي التي توقد ليحمى بها الميسم .

٨ نار الاستسقاء : كانت الجاهلية توقدها طلباً للمطر . والتحالف : توقد عند التعاهد على أمر . والصيد : توقد للظباء لتعشى أبصارها . والحرب : توقد على جبل إعلاماً للأحلاف الأباعد . التزاحف : مشي الجيشين إلى بعضهما .

ونار غدرٍ وسلامةٍ تُعَـد   ونار راحلٍ كذا نار الاسد[1]
والنـــار للسليم والفـــداءِ   فجملـــة النـيران هؤلاءِ[2]

قال : أعتقك الله من النار ! فهل تعرف ساعات النهار ؟ فأنشد :

أولُ ساعةٍ من النهـــارِ   هي البكورُ والبزوغُ طارِ[3]
والرأد والضُّحى المتُوعُ بعدُ   ظهيرةٌ ثم الزوالَ عدُّوا
فالعصرُ فالأصيلُ ثم الطَّفَلُ   وبالحدور والغروب تكملُ

قال : قد أسبغت الذيل ، فهل تعرف ساعات الليل ؟ فأنشد :

أوَّل ساعةٍ من الليـل الشَّفَق   وبعدَها العَشوةُ يتلوها الغَسَق
فَهَدْأةٌ ثُمَّتَ شرعٌ ثم قُل   جِنـحٌ وزُلفةٌ هزيعٌ يا رَجُل
وبعـد ذاك غَبَشٌ وسَحَرُ   والفجرُ والصبحُ الذي ينفجرُ

قال : قد درَأتَ الشُّبُهات ، فهل تعرف رياح الجهات ؟ فأنشد :

ما هبَّ من شرقٍ فذلك الصَّبا   ثم الجَنوبُ عن يمـينٍ ذهبـا
ثم الشَّمالُ والدَّبور ، وجَرَت   نكْباءُ بينَ كلِّ ريحَينِ سَرَت
فذلكَ الأزْيَبُ ثم الصـابيه ،   فالهَيْفُ ثم الجِرْبِيـاءُ آتيه[4]

---

١ نار غدر : كانوا إذا غدر الرجل بصاحبه يوقدون ناراً بمنى أيام الحج ثم يقولون هذه غدرة فلان . وسلامة : توقد للقادم من سفر سالماً . ونار راحل : توقد للمسافر إذا لم يحبوا أن يعود . ونار الأسد : توقد عند الخوف من سطوة الأسد حتى إذا رآها ينفر منها .

٢ السليم : الملسوع يقال له ذلك تفاؤلا بالسلامة . وهم يكرهونه على السهر ويوقدون له ناراً ليسهر على ضوئها . والفداء : كانوا إذا سبيت نساء الأشراف منهم وفدوهن يخرجونهن ليلا ويوقدون لهن ناراً يستضئن بها .

٣ طار : حادث أي واقع بعدها .

٤ أي أن الأزيب ريح بين الصبا والجنوب . والصابية بين الصبا والشمال . والهيف بالفتح بين الجنوب والدبور . والجربياء بكسر الجيم والباء وسكون الراء : بين الشمال والدبور .

قال : قد جلوتَ الرموز ، وفتحت الكنوز ، فهل تعرف أيام برد العجوز ؟[1] فأنشد :

صِنٌّ وصِنَّبرٌ ووبْرٌ يُذكَرُ — وبعدهُ الآمِرُ والمؤتمِرُ
كذا مُعَلِّلٌ ومطفي الجمرِ — هاتيك أيام العجوز فادرِ

قال : حُيّيتَ يا قطبَ العراق ، فما أسماءُ خيل السباق ؟ فأنشد :

أولُ سابقٍ هو المجلّي — ثم المُصلّي بعده المُسلّي
تالٍ ومرتاحٌ عليه يُقبِلُ — والعاطفُ الحَظيُّ والمؤمَّلُ
كذلك اللطيمُ والسُّكَيْتُ — فاحفَظْ فما أُعطِيتُ قد أَعطَيتُ

قال : لله دَرُّكَ ! لقد جمعت فأوعَيت ، وقدَحت فأورَيتَ[2] . فإن شئت فسَلْ ، قال : أجَلْ ، ولكن خُلِقَ الإنسانُ من عَجَلٍ[3] . فإن أبطأتَ في الجواب فلي عليك ناقةٌ حمراءُ ، وعلى قومك فرس غرّاءُ[4] . قال : هات وبالله التوفيق ، إلى سواء الطريق . فقال : ما هي بُرَقُ العرب المذكورة ،[5] ودارانها[6] المشهورة ؟ فضاق الرجل ذرعاً في الجواب ، وقال : اللهم اهدنا صراط الحقِّ والصواب . ثم قال : قد وجَبَت راحلةُ الشيخ علينا ، ليسهُلَ وفدُهُ إلينا[7] . فقال الشيخ : قد علمتم يا قوم أن الخير معقودٌ بنواصي الخيل ،

---

١ برد العجوز : هي الأيام السبعة التي بين أواخر شباط وأوائل آذار والعامة تقول لها المستقرضات.

٢ أوريت : يقال أورى الزند إذا أخرج منه ناراً .

٣ من كلام القرآن . والمراد بالعجل الطين لكنهم تأولوه على المتبادر من اللفظ بالسرعة . والمقصود أنه يجب أن يعجل في الجواب كما عجل الشيخ ، وذلك لأنه يريد أن يسأله عما لا يمكنه الجواب عنه بالعجلة .

٤ ناقة حمراء : النياق الحمر عند العرب أفضل الإبل . فرس غراء : لها بياض في جبهتها أوسع من الدرهم .

٥ برق : مواضع في بلاد العرب .

٦ دارا تها : مواضع أخرى تنتهي إلى مائة وأربع عشرة دارة .

٧ وفده : زيارته . قال ذلك رياء لأنه لم يرد أن يتظاهر بالعجز عن الجواب .

وهي التي ينجو بها الوافدُ من جوارح النهار وطوارق الليل [1] . قالوا : كلاهما وتمراً ، فقد فرضنا لكل بيتٍ صِلةً أُخرى ، على أن تكتبها لنا سطراً [2] فسطراً . ففعل وقال : الشرطُ أَمْلَكُ ، عليك أم لك [3] . فجاؤوا بناقةٍ وجناء وفرس كُمَيت ، وشاةٍ لكل بيت . فأنكر الشيخ الشوَيهات [4] ، وقال: قد أجزتم نصف الأبيات . قالوا : بل أجزنا كلها جميعاً ، فإن كنت [5] قد ادّخرتَ شيئاً فأنشِده لنجيزه سريعاً . فضحك الشيخ على الأثر ، وقال : أُريها السُّهى وتُريني القمر . إن هذه الأبيات مشطورةٌ تُوهِمُ الأنصاف [6] ، لكنها تُحسَب أبياتاً عند الإنصاف [7] ، وإلا لما جاز في قوافيها ما رأيتم من الخِلاف . فإن تمسكتم بالعروة الوثقى ، وإلاّ فالله خيرٌ وأبقى . فقالوا : [8] لله درُّك ما أقواك في الحُجَّة ، وأهداك إلى المحجَّة ! قد رضنا بما حكمت [9]،

---

١ جوارح النهار : ما يحدث من آفاته وكذلك الطوارق في الليل .

٢ كلاهما وتمراً : مثل . أصله أن عمر بن حمران الجعدي كان جالساً وبين يديه زبد وتامك وتمر فأتاه رجل وقال أطعمني من هذا الزبد والتامك فقال كلاهما وتمراً . أي لك كلاهما وأزيدك تمراً . والتامك سنام الجمل . صلة : عطية .

٣ مثل يضرب لحفظ الشرط .

٤ وجناء : شديدة . كميت : يخالط حمرتها سواد . الشويهات : جمع شويهة مصغر شاة .

٥ أجزتم : أعطيتم جائزة .

٦ أريها السهى وتريني القمر : أي أريها الخفي وتريني الواضح . وهو مثل يضرب لمن يغالط في ما لا يخفى . البيت المشطور : هو ما سقط نصفه . توهم الأنصاف : توهم أنها أنصاف أبيات لا أبيات كاملة .

٧ اختلفت علماء العروض في المشطور على سبعة مذاهب منها أن كل شطر يحسب بيتاً باعتبار الشطر الآخر الساقط وهو المذهب الأقوى .

٨ الخلاف : إذا كانت لا تحسب أبياتاً مستقلة لا يجوز الاختلاف في قوافيها كما رأيت في الأبيات لأنها حينئذ تكون قصيدة واحدة فلا بد أن تكون على قافية واحدة . وإنما هي أبيات كل بيتين منها على قافية وهما كأنهما من قصيدة وما يليهما من قصيدة أخرى وهلم جراً . العروة الوثقى : المذهب الأقوى .

٩ المحجة : معظم الطريق .

فخذ ما احتكمت[1] . قال : فاعتمدَ على عصاهُ وقال : ربِّ ثبّتْ قدَمَي ، واشدُد عصاي التي أتوكأُ عليها وأهُشُّ بها على غنمي . ثم أشار إلى المشهد[2] وأنشد :

من كان يبغي السيرَ في المنهجِ ... فليأتِ نادي الأوس والخزرجِ[3]
يلقَ الغطاريف الأُلى همُّهُم ... ربُّ القَنا لا ربَّةُ الهودجِ[4]
يُذكون نيران القِرى في الدجى ... وينحرون الكومَ في السَّجسجِ[5]
إذا دعا الداعي استقامَت لهُ ... خيلٌ نسبناها إلى أعوَجِ[6]
لَئِن أفادونا بأكرومةٍ ... من مُلقِحٍ يَبلى ومن مُنتَجِ[7]
فقد جزيناهم بما ذكرهُ ... يبقى بقاء الجبل الأصلجِ[8]

فقالوا: قد تفضّلتَ علينا في الثناء، فلك اليدُ البيضاء. وهذه نفقةٌ لسَفَرِكَ، فسِر مسروراً بظفَرِكَ . قال : فلما فصل عن النادي ، قفوته إلى الوادي .[9] وقلت له : هنيّاً مريّاً ، لقد جئتَ شيئاً فريّاً . فأنّى لك هذا السّجال ،[10] وكيف أجبتَ كلَّ سؤال بالارتجال؟ قال : يا ابنَ أخي الحقُّ أولى أن يقال.

---

١ احتكمت : اخترت لنفسك .

٢ أهش بها : أضرب بها الشجر اليابس ليسقط ورقه . المشهد : المحضر .

٣ المنهج : الطريق الواضح .

٤ الغطاريف : السادات . الهودج : مركب للنساء .

٥ القرى : الضيافة . الدجى : جمع دجية وهي ما ألبسك الليل من سواده . الكوم : القطعة من الإبل ويحتمل أن يراد بها جمع الكوماء وهي الناقة العظيمة السنام . السجسج : الوقت ما بين الفجر وطلوع الشمس .

٦ أعوج : فرس كريم كان لبني هلال .

٧ أكرومة : عطية . ملقح : كبش . منتج : نعجة .

٨ بما ذكره : بالمديح الذي مدحناهم به . الأصلج : الشديد الأملس .

٩ قفوته : تبعته .

١٠ هنياً مرياً : مأخوذ من قولهم للشارب هنياً وللآكل مرياً أي جعلك الله تسيغ الشراب والطعام فلا تشرق ولا تغص . فرياً : عظيماً . أنى : من أين . السجال : المباراة .

شهدتُ سوقَ عُكاظ ، وتخلّلتُ تلك الأوشاظ . فسمعتهم يتناشدون القطعة[1] والبيت ، ويتذاكرون من كَيْتَ وذَيْتَ . فالتقطت منهم ما التقطت ،[2] وسقطت بهِ على من سقطت . ثم أشار إليَّ بعصاه ، وأنشد وهو يسوق الشِّياه :

تُرى عيني تقرُّ وعينُ ليلى   تراقبُ عودتي حيناً فحينا
تُسائِلُ عن أبيها كلَّ رَكب   فلا تدري لهُ خَبراً يقينا
نذرتُ لها الفراهيد اللواتي   أعود بها وأحرجتُ اليمينا[3]
تضيفُ بها بناتِ الحيّ يوماً   كما قد كنت أصنع للبنينا

ولما فرَغَ من إنشاده ، تمطّى في بداده ،على جواده. ثم ودعني وانطلق،[4] وأودعني القلق . فأتبعتُهُ عيني إلى أن غاب ، ورجعتُ أستمطر لهُ السحاب .

---

١ عكاظ : صحراء بناحية مكة كانوا يجتمعون بها كل سنة في أول ذي القعدة فيقيمون عشرين يوماً يتبايعون ويتفاخرون ويتناشدون الأشعار . الأوشاظ : الجماعات . القطعة : ابيات الشعر إلى سبعة وقيل إلى عشرة وما فوق ذلك قصيدة .

٢ كيتَ : كناية عن القول . ذيت : كناية عن الفعل . أي أنهم كانوا يقولـون فلان قال كذا وفلان فعل كذا .

٣ نذرت لها : ادعى بأنه نذر الشياه لها ليقطع طمع سهيل في شيء منها . الفراهيد : صغار الغنم . أحرجت : أعظمت .

٤ البداد : ما يحشى ويجعل تحت السرج ونحوه . أي في سرجه .

المقـامة السابعة

وتعرف باليمنية

حكى سُهيل بنُ عبّادٍ قـال : لفَظَتني أحداثُ الزَّمَن ، إلى مشارف اليَمَن . فحللتُها أنكرَ من شيءٍ ، وأنقلَ من فَيءٍ . لا أعرفُ بها جليساً[1] ، ولا أجد لي أنيساً . فلما مللتُ الإقامة فيهـا ، هممتُ بالرحيل عن فيافيها . فرأيتُ رجلا في الرحال ، يُطالِبُ شيخاً بمال . والشيخ يتبرّأ من طلبه ، ما لم يحكم الشرعُ به ، فتنافذا إلى القاضي بسببه[2] . قال : وكنتُ قد تبيّنتُ أن الشيخ صاحبنا ميمون ، فابتهجتُ كأني أوتيتُ مالَ قارون ، وتبعتُه إلى دار القضاء لأنظرَ ماذا يكون . فلما دخلا على القـاضي حيّاهُ الشيخ بالسلام ، وقـال : أيّد الله شرعَ الإسلام . فكأنّ القاضي نظر إلى رثاثة بُردَيهِ ، فلم يحفل بالردّ عليه . فأخَذَت الشيخَ الحميّةُ ، حميّةُ الجاهلية[3] . وقال : اراك قد ارتكبت الخلّةِ المنهيَّ عنها[4] ، فقد قال الكتابُ : إذا حُيّيتم بتحيّةٍ فحيّوا بأحسن منها . فإن كنت تعتبر الخِرَق دون الأخلاق ، فتلك مدارجُ الخزّ[5]

---

١ مشارف اليمن : أعالي أرضها . أنكر : تفضيل من النكرة نقيض المعرفة . من شيء : قالوا إن الشيء أنكر النكرات لأنه يطلق على جميع الموجودات . أنقل : من معنى الانتقال لأن الظل لا ثبات له .

٢ يقال تنافذ الخصمان إلى القاضي بالذال المعجمة أي ذهبا إليه . فإذا أوضحا حجتهما يقال تنافدا بالمهملة .

٣ الحمية : الأنفة .

٤ الخلة : الطريقة .

٥ الخرق : أي الثياب . مدارج الخز : مطاوي الثياب الحريرية .

في الاسواق، وإلاّ فانظر إلى الألباب دونَ الجِلباب . فإن المرء بأصغرَيهِ،[1] لا بثوبَيهِ ، قال : فخجل القاضي واعتذر إليه، وقد عظُمَ في عينيه . وقال: هل للشيخ دعوى تُرفَع ؟ قال : لا بل لصاحبنا دعوى لا تُسمَع . فأشار القاضي إلى الرجل ، وقال : تَقدَّم فقُل . فقال : يا مولايَ لا تُطعِم العبدَ الكُراع ، فيَطمَع في الذّراع . إن هذا الشيخ استأجَر مني ناقةً مَهْرِيَّة،[2] في الديار المصرية . وقال : إذا بلغنا اليمن لا أُسلّمك الزمام ، حتى أُسلّمك الأُجرة عن تمام . فرخَّصت لهُ في النسيئة[3] ، وغَفَلتُ عن الخبيئة . فلما بلغنا موطِئَ القدَم، إذا هو أضبَطُ من عائشةَ بنِ عثَم . فأمسك المطيّة ، فضلاً[4] عن العطيَّة . فقال القاضي : ما تقول أيها الشيخ في دعواهُ ؟ فضحك حتى استلقى على قفاهُ . وقال : قد جعلتُ تسليم الأُجرة موعداً لتسليم الزمام ، فأنا لا أُسلمه الأُجرة والسلام. فعجب القاضي لافتنانه ، وأُعجِب بسحر بيانه، وخاف من ظُبَة لسانه . فقال للرجل : نجعلها بينَ بين ، خُذِ العَين ،[5] واترك الدَّين ، فويلٌ أهوَنُ من ويلين . فقال : إذا لم يكن غيرُ هذا عند[6] المولى ، فالرِّضى به أولى . ولما خرج الرجل لشانهِ ، أشار القاضي إلى بعض غلمانهِ . وقال له : شيِّع الشيخ إلى بُحبوحة الرَّبع ، وخذ منه دينار المنع،[7]

---

١ الجلباب : الثوب . أصغريه : قلبه ولسانه . وهو مثل قاله شقة بن ضمرة التميمي حين دخل على النعمان فلم يحفل به لدمامة منظره فقال : أبيت اللعن ! ليس الرجال بجزر تراد منها الأجسام ، إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه .

٢ لا تطعم العبد الكراع فيطمع في الذراع : مثل يضرب لمن يرخص له في القليل فيطمع في الكثير . مهرية : منسوبة إلى مهرة بن حيدان رجل من العرب .

٣ النسيئة : تأخير الأجرة .

٤ موطىء القدم : مكان النزول . عثم : على وزن عمر . وهو رجل من العرب كان أخوه ينزح ماء البئر ، وإذا بكر من الجمال قد اقتحم البئر حتى هبط ، فأخذ عائشة بذنبه وضبطه عن الهبوط ثم انتشله ، فضرب به المثل .

٥ ظبة : حد السيف . بين بين : أي متوسطة بين الطرفين . العين : الناقة .

٦ الدين : الأجرة .

٧ بحبوحة : فسحة . دينار المنع : ما يأخذه القاضي من المدعى عليه إذا منع الدعوى عنه .

فقال الشيخ : أراكَ أيها الإمام، قد جعلت زادكَ مُخَّ النعام . ولقد بلوتك[1] لأرى هل تحكم بالقسط بين النـاس ، فوجدتك تميل إلى حيثُ ترجو ثُـمـالةِ الكاس، أو تجهلُ إخراج القضايا على مُقتضى القياس[2] . فلأهجوَنَّك بما لم يُهجَ به قاضٍ من قبل، ولأشكوَنَّك إلى من يؤدبك بالعزل، أو تشتريَ عِرضَك مني ولي عليك الفضل . فندم القاضي على قضائهِ الخاسر ، وقال : هـذا جزاء مجير أمّ عـامر[3] . ثم أقبلَ على الشيخ وقال : قد فرضتُ في مالي من الزكاة نِصاباً[4] ، فخذه وسبّح بحمد ربك واستغفره إنه كان توّاباً . قال : فلما قبض الشيخ الذهب ، نهض وقال لي : يا رجب ، خذ من القاضي دينار الأدب .[5] فقال القاضي : إنني بحكمك راضٍ ، فاقضِ ما أنت قاضٍ . فتلقفت الدينار[6] وخرجنا للحين، والقاضي يقول: إن الله لايُضِيع أجر المصلحين[7] . ولما فصلنا عن المكان،دعوت الشيخ إلى منزلي بالخان . فقال : إن نفسي لا تطيب بمُقام ، حتى أفتقد الناقة والغلام . قلتُ : ومـا ذاكَ يا حُمَةَ العقرب ؟ فضحك حتى[8] استغرب . وقال: أما الناقة فركوبتي التي جرت على أُجرتها المـُخاصمة، وأما[9] الغلام فخصمي الذي رأيته في المحـاكمة . فقلت : وماذا حَمَلكَ ، على أن تُحبِط عملك ؟ قال : وصلت إلى هذه البلاد ، وقد خلَتْ وَفْضَتي من[10]

---

١ مخ النعام : المخ الودك الذي في العظم . وهو مثل لما لا يوجد . بلوتك : امتحنتك .

٢ يريد أن القاضي قد حكم بالمحاباة أو بالجهالة .

٣ أم عامر : كنية الضبع . قيل إنها قدمت يوماً وهي مذعورة على أعرابي في خيمته ، فأجارها وأطعمها مما عنده حتى شبعت واستأمنت ، فلما صادفت فرصة منه افترسته ، فضرب به المثل .

٤ نصاباً : عشرين ديناراً .

٥ في مقابلة دينار المنع الذي طلبه القاضي أي أنه يريد أن يؤدبه .

٦ تلقفت الدينار : أخذته بسرعة .

٧ أجرى هذا الكلام مجرى التهكم على نفسه .

٨ حمة العقرب : إبرتها التي تلدغ بها .

٩ فضحك حتى استغرب : بالغ في الضحك .

١٠ تحبط : تفسد . وفضتي : جرابي .

الزاد، فتوصّلت إلى القاضي بسببٍ لعلمي أنه أطغى من فرعون ذي الأوتاد،[1] وأبخل من كلاب بني زياد[2] . ورصّدت له حتى طلب دينار القضاء ، فكان عليه أشأم من رغيف الحولاء[3] . فقلت له : لله دَرُّكَ مـا أطول باعك ، وأهول قاعَك ! قال : من ليس يُؤخَذ بالبَنان ، فخذه بالسِّنان . ثم انساب بي إلى[4] منزلهِ كالحُباب[5] ، وإذا غلامه الذي كان يخاصمه بالباب . فأشار إليه وأنشد:

هذا غلاميَ الذي خاصمتُهُ ... إني لمثل ذلك استخدمتُهُ
حتى إذا الصيد أتى قاسمتهُ ... بما كسوتُهُ وما أطعمتُهُ
وإن تمادى الدهر بي علّمتهُ ... ما قد أذعته وما كتمتهُ
وهو مُقامَ ولدي أقمتهُ ... فإن ذخرتُ عنه أو حرمتهُ
عاقبني اللهُ فقد ظلمتهُ

قال : فعجبتُ من أفانينه في المكر ، وأساليبه في النظم والنثر . وعدلتُ إذ ذاك عن الرحيل إلى المقام ، حتى أراد الشخوص إلى الشام ، فانطلق إلى دار الحرب[6] وانطلقت إلى دار السلام .

---

١ فرعون ذي الأوتاد : يريد به صاحب مصر الذي طغى قديماً .

٢ كلاب بني زياد : يضرب المثل في بخل هذه الكلاب لشدة بخل القوم فإنها لا تزال جائعة حريصة على ما تناله .

٣ الحولاء : هي امرأة من العرب كانت في بني سعد فخطف رجل رغيفاً عن رأسها فشاجرته واتسع الخصام حتى اتصل بين الأحلاف فقتل فيه ألف رجل .

٤ القاع : الأرض السهلة المنخفضة التي انفرجت عنها الجبال . بالبنان : عبر بها عن اليد من باب تسمية الكل باسم البعض .

٥ الحباب : الحية .

٦ يعني أنه حيثما انصرف لا ينفك عن معركة مثل هذه فكنى عن ذلك بدار الحرب .

المقـــامة الثامنة

وتعرف بالبغدادية

قال سُهيل بنُ عبّادٍ : حللتُ بالزوراء[١] في بعض الأسفار ، وأنا غريبُ الدار ، بعيد المَزار ، فكنت أتردّد فيها سَحابة النّهار[٢] ، وأتفقّدُ ما بها من المشاهد والآثار . حتى دخلتُ يومـاً بعضَ المدارس ، وإذا شيخنا الخزاميُّ هناك جالس . والطّلَبة قد أقبلوا عليـهِ ، وأحدقوا به وإليـه . فسلّمتُ عليه تسليم المَشُوق ، وابتهجت بهِ ابتهاجَ العاشق بِلقاء المعشوق . وجلسنا نتَشاكى النّوى ، ونتباكى للجَوى[٣] . وإذا امرأةٌ تنادي يا شاري اللّبن ، الرخيصَ الثمَن . وهي في أثنـاء الكلام ، تتَلاعَبُ في الإعراب على الثلاثة الأحكام[٤] . فعَجِبوا لافتِنانِها ، وتاقت أنفُسُهم إلى استِنباط بيانِها . فدَعَتها ألسِنَتُهم للشّراء ، وأفندَتْهم للمِراء[٥] . فجـاءت حتى وقَفت بالبـــاب ، وأرسلت النّقاب ، وقالت : السلامُ يا أهلَ الكِتابِ ، قالوا: سلامٌ يا كريمةَ الأعراب ! فما بالُكِ تَلحَنينَ في الإعراب ؟ قالت : أما سمعتم أنّ خير الكلام ما كان لحناً ، أوَلم تيأسوا أن الكِتابَ قد أقامَ له وزناً ؟ قالوا :[٦]

---

١ الزوراء : لقب بغداد .

٢ سحابة النهار : طول النهار .

٣ الجوى : الحرقة وشدة الوجد .

٤ تقلب العبارة بين الرفع والنصب والخفض .

٥ المراء : الجدال . أي دعوها ظاهراً ليشتروا منها وباطناً ليناقضوها .

٦ ما كان لحناً : تريد باللحن معنى آخر غير الخطإ في الإعراب وهو أن يخاطب الرجل صاحبه بكلام يفهمه بنفسه ولكنه يخفى على غيره من السامعين . تيأسوا : تعلموا . الكتاب : القرآن . أقام له وزناً : حيث يقول : ولتعرفنهم في لحن القول .

أعيَيتِني بأشُر ، فكيفَ بدُرْدُر ؟ [1] إن كنتِ ممَّن يُفسِّر الماءَ بالماء ، فما نحنُ ممن يستجير بالنـــار من الرَّمْضاء[2] . قالت : شَهِدَ مَن رَفَع القبّة الخضراء ، أني ما جئتكم إلاّ بالحنيفيَّة البيضاء . لكنكم تشترون دَرَّ الضوامر ،[3] وتستوهبون دُرَّ الضمائر . فلما رأوا منها دَهاءَ لُقمانَ بن عاد ، علموا أنها[4] صخرةُ واد . فرضخ كلٌّ لها بدِرهَم ، وقالوا : إن أعرَبتِ عن المُعجم ،[5] نفحناكِ بالمَشُوف المُعلَّم[6] . قـال : والشيخُ بينَ ذلك يُقلِّب وجهُ في السماء ، ويقولُ : سُبحان من علَّمَ آدمَ الأسماء . فلما جَلَتِ المكنون ،[7] واجتَلتِ الموزون[8] . قال : يا أولي الألباب ، إنَّ اللهَ يرزقُ من يشاءُ بغير

....

١ أشر : حزوز لطيفة في الأسنان . دردر : مغارز الأسنان من اللثة . وهو مثل قاله رجل من العرب لزوجته وكان يكرهها لحمقها . وذلك أنه كان يحمل طفلا له فيلاعبه ويقبل لثة أسنانه إذ لم يكن له أسنان بعد . فظنت المرأة أنه يستحسن الفم بلا أسنان فكسرت أسنانها . فلما رآها كذلك قال المثل . أي كان يكرهها بأسنان فكيف وقد ذهبت أسنانها ؟ والمراد هنا عند الطلبة أنهم قد أنكروا عليها اللحن مع انتظارهم أن تعتذر عنه ، فكيف وقد جعلته خير الكلام وأرادت أن تثبته من القرآن .

٢ الرمضاء : الأرض الحارة .

٣ الحنيفية البيضاء : من الحديث : يريد بها عبادة الله ، والمراد هنا الحق . در الضوامر : لبن النياق .

٤ در الضمائر : أي الكلام الذي يشبه الدر . لقمان بن عاد : من حكماء العرب يضرب به المثل في الدهـــاء .

٥ الرضخ : العطاء القليل . أعربت : كشفت . المعجم : المشكل . أي إن بينت لنا وجه الكلام الذي أشكل علينا .

٦ نفحناك : أعطيناك . المشوف المعلم : الدينار .

٧ جلت المكنون : أي كشفت المستور . يعني أنها أوضحت كلامها المشكل . وذلك أن اللبن يرفع على أنه خبر لمبتدإ محذوف أي هذا اللبن ، وينصب على أنه مفعول لعامل محذوف أي هاك اللبن ، ويجر أيضاً بالاضافة فيكون شاري منصوباً بفتحة ظاهرة . والرخيص يتبع اللبن في الأحكام الثلاثة . وأما الثمن فيرفع فاعلا للصفة ، وينصب تشبيهاً بالمفعول ، ويخفض بالاضافة كما في الحسن الوجه .

٨ اجتلت : أخذت . الموزون : كناية عن الدينار .

حساب . وإلاّ ففوقَ كلّ ذي علمٍ عليم[1]، وإن الفضلَ بيد الله يُؤتيه من يشاءُ والله ذو الفضل العظيم . قالوا : إن هذا لهُوَ الحقُ المبين ، فأتِ بآيةٍ من مثل ذلكَ إنْ كنتَ من الصادقين . قال : قد جاءَ من أمثال ذلك في كلام القوم ، قولهم : لا صَمْتَ يوم[2] . فإن شئتم ما فوقهُ من تصاريف العرب ، فقولهم : هذا بُسرٌ أطيَبُ منه رُطَبٌ[3] . فإن استزدتم فقولهم في المثَل : لا ناقة لي في هذا ولا جَمَل[4] . قال : وما فرغ الشيخُ من الكلام ، حتى ابتدرَ القيام . فتعلقوا به وقالوا : لاتَ حينَ مناص[5]، فإن دواءَ الشَّق أنْ يُحاص . ولقد أتيتَ من حيثُ أَيْس ، فلا تذهب من حيثُ ليس .[6] فعاد إلى المقـام ، وقال : صبراً على مجامر الكرام[7] . ثم اندفع في شرحِه كاليَعبُوب[8] ، حتى ملأ العيُونَ والقُلوب ، فانهالت عليه الجوائز حتى لم تبق حاجةٌ في نفس يعقوب . ولما قَضَى الوَطَر ، نهضَ على الأثر . فقام القوم يودّعونهُ ، وهم يَوَدُّون لو يتبعونه . وقالوا : بأنفسنا نفديك ! لقد سَعِدَ بك نَاديك ، فلا تجعلها بيضة الديك . قال : نَعَمْ لي صُبَيٌّ[9] ليس كمثلهِ في بغداذ،أُريد أن أجُرَّهُ يوماً إلى الأُستاذ . قالوا : نراك قد جرَرْتَهُ[10] مُذُ الآن ، فهل تُفيدُنا بشيءٍ من البيان ؟ قال : إذا عُدنا ، أَفَدْنا . لكنّي لا

١ يريد أن تلك نعمة قد صدرت من غير نظر إلى استحقاقها ولولا ذلك لكان أحق منها بالعطاء لأنه أطول منها باعاً .

٢ لا صمت يوم : أي أن الإنسان لا يمكنه أن يصمت عن الكلام يوماً .

٣ بسر : ثمر النخل قبل أن ينضج . الرطب : النضيج من ثمر النخل .

٤ مثل يضرب في التبرؤ من الشيء .

٥ مناص : مهرب .

٦ يحاص : يخاط . وهو مثل يضرب في تلافي الأمر . أيس : نقيض ليس ومعناها الوجود . والمعنى أتيتنا بشيء فلا تذهب بلا شيء .

٧ مثل يضرب في الصبر على الأذى .

٨ اليعبوب : الجدول الكثير الماء .

٩ صبي : تصغير صبي .

١٠ جررته : أرادوا جر الإعراب حملا لكلامه على خلاف مقتضى الظاهر .

أرى لقاءَ مثلهِ من ذوي الشان، حتى يَستر أطماري الطيلسان[1] . قال سهيلٌ : ولم يكن بعد انصرافهِ إلاّ كلمح البصر ، حتى دخلَ الأُستاذُ فأطرفُوه بالخبر. فقال : صبرٌ جميل ، نام عِصامٌ ساعةَ الرحيل[2] ، والله حَسْبي ونِعمَ الوكيل. ثم ألقى بطيلسانهِ إليَّ ، وقال : هل لك أن تلقاهُ بهِ فتردَّهُ عليَّ ؟ فقرعتُ الساقَ حتى أدركتُهُ بالسوق ، وأبلغتهُ سِياقَ الخبر المَسُوق . فقال : إن ليلى قد فصلت عن مجلسنا المعهود ، ولنا موعدٌ أنتظرها به أنْ تعود . فإذا لَقِيتَ الأُستاذ فَقُل له المعذِرة ، وإنَّ غداً لناظرهِ قريبٌ[3] فمن يَعِش يَرَهْ . قلتُ : أوَهِيَ ذاتُ اللبن ؟ قال : إن لم تكُن فَمَن ؟ قلتُ :[4] إنها لنِعْمَ البُنَيّة ! قال : وإن العصا من العُصَيَّة. ثم جلسَ على عُرفةٍ[5] هناك ، وجعل يُقلِّبُ طَرْفهُ بين هذا وذاك . فلما طال أَمَدُ الانتظار ، قال: أظنُّها تنتظرني في الدار . فهل لك أن تَصْحَبَني إلى الرُّصافة[6]، وتؤنِسَني الليلةَ بالضيافة ؟ فقلتُ : إني على ما تُريد ، وسِرنا وهو يقول : أَسَعْدٌ أم سَعيد ، حتى انتهينا إلى باب حديد ، وإذا ليلى بالوصيد . فلما رآها تهلّل[7] وجههُ بِشْراً ، وأنشد يقول شعراً :

---

١ الطيلسان : رداء تلبسه المشايخ .

٢ مثل يضرب لمَن غاب في وقت الحاجة .

٣ مثل يضرب في التسويف .

٤ فمن يعش يره : مثل آخر يضرب في التسويف . والهاء فيه للسكت . ذات اللبن : صاحبة اللبن التي كانت تنادي عليه. إن لم تكن فمن : أي إن لم تكن إياها فمن تكون ؟ يريد أن غيرها من النساء لا تصلح لذلك .

٥ العصا : فرس جذيمة الأبرش كانت من جياد الخيل والعصية أمها . وهو مثل يضرب في مجيء بعض الأمر من بعض . عرفة : مكان مرتفع .

٦ الرصافة : مكان في بغداد .

٧ سعيد : ويروى سعيد بلفظ التصغير وهو مثل قاله ضبة بن أد المضري حين أرسل ابنيه في طلب الإبل الضالة فرجع سعيد ولم يرجع سعد . الوصيد : ساحة الدار .

حُيِّيتِ يا ليلى ابنةَ الخزامِ كريمةَ الأخوالِ والأعمامِ[1]
أصبحتِ في مدينةِ السلامِ غريبةَ الموطنِ والكلامِ ![2]
ما زلتِ لي عوناً على الأيامِ تُمَهِّدينَ سُبُلي أمامي
وتُنفِرينَ الصيدَ في الآجامِ حتى يكون غرَضَ السهامِ[3]
إن كُنتِ من ربائب الخيامِ فالمرءُ في الشرابِ لا في الجام[4]
رُبَّ ابنةٍ أنفَعُ من غلام

قال : ولما فرغ من أبياته أدخَلنا إلى البيت ، وأفاض في حديثٍ أشهى من حلْبة الكُمَيت . فبتناها ليلةً كأنها ليلة القدْر ، وأحيَيناها بالحديث[5] حتى مَطلع الفجر ، وما زلنا كذلك حتى فرّق بيننا الدهر .

---

١ أدخل أل على خزام للمح الصفة التي هي طيب الرائحة .
٢ مدينة السلام : لقب بغداد . الكلام : إشارة إلى كلامها الذي كانت تفتن فيه حينما كانت تبيع اللبن .
٣ الآجام : الأشجار الكثيرة الملتفة . الغرض : ما يرمى بالسهام .
٤ ربائب الخيام : أي من الإناث المربيات في الخيام . الجام : الإناء من فضة . كنى بالشراب عن النفس وبالجام عن الجسم . يريد أن النفس إذا لم تكن كريمة لم يفد كونها في جسم غلام .
٥ الكميت : اسم كتاب فيه نوادر ظريفة . ليلة القدر : قيل هي في أثناء العشر الأخيرة من رمضان ولعلها السابعة منها . والمراد بهذا التشبيه الإشارة إلى وصفها في القرآن بأنها : خير من ألف شهر .

المقـــامة التاسعة

وتعرف بالحلبية

أخبرَ سُهيل بنُ عبَّادٍ قال : كان لي صديقٌ بظاهر الشهباء [1] ، ينتمي إلى العرَبِ العَرْباءِ . وكنت وإياه كالماء والراح ، أو كنديمَي جذيمة الوضّاح . [2] فحضرتني منهُ ذات يومٍ بطاقة [3] ، يُطالبني فيها بحق الصداقة . ويطلب أن أُبادر إليه ببعض الأشربة ، مما وصفه له بعضُ أهل التجربة [4] . فساءَني ما به من توعُّك المِزاج ، وأشفقتُ من تأخُّر العِلاج . فبادرت برُقعته الواصلة ، إلى سوق الصيادلة . وأخذتُ له ما أراد كما يريد ، وانطلقتُ إليه أعدو كخيل البريد . وبينما أنا أجري مُليحاً ، وأقعدُ طليحاً . لمحتُ شيخنا الخزاميَّ وابنتهُ بجانب [5] الطريق ، ولديهما فتًى قد لبسَ البيـاض وتختَّم بالعقيق [6] . فوثبتُ كالظبْيِ

---

١ ظاهر : خارج المدينة . الشهباء : لقب حلب .

٢ العرباء : الخالصين . الراح : الخمر ، أي ممتزجين . الوضاح : هو جذيمة الأزدي من ملوك الحيرة . كان به برص فكان يقال له الوضاح تأدباً . وكان قد ضل ابن أخته عمرو بن عدي ، فجعل لمن يأتيه به أن يحتكم عليه بما شاء . واتفق بعد ذلك أن مالك بن فارح وأخاه عقيلا من بني القين وجداه في طريقهما إلى الملك . ولما وفد الرجلان على جذيمة بابن أخته قال لهما : احتكما . فطلبا منادمته ، وما زالا نديميه حتى فرق بينهم الموت فضرب بهما المثـــل .

٣ بطاقة : رقعة من القرطاس .

٤ أحد الطريقين المستفاد منهما علم الطب وهما التجربة والقياس .

٥ أجري مليحاً : أجري خائفاً على المريض من الهلاك . طليحاً : كليلا من التعب .

٦ هما كناية عندهم عن الظرافة . يقولــون : من لبس البياض وتختم بالعقيق فقد حاز الظرف كلـــه .

المُقمِر [1] إليه ، حتى أقبلتُ عليه . فتقدَّمت ، ثم سلّمت . فأجابني بالفارسية ، وأعرَضَ عن تمام التحيّة . فقلتُ : هذه إحدى مكايِدِه ، قد جعلها من مَصايدِه . وطوَيتُ عنه كشحاً ، وضربتُ صفحاً . فتماشَيتُ القهْقَرى ، [2] وتوارَيت بحيثُ أرى ولا أُرى . فرأيت الشيخ قد أشاحَ بوجهه عن الجارية والغلام ، وجعل يُدمدمُ بلغة الأعجام. والفتى يُخالِسُ الجارية النظر ،ويغازلها على حَذَر . فقالت : إنَّ صاحبنا أعجمُ طِمطِم [3] ، لا يَفهَم ولا يُفهِم . وقد لقيتُهُ وِفاقاً ، لا رِفاقاً [4] . لكنَّني أرى عينهُ قد طَمَحت إليَّ ، فلا يزال حَواليّ . وهو يَعرِضُ لي طَوراً بصُرّة ، وتارةً بدُرّة . وأنا أنفرُ منه كالناقة الهوجاء ، ولا أنبِسُ له بحوجاءَ ولا لوجاءَ . فقال: ساءَ فألُ المخنَّث! [5] إنه لأحمقُ من شرَنبَث [6] . أفلا نَصرفُهُ إلى حيثُ يعوي الذيب ، ونرفعُ ثِقَلَ منظرِه المُذيب؟فقالت : أشار إليَّ بأنه قد أعياهُ الصُّداع ، ولو كانت لي سَكابِ [7] لما قلت لا تُعار ولا تُباع . فأشار إلى بِرذَونٍ لهُ أطيرَ من

---

١ يقولون : إن الظبي إذا امتلأ القمر يزداد نشاطه .

٢ طويت عنه كشحاً : تركته . ضربت صفحاً : أعرضت عنه .

٣ طمطم : لا يفصح .

٤ وفاقاً : مصادفة . رفاقاً : مصدر رافق .

٥ أنبس : أنطق ، وأكثر ما يستعمل في النفي . بحوجاء ولا لوجاء: أي بحسنة ولا قبيحة . المخنث : الرجل المتخلق بأخلاق النساء .

٦ شرنبث : رجل أحمق دفن ماله في ظل سحابة ثم عاد ليأخذ منه شيئاً فلم يهتد إلى مكانه لأن السحابة كانت قد أقشعت فضاع المال عليه .

٧ سكاب ، بالبناء على الكسر : اسم فرس كانت لرجل من بني تميم ، طلبها منه الملك النعمان فامتنع وقال من أبيات :

أبيت اللعن إن سكاب علق نفيس لا تعار ولا تباع

فسار ذلك مثلا .

عنقاء مَغرِب ، وقال : نِعْمَ القتيلُ بُجَيرٌ إن أصلح بين بكرٍ وتغلِب . [1] فأركَبَتْهُ ذلك البِرذَونَ الأدهم، وقالت : اذهب إلى حيثُ ألقت رحلها أمُّ قَشْعَم [2] . فلما خلا الفتى بالجارية قال لهـا : أبشري ، خلا لكِ الجوُّ فبيضي واصفري . لكنني قبل ذلك ، أريد أن أطَّلِع طِلع حالِك . فقالت : إنني [3] فتاةٌ كريمة الأصل ، قليلة الأهل ، لا أبَ لي ولا بعل . وقد سئمتُ من طولِ حبسي ، وتولّتي أمر نفسي . فإن كان لك أرَبٌ في النساء ، فاتبعني لآخُذ ما لي من الأشياء ، وأتبعَكَ إلى حيث تشاء . قال : أفعَلُ وكرامة ، ونهضَ معها راكباً جناحَي النعامة [4] . قال سهيلٌ : فأذهلَني ذلك الطويل العريض ، عن الدواء والمريض . ورَجَعتُ أدْراجي في أثر الصاحبَين ، حتى [5] دخلا البيت كالفرقدَين . فأخذ الفتى يرزّم ما لها من الحُطام ، وخرَجَت [6]

---

١ عنقاء مغرب : يزعمون أنها طائر عظيم ويضربون المثل بطيرانها فيقولون للذاهب البعيد طارت به العنقاء . وهي تضاف إلى مغرب فتفتح الميم ولا تضاف فتضم . بجير : هو ابن الحارث بن عباد اليشكري قتله المهلهل بن ربيعة لأن قومه فريق من بني بكر فظن الحارث أن المهلهل يحسبه كفؤاً لأخيه كليب فيكتفي بقتله ويرفع الحرب ، فقال : نعم القتيل بجير إن أصلح بين بكر وتغلب . والفتى هنا كأنه يقول نعم الذاهب هذا البرذون إن أصلح شأننا مع هذا الرجل الأعجمي .

٢ أم قشعم : ناقة ألقت رحلها في النار فصارت مثلاً .

٣ خلا لك الجو فبيضي واصفري : مثل قاله طرفة بن العبد البكري كان مع عمه في سفر فذهب طرفة بفخ له يقتنص القنابر وبقي يومه لم يصد شيئاً فرجع إلى عمه وتحملوا من ذلك المكان فرأى القنابر يلقطن ما كان قد نثر لهن من الحب فقال :

يا لك من قنبرة بمعمر خلا لك الجو فبيضي واصفري

أطلع طلع حالك : أقف على حقيقة أمرك .

٤ مثل يضرب في السرعة .

٥ الطويل العريض : يكنى بذلك عن الأمر العظيم . رجعت أدراجي : في الطريق الذي أتيت منه . الصاحبين : الفتى والجارية .

٦ الفرقدان : نجمان لا يزالان مقترنين . الحطام : الأمتعة .

لتُحضِر ما تيسَّر من الطعام. وإذا بأبيها قد هجم هجوم الأسَد، على النقَد.[1] وقال : ويلكَ يا عدوَّ الله ما كفاكَ أن تكون فاسقاً ، حتى صرتَ سارقاً ؟ فلأُقيمَنَّ عليك الحدَّ والقطع ، ولأجعلَنَّك عِبرةً إلى يوم الجمع[2] ! فطارت نفس الفتى شعاعاً ، واستطار فؤادهُ ارتياعاً ! وجعل يتهطَّر لديهِ بالسؤال،[3] ويُدمِّث له المقال . والشيخُ يَشمَخُ بأنفه ، ويهزُّ من عِطفهِ ، ويرمَحُ[4] برجلهِ ويشيرُ بكفِّه. فكاد الفتى يذوبُ من الحياء ، وظنَّ أن صاعقة هبطت عليه من السماء . فانقادَ إليهِ انقيادَ الأسير ، وقال : قد فديتُ نفسي بهذه الدنانير. قال : قد قبلتُها مِنَّةَ الكرام ، على أن لا تتعرَّض لِبنات الأعجام. فذهل الفتى عن معرفته بالتلميح ، وما صدَّق أن أطلق ساقيهِ للريح . فمضى ينهبُ الطريق ، والشيخ من خلفهِ يَهدِرُ كالفنيق . حتى إذا ثاب إلى الوقار،[5] وقف بعرْصة الدار. وأنشد :

يا هل ترى أينَ سُهَيلٌ يَطلُعُ؟   يا ليتهُ كان يَرى ويسمعُ ![6]
يرى الفتى مُهَرْوِلاً يندفعُ   تكادُ تذريهِ الرياح الأربعُ
أعطانيَ البرذَونَ وهو يطمعُ   في وصل ليلى، لا هناهُ المضجعُ !
سبقتُهُ عليهِ فَهْوَ أسرَعُ   لكنه بالماء ليس يقنعُ[7]
فقمت أبتغي له ما يُشبِعُ   لكن بدون المال ماذا أصنعُ ؟

---

١ النقد : نوع من الغنم .
٢ الحد : قصاص الفاسق . القطع : قصاص السارق . يوم الجمع : يوم القيامة .
٣ طارت نفس الفتى شعاعاً : متفرقة . وهو كناية عن شدة الخوف . استطار : تقطع وتطاير . يتهطر : من الهطرة وهي تذلل الفقير للغني إذا سأله .
٤ يدمث : يلين . يشمخ بأنفه : يتكبر . عطفه : جانبه . يرمح : يرفس .
٥ الفنيق : فحل الجمال الكريم . الوقار : السكينة .
٦ يطلع : نسب إليه الطلوع لأنه اسم نجم .
٧ لكنه : الضمير للبرذون .

وإن يكن نال الفتى ما يجزعُ منه فقد نالَ به ما يردَع[1]
والنُّصحُ من وصل البنات أنفعُ

قال سُهيلٌ : فبرزتُ من الوكنة[2] التي كنتُ فيها ، وأنشدتُ بديها :

هذا سُهَيلٌ طلعا وقد رأى وسَمِعا
أنسيتَهُ المريض والـ ـدواءَ والداءَ مَعـا
أنتَ صديقٌ لم يَدَعْ لمن سواهُ موضعا

فقال : أهلاً بأبي عُبادة[3]، متى عَهدُك بالشهادة ؟قلتُ: منذ عهدك بالفارسية التي نلت منها السعادة . أفلا تعلّمني هذا اللسان، لأستغنيَ معك عن ترجمان؟[4] قال: أراك تستبيحُ قطع الأرزاق، فليس لك عندي من خلاق ، ومرَّ يعدو[5] كالبرقِ أو كالبُراق[6] .

....

١ يريد أنه نفع الفتى بذلك لأنه كان موعظة له تردعه .
٢ الوكنة : العش .
٣ أبو عبادة : كنية سهيل . الشهادة : الحضور .
٤ منذ عهدك بالفارسية التي نلت منها السعادة : منذ عهد جلوسه في الطريق حيث كان الفتى مع الجارية وأجابه عن تحيته بالفارسية . لأستغني معك عن ترجمان : قال ذلك على سبيل الرقاعة لأن أبا ليلى لم يكن يعرف الفارسية .
٥ قطع الأرزاق : قال ذلك مجاراة له في رقاعته . أي أنه يريد أن يقطع رزق الترجمان الذي يترجم بينهما . خلاق : نصيب .
٦ البراق : قالوا إنه حيوان يضع يديه عند منتهى بصره .

المقـــامة العاشرة

وتعرف بالكوفية

حكى سُهَيل بنُ عبَّادٍ قال : كَـلِفتُ منذ الصِّبا بعلم الأدب ، وشُغِفتُ باستقراء لغة العرب. فكنت أُنضي إليها المطايا، وأتفقدُ الخبايا في الزوايا. حتى[1] كنت يوماً بالكوفة،وأنا أتعهد معاهدها المألوفة، وأشهد مشاهدها الموصوفة .[2] فمررت بعُصبةٍ من العلماء ، كأنهم من بني ماء السماء[3] . وهم قد جلسوا إلى شيخ أغبر الشيبة، أبلج[4] الهيبة . وهو يشير تارةً بالبَنان، وطوراً بالصولجان . فجعلت أروح تلقاءهم وأجي ، وأقول ليس هذا بعُشّكِ فادرُجي[5] . حتى حَذَتني القطرُبيّة ، على الأشعبية.فألقيتُ دلوي في الدلاء ، طمعاً في اجتلاءِ[6] الجلاء.وتطفلت على تلك الحضرة الجُلّى ، وإن كنتُ ممّن عبس وتولّى .[7] فلما تخلّلتُ المقام ، حيّيت القوم بالسلام ، وتفرستُ في الشيخ فإذا هو

١ استقراء : تتبع . أنضي المطايا : أي أهزلها بكثرة السفر . المطايا : الركائب .

٢ الكوفة : مدينة بالعراق . أتعهد : أتفقد .

٣ ماء السماء : هي ماوية بنت عوف بن جشم . وكانت تلقب بماء السماء لجمالها .

٤ أبلج : ظاهر .

٥ ادرجي : اذهبي ، وهو مثل يضرب لمن يريد الدخول في ما ليس من أهله .

٦ حذتني : أي حملتني . القطربية : نسبة إلى قطرب وهو محمد بن المستنير كان يبكر إلى سيبويه ليأخذ عنه علم النحو . فكان سيبويه كلما فتح بابه وجده لدى الباب فقال : ما أنت إلا قطرب ليل ! فلقب بذلك . والقطرب : ذباب يطير بالليل ولا ينام . الأشعبية : نسبة إلى أشعب وكان شديد الطمع حتى ضرب به المثل فيقال : هو أطمع من أشعب . يقول سهيل : إن الرغبة في العلم حملته على الدخول في الطماعية الأشعبية . فألقيت دلوي في الدلاء : أي بين الدلاء . وهو مثل يضرب للدخول مع الناس في ما هم عليه .

٧ الجلاء : استكشاف الأمر الجلي . الجلى : تأنيث الأجل .

ميمونُ بن خزام . فقلت : لله الأمرُ كله ، قد عرف النخلَ أهلُه [1] ! وجعل القوم يخوضون في حديث العربية ، ومسائلها الإعرابية. حتى حلَّت الحِبى [2]، وبلغ السيل الزُّبى [3] . والشيخ ينظر من طَرْفٍ خفيّ إلى الناس ، والقلم في يده يجري على قِرطاس . إلى أن نفِد ما عند الجماعة ، من أسرار الصناعة . وهم يرون أنه يلتقط اللآلي ، وينظم في سِمط الأمالي . فقالوا : أيها الشيخ [4] نراك تجمع ، بما تسمع ! قال : إن لكل ساقطة لاقطة [5] . ولكن أريدُ أن تنظروا ما كتبت ، لتروا هل أخطأتُ أم أصَبت . فتناولوا الرُّقعة بديها ، وإذا هو يقول فيها : ما الفرقُ بين التمييز والحال [6] ، وبين عطف البيان والإبدال [7] ؟ وأين يُستَوْفى حقُّ الإسناد ، ولا يخرُج بُرْكنَيْه عن حكم الإفراد ؟ وأيُّ الضمير، يتردَّدُ بين التعريف والتنكير؟ وأينَ يُراعى ما يقدَّر، [8]

---

١ عرف النخل أهله : مثل يضرب عند وصول الأمر إلى أهله .

٢ الحبى : جمع حبوة وهي أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بيديه في جلوسه . يكنى بذلك عن التمكن في الأمر

٣ مثل يضرب في بلوغ الأمر إلى غايته .

٤ السمط : خيط القلادة . الأمالي : جمع إملاء وهو تلقين الكاتب .

٥ مثل : أي لكل كلمة ساقطة أذن لاقطة .

٦ يشترك الحال والتميز في كونهما اسمين نكرتين فضلتين منصوبتين رافعتين للابهام. ولكنهما يفترقان في سبعة أمور .

٧ يفترق عطف البيان عن البدل بأنه لا يكون ضميراً . ولا تابعاً لضمير . ولا جملة . ولا تابعاً لجملة . ولا فعلا . ولا تابعاً لفعل . ولا بلفظ متبوعه . ولا مخالفاً له في التعريف والتنكير ولا في نية إحلاله محله . ولا من جملة أخرى في التقدير بخلاف البدل في كل ذلك .

٨ الإفراد : ذلك في اسم الفاعل ونحوه فإنه يشتمل على المسند والمسند إليه . وهو الضمير المستتر فيه ولا يكون جملة بل يبقى على إفراده . التنكير : هو ضمير الغائب فإنه إذا عاد على معرفة كان معرفة نحو جاء زيد فأكرمته . وإذا عاد على نكرة كان نكرة نحو رب رجل لقيته .

ولا يُبالى بما يُذكر [١] ؟ وأيُّ اسمٍ يجتمع فيه خمسٌ من موانع الصرف ، [٢]
وأيُّ لفظٍ يُشارك الاسم والفعل والحرف [٣] ؟وفي أيِّ الأماكن ، يجتمع ثلاثة
من السواكن ؟ وأيُّ فعلٍ يعطى ما للأسماء ويُمنَعُ ممّا للأفعال؟ وأيُّ اسمٍ [٤]
يجري مع قبيلته على هذا المنوال [٥]؟ قال : فلما وقفوا على تلك المسائل،وأوها
من المشاكل . فقالوا لهُ : لله أنتَ ، فقد أحسنْتَ ، ولكن لو أبَنْتَ !
فعَبَس ، حتى ما نَبَس ، وصارت مقلتاهُ كالقَبَس . فأشفقوا من غضبهِ ، [٦]
وسألوه عن محتَضِبه [٧]. فقال : قد تكلَّفتُ لكم الخِطاب، ثم أتكلَّف الجواب ،
ولعلّي فوقَ ذلك أتكلَّفُ لكم الثواب . قالوا : لا وأيّدك [٨] الله ! بل إن
جئتَ بالبيّنة السافرة ، وجلَوتَ الشرودَ النافرة ، فالنقدُ عند الحافرة.[٩]
فلما آنَسَ النَّدى [١٠] ، ووجدَ على النارِ هُدى . فتح خِزانة أسراره، وسَمَح
بمكنونات أفكاره . حتى امتلأت حقائبُ الملا ، وقالوا : هكذا هكذا وإلاَّ
فلا ! بيدَ أنهم [١١] مالوا إلى استملاء ما أبان، حِرصاً على ثباته في الأذهان.فقال :

---

١ ذلك في نحو يا سيبويه الكريم فإن الكسرة الظاهرة في آخر سيبويه لا يعتد بها .

٢ هو اذربيجان ، اسم مقاطعة من بلاد الفرس . فإن فيه العلمية والتأنيث والعجمة والتركيب وزيادة الألف والنون .

٣ هو اسم الفعل فإنه يشارك الاسم في التنوين والفعل في المعنى والحرف في البناء .

٤ وفي أي الأماكن يجتمع ثلاثة من السواكن : ذلك في نحو مواد إذا وقعت في الوقف فإن الألف والدال المدغمة والدال المدغم فيها سواكن . وأي فعل يعطى ما للأسماء ويمنع مما للأفعال : هو أفعل التعجب فإنه يصغر كالأسماء ولا يتصرف كالأفعال .

٥ هو أفعل التفضيل فإنه يمنع من الكسر والتنوين كالأفعال ولا يثنى ولا يجمع كالأسماء .

٦ القبس : شعلة النار . أشفقوا : ارتاعوا .

٧ يقال احتضب النار إذا أوقدها .

٨ وأيدك : الواو زائدة لدفع الإيهام لأن تركها يوهم أن المراد الدعاء عليه بنفي التأييد .

٩ السافرة : الظاهرة . النقد عند الحافرة : مثل يضرب في سرعة القبض .

١٠ آنس الندى : أي شعر بالعطاء .

١١ بيد أنهم : غير أنهم .

اكتُبْ يا سهيل ، واندفقَ في إملائه كالسيل . حتى إذا أترَعَ الكؤوس ، وقادَ الشَّموسَ بالشُّموس ، قال : لا مخبأَ لعطرٍ بعد عَروس . ثم أشار[1] إليّ وأنشد :

العِلمُ خيرٌ من صلاةِ النافِله ... بهِ إلى الله العِبادُ واصِله[2]
فاحرصْ عليه والتقِطْ مسائِله ... ودَعْ كنوزَ المالِ فهْيَ باطِله
ولا تَبِعِ آجلةً بعاجِله ... ولا تُضِعْ واصِلةً بحاصِله[3]
واعرِضْ عن الليلة نحو القابِله ... فذاكَ مشربُ الثقاتِ الكامِله
وليسَ خيرٌ في النفوس العاقِله ... إن غفلَتْ عن القلوبِ الغافله
والناسُ إن كانت طَغاماً جاهِله ... فمايكونُ الفرقُ، يا ابن الفاعله[4]،
بينَ الرِّجالِ وبغالِ القافِله ؟

قال : فلما فرَغَ من سِحره السَّحَريّ ، انهال عليه الشمسيُّ والقَمَريّ[5]، فأشار نحوي وقال : اسقِ أخاكَ النَّمَريّ . قالوا: علمَ اللهُ أنْ سيكون[6]، ولكن السابقونَ السابقون[7] . حتى إذا قضوا فريضتَهُ المكتوبة ، عادوا إلى سُنَّتي المندوبة . فخرجنا نجرُّ الذَّلاذِل ، ونحمَدُ البذلَ والباذل[8] .

١ الشموس ، بالفتح : الحرون . الشموس ، بالضم : أي الألفاظ الباهرة . لا مخبأ لعطر بعد عروس : مثل قالته أسماء بنت عبد الله العذرية . وكان لها زوج من قومها يقال له عروس فمات وتزوج بها رجل آخر يقال له نوفل وكان بخيلا دميماً أبخر أي خبيث رائحة الفم أعسر اليدين بخلاف الأول . فلما رحل بها مرت على قبر عروس وجلست تبكي وترثيه . فلما نهضت سقطت منها قارورة العطر فقال لها نوفل : خذي عطرك ! فقالت المثل .

٢ صلاة النافلة : الزيادة عن الفرض وهو من الحديث .

٣ واصلة : قادمة .

٤ الطغام : أوغاد الناس .

٥ سحره السحري : الواضح كالسحر . الشمسي : كناية عن الدينار . القمري : كناية عن الدرهم .

٦ علم الله أن سيكون : أي علم الله أننا سنعطيه .

٧ السابقون السابقون : أي الأول فالأول .

٨ سنتي : ما دون الفرض من الأعمال الدينية . الذلاذل : ما يلي الأرض من أسافل الثوب .

المقامة الحادية عشرة

وتعرف بالعراقية

حدّثنا سُهيل بنُ عبّاد قال : دخلتُ مجلِسَ أميرِ العِراق، وقد غصّ حتى التفّت الساقُ بالساق . فسلّمت تسليم الأريب ، وَوَقَفتُ موقِفَ الغريب . حتى إذا ركد النسيم ، وصفت الكأس للنديم . دخَلَ شيخٌ أغبرُ الناصية ، عليه شِعار البادية. وهو قد أخَذَ بيَدِ فتًى ترِفِ[1] البنان، كأنه من وِلْدان الجِنان . وقال : أيّد الله الأمير ، وأبّد لهُ السرير . إن هذا الغُلامَ سَرَقَ نِصفَ أبياتٍ مدحتُ بها بعض الأُمراءِ ، فتحوّل المديحُ فيها إلى الهِجاء . ولما بَلَغَتْهُ أمْرَ مجبسي ، إلى أن يَسّرَ الله لي بالإطلاق وقد كِدتُ أقتُل نفسي. فعليهِ حقُّ الجِنايةِ وقطعُ السارق[2] ، وعليك تأديبُ كل طاغٍ وفاسق . فقال الأمير : يا هذا قد تقرّر في علم الأُصول[3] ، أن الدعوى لا تصحُّ في المجهول ، فهات أبياتك التي أغار عليها ، فأنشد يقول :

إذا أتيتَ نَوفلَ بنَ دارمِ   أميرَ مخزومٍ وسيفَ هاشمِ[4]
وجدتَه أظلَمَ كلِّ ظالمِ   على الدنانيرِ أوِ الدراهمِ
وأبخَلَ الأعرابِ والأعاجمِ   بعِرضهِ وسِرّهِ المُكاتمِ[5]

١ ترِف : رخص .
٢ قطع السارق : قطع يده .
٣ علم الأصول : أصول الفقه .
٤ كنى بذلك عن كونه من بني قريش .
٥ المكاتم : أي المكاتم له من قولهم كاتمته الأمر أي كتمته عنه .

لا يستحي من لوم ِ كل لائم ِ ... إذا قضى بالحق ّ في الجرائم ِ
ولا يُراعي جانبَ المَكارم ِ ... في جانب الحق ّ وعدل ِ الحاكم
يَقرَعُ مَن يأتيه ِ سِن ّ النادم ِ ... إذ لم يكن من قِدَم ٍ بقادم ِ[1]
إن ّ الشقي ّ وافِدُ البراجِم ِ ... وضيفُ نوفل ٍ كضيف ِ حاتم ِ[2]

قال : فكيف سرَق ، وعلى أي ّ نسَق؟ قال : قد أخَذَ أصحابَ الشِّمال ونبَذ أصحاب اليمين ، فقال كمن يقرأ مشجَّر الصين[3] :

إذا أتيتَ نوفَلَ بنَ دارم ِ ... وجَدتَهُ أظلَمَ كل ّ ظالم ِ
وأبخَلَ الأعراب ِ والأعاجم ِ ... لا يستحي من لوم كل لائم ِ
ولا يُراعي جانبَ المَكارم ِ ... يقرعُ من يأتيه ِ سِن ّ النادم ِ
إن الشقي ّ وافِدُ البراجم ِ

فقال الأمير : أولى لك يا غلام ، كيف سَلَلتَ المِلحَ من الطعام؟ قال:[4] كلاّ إنني ما أنشدتُ إلاّ لنفسي[5] ، ولا جنيتُ إلاّ من غَرْسي . فإن سلَّمَ

١ أي الذي يأتي إليه يندم على تأخره إلى ذلك الوقت لأجل ما يجد عنده من الكرامة .

٢ البراجم : خمسة من أولاد حنظلة بن مالك بن عمرو بن تميم . وقوله : إن الشقي وافد البراجم ، مثل قاله عمرو بن هند ملك العراق . وكان سويد بن ربيعة التميمي قتل أخاه وهرب فحلف أن يقتل من تميم مائة رجل ، فقتل تسعة وتسعين منهم وأقام في طلب الباقي . وكان رجل من البراجم مسافراً فمر بالقرب من الملك ورأى الدخان فظن أن هناك طعاماً فأقبل حتى أناخ إليه . فقال : من أنت ؟ قال : أنا رجل من البراجم . قال : فبماذا جئت ؟ قال : رأيت الدخان وأنا جائع ، فأمر بقتله وقال المثل .

٣ أخذ أصحاب الشمال ونبذ أصحاب اليمين : اختار القبيح منها وترك الحسن . يقرأ مشجر الصين : أي من أعلى إلى أسفل ، وهو اصطلاح أهل الصين في كتابتهم .

٤ أولى لك : كلمة تهدد . كيف سللت الملح من الطعام : شبه المحذوفات التي اقتطعها بالملح الذي يصلح الطعام .

٥ ما أنشدت إلا لنفسي : يقول إن هذا الهجو هو قد نظمه ولم يسرقه من الشيخ .

بتوارُد الشاعرَين [1] ، فقد سقطت الدعوى عن الفريقَين . وإلاّ فلا يَتعَيّنُ السارق ، حتى يتعين السابق . قال : فأَنِفَ الشيخُ من ذلك المِراء، وقال: [2] وَيْحَكَ هل أنتَ من الشُّعراء؟ قال : عندَ الامتحان ، يُكْرَمُ المرْءُ أو يهان . قال : إن كنت من أهل الأدب [3] ، فما هي أَبْحُرُ الشعر عند العرب؟ فأنشد :

أَطِلْ مُدّ وابسُطْ فِرْ وكَمّلْ كهازجٍ
وأَرْجِزْ بِرَمَلٍ واسرِعِ اسرَحْ مُخفّفا [4]
وكن ضارِعاً واقضِب من اجتثّ واقتِرِب
برمزٍ لنا عن أَبْحُر الشعر قد كفى [5]

قال : قد وفّيت الفروض ، فهل تعرف أجزاء العَروض [6] ؟ فأنشد :

جميع أجزاء العَروض حاصله من سببٍ ووَتِدٍ وفاصله
يصاغُ منها كلمات أحرُف تجمعُهُنّ : معلَنات يوسفِ [7]

قال : قد جئت بالجواب الشافي ، فهل تعرف ألقاب القوافي ؟ فأنشد :

١ التوارد : أن يقول الشاعر ما قاله شاعر آخر من غير علم له به . و هو كثير في أشعار العرب .

٢ لا يتعين السارق حتى يتعين السابق : لا يمكن أن يتعين السارق حتى يتعين السابق منهما في النظم ، وهذا غير معلوم بين الشيخ والغلام . أنف : استكبر . المراء : الجدال .

٣ يراد بالأدب : علم العربية .

٤ هازج : مترنم .

٥ ضارعاً : مبتهلا . اقضب : اقطع . اجتث : قطع . كنى بذلك عن أبحر الشعر الخمسة عشر .

٦ العروض : هي الأجزاء التي يتألف منها الشعر .

٧ تصاغ من هذه الأجزاء كلمات يوزن بها ، وهي : فعولن ومفاعيلن ومفاعلتن وفاعلاتن وهي الأصول . وفاعلن ومستفعلن ومتفاعلن ومفعولات وهي الفروع . وهذه الكلمات مركبة من أحرف يجمعها قولك معلنات يوسف أي الأمور التي أعلنها .

إن رُمتَ ألقاب القوافي كلهـا فهناك خمسٌ لا يليها سادسُ
هي عندهم : مترادِفٌ متواترٌ متـدارِكٌ متراكبٌ مُتَكاوِسُ

قال : وهل تعرف ما للقوافي من الأجزاء ، وما لأجزائها من الأسماء ؟ فأنشد :

إذا رُمتَ أجزاء القوافي فسلْ بها خبيراً يجيـــد القولَ حينَ يقولُ
رويٌ ووَصْلٌ والخُرُوج وراءَه ورِدفٌ وتأسيسٌ يليهِ دخيلُ

قال : وهل تعرف حركات القافية ، ما هيه ؟ فأنشد :

حركاتُ قافيةٍ نظيرُ حروفِها ستٌ : بها المجرى عددنا أولا
ثم النَّفاذُ وحذوها والرَّسُ وال إشباعُ والتوجيهُ فاحفظها ولا[1]

قـال : حيَّاكَ عالِمُ الغيوب ، فهل تعرف مـا للقوافي من العيوب ؟ فأنشد :

عابَ القوافيَ إكفاءٌ وإقواءُ إجازةٌ ثم إصرافٌ وإيطاءُ
كذاكَ تضمينها التحريد مجتَنَبٌ ومثلُ ذاكَ سنادٌ وهو أَنحاءُ

قال : أَراكَ تُحسِن الجوابَ في الحال ، فما أبرِّئُك مِن انتحال .[2] فإن كنت شاعراً فقل أبياتاً تمدحُ الأمير فيها ، قال : بل أهجوكَ ، وأنشد بديها :

قل لهذا الشيخ الحزاميّ : صبرا قد توسَّدتَ من هجائيَ جمرا
ذلك الخمرُ بيننا صار خَلاًّ وبعيدٌ أن يرجعَ الخلُّ خمرا

١ فاحفظها ولا : أي ولا تنسَ . وهو المعروف عند البديعيين بالاكتفاء .
٢ الانتحال : أن يدعي الشاعر لنفسه شعر غيره .

يا خزامَ البعيرِ ليس خزامَ الـ روض إن الخزامَ يَعبَقُ نشرا[1]
أنتَ ميمون أمّة الترك لا ميمو نُ عُرْبٍ فاليُمْنُ منك تبرّا[2]
كنتَ ترجو من الأمير هباتٍ وأنا قد أخذتُها منك جبرا
لا تَرُمْ بَعدَها خضاباً لشيبٍ فالمخازي تُسَوّد الشيب دهرا
إن رأيتَ الغلام يسحبُ ذيلًا من غِناه،وأنت تسحب فَقْرا[3]
لا تَقُلْ أنت سارقٌ ليَ مالاً مثلما قُلت سارقٌ ليَ شِعرا

فأقسم الأمير بالسقف المرفوع[4] ، ان الغلام لشاعرٌ مطبوع . وقال : أشهدُ أن هذا الشيخ قد تجنّى عليك[5] ، وأساء بما نسبه إليك . فخذ هذه الدنانير ، جبراً لقلبك الكسير . وإن شئت أن تُقيم بداري ، فأنت أكرم أنصاري . قال : أنا على ما تروم ، إن انتصفت لي من هذا الظلوم ، بأن لا يفوه بعدها بمنظوم . فلما رأى الشيخُ صبح ليلتهِ ومساءَها[6] ، ظنّ أن وراء الأكَمَةِ ما وراءَها . فانتصب كثالثة الأثافي[7] ، وقال : أريد أن أودّع القوافي[8] . وأنشد :

---

١ خزام البعير : حلقة من شعر تجعل في أنفه . خزام الروض : نبات طيب الرائحة ينبت في البساتين . نشراً : رائحة طيبة .
٢ الميمون في لغة الترك هو القرد . وفي لغة العرب المبارك .
٣ رأيت الغلام : يريد بالغلام نفسه . وقد أراد بهذا أن يثبت الأمير على عزم الإعطاء له .
٤ السقف المرفوع : كناية عن السماء .
٥ تجنى عليك : أي ادعى عليك ذنباً لم تفعله .
٦ أي لما رأى ابتداء أمره وعاقبته .
٧ ان وراء الأكمة ما وراءها : مثل أصله ان جارية كانت لقوم وكان لها صديق يواعدها أن تأتيه إلى وراء أكمة هناك . فلم تستطع ليلة أن تنصرف إليه وغلبها الشوق فقالت : قد أبطأت وإن وراء الأكمة ما وراءها . والمعنى أنه ظن به السوء . يعبرون بثالثة الأثافي عن الداهية . والأثافي حجارة ترفع عليها القدر .
٨ نظم الشعر .

قد فَسَدَ الدهرُ لطول الأَمَدِ فلا يَسودُ فيهِ غيرُ الأمردِ
إنَّ الفتى قد جَدَّ لي في اللَّدَدِ إذ ليسَ لي من سَنَدٍ أو عَضُدِ [1]
شكوتُهُ إلى أميرِ البلدِ وقد رجوتُ أن يكون مُنجدي
فكان خصماً مثلهُ لم أجِدِ كأنما قطعتُ رأسي بيَدي
لئن مُنِعتُ عن قريضِ المُنشِدِ فالنثرُ أشفى لغليلِ الكَبِدِ [2]
وإن تجاوزتُ العِراقَ في غَدِ فكُن لرُكبانِ السُّرى بمَرصَدِ [3]
إن حمَلَت شِعري لأهل المِرْبَدِ [4]

قال : فكأنَّ الأميرَ أفاق ، وأشفَقَ من التنديد [5] بهِ في الآفاق . فقطع لسان الشيخ بنِصاب [6] ، وقال : هذا أيسَرُ ما به نُصاب . ثم قال له: دَعِ التُّهَمَ بينك وبين الفتى ، فليذهَب أمامك من حيثُ أتى . فانصرف الشيخ والفتى يتضاحكان ، كأنْ لم يكن بينهما شيءٌ مِمّا كان . قال سُهيلٌ : وكنت قد تبيَّنتُ أن الشيخ صاحبنا ابن الخزام،فهرعت على أثره لأنظر ذلك الغلام. وإذا به قد ناولهُ الدنانير،وقال : اشكُرْ نعمة الأمير . فعجبتُ من استحالة تلك الحالة ، وقلتُ : سُرعانَ ذا إهالة [7] . فابتدَرَني الشيخ بالسلام وهنَّأني بالسلامة ، وقال : أهلاً بأبي عُبادة الذي لا تفوتهُ مقامة ! قلتُ : بل أهلاً

---

١ اللدد : الخصام .

٢ قريض المنشد : الشعر . فالنثر أشفى لغليل الكبد : النثر يشفي غليل الإنسان أكثر من الشعر لأنه يستطيع الاتساع فيه بما لا يستطيعه في الشعر .

٣ ركبان : جمع راكب .

٤ يقول : إذا خرجت من العراق فارصد أيها الأمير طريق القوافل التي تحمل شعري في هجوك إلى مربد البصرة .

٥ التنديد : الشهرة بالسوء .

٦ يقال قطع لسانه إذا أسكته بشيء . بنصاب : بعشرين ديناراً .

٧ سرعان : ما أسرع . وهو اسم فعل . الاهالة : الودك وهو دسم اللحم ، والعبارة مثل يضرب في سرعة الاستحالة .

بالمُقعِد المقيم ، فما هـذا الملك الكريم ؟ فاهتزّ اهتزازَ المهنّد ، وتبسّم إليّ[1] وأنشد :

هذا غلامي بل أنا غلامُهُ ، يا طالما أفادني استخدامُهُ !
يَنفعُني في مَـنزلي قيامُهُ وفي الدُّجى يؤنِسُني كلامُهُ
وفي السُّرى يُسعِفُني اهتمامُهُ حتى إذا أعوَزَني طعامُهُ
سعى بسَدّ خَلّتي خِصامُهُ[2]

ثم قـال : أنتَ راويتي وشاهدي ، وجليسي في مشاهدي[3] . فلـك أن تشارِكني في العطاء ، ولكن عليك أن تحمل عني شطر الهجاء[4] . قلتُ : ليس مَن هجاك إلاّ كمن هجا الورد[5] ، فعليه كلُّ هجائِهِ ولا شريكَ لهُ من بعد. قال : قد أحسنتَ الجواب وإن لم يُصِبْ موضِعَهُ ، فخذ هذه النّحلة[6] وادْعُ لي بالفلاح والسعَة . فودّعتُه مُطنِباً بشكرِهِ ، متعوّذاً من مكرِهِ .

---

١ المقعد المقيم : أي الذي يقعد الناس ويقيمهم اضطراباً . المهند : السيف .
٢ أي إذا لم يكن عندي ما أطعمه جعلت الخصام بيني وبينه سبباً لتحصيل ما أسد فقري به .
٣ مشاهدي : محاضري .
٤ يشير إلى الهجو الذي هجاه به الغلام .
٥ هو ابن الرومي فإنه هجا الورد هجواً قبيحاً على خلاف ما ينبغي لأنه ممدوح عند الجميع .
٦ النحلة : العطية .

المقـامة الثانية عشرة

وتعرف بالأزهرية

حكى سُهَيل بنُ عبّادٍ قال : شخصتُ[1] إلى القاهرة من بلاد الشام ، في رَكْبٍ فيه ميمون بن خزام . فكانَ يحملُنا بحديثه في المراحِلِ ، ويُنسينا[2] لَغَبَ السيرِ في المنازل . حتى تبطَّنّا السُّرى في ليلةٍ حالكةِ الأديم ، وقد[3] قدَّرْنا القمرَ منازلَ حتى عاد كالعُرجُون القديم . فشَمَّذْنا إزارَ السفر ،[4] وأوغلنا في تلك القِفَر . وما زلنا نخبِطُ في ذلك الديجور الأربد، حتى تبيَّن[5] لنا الخيطُ الأبيض من الخيط الأسود[6] . فمالت أعناقُ الناس ، من النُّعاس . وأشفق الشيخُ من طوارق البادية ، فأراد تنبيه الأعيُن الساهية . فانتدَبَ[7] سجيَّتَهُ السَّبَطْرة ، ورفع عقيرَتَهُ الضَّبَطْرة . وأنشد يقول :[8]

أيها الراكبُ المُيَمِّمُ مِصراً   ألقِ سَمْعاً فللحديثِ فُنونُ

---

١ شخصت : سافرت .

٢ ركب : قافلة . يحملنا بحديثه في المراحل : أي يسلينا فنقطع الطريق ولا نشعر بالتعب .

٣ لغب : تعب . حالكة : شديدة السواد . الأديم : الجلد .

٤ العرجون : العود الملتوي كنصف دائرة ، أي أسرينا في ذلك الشهر حتّى دخل القمر في المحاق . شمذنا : رفعنا . كناية عن التشمير والجد .

٥ نخبط : نسير على غير هدى . الديجور الأربد : الظلام الأغبر .

٦ الخيط الأبيض : بياض الصبح . الخيط الأسود : سواد الليل .

٧ أشفق : خاف . طوارق البادية : أي لصوصها الذين يسطون ليلا .

٨ سجيته : قريحته . السبطرة : الماضية . عقيرته : صوته . الضبطرة : الشديدة .

دونَ مِصرٍ عينٌ وعينٌ وعينٌ قامَ فيهـا نونٌ ونونٌ ونونُ[1]

قال : فطارت السِّنَةُ[2] من الجفون، بين تلك العين والنون ، وتحدّث القوم بما يكون وما لا يكون . هذا وقد أخذَت المطايا في الذميل[3] ، وهي تقطع ميلًا بعد ميل ، حتى وَرَدت ماءَ النيل . فتهلَّلَ وجه الشيخ ميمون، وقال: هذه عينٌ يشرَبُ بها عبادُ الله ويسْبَح فيها النون[4] .فقال القوم: قد فتح الشيخ لنا الباب ، فليتذكَّر أولو الألباب . قـال : إذا ألقينا العَصا فسنفتح أبواباً[5] أخرى ، وسنجعلها للناس تبصرةً وذكرى . قال : وما زلنا نستقبلُ المقبلة ونستدبرُ الدابرة ، حتى دخلنا مدينة القاهرة . فلما أصبحنا دعاني الشيخ إلى ما أراد ، وخرجنا نَستَنُ[6] كخيل الطراد . حتى أتينا الجامع الأزهر ، فأوحى إليَّ ما أوحى وقال : اصدع بمـا تؤمَر . فمكثتُ ريثما دخل المقام ، وفرغ[7] من السلام . ثم دخلت فحيَّيتُ القوم ، فقام مسلِّماً عليَّ كأن لا عهدَ بيننا مُذُ اليوم . ولما استقرَّ بيَ القرار أشار إليَّ، وقال :مَهْيَمْ[8] يا بُنيّ؟ قلتُ : قد هجَمَت بي على هذا المجلس ، رُقعةٌ كصحيفة المتلمِّس[9] . فإن كشف لي

---

١ عين الأولى : ماء . عين الثانية : رصد . عين الثالثة : رئيس . نون الأولى : حوت . نون الثانية : سيف . نون الثالثة : دواة . يعني أن بينهم وبين مصر مياهاً تقف فيها الأسماك ولصوصاً تقوم بأيديهم السيوف ورؤساء ذوي محابر وأقلام .

٢ السنة : النعاس .

٣ الذميل : السير اللين .

٤ النون : الحوت .

٥ فتح الشيخ لنا الباب : فسر أول عين ونون . ألقينا العصا : إذا وصلنا .

٦ نستن : نركض .

٧ أوحى إلي : كلمني كلاماً خفياً . ريثما : مهلة ما .

٨ مهيم : استفهام عن الحاجة . وهي من لغة أهل اليمن .

٩ المتلمس : هو رجل من العرب أراد عمرو بن المنذر أن يقتله سراً ، فأعطاه كتاباً إلى عامله على هجر يأمره بقتله . فأخذ الكتاب وهو لا يعلم ما فيه ، وسار حتى مر بنهر الحيرة فرأى غلماناً يلعبون ، وكان لا يعرف القراءة ، فدفع إليهم الكتاب ليقرأوه له ، فلما قرأوه وعرف ما فيه ألقاه في النهر وفر هارباً ، فسار به المثـل .

هذا النادي حِجابها المستور ، وإلاَّ فقد يَئِستُ منها كما يَئِس الكفّار من أَصحاب القبور . قال : اقرأ باسم ربِّكَ الذي خَلَق ، فكم ركِب هنا مثلها طبَقاً عن طَبَق[1] . فقرأتها أقول :

سَمَحتُ في الشام بألفٍ كاملِ مقتبساً مسألةً من سائلِ[2]
يقولُ : أيُّ اسمٍ بغيرِ طائلِ يركبُ في التركيب متنَ الباطل[3]
ليسَ بمعمولٍ ولا بعاملِ وربُما أفادَ غيرَ العاقلِ
فوقَ إفادةِ اللبيبِ الفاضلِ ؟ وقد جعلتُ مثل ذاك النائلِ[4]
لِمن يجيءُ بالجواب الفاصل

قال : فأطرق كلُّ من حضَر ، ولم يَقِفوا على خُبْرٍ ولا خَبَر . وجعل الطلبة هنالك ، يخبطون في ليلها الحالك . والشيخ يَعجَبُ منها ويُعجِّب ،[5] ويعظِّم أمرها ويُطنِب . فقال الأُستاذ : إني قد جعلتُ على نفسي ما جعل هذا الشاعر ، فإن الفوائد تُشترى بالذخائر . فترنحت أعطاف الشيخ ابتهاجاً بالظفر ، وقال : إن الناس يستنزلون البَدرَ بالبِدَر[6] ، ثم أنشد يقول على الأثر :

قُل يا ابنَ عبّادٍ لهذا السائلِ : ذاكَ اسمُ صوتٍ شاعَ في القبائلِ
وَهوَ من الأغفالِ والعواطلِ لا يُبتنى منهُ كلامُ قائلِ[7]
وإنما تركيبهُ في الحاصلِ مَزْجٌ بما قُدِّمَ في الأوائلِ[8]

١ يعني حالا بعد حال . أي كم تصرف أهل هذا المجلس في مثلها .
٢ ألف : ألف درهم . مقتبساً : مستفيداً .
٣ يركب في التركيب : أي في تركيب الكلام .
٤ جعلت : فرضت . مثل ذاك النائل : ألف درهم .
٥ يعجب : يحمل على العجب .
٦ جمع بدرة وهي عشرة آلاف درهم . وكنى بالبدر عن الأمر البعيد المنال .
٧ الأغفال : المهملة . لا يبتنى منه كلام قائل : لا يركب منه كلام .
٨ أي أن تركيبه إنما يكون تركيب مزج مع ما قبله .

فَهْوَ مع التركيبِ غيرُ قابلٍ لنحوِ مفعولٍ بهِ أو فاعلٍ
ويستفيد منهُ قلبُ صاهلٍ ما ليسَ قلبَ ناطق بشاغلٍ[1]

فلا تكُنْ عن حِفظهِ بغافلِ

قال : فعظُمَ الشيخُ في أعيُن الجماعة ، لِما رأوا عندهُ من البراعة . وقالوا : لقد حقَّ لك الثواب ، إن كنت مبتكرَ الجواب . فاستشاط من الغضب ، حتى كاد يخرجُ عن الأدب . وقال : يا هؤلاء قد رميتموني بسهمٍ إن أصابَ جرَح ، وإن أخطأ فضح [2] . فلأركبنَّ معكم ما شئتم من المسائل ، ليُحِقَّ اللهُ الحقَّ ويُبطِلَ الباطل . فقال أحدهم: إنني مشتغلٌ بعلم العَروض ، فهل لذلك عندك من عُروض[3] ؟ قال : اللهم نَعَم ، ما الفرق بين المُعاقَبة والمُكانفة والمراقبة[4] ؟ وما الفرق بين ما تمَّ من الأبيات وما وفى ، وبين المُصرَّع منها والمُقفّى ؟ وأيُّ بحر يستبيح أجزاء صاحبه ولا حَرَجَ عليه، فإن اختلس منه صاحبه جزءاً سيقَ برُمَّته[5] إليه؟فأجاب الرجل ببعض الإجابة، وهو يمزج الخطأ بالإصابة . ولما رأى الأستاذ عكس القضية، ثارت به الحميَّة. فقال للشيخ : إن كنت من علماء اللغة فكم هي مخارجُ الحروف ، وما هي صِفاتها التي يتميَّز بها الموصوف[6] ؟ وماذا يمنع الإدغامَ والإعلال، بخلاف القياس في الأفعال ؟ ولماذا يُكتب نحو اصطفى بالياء ، وقد كُتِب مجرَّده بالألف

---

١ يستفيد منه الحيوان أكثر من الإنسان . فهلا مثلا يزجر الفرس ولا يؤثر في الفارس .

٢ أي فضح الرامي .

٣ من عرض له الأمر أي خطر على قلبه .

٤ المراقبة : إذا اجتمع سببان بحيث لا يجوز مزاحفتهما معاً فإن جازت في أحدهما فقط فذلك هو المعاقبة ، وإن وجبت فالمراقبة . وأما المكانفة فهي أن تجوز المزاحفة في كلا السببين .

٥ برمته : أي بأسره .

٦ أما مخارج الحروف فهي الحلق واللسان والشفتان وكل واحد منها يختص بحروف معلومة . وأما صفات الحروف فمنها المهموسة والمجهورة والشديدة والمتوسطة والرخوة والمطبقة والمنفتحة والمستعلية .

الملساء ؟ فقال الشيخ : إن أخطأتُ في الجواب فليس لي عندكم شيءٌ ، وإن أصبت زدتموني أرْشَ [1] جنايتكم عليَّ . قال : قد أحسنتَ في الشرطِ والجزاء، فأنا على ما تشاء . فأفاض الشيخ في شرحه حتى شَرَحَ الصدور ، وقال: هل يستوي الأعمى والبصيرُ أم هل تستوي الظُّلُمات والنور ؟ ثم اعتمد على عصاه ، وقال : أستودعكم الله ! فنهض إلى وداعه الأُستاذ الكبير ، وألقى في رُدنِه صُرّةً من الدنانير . فخرج يجر الذيل ، وقال : هلمَّ يا سهيل . فلما صرنا بمعزلٍ قال : قد حملتَ رقعةَ المسألة ، واستفدتَ حلَّ المُعضِلة ! أفتبغي أن يبذلَ كلٌّ لصاحبه ما عليه ، أم نطرح الحساب من طرفيه؟ قلتُ: كلاهما خطر ، فلك النظر . قال : أنتَ ضيفي ما دمنا في هذه البقعة ، فلا حاجة لك بدينار ولا قطعة . قال سهيلٌ : فمكثتُ حيناً من الدهر وإياهُ ، أتيمَّن بهلالِ مُحيّاه ، وأتعلَّلُ بزُلال حُمَيّاه . إلى أن حلّت الشمس [2] ، بُرجَ الأسد [3] ، ففارقني فراقَ الروح للجسد .

---

١ الأرش : دية الجراحات وما يدفع بين السلامة والعيب في السلعة .

٢ محياه : وجهه . الحميا : الخمر كنى بها عن طيب معاشرته .

٣ برج الأسد : هو البرج الذي تنزله الشمس في شهر تموز . كنى بذلك عن اشتداد حر الصيف .

المقـــامة الثالثة عشرة

وتعرف بالتغلبية

قـالَ سهيلُ بنُ عبّادٍ : شخصتُ في نَفرٍ من أهل العالية ، إلى أطراف تلك البادية . فسِرْنا لا نألو جهداً ، ولا نعلو مهداً . حتى تبطّنّا مفازةً قد[1] ضَرَبَت أساهيجَها الريح ، كأنها أهاجيج شِقٍّ أو سطيح . فأرسلنا إبلنا[2] العِراكَ ، وأخـذنا في الرسيم الدّراك . وبينما نحنُ كذلك إذا فرسانٌ قد[3] أشرعوا العواملَ ، ونادَوا : يا لِتَغلِبَ ابْنةِ وائـل ! فما كان إلاّ كرجع[4] النفَس، أو لَمْعِ القَبَس[5]. حتى أحاطوا بنا إحاطةَ الأسورة بالمعاصم، وقالوا: لا مانع لكم اليومَ من أمر الله ولا عاصم[6] . فسرنا بينهم كالنعاج بين الذئاب، حتى انتهينـا إلى حِلّةٍ كثيرة الخيام والقباب ، مكتظّةٍ بالخيل والركاب .[7] فطرحونا إلى سُرادقٍ كقبّةِ نجران ، فيه شيخٌ كعبد المَدان ، على قصعةٍ[8]

---

١ مهداً : فراشاً . مفازة : فلاة مهلكة .

٢ الأساهيج : خطوط الرمل . الأهاجيج : ما يخطه الساحر في الرمل بحسب صناعته . شق : اسم كاهن من اليمن يقال إنه كان نصف رجل . سطيح : كاهن آخر يقال إنه كان بلا عظام .

٣ العراك : المعتركة أي المزدحمة . الرسيم : السير السريع . الدراك : المتتابع .

٤ العوامل : أسنة الرماح . تغلب ابنة وائل : هو تغلب بن وائل وإنما قال ابنة وائل لأنه أراد بها القبيلة .

٥ القبس : شعلة النار .

٦ عاصم : واق .

٧ حلة : منزلة القوم . الركاب : الإبل .

٨ سرادق : خيمة من نسيج القطن . قبة نجران : قبة عظيمة . المدان : اسم صنم . وعبد المدان هو عمرو بن الريان الحارثي ، كان من أشراف الناس وأكابرهم .

كجفنة عبد الله بن جُدعان . وحواليه حَلَقةٌ من ذوي البوسى ، كأنهم من[1] بقايا قوم موسى. فبتنا نجِصُ في الرّباط عند القوم ، وأنا لم تأخذني سِنَةٌ[2] ولا نوم . حتى أوشك صبغُ الليل أن يحول ، وإذا بجانبنا قائلٌ يقول :

يا ليلُ قد طُلتَ فهل ماتَ السَّحَر أم استحالَتْ شمسُهُ إلى القمَر ؟
طُلْتَ على شيخٍ قليل المُصطبَر قد باتَ في القيدِ ، كما شاءَ القدَر !
يا ليت قومي يعلمونَ بالخبر وليتَ لَيلى نَظَرَتْ هذا النظر
يا أيها الظالمُ كُنْ على حذَر كلُّ صغيرٍ وكبيرٍ مُستَطَر[3]
مَنْ شاءَ فليُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ كفَر

قال : فلما توجَّستُ هذا الكلام ، تنسَّمتُ منه نسيمَ الخزام[4] . فقلت :

قد سَطعَت ريحُ الخزام ليلا فأَدرَكتْ من فورِها سُهَيلا[5]
عسى تفيدُ بعدَ ذاكَ سَيلا

فقال : اللهُ أكبر ، قد هانَ عليَّ الموتُ الأحمر . قلتُ : نفسي فِداءُ نفسِك ، فكيفَ أمرُ حبسِك ؟ قال : أُخذتُ من أرض الجزيرة[6] ، على غير جريرة ، والله أعلمُ بالسريرة . وإذا رجلٌ قد تخلَّلَ إليه الأسْرى[7] ، كأنه

---

١ الجفنة : قصعة يقال إنها كانت عظيمة في الغاية حتّى يتناول منها الراكب لارتفاع جدرانها . البوسى : نقيض النعمى .
٢ بقايا قوم موسى : مأخوذ من قول الشاعر :

كأنك من بقايا قوم موسى فهم لا يصبرون على طعام

نجص : نتأوه من الضيق . سنة : نعاس .
٣ مستطر : مكتوب عند الله .
٤ توجست : تسمعت ذلك الصوت الخفي . تنسمت منه نسيم الخزام : أي أنه لما سمع الأبيات لمح من فحواها أن قائلها ميمون بن خزام .
٥ سطعت : انتشرت . ريح الخزام : يقصد به الشيخ ميمون . سهيلا : المراد به الرجل .
٦ الجزيرة : جزيرة العرب .
٧ دخل بينهم .

من آيات ربّه الكبرى ، وقال : هيهات لا تغني نفسٌ عن نفسٍ شيئا ولا تزرُ وازرةٌ وِزْرَ أخرى[1] . ثم أخذ بيده وقاده كالبعير ، حتى وقفه بحضرة الأمير . فتلقاه الأمير بالوجه العبوس ، وقال : أفّ لك يا أشأمَ من البسوس[2] ! أتهجو العرب الذين منهم أخِذَ الشعرُ والخِطاب؟ وعلى كلامهم بُنِيَ التصريفُ والإعراب . ومنهم تعلّمتِ الناسُ الفَصاحة ، واجترأت الكرام على السماحة . وهم ضُرّاب السيوف ، وشُرّاب الحُتوف[3] ، وقُراةُ الضيوف، وحُباةُ الألوف ، وحُماةُ السُّجوف[4]. وآثارهم في الحذاقة والكرم، وحِفظِ الجِوار والذّمَم ، أشهرُ من نارٍ على عَلم . فكيف استطعتَ أن تقولَ للصبح يا ليل ، وللشمس يا سُهَيل[5] ؟ قال سُهَيلٌ : وكنت بمرأى من ذلك ومَسمَع ، فقلتُ للحارس : إن الأمير يدعوني فلا تمنع . فأطلقَني وهو يرعاني حتى دخلتُ في الجماعة، وإذا الأمير يقول : هاتِ أبيات الشيخ يا أخا[6] قُضاعة . فقام فتًى بين المَحْشَد[7]، ونظرَ إلى الشيخ وأنشد :

مَن رامَ أنْ يَلقى تَباريحَ الكُرَب من نفسه فليأتِ أجلافَ العَرَب[8]
يَرَ الجِمالَ والجِلالَ والخَشَب والشَّعْر والأوبارَ كيفما انقلَب[9]
أسْرَقُ أهلِ الأرضِ عن أمٍّ وأب وأسمَجُ الناس وأخزى من نَهَب

[1] أي لا تحمل مذنبة ذنب أخرى .
[2] هي البسوس بنت منقذ التميمية خالة جساس بن مرة قاتل كليب بن ربيعة . يضرب بها المثل في الشؤم لأنها كانت سبب حرب بين بكر وتغلب دامت أربعين سنة .
[3] الحتوف : جمع الحتف وهو الموت .
[4] الحباة : من الحباء بمعنى العطاء . السجوف : الستور . كناية عن الحرم .
[5] يريد النجم الصغير .
[6] يرعاني: أي يراقبني لئلا أعدل عن مجلس الأمير هارباً . أبيات الشيخ: يريد أبياته التي هجا بها العرب .
[7] المحشد : المحفل .
[8] تباريح : شدائد . أجلاف : جمع جلف وهو الرجل الغليظ الجافي .
[9] الجلال : جمع جل للفرس ونحوه . الخشب : خشب الرحال .

لا تُعرفُ الأقدارُ فيهم والرُّتَب ولا يُبالونَ بأحرارِ النَّسَب
لكن يَغارونَ على حِفظِ النَّشَب[1]

قال: فصفّقَ الشيخ عَجَباً وأقسم بتُربة نزار، أنهم ممّن يحرّفون الكَلِم عن مواضعه ويبدّلونَ الجنّة بالنار. قال: إن يبغِ عليك قومك لا يبغِ عليك القمر، فهاتِ ما صَحّ عندك من الأثر. فأنشد يقول:[2]

من رامَ أن يُلقي تَباريحَ الكُرَب من نفسهِ فليأتِ أحلافَ العَرَب[3]
يَرَ الجَمالَ والجَلالَ والحَسَب والشِّعرَ والأوتارَ كيفما انقلَب[4]
أشرَفُ أهلِ الأرضِ عن أمٍّ وأبْ وأسمَحُ النـاسِ وأجرى مَن يَهَب
لا تُعرَفُ الأقدارُ فيهم والرِّيَب ولا يُبالونَ بإحرازِ النَّشَب
لكن يَغارُونَ على حِفظِ النسَب

قال: فسرى غضبُ الأمير وأمسك عن التعنيف، وجعل يعجب من ذلك التصحيف والتحريف[5]. فقال: يا مولايَ حاشا أن أهجو قومي الذين منهم حُسِبت، وإليهم نُسِبت. وَبهم يُشَدُّ أَزْري[6]، ويستقيم أمري. قال: فما أنتَ وعرَبَ القِفار، وما عندك لهم من الآثار؟ قال: عندي ما أحببتَ،[7] فلا تسألُ عن شيءٍ إلاّ أجَبت. قال: هل تعرف مشاهير العرَب الذين تُرسَل بهم الأمثال؟ قال: اللّهمَّ نعمْ، وأنشد في الحال:

---

١ النشب: المال.

٢ إن يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر: مثل. مراد الأمير هنا: إن كنا ظلمناك بالتهمة لا تظلمك أبياتك إذا لم تكن كما اتهمناك. هات ما صح عندك من الأثر: إذا كانت هذه الأبيات محرفة فهات الأبيات الصحيحة.

٣ أحلاف: أحزاب.

٤ الأوتار: أي آلات الطرب.

٥ التصحيف: تبديل الحروف بتغيير النقط. التحريف: تبديل الحركات.

٦ أزري: ظهري.

٧ أنت وعرب: الواو للمصاحبة. الآثار: الأخبار المنقولة.

من أشهرِ الأمثالِ في القبائلِ عِزَّةُ ذي الحِمى كُلَيبِ وائلِ [1]
وطَلَبُ الثأرِ إلى المُهَلهِلِ يُنسَبُ كالوَفاءِ للسَّمَوْأَلِ [2]
ورَأيُ قيسٍ مثلَ جودِ حاتمِ شاعَ وفتكُ الحرثِ بنِ ظالمِ [3]
وحِلمُ مَعْنٍ وهو ابنُ زائدَه وقُسُّ ذو الفصاحة ابنُ ساعِده [4]
وشاعتِ الحِكمةُ عن لُقمانِ وهكذا الخُطبةُ عن سَحْبانِ [5]
واشتهرَت فراسةُ الأفراسِ عن عامرٍ والحِذقُ عن إياسِ [6]
والحُضْرُ يُعزى لِسُلَيكِ السُّلَكَه وحيلةُ القصيرِ نِعْمَ المَلَكَه [7]

---

١ يقال في المثل : فلان أعز من كليب وائل ، وذلك لأنه كان عزيزاً عظيم المهابة فكانت لا توقد نار مع ناره ولا ترد إبل على الماء حتى ترد إبله . وكان يحمي المراعي فلا يقربها أحد ويحمي الصيد فلا يصاد . وكان لا يتكلم أحد في مجلسه حتى يسأله ولا يجلس حتى يأمره فيتهيب في جلوسه متأدباً .

٢ أما المهلهل فهو عدي بن ربيعة التغلبي أخو كليب وائل ، أقام في طلب ثأر أخيه من بني بكر أربعين سنة . وأما السموأل فهو ابن حيان بن عادياء من عرب اليمن . يضرب به المثل في الوفاء .

٣ أما قيس فهو ابن زهير بن جذيمة بن غطفان . كان من دهاة العرب وكان يقال له قيس الرأي لجودة رأيه . وكان حاتم جواداً متلافاً إذا سئل وهب وإذا غنم أنهب وإذا أسر أطلق .

٤ أما معن فهو ابن زائدة الشيباني . وهو الذي قيل فيه : حدث عن معن ولا حرج . وأما قس فهو ابن ساعدة خطيب العرب وشاعرها وحكيمها وقاضيها في عصره . وهو أول من صعد على شرف وخطب عليه .

٥ أما لقمان فهو ابن عاد المشهور . كان من حكماء العرب ودهاتهم . وأما سحبان فهو سحبان وائل الباهلي . كان من خطباء باهلة وشعرائها .

٦ فراسة الأفراس : الحذاقة في ركوب الخيل . عامر : هو عامر بن الطفيل العامري . كان أحذق العرب بركوب الخيل وأجولهم على متونها وأبصرهم في التصرف عليها . إياس : هو إياس بن معاوية بن قرة المري يضرب به المثل في الزكن وهو التفرس وإصابة الظن .

٧ الحضر : الركض . السليك : هو الحرث بن عمرو التميمي . وكان يعرف بالسليك مصغر السلك : ولد الحجل . القصير : هو قصير اللخمي جدع أنفه احتيالا على الزباء لقتلها . الملكة : الهيئة الراسخة في النفس .

وهكذا روايةُ ابنِ أصمَعِ   تُذكَرُ والجَمالُ للمقنَّعِ [1]
واشتهرَ الحُزْنُ عن الخَنساءِ   مثلَ اشتهارِ بَصرِ الزَّرْقاءِ [2]

قال : حيَّاكِ مِن كَوَّرَ [3] النهارَ على الليل ، فهل تعرف مشاهيرَ الخيلِ ؟ فأنشد :

أشهرُ خيلِ العرب: المُشَهَّرُ   ثم النعامةُ التي لا تُنكَرُ
وداحِسٌ منهنَّ والغَبراءُ   كذلك الخَطَّارُ والحنفاءُ
وأعوجٌ ولاحِقٌ سَكابُ   كذلك العُبَيدُ والعُقابُ [4]
كذا العصا وأُمُّها العُصَيَّة   وكم لهم أُمّاً وكم بُنَيَّه [5]

قال : قد أَحسنت في الإعرابِ [6] ، فهل تعرف أبياتَ الأعرابِ؟ فأنشد :

خِباءُ صوفٍ وبِجادُ الوَبَرِ   وقَشْعُ جِلْدٍ سُتْرةٌ من مَدَرِ [7]
وخيمةُ الغزلِ وفُسطاطُ الشَّعَرِ   وقُبَّةُ اللِّبْنِ حظيرةُ الشجَرِ
وهكذا الطِّرافُ مِن أديمِ   تنزلها العُربُ من القديمِ [8]

قال : إن كنتَ من أهل هذا المقام ، فهل تعرف ما لهم من ألوان الطعام ؟ فأنشد :

---

١ ابن أصمع : هو عبد الملك بن أصمع الباهلي . يضرب به المثل في سعة الرواية وكثرة الحكايات والنوادر . المقنع : هو المعروف بالمقنع الكندي كان أجمل الناس وجهاً وأكملهم خلقاً وأعدلهم قواماً . وكان إذا سفر اللثام عن وجهه أصابته العين فيمرض فكان لا يمشي إلا مقنعاً أي مغطياً وجهه كالمرأة .

٢ الزرقاء : هي حذام الجديسية وتعرف بزرقاء اليمامة . كانت تبصر مسافة ثلاثة أيام .

٣ كور : جمع أو ادخل .

٤ لاحق : فرس لمعاوية بن أبي سفيان .

٥ أي كم فرس لهم والدة وكم فرس مولودة مثل العصية والعصا .

٦ الإعراب : البيان .

٧ المدر : الطين اليابس .

٨ الأديم : الجلد المدبوغ .

بعضُ طعامِ العرب الرغيده	رهيدةٌ لهيدةٌ نهيده
وضيعةٌ ربيكةٌ لبيكه	حريقةٌ سهيكةٌ وديكه
وزيمةٌ سخينةٌ فيحاءُ	حريرةٌ خزيرة حساءُ
مَضيرةٌ عبيثةٌ ثريدُ	وحسبُنا هذا فلا نزيدُ

قال : وهل تعرف ما لهذه الأطعمة ، من الآنية المُفعَمة؟ فأنشأ يقول :

آنيةُ الطعامِ عند العربِ	أعظمُها دسيعةٌ في الرُّتَبِ
فجَفْنَةٌ فقصعةٌ تُعَدُّ	فصحفةٌ مِئكَلَةٌ من بعدُ
ففيخةٌ لواحدٍ مُقدَّره	وفوقَهُ ما فوقها للعَشَره[1]

قال : وهل تعرف هذه المسألة الباقية ، عن أزلامِ المَيسِرِ في البادية ؟[2]
فأنشد :

فَذٌّ وتَوْأَمٌ رقيبٌ نافسُ	والحِلْسُ والرابعُ قيلَ الخامسُ
كذلكَ المُسبِلُ والمُعَلَّى	مِمّا على النصيب قد تولَّى
ثمَّ السفيحُ والمَنيحُ الوَغْدُ	ليسَ لها إلى النصيبِ رُشْدُ[3]

قال : فعجِب الأمير من جريه هذا المجرى ، وقال : قد كذَبتَ مَن قالَ صاحبُ البيت أدرى[4] . فلا جَرَمَ أنك من صميم العرب العَرباء، وأبلغُ مَن تحت الجرباء . ولقد [illegible] عليك بما أسرناك ، فاعذِرنا كما عذرناك . ثمَّ[5]

---

١ أي أن الفيخة تكفي رجلا واحداً . والدسيعة تكفي عشرة . وما بينهما لما بينهما .
٢ الأزلام : السهام قبل أن تراش وتركب لها النصال . والميسر : قمار العرب بهذه الأزلام .
٣ كان أهل الثروة في الجاهلية يشترون جزوراً فينحرونها ويقسمونها ثمانية وعشرين قسماً ، ويتساهمون عليها بعشرة قداح يسمونها الأزلام .
٤ يقول إنك قد كذبت هذا القائل لأننا وجدناك أدرى منا بما عندنا .
٥ الجرباء : السماء . بما أسرناك : ما مصدرية أي بأسرنا لك .

أمر بالطعام ، وقال : كيف أنت والمُدام ؟ قال : إذا أصابت الظباءُ الماءَ فلا عَباب ، وإذا لم تصبه فلا أباب . على أني لا أزدرِدُ الطعامَ السَّلجلَج،[1] ولا أُسيغ اللبن السَّمَلَّج[2] . ما لم تكن يد غلامي قبل يدي ، فإنه بمثابة ولدي . قال سهيلٌ : وكنت قد أضمرت الفرار ، إذا تعذّر القرار . فلمّا آنستُ صفوَ الكاس ، برزت من مَوقِفي بين الناس . فدعاني الأميرُ إلى بساطِهِ ، وأقبلَ عليَّ بانبساطِهِ . وأقمنا عندهُ ثلاثاً من الليالي ، أنقى من اللآلي . حتى إذا أزمعنا السفر ، وودّعنا النفر . قال للشيخ : نَحمِلُكَ[3] كما حملناكَ على الأدهم ، فدونك هذا الجوادَ المُطَهَّم . قلتُ : مثلُ الأميرِ من[4] حَمَلَ على الأدهم والأشهب ، فإني أذهبُ كما يذهب . قال : قد وَجَبَت لكما العِطيّة ، فضلًا عن المَطيّة . فخرجنا بالخيل والمال والزاد ، ونحنُ نذُمُّ المبدأ ونحمَدُ المَعاد[5]

---

١ إذا أصابت الظباء الماء فلا عباب ، وإذا لم تصبه فلا أباب : أي إذا وجدت الغزلان الماء فلا تلح في شربه وإذا لم تجده فلا تَتهيأ لطلبه . وهو مثل يضرب لمن لا يرغب في الشيء ولا يكرهه . السلجلج : اللين السهل .

٢ السملج : الحلو .

٣ نحملك : نركبك جواداً .

٤ الأدهم : القيد . المطهم : التام الخلق .

٥ نذم أول الأمر ونحمد عاقبته .

المقـــامة الرابعة عشرة

وتعرف بالهزلية

حكى سُهيل بنُ عبَّادٍ قال : كان لي زوجـةٌ صَنَاعُ اليَدَين[1] ، كريمةُ النبعتين[2] . فحسدتني عليها المنون ، وخانني فيها الدهرُ الخَؤون . فلبثتُ بعدها طويلًا ، أُردّدُ زُفرةً وعويلًا ، وأنوحُ بُكرةً وأصيلًا . حتى حال عليها[3] الحَول ، وآلتِ الفريضةُ إلى العَول . فناجتني الحَوْباء ، أن أستبدلَ ما[4] طابَ لي من النساء . ولمّا لم أجِد في الحيّ ، من تروقُ بعينيّ . أزمعتُ الاغتراب ، وبكرتُ بكور الغراب . فهملجتُ سحابة النهار ، على هَمَلَّعةٍ[5] عُبْرِ أسفار . حتى إذا جِنحُ الظلام رَفرف ، نزلتُ بقاعٍ صَفْصَف ، في[6] خِلال نَفْنَف[7] . فبينما ألقيتُ وِسادي ، وتلقّيتُ مائي وزادي . سمعتُ غطيطاً كأطيط البعير ، وزفراتٍ تتصاعد كالزفير . فجنحتُ عن القمر ،[8]

---

١ صناع اليدين : حاذقة في العمل .

٢ النبعتين : الأب والأم .

٣ زفرة : تنفساً طويلا . أصيلا : مساء .

٤ العول في الفريضة الشرعية أن تزيد سهامها فيدخل النقصان على أهل الفرائض . كنى بذلك عن زيادة مدة البكاء على هذا القدر المفروض لها . الحوباء : النفس .

٥ هملجت : أسرعت في المسير . سحابة : طول . هملعة : ناقة سريعة .

٦ عبر أسفار : قوية أو معودة على السفر . جنح : جزء من الليل . القاع : القرار من الأرض . صفصف : مستو .

٧ خلال : جمع خلل وهو الفرجة بين الشيئين . نفنف : مهوى بين جبلين .

٨ الغطيط : صوت النائم من خياشيمه . الأطيط : صوت البعير من ثقل حمله . الزفير : صوت لهب النار . جنحت : ملت . القمر : حيث يقع ضوءه .

إلى السَّمَر ، وأخذتُ لنفسيَ الحذَر. ولبثتُ أتنكب الغمض، وأُقلّب طرفي[1] بين السماء والأرض . وإذا جاريةٌ قد تنهَّدَت ، ثم أنشدت :

هل من سبيلٍ لي إلى العَتاقِ ... من رِقٍّ ظُلمٍ أو إلى الإباقِ[2]
ما زِلتُ من ذلك في وِثاقِ ... تكادُ روحي تبلُغُ التراقي
أطوي على الطوى من الإملاقِ ... حتى إذا امتدَّت دُجى الأغساقِ
أضوَى إلى شيخٍ جوٍ خفَّاقِ ... واهي القُوى منهتكِ الصِّفاقِ[3]
ذي لحيةٍ أثيثةِ الأعراقِ ... تضربها الرياحُ في الآفاقِ[4]
تلبَّدَت طاقاً وراء طاقِ ... كأنَّ فيها مَربِضَ النياقِ
منهلِ دِثارُ الليل حتى الساقِ ... وظُلَّةُ النهار كالرِّواقِ[5]
يجري عليها رَمَصُ الآماقِ ... ووضَرُ المُخاطِ والبُصاقِ[6]
حتى تَرُدُّ المشطَ بالإزلاقِ ... فهل كريم النفس والأخلاقِ
يحتالُ لي بفَرجة الطلاقِ ... وهبتُهُ ما لي من الصَّداقِ
وزدته ثوبي إلى النِّطاقِ[7]

قال سهيلٌ : فافتتنتُ بفصاحتها ، ولم ألتفت إلى قيد مَلاحتها . وقلتُ :

---

[1] السمر : الظل حيث لا يشرف ضوء القمر . ومن ذلك قولهم لا أكلمه القمر والسمر . أتنكب الغمض : أتجنب النوم .

[2] الإباق : فرار العبد .

[3] أضوى : أضم . جو : صفة من الجوى وهو وجع في الصدر . واه : ضعيف . منهتك : منشق . الصفاق : غشاء في مراق البطن .

[4] أثيثة : كثيرة ملتفة . الأعراق : الأصول .

[5] دثار : غطاء . الظلة : ما يستظل به من الشجر وغيره . الرواق : ستر يمد فوق صحن الدار أو سقف في مقدم البيت .

[6] رمص : ما يسيل من العين الرمداء . الآماق : جمع مؤق وهو مقدم العين مما يلي الأنف . وضر : وسخ .

[7] النطاق : شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها ثم ترسل أعلاها على أسفلها إلى الركبة .

لا جَرَم أنهُ قد خازَمَني التوفيق ، من معاجيل الطريق . فأنشدت :[1]

الحمــدُ للهِ وباللهِ الثقــه قد صادف الكحلُ سواد الحَدَقه[2]
واهـــاً لهذي الطُّرفة المتَّفِقَه إن لم نَقُلْ وافقَ شَنٌ طَبَقه[3]
فإننا أحمقُ من هَبَنَّقَه[4]

قال : وإذا بالشيخ قد استوى ، وقالَ : ما ضلَّ صاحبكم وما غَوى،[5] وما يَنطِقُ عن الهوى . ثم أنشد يقول :

قد علِم الله الذي له البَقا لو تركَ الدهرُ لكفّي رَمَقا[6]
لم تبقَ إلاّ رَيْثَ أن تُطَلَّقا ولم تجد عندي فؤاداً شيِّقا[7]
ولا ذكرتُ جيدَها المُطوَّقا ولا جبينهـا النقيَّ اليَقِقـا[8]
ولا سوادَ عينها ذاتِ الرُّقى ولا مُحيَّاها الجميلَ الطَّلِقا[9]
ولا حديثها وذاكَ المَنطِقـا لكن لهـا عليَّ مَهرٌ سَبَقا
ومَهرُ أخرى بعدها قد لَحِقـا فإنما الإنسان زوجاً خُلِقا

١ يقال خازمته إذا أخذت في طريق وأخذ في طريق آخر حتى تتلاقيا . معاجيل : مختصرات .
٢ عبارة عن وقوع الشيء في موضعه .
٣ واهاً: كلمة تعجب . الطرفة : الواقعة المستطرفة أي المستملحة . وافق شن طبقة : مثل يضرب في توافق الشيئين .
٤ هبنقـة : رجل يضرب به المثل في الحمق ، كـان قد اتخذ قلادة من الودع والخرز الملون وجعلها في عنقه لكي يعرف نفسه بها إذا ضل . وكان له أخ يقال له مروان فسرق القلادة من عنقه وهو نائم وجعلها قلادة له . فلما انتبه رآها في عنق أخيه فقال : يا مروان سرقتها مني . أنت أنا فمن أنا ؟
٥ ما ضل صاحبكم وما غوى : يريد أنه ليس بغافل عما دار بينهما من الكلام .
٦ الرمق : بقية الروح في المريض والمراد به هنا فضلة من المال .
٧ أي لم تمكث عندي إلا مدة ما أقول لها أنت طالق .
٨ جيدها : عنقها . اليقق : الشديد البياض .
٩ الرقى : من أعمال السحر . الطلق : المشرق .

فإن أرَ المَهْرَينِ عندي غَسقا   طلّقتُها والصبحُ لم ينبثقا [1]
لا عيشَ للزوجين لم يتفقا   ومن تراهُ مُعرِضاً قد وَثِقا [2]
بالهجرِ فاهجُرْهُ إلى يوم اللّقا [3]

قال : فاستفزّتني أبيات الشيخ فرحاً ، حتى كدتُ أصفّقُ مرحاً . ولم أتمالك أن دَلَفتُ إليه دِلفةَ من تيمّن ، وقلتُ : حيّا الله الشيخ فمن أنتَ [4] وممن ؟ قال : أنا المُبارَكُ بن رَيحان [5] ، من بطون قَحطان . وإني لأرى الفتاة قد شَغفَتك حُبّاً ، وخلَبت منك لُبّاً . فإن كنت تملِكُ النقدَين ، [6] فابذُلِ اللُّجَين ، واغتنم قُرّة العين . قال : فسهّل عليّ الوجدُ بذلَ الجِدَةِ ، [7] ونفحتهُ بما معي حتى أفعَمَ رُدنهُ ويده . فأشهدَ عليهِ الله والملائكة المقرّبين ، [8] وقال لي : بالرفاء والبنين ! فلما طرحتُ النقدُ ، واستبحتُ العقد . أردتُ [9] أن أتحوّل بأهلي ، إلى رحلي . فقال : حاشا لك أن تتركني الليلةَ سميرَ [10] الفرقدَين ، ولكن غداً تذهبُ أنت بالعروس وأنا بخُفّيْ حُنَين . فبتُّ عنده [11] بليلة الملسوع [12] ، وعيني لا يأخذها الهجوع ، حتى آذَنَ الصبحُ بالطلوع . فتبينت

١ غسقاً : ليلا . ينبثق : ينفجر .
٢ لم يتفقا : حال . أي غير متفقين . ومن تراه : أثبت الألف في قوله تراه على سلخ من عن الشرط واستعمالها كالذي . معرضاً : أي مائلا بوجهه عنك .
٣ وثق بالهجر : أي طابت نفسه به .
٤ دلفت : تقدمت . تيمن : تبرك .
٥ أنا المبارك بن ريحان : اتخذ معنى اسمه واسم أبيه دون لفظهما . فإن المبارك بمعنى ميمون والريحان جنس للخزام .
٦ خلبت : سلبت . تملك النقدين : مهر الأولى والثانية .
٧ اللجين : الفضة . الوجد : المحبة والشوق . الجدة : ما يوجد معي .
٨ ردنه : كمه . أشهد عليه الله والملائكة المقربين : أشهدهم بالطلاق .
٩ بالرفاء والبنين : دعاء عندهم للمتزوج يدعون له بالألفة وولادة البنين . العقد : عقد الزواج .
١٠ أهلي : زوجتي . رحلي : مكان نزولي .
١١ سمير الفرقدين : فريداً أسامر النجوم . ذهب بخفي حنين : مثل يضرب بالرجوع بالخيبة .
١٢ الملسوع : الذي لسعته الحية . والمراد بذلك الكناية عن طول الليلة .

وإذا الفتاة ليلى الخزاميّة والشيخ أبوها ميمون ، فقلت : إنّا لله وإنّا إليه راجعون . ما أرى بعل هذه الصبيّة ، إلاّ كعُكّاشٍ بعلِ طميّة.فاستغرب[1] الشيخ في الضحِك ، ثم أنشد غير مرتبك :

سلاماً يا ابنَ عبّادٍ سلاما أكهْلًا قُمتَ فينا أم غلاما ؟
أرَيْتَك إن ملكتَ طلاقَ ليلى فهل عقدٌ ملكتَ بهِ الزّماما ؟ [2]
عروسٌ ليس تخلو من خِداعٍ ، وقد لا تَعدَمُ الحسناء ذاما [3]
فطلّقْها ، كما طلّقتُ ، واعلَمْ لقد جُعِلَت على كلٍّ حراما
عرفتَ وقائعي في كل أرضٍ ، ولكن لستَ تَعرفُها تماما
ولستَ ترى سَقاماً في مريضٍ فتعرفهُ كمَن ذاقَ السّقاما
رزأتُكَ يا أعزَّ الناس عندي ! لشِدّةِ فاقةٍ برَتِ العِظاما [4]
ورُبَّ كريمةٍ أكلَتْ بنيها إذا جاعت ، ولم تجِدِ الطعاما ! [5]

قال : فقلتُ لهُ شهِد اللهُ أنك لأمكَرُ أهل الخافقَين [6] ، وأقدَرُهم على الزّين والشّين . قال : يا بُنيَّ إن الخلّةِ تدعو إلى السّلّة . والصدقُ خمرٌ[7] مِزاجُها الكَذِب ، والجِدُّ ثوبٌ طِرازُهُ اللعِب . وربَّ طُرفة ، خيرٌ من[8]

---

١ عكاش : جبل يقابل أرضاً ببلاد بني سعد يقال لها طمية . فيقولون عكاش زوج طمية لدوام اقترانه بها . وسهيل يقول : إن الشيخ بعل هذه المرأة على سبيل الخرافة كما أن ذاك الجبل بعل تلك الأرض .

٢ أريتك : أي أرأيت نفسك . يريد أن الزواج إنما يكون بالعقد لا بطلاق المرأة من بعلها الأول . ولا عقد له عليها فلا زواج له بها .

٣ ذاماً : عيباً .

٤ رزأتك : أصبتك بأخذ المال منك .

٥ رب كريمة : امرأة كريمة .

٦ الخافقين : الشرق والغرب .

٧ الزين والشين : الحسن والقبيح . الخلة : الفقر . السلة : السرقة . وهو مثل .

٨ مزاجها الكذب : أي الماء تمزج به ، وهو يعطيها فكاهة وليناً وقبولا . طرفة : ملحة .

تـُحفة. فإن كنتَ قد ظمِئت إلى الضَّحْل ، ونسيتَ أن لا بُدَّ دون الشهد[1] من إبَرِ النحل . فهبِ[2] المـال عندي كإحدى القـُرَض ، وربّما أرْزَأ من أستَنِضُ[3] لك منهُ العِوض[3] . قلت : قد علِم من عندهُ علمُ الغَيب ، أن هذه الطـُّرفة عندي خيرٌ من نخل هَجَر وعرائس الحُصيب . فاعتنقني كمَن[4] تملّق ، وقال : كلانا أفلَسُ من ابن المُذلـّق ، فمن أحرَزَ المـال فعليه[5] الإنفاق يُعَلـّق[6] . قلتُ : أنا والمال في يديك ، وكلانا لك وإليك . قـال : حيّاك اللهُ فسنستبدلُ الجمرَ بالتمر[7]، ولكن اليومَ خمر ، وغداً أمر . فقضيناهُ يوماً صفا زلالـهُ ، وغابَ عُذّالـه . إلى أن آذَنت الشمس بالأُفول ، وهمَّ النجمُ بالقـُفول . فجلسنا على الطعام معاً ، ثم أخذ كلٌّ منا مضجعاً . وطَفِقَ الشيخُ يُطرفنا من القِصَص ، بما يُسيغ الغُصَص . ومـا زال كذلك مذ أطبَقَتِ الجَونة على الصُّمَير ، حتى أقبلَ فحمةُ بنُ جُمَير . فرانَ على جفني الكرى ،[8] حتى سقطتُ على الثرى ، كحلولَ العُرى ،لا أسمع ولا أرى. فلم أنتبه إلاّ وقد ذرَّ قـَرْنُ الغزالةِ الضاحي ، ولا رجلَ ولا امرأةَ في تلـك الضواحي .[9]

١ تحفة : هدية . الضحل : الماء القليل ، يريد به المال الذي أخذه منه .

٢ هب : احسب .

٣ أستنض : أحصّل . يقول إن كنت قد أسفت على دراهمك التي أخذتها منك فاحسبها قرضة عندي إلى أن أصيب أحداً بمكر فأحصل لك عوضها منه .

٤ هجر : بلد في اليمن يوصف بكثرة النخل . الحصيب : موضع في اليمن يوصف بحسن النساء .

٥ تملق : أراد أن يلاطفني . ابن المذلق : رجل من بني عبد شمس لم يكن عنده قوت ليلة فسار مثلا في الإفلاس .

٦ من كان المال معه فهو ينفق على أصحابه .

٧ الجمر عندهم كناية عن الشر والتمر كناية عن الخير .

٨ الجونة : اسم للشمس عند غروبها . الصمير : مكان غروب الشمس . فحمة بن جمير : نصف الليل . ران : غلب . الكرى : النعاس .

٩ قرن الغزالة الضاحي : قرن الشمس أول ما يبدو منها عند طلوعها. والضاحي: الظاهر . الضواحي : النواحي .

فاستعذتُ بالله من مَكرهِ ونُكرهِ ، وثُرتُ إلى الناقة لأرتحل في إثْرهِ . فلما دنوتُ من قَتَبها ، إذا رُقعةٌ قد كُتِبَ بها[1] :

قُلْ لسُهيل إذ يَهُبُّ في السَّحَر : إعذِرْ فخيرُ الناسِ عندي من عَذَر!
خُلِقتُ مطبوعاً على كيدِ البشر ، وليس للإنسان تغييرُ الفِطَر[2]
ولا يُعانِد القضاءَ والقَدَر إلاَّ الذي عصى الإله أو كفر
وإنْ تجد سيّئةً في ما نَدَر فكم وكم حسنةٍ في ما عَبَر !
وإنْ يكن غرّك منها ما ظهر ، فتلك لا علمَ لها ولا خبر
إلاَّ الذي علّمتُها في ما استتَر فإن تُرِد صاحبَ هذه الغُرَر ،[3]
فخُذ أباها ! إنه أمُّ العِبَر والمَهرُ من أمسِ إليه قد حَضَر
جرياً على المفروض من حظّ الذكَر

فلما قرأت تلك الرقعة ، عَجِبتُ من تلك الرَّقاعة[4] ، وعلمتُ أنه لا يحولُ عن هذه الصّنعة ، ولا يتركُ هذه الصناعة . فشكرت نعمتَه إذ لم يأخذ الناقة ، ورجعتُ أدراجي لِما اعترضَ دونَ سفري من الفاقة .

---

١ قتبها : رحلها . رقعة : صحيفة .

٢ الفطر : جمع فطرة وهي الخلقة التي خلق عليها الإنسان .

٣ إذا كان غرك من ليلى ما رأيته من فصاحتها فهي لا تعرف شيئاً من ذلك ، وإنما أنا علمتها إياه خفية .

٤ الرقاعة : الحماقة .

المقـــامة الخامسة عشرة

وتعرف بالرملية

قال سهيلُ بنُ عبَّادٍ : حللت بالرملة[1] لوَطَرٍ أَقضيه ، ودَينٍ أقتضيه . فأقمتُ بها شهراً ، وكنت أحسبهُ دهراً . حتى إذا بلغتُ اللدُنَّة[2] ، خرجتُ تحت الدُّجُنَّة . وكان الشهر قد وقع في الأنين ، فاعتسفت بين الشكّ واليقين ،[3] أتجانفُ تارةً ذات الشمال وأُخرى ذات اليمين . وما زلتُ أخبطُ الظلماءَ ،[4] حتى أقمرتِ السماءُ . فتبينتُ وجهَ الهدى ، وإذا أنا أمشي على مثل المُدى ،[5] من حِرار تلك الكُدى . فوقفتُ كالحائر اللَّهِف ، لأنظرَ من أينَ تُؤكل[6] الكتف . وإذا ركبٌ يضربون أكباد الإبـــل[7] ، وفي صدرهم شيخ ينشد بصوتٍ[7] زَجِل :

يا مَن يَرى ما لا يُرى ولا يُرى ويعلَمُ السّرَّ وأخفى في الورى ،[8]

---

١ الرملة : البلدة المعروفة .

٢ اللدنة : الحاجة .

٣ الدجنة : الظلمة . كان الشهر قد وقع في الأنين : يكنون بذلك عن دخوله في العشرين وما يليها لما فيها من الغنة كالأنين . ومراده أن القمر كان يتأخر طلوعه . اعتسفت : مشيت على غير طريق .

٤ أتجانف : أميل . أخبط : أمشي على غير هدى .

٥ المدى : السكاكين .

٦ حرار : جمع حرة وهي أرض فيها حجارة سود نخرة . الكدى : الأراضي الغليظة .

٧ لأنظر من أين تؤكل الكتف : أي لأنظر من أين ينبغي أن يسار . وهو مثل في استبانة الأمر المبهم . ركب : جمع راكب . يضربون أكباد الإبل : يسوقونها سوقاً عنيفـاً .

٨ لا يرى : معطوف على يرى الأولى أي يا من يرى ولا يراه أحد . الورى : الخلـق .

دَعوتُكَ اللهُمَّ إذ طالَ السُّرى ، ومالتِ الأعناقُ من خمرِ الكَرى
يَسِّرْ لنا رزقاً من العرشِ جَرى أو فاهدِنا لبابِ رزقٍ يُعترى [1]
نَعْدُ إليه مثلَ عَدْوِ الشَّنْفَرى [2]

قال : فلما سمعتُ ذلك الدعاءَ خَشيتُ أن يُستجاب ، وأكون أنا ذلك الباب . فوقعتُ في حيصَ بيصَ ، إذ لم أجد لي من محيصَ . ولم يكن إلاَّ [3] كنغبة طائر ، حتى حملَ عليَّ كالثائر . وقال : قد أنجح ربُّك الطلب ، فخلِّ [4] عن السَّلَب [5]. حتى إذا كاد يُدرِكني بسِنانِه ، أخذت جاريةٌ بعنانه ، وقالت : بتربة خزامٍ دَعْهُ يمضي لشانه . فلما آنستُ رَيَّا الخزام ، تفرَّستُ فإذا ميمونٌ وليلى والغلام . فاطمأنَّ هنالك قلبي ، وانفثأت [6] لوعةُ كَرْبي . ونزلنا جميعاً على تلك السِّلام ، وتطارحنا السَّلامَ بالسُّلام . وقضينا ثميلة ليلنا البارح ، [7] إلى أن صَدَحَ الصادح ، وسكَتَ النابح [8]. فقال : إنَّا نريد الرملة ، فهل أنت في الجملة ؟ قلت : إنَّ العَودَ مع مثلك أحمَد ، ولو إلى بُرقة ثَهْمَد [9]. وقمنا نسيرُ الوَحى ، فدخلناها رائعةَ الضحى . وإذا أنا قد كنتُ أمشي مِشيةَ [10]

---

١ يعترى : يقصد .
٢ الشنفرى : رجل من بني الأزد قيل له الشنفرى لعظم شفتيه . وهو صاحب لامية العرب موصوف بسرعة الركض .
٣ وقعت في حيص بيص : في ارتباك لا مخرج لي منه . محيص : مهرب .
٤ نغبة طائر : أي مهلة ما يشرب الطائر . الثائر : صاحب الثأر الذي يقوم لأخذه .
٥ فخل عن السلب : أي اترك ما معك من الأمتعة .
٦ يقال : انفثأت القدر : أي انطفأت رغوتها .
٧ السلام : الحجارة . السلام : عظام الأصابع أراد بها الأيدي مجازاً . ثميلة : بقية .
٨ كنى بذلك عن طلوع الصبح لأن الطائر يترنم عند الصبح والكلب يمسك عن النباح .
٩ يقول إن العود إذا كان مع مثلك فهو محمود ولو كان إلى مكان بعيد مثل برقة ثهمد .
١٠ الوحى : سريعاً . الضحى : أي بياض الضحى .

الرّحى[1]، ولما ألقينا العصا، أخذ الشيخ يتجهّز لطَرق الحَصي. ثم قام بي يتفقّد المعاهِد، ويتعهّد المشاهد. حتى انتهينا إلى مكتبة مكتظّةٍ بالطلبة فتخلّلنا المقام، وقلنا: سلاماً! قالوا: سَلام. وكان بينهم شيخٌ قد لبسَ العمائم الثلاث[2]، فأشار إلى بعض أولئك الأحداث. وقال: هل تذكر الأبيات العواطِل، أم ذهبتْ عنك بالباطِل؟ فأنشد ولم يماطِل:[3]

أَلحمدُ لله الصَّمَد ... حالَ السُّرُورِ والكَمَد
الله لا إلهَ إلاّ ... اللهُ مولاكَ الأحَد
لا أُمّ لله ولا ... والِدَ لا ولا وَلَد
أوّلُ كلّ أوّلٍ ... أَصلُ الأُصولِ والعُمَد
الواسعُ الآلاء والـ ... آراء علماً والمَدَد
الحَوْلُ والطَّوْل لهُ ... لا دِرعَ إلاّ ما سَرَد[4]
كلٌّ سِواهُ هالكٌ ... لا عَدَدٌ ولا عُدَد[5]
صاحِ ادعُ مولاكَ لِما ... أوعَدَ واسأَلْ ما وَعَد[6]
واصدَعْ رداءَ اللهوِ والـ ... مكرِ ودَعْ سوءَ اللدَد[7]
واسلُ المُدامَ والمَها ... وارْمِ المِراءَ والحَسَد[8]
وامحُ رُسُوماً ما لها ... حَدٌّ ولا لها عَدَد

١ أمشي مشية الرحى: أدور وأنا في مكاني. وذلك لأنهم وصلوا في مدة يسيرة. يتجهز: يتأهب. طرق الحصى: من أعمال السحرة أي أخذ يتهيأ لأعمال مكره.

٢ يراد بالعمائم الثلاث: الشعر الأسود ثم الأشمط ثم الأبيض كناية عن بلوغ غاية السن.

٣ الأبيات العواطل: التي لا نقط فيها.

٤ سرد: نسج. أي لا وقاية إلا وقايته.

٥ عدد، بفتح العين: جيش. عدد، بضمها: أدوات حرب. أي لا شيء من ذلك يمنع الموت.

٦ يقال أوعد في الشر ووعد في الخير.

٧ اصدع: شق. اللدد: المخاصمة.

٨ المها: بقر الوحش. يكنى بها عن النساء الحسان العيون. المراء: الجدال.

وسامِحِ المَرْءَ سَهْواً   لَمَّا رماكَ أَم عَمَدْ
وادَعْ هَواكَ كارهاً   ما ودَّ واعكسْ ماطردْ[1]
واعلمْ وعلِّمْ واطَّرِحْ   أحكامَ عادٍ وأُدَدْ[2]
ودُرْ مَعَ الدَّهرِ كما   دارَ ولَوْ طالَ الأمد
وسِرْ مع الرَّوْدِ ودَعْ   حَرَّ السَّمُومِ والوَمَدْ[3]
واعدِدْ دواءَ الداءِ للـ   ـدهر وأكحالَ الرَّمَدْ
واسلُ رواءَ ماطرٍ   لماطلٍ ولو رَعَدْ[4]
للمرءِ سهمٌ مُرسَلٌ   وهماً وكم سهمٍ صَرَدْ[5]
وكم وكم حُلوٍ لَهُ   مرٌّ وكم وارٍ صَلَدْ[6]
هَولُ الحِمامِ طالعٌ   مطلعَ رَوعٍ كالأسد[7]
كأسٌ لكلٍّ دَورُها   والكلُّ للكأسِ وَرَدْ
وكلُّ عُمرٍ كالكَلا   والدَّهرُ للكلِّ حَصَدْ[8]
وكلُّ رسمٍ دارسٌ   وماهدٍ وما مَهَدْ[9]

---

١ طرد : نقيض عكس . أي كن مخالفاً لهوى نفسك .

٢ عاد : أحد آباء العرب البائدة . وأدد : أبو قبيلة من اليمن وكلاهما من جاهلية العرب . أي اطرح أحكام الجاهلية المتعسفة .

٣ الرود : الريح اللينة . حر السموم : الريح الحارة نهاراً . الومد : شدة الحر ليلا . يأمره بالملاينة والملاطفة وترك التعسف والدخول في المسالك العسرة .

٤ لا تثق بكلام الماطل الذي لا يفي بوعده ، ينبغي أن تسلو ما ترجوه منه إذ لا مطمع فيه .

٥ صرد : أخطأ . أي أن الإنسان يرسل سهام ظنه كثيراً ولكن كثير منها يخطىء ولا يصيب .

٦ يقال ورى الزند إذا أخرج ناراً فإن لم يخرج يقال صلد .

٧ روع : مخافة .

٨ الكلا : الحشيش .

٩ رسم : بقية الدار . دارس : يقال درس الرسم أي انمحى . وماهد : أي وكل ماهد .

أَللهُ ، أَهلَ اللهِ ، را ع ٍ كلَّ عَدلٍ وأَوَد
كلٌّ هواهُ عـــاملٌ واللهُ للكلّ ر ـَد

فقال : أَحسنت يا بُجَير ، يا سُلافة الدَّير . ثم نادى : يا عِكرمة ، هات أبياتك المُعجَمة . فبرز غلامٌ أنقى من العاج ، وأَجملُ من نصر بن حجَّاج.[1] وأنشد :

بشجيٍّ يبيتُ في شَجَنِ فِتَنٌ يَنتَشِبْنَ في فِتَنِ[1]
شَيّقٌ تَيّقٌ تُجُنّبَ في نَفَقٍ ضيّقٍ بقي فَفَني[3]
شَغَفٌ شَفّني بذي ثِقَةٍ نَجِبٍ شَنّ جيشَ ذي يَزَنِ[4]
شيبةٌ في شَيبةٍ خُضِبَت بشقيقٍ غَضٍّ يَنِضُّ جَني[5]
بين جَنبيَّ شُقّةٌ خَشُنَت في قضيض تُبيتُني خَشِنِ[6]
قِضتُ جَفني بيقظةٍ ثَبَتَت غِبَّ بينٍ فبِتُّ في غَبَنِ[7]
بي شَقيقٌ يغيبُ غيبةَ ذي ضَغَنٍ بيّنٍ تَجنّبني[8]
شيخُ فنٍّ فَتِيُّ شَنشِنَةٍ شَبَّ في بيتِ نُخبةٍ فبُني[9]

---

١ المعجمة : المنقطة . نصر بن حجاج : هو رجل من أهل المدينة كان بارعاً في الجمال .

٢ شجن : حزن . فتن ينتشبن في فتن : من انتشاب السهم . أي داخلة في فتن أخرى .

٣ تيق : من التوق وهو ميل النفس .

٤ شغف : شدة الحب . شفني : أنحلني . نجب : كريم . ذي يزن : ملك من ملوك اليمن .

٥ شيبة : أي لي شيبة . شقيق : يريد النبات الأحمر الزهر ، كنى به عن حمرة الدمع التي صبغت شيبته . ينض : يرشح . جني : نعت آخر للشقيق . يقال ثمر جني أي قريب العهد بالقطف .

٦ شقة : مسافة . كنى بها عن أحشائه . قضيض : مكان غليظ .

٧ قضت : من المقايضة بمعنى المبادلة . غب : بعد . بين : فراق . يريد أنه سلب النوم من عينيه وأعطاهما اليقظة بدلا من [illegible] مغبوناً في هذه المقايضة .

٨ معنى البيت : أفدي بنفسي [illegible] لي يغيب عني غيبة عدو .

٩ شنشنة : طبيعة .

ينتقي زَينَ جَنّةٍ جُنِيَت   يتّقي شَينَ ضِنّةٍ بغنيّ [1]
غَيثُ فيضٍ يَفي فينبُتُ في   قُنَنٍ بغتةً بذي فَنَنٍ [2]

فقال : حيّاك اللهُ يا بُنيّ ، وأقرّ بك عيني . ثم نادى: يا صَلمعة بن قَلمعة،[3] أين الأبيات الملمّعة ؟ فوثب يافعٌ من الأنباط ، معتدلُ الشِّطاط . وأنشد:[4]

أسمرُ كالرمحِ لهُ عاملٌ   يُغضي فيَقضي نَخِبٌ شَيّقُ [5]
مِسكُ لَماهُ عاطرٌ ساطعٌ   في جَنّةٍ تشفي شَجٍ يَنشَقُ [6]
أكحلُ ما مارسَ كحلًا لهُ   جَفنٌ غضيضٌ غَنِجٌ ضَيّقُ [7]
دُرُّ دموعٍ حولهُ كاسدٌ   في جنبِ زَيفٍ بَيّنٍ يَنفُقُ [8]
لا لِعُهودِ الودّ راعٍ ولا   في شَجَنٍ ذي فتنةٍ يُشفِقُ
ما مالَ إلاّ راعَ أحلامَهُ   خِفّةُ شَنْفٍ خَنِثٍ يَخفُقُ [9]
ولاحَ سطرُ الآسِ أكمامُهُ   بينَ شقيقٍ غَضّةٌ تُفتَقُ [10]

---

١ ضنة : بخل . أي هو يختار أطايب الفنون التي يمكن اجتناؤها وتحصيلها ولا يبخل بإفادة الناس منها لأن البخل يشين الغني فهو يتجنبه لئلا يعاب به .

٢ غيث : مطر . قنن : أعالي الجبال .

٣ صلمعة بن قلمعة : كناية عمن لا يعرف نسبه .

٤ الملمعة : التي شطر منها مهمل من النقط وشطر معجم كما ترى . الأنباط : قوم ينزلون سواد العراق . الشطاط : حسن القامة .

٥ عامل : سنان . أراد به عينه الشبيهة بالسنان في الهيئة والمضاء . يغضي : يكسر جفنه . نخب : رجل لا قلب له .

٦ اللمى : سمرة مستحسنة في الشفة يشبهونها بالمسك . ساطع : فائح الرائحة . جنة : كناية عن وجهه . شج : أراد به المحب المشتغل القلب . وحذف الياء منه في حال النصب تجوزاً .

٧ أكحل : أهداب عينه سوداء خلقة .

٨ زيف : غش . ينفق : أي دموع المحبين التي يذرفونها حوله كالدر كاسدة بإزاء غش الوشاة الذي هو نافق عنده .

٩ راع : جعله يعجب . أحلامه : جمع حلم وهو الأناة والعقل . شنف : حلية تعلق في أعلى الأذن . يخفق : يقول إن له تعقلا ووقاراً فإذا مال اضطرب شنفه في أذنه فتعجب وقاره منه .

١٠ سطر : صف . الآس : كناية عن عذاره وهو ما نبت من الشعر في صفحة وجهه . أكمامه : جمع كم وهو غلاف الزهر . تفتق : أي تنشق .

فقال : عِشتَ ونُعِشت ، يا زهرةَ البَنْجَكِشْت[1] . ثم قال : قم يا أبا الهيفاء ، وأنشد الأبيات الخيفاءَ . فقام فتًى ميمون النقيبة ، أنقى من مِرآة[2] الغريبة . وأنشد :

ظبيةٌ أدماءُ تُفني الأمَلا خَيَّبَت كلَّ شجيٍّ سألا
لا تفي العهدَ فتشفيني ولا تُنجزُ الوعدَ فتشفي العِلَلا
غَضَّةُ العُودِ تَثنَّت مَرَحاً بَضَّةُ اللمسِ تَجَنَّت مَلَلا[3]
تقتضي أحكامَ بغيٍ طالما نَفَذَت أحكامُها بين المَلا
بجبينٍ كهلالٍ فَتَنَتْ كلَّ ذي علمٍ يَزِينُ العَمَلا
في لَماها بنتُ كَرْمٍ تختشي سُكرَ جَفنٍ حُكمُهُ نقضُ الولا[4]
بينَ وردٍ شفَةٌ واردُها يبتغي الماءَ فيجني العَسَلا[5]
دُرَرٌ بيضٌ لها في أحمرٍ في سوادٍ بين مسكٍ في طِلا[6]
فِتنةٌ صمَّاءُ يثني وصلُها فِتنةَ الداء فتبغي حِوَلا[7]
شَنَّفَت سَمعَ شجيٍّ كُلَّما قَبَضَت عُوداً فغنَّت رَمَلا[8]

---

١ البنجكشت : القرنفل .

٢ الخيفاء : التي كلمة منها منقطة وكلمة بلا نقط . مأخوذ من خيف العينين وهو أن تكون الواحدة سوداء والأخرى زرقاء . ميمون النقيبة : مبارك النفس . أنقى من مرآة الغريبة : مثل يضرب في النقاء لأن المرأة الغريبة لا تزال تتعهد مرآتها وتجلوها .

٣ تثنت : تمايلت . بضة : رخصة . تجنت : من الجناية .

٤ بنت كرم : خمرة . يريد أن جفنها شديد الإسكار حتى إن الخمرة تخاف أن يسكرها .

٥ ورد : عبارة عن خدها .

٦ كنى بالدرر عن الأسنان . وبالأحمر عن اللثة . وبالسواد عن اللمى أي السمرة في الشفة . وبالمسك عن النكهة وهي رائحة الفم . وبالطلا أي الخمر عن الريق .

٧ صماء : شديدة . يثني : يرد . فتنة : بلية أو عذاب . أي أن وصلها يدفع فتنة الداء فتتحول عن المريض .

٨ الرمل : نوع من ألحان الغناء مركب من النوى والعراق .

قـال : عافاك وشفاك ، ولا فضّ فـاك . ثم نادى : يا أبا الشمطاء ، عليّ بأبياتك الرّقطاء[1] . فوثب غلامٌ من الخواص ، كدرّة الغوّاص . وأنشد :

ونديمٍ باتَ عندي ليلـةً منهُ غليلُ[2]
خافَ من صُنع جميل قلتُ : لي صبرٌ جميلُ
قُـرّةٌ لي ميلُ قلبٍ منك يا غُصنـاً يميلُ
سَيِّدي رِقّ لذلّي سَيِّدي عبدٌ ذليلُ[3]
قلبه قد ذاب من وجدٍ بـهِ ظِـلّ يسيلُ
لذّ لي حَجْرٌ قديمٌ تحتَ هجرٍ يستطيلُ[4]
قاتلي وجـهٌ بـديع زاجري عنـهُ قليـلُ

فلما استمّ الإنشاد، وقف الشيخ بالمِرصاد . وقال : أُعيذكم بالله من أعيُن الإنس وأنفس الجان ، فقد خرج من أفواهكم اللؤلـؤ والمرجان . ولقد أُباهي بكم كلّ من نطقَ بالضاد ، حتى يقال أينَ العينُ من الصاد[5] . قـال سُهيلٌ : فلما انتهت الكِنانة إلى الأهزَع ، ولم يبق في القوس مَنزَع . وثبَ الشيخ[6] ميمون ، كأنه رَيبُ المنون . وقـال : ما بالك ذكرت اللّجينَ وتركت[7] اللُّجَين[8] ، أين عاطلُ العاطل الذي لا نقطة في اسمه ولا مُسمّاهُ كالدال دون

---

١ الرقطاء : التي حرف منها مهمل وحرف معجم .
٢ غليل : حرارة العطش .
٣ عبد : أي أنا عبد .
٤ حجر : حبس عن التصرف .
٥ العين : الذهب . الصاد : النحاس .
٦ الكنانة : الجعبة التي توضع فيها السهام . الأهزع : آخر سهم في الكنانة . منزع : مصدر قولهم نزع في القوس إذا جذب وترها .
٧ المنون : حوادث الدهر . اللجين : الزبد الذي يخرج على شدق البعير .
٨ اللجين : الفضة . أي ما لك ذكرت الخسيس وتركت النفيس .

العين ؟ قال: هيهاتِ ذلك مما يخال، ولا يقال، حتى يصاغَ من الخاتم خَلخال،[1] فإن استطعتهُ جعلناك حاليَ الحالي في الحال. فصوّب الشيخ نظرَهُ وصعّد،[2] ثم اقعَنْسَسَ وأنشد:[3]

حَولَ دُرٍّ حلَّ وَرْدُ   هل لهُ للحُرِّ وِرْدُ [4]
لِحَصورٍ حُلوٍ وَصْلٍ   وِرْدُهُ للصَّحْوِ طَرْدُ [5]
ولهُ صَوْلٌ وطَوْلٌ   ولهُ صَدٌّ وردٌّ [6]
دَهْرُهُ حَرٌّ صُدورٍ   هل لهُ للهِ حَدٌّ [7]

قال: فلما اعتبر الجماعة، سِرَّ تلك الصِّناعة. تكأكأوا [8] عليه من الأمام والخلف، وقالوا: رُبَّ واحد يُعدَل بألف. وإنّا لنراك شاسع الوطن، واسع الفِطن. فخذ هذه النفَقَة عَدّاً، وإن شئتَ أن تقيمَ معنا أجرينا عليك[9] ماءً عِدّاً. قال: حبّذا لولا دَينٌ أثقلَ حاذي، وحال دون نفاذي. وهذا[10] غريمي قد لصِقَ بي كالقار، ولو هبطتُ إلى النار، حتى أسعى لهُ بمائة الدينار.[11]

---

١ العاطل: هو الحرف الذي لا نقطة له. مأخوذ من عطل المرأة وهو خلوها من الحلي. ونقيضه الحالي وهو المنقط. مأخوذ من الحلية وهي ما يتزين به من الذهب والفضة.

٢ حالي الحالي في الحال: أي لا ينظم شعر من هذا النوع ولا يبنى كلام حتى يصاغ من الخاتم خلخال. صوب: أحدر. صعد: رفع.

٣ اقعنسس: أخرج صدره وأدخل ظهره.

٤ در: عبارة عن الأسنان. حل: نزل. ورد: عبارة عن الخد. هل له للحر ورد: هل للرجل الكريم ورود إليه.

٥ يعني أن هذا الدر والورد لشخص حصور أي بخيل ضيق الخلق.

٦ صول: سطوة. طول: غلبة.

٧ أيَ كل أيامه حرارة لصدور المحبين فهل له حد يقف عنده.

٨ تكأكأوا: اجتمعوا.

٩ عداً: معدودة أي محصورة في عدد معلوم.

١٠ عداً: لا ينقطع. أي جعلنا لك نفقة جارية مستمرة. حاذي: ظهري.

١١ غريمي: الإشارة إلى سهيل. يدعي أنه هو غريمه الذي له الدين. حتى أسعى له بمائة الدينار: أي بمائة الدينار المعهودة. إشارة إلى أن له عليه هذا القدر.

قال : فنقدوني مائةَ نَدَرى ، وقالوا : قد صادفتَ قدَراً ، فاتخِذ لوِردك[1] صَدَراً [2] . فشكر الشيخُ ذلك الامتنان ، وأنشد بصوتٍ مِرنان :

ساعدوني على جميلِ الثناء عن جميلٍ أضاع حقَّ الوفاء
وهَبُوني قلباً يقومُ أمامي، فأنا قد تركتُ قلبي ورائي!
بشّروا زوجتي وأمّي وأختي ، وغُلامي براحة وهناء !
فعلى الرملة ابتنيتُ عهُودي ، وعلى الدرس قد عقدتُ وَلائي[3]

قال : فأُعجِبَ القومُ بأبياته المُخيلة ، ولم يأبهوا لما فيها من الدخيلة .[4] ثم ضرب الشيخ لهم موعِداً ، وودّعهم مرتعداً، وخرج من بينهم وعَدا. فلما بِنّا ، وأَمِنّا.قال:يهنئك المغنمُ البارد ، فربَّ ساعٍ لقاعد . وإن الحسنات[5] يُذهِبن السيئات ، فاغتفِرْ ما فات . لكنِ اغرُبْ إلى حيثُ لا مُناقِش،[6] لئلاّ يفرُطَ منك بادرة فتجني على أهلها براقِش[7]. وأنا غداةَ غدٍ أخرُجُ من

---

١ يقال : أعطاه مائة ندرى أي أخرجها له من ماله . قدراً : عناية من الله .

٢ صدراً : رجوعاً . أي اكفف عن ملازمته .

٣ يحتمل أنه يراد بالرملة اسم البلد فيكون البناء صحيحاً . وقطعة الرمل فيكون ساقطاً . وكذلك الدرس يحتمل أن يكون من مراجعة القراءة فيشير إلى حفظ العهد . ومن المحو كما في قولهم درست الريح رسم الدار فيشير إلى نكثه .

٤ المخيلة : الموهمة . الدخيلة : الدسيسة الباطنة .

٥ بنا : أبعدنا . أمنا ، من الأمن : أي أمنا أن يطلع أحد على ما نتكلم به . المغنم البارد : الغنيمة التي نلتها بلا تعب يعني الدنانير . رب ساع لقاعد : أي رب شخص يسعى لأجل آخر قاعد عن السعي .

٦ مناقش : محاسب .

٧ بادرة : ما يسبق به اللسان . مثل أصله أن قوماً كانوا هاربين من وجه أعداء لهم وكان لهم كلبة يقال لها براقش . فبينما هم يسيرون ليلا نبحت وكان الأعداء بالقرب منهم يفتشون عنهم فاهتدوا إليهم بنباح الكلبة وأوقعوا بهم فسار بها المثل . يقول لسهيل أن يعتزل إلى مكان لا يخشى فيه رقيباً يحاسب عليه في مكره لئلا يسقط بكلمة فيعرف القوم أنه قد مكر بهم .

المحيط ، وأدَعُ القوم ينتظرون حتى يرجعَ نَشيط . ثم كَبَّرَ واستغفر ،[1] وأنشد حين أدبر :

رأيتُ الناسَ قد قاموا على زُورٍ وبهتانِ !
فلا يَرعَونَ ميثاقاً ، ولا حُرمةَ إحسانِ !
فإن راعيتَ إنساناً فما أنت بإنسانِ

قال سُهيلٌ : فتركتهُ وانطلقتُ من هناك ، ولم أدرِ ماذا فتَكَ بعد ذاك .

١ أخرج من المحيط : أخذه من محيط الدائرة . أي اخرج من دائرة البلد . نشيط : بناء بنى لزياد ابن أبيه داراً بالبصرة وانصرف إلى مرو قبل إتمامها ، فكان ينتظر رجوعه وكلما قيل له تمم دارك ، يقول : حتى يرجع نشيط من مرو . فذهب قوله مثلا .

المقـــامة السادسة عشرة

وتعرف بالصورية

قال سهيلُ بنُ عبّادٍ : لفظتني الثُّغور، إلى مدينة صُور . فحللتُها شهراً[١] أجرَد ، في سنة جرداء ، وكنت يومئذٍ فتًى أمرد ، فطفتُ كلَّ شجراءَ[٢] ومَرْداءَ . حتى دخلتُ يوماً إلى حديقة، في إبّان وديقة . وإذا القاضي جالس[٣] على قطيفة ، كأنه الإمامُ أبو حنيفة . فبينما طارحتهُ تحيَّةَ الأُدباء، وأخذتُ[٤] مجلساً على تلك الحصبـــاء . إذ دخلت امرأةٌ سادلة القناع ، سابغة اللفاع ،[٥] فاسترْعَتِ السَّماع ، وقالت :[٦]

يا قاضيَ العدلِ الكريمَ المُنصِفا ، إنَّ أبي في جَورِه قـد أسرَفا!
أَقعَدَني عن الزواجِ عُنُفـــا ، وليس يكفيـني ولو تَقَشُّفا[٧]
فانظُر لنـا حُكماً إلى اللهِ صَفا، أَوْ لا، فإنَّ اللهَ حَسبي وكفى !

---

١ لفظتني : طرحتني . الثغور : مواضع الحرس من العدو .
٢ أجرد : كاملا . جرداء : جديبة مقحطة . شجراء : أرض ذات شجر .
٣ مرداء : أرض لا شجر فيها . إبان : معظم . وديقة : شدة حر .
٤ قطيفة : دثار مخمل . أبو حنيفة : هو النعمان بن ثابت الإمام الأعظم في علماء الفقه .
٥ الحصباء : الحصى . سابغة : طويلة . اللفاع : ما تلتف به .
٦ استرعت السماع : طلبت أن يسمع لها .
٧ عنفاً : قهراً . تقشفاً : كفافاً من القوت .

قال: وكانت بين ذلك تخطِرُ كالسَّمهريّ، وتفتَنُّ في إنشادها كالبحتريّ.[1] ففتَنَتْ بافتنانها من حضَر، واستهوت[2] القاضي فجعل يخالِسُها النظر. فلما فرغت من إنشادها أطرق إطراق المرتاب، وقال: شرٌّ أهَرَّ ذا ناب[3]، فمن هذا الظالم الذي لا يعرف السُّنَّة والكتاب؟ قالت: هو شيخٌ يَفَنٌ[4]، قد صار جلده كالسَّفَن[5]، يضمُّني إلى أضلاع له كالنعش فتغشاني لحيتُه كالكَفَن. ولقد خطبني كِرامُ الأصهار، فأبَى إلاّ أن أكون منه معقِدَ الإزار.[6] وهو فقيرٌ يتمنى الفَلْسَ، وتغلبهُ عِزَّةُ النفس. فيعتفد، ولا يسترفد.[7] ويذوب غليلًا، ولا يستسقي خليلًا. ويُغضِي على القَذى، ولا يشكو الأذى.[8] ويتبلَّغ بالثُّوَيناء، على الهُوَيناء. ويقنعُ من الشراب، بالسَّراب. فتراه[9] يكظم الغَيْظ، ويتبرد بالقَيْظ، ويرضى من البَيْض بالبَيْظ. وأنا فتاةٌ غضَّة[10]

---

١ السمهري: الرمح، نسبة إلى سمهر وهو رجل كان يقوم الرماح. تفتن: تأخذ في طرق مختلفة. البحتري: شاعر مشهور.

٢ استهوت: دعته إلى الهوى.

٣ الهرير: صوت الكلب إذا فزع من شيء. وذو الناب هو الكلب هنا. والعبارة مثل، والمعنى: ما جعل الكلب يهر إلا شر عرض له. أي أن هذه الجارية ما جعلها تشكو هذه الشكوى إلا ضيق أصابها.

٤ يفن: بال.

٥ السفن: هو جلد خشن غليظ يجعل على قوائم السيوف.

٦ مثل يكنى به عن القرب.

٧ يعتفد: يغلق بابه عليه حتى يموت جوعاً ولا يسأل الناس. يسترفد: يستعطي.

٨ غليلا: عطشاً. يستسقي: يطلب الماء. يغضي: يغمض جفنيه. القذى: ما يقع في العين من غبار ونحوه.

٩ يتبلغ: يقتات. الثويناء: ما يرش من الدقيق تحت العجين عند رقه على اللوح. الهويناء: السهولة. السراب: ما تراه نصف النهار كأنه ماء.

١٠ القيظ: حر الصيف. البيظ: بيض النمل. غضة: رطبة.

الشباب ، لا تُشبِعُني كُشَى الضِّباب ، ولا أرضى بخَلَق الجِلباب . ولطالما[1] حرصتُ على بِرِّه ، فطويته على غرِّه ، وكلّفتُ نفسي كتم سِرِّه . حتى[2] صِرتُ أهزَلَ من الجَوزَل ، وأجوعَ مَن كلبة حومَل . فاعتبِر ما جرى،[3] واحكم بما ترى . فأكبر القاضي شكواها ، وأوى لبلواها[4] . وقال : يا أمَةَ اللهِ صبراً ! فإن مع العُسر يسراً . وما أتمّ كلامه إلاّ وأبوها قد أقبل ، وقال : يا مولايَ لا تكن كقاضي جُبُّل . وأنشد :[5]

ما كذبَتْ ولا بها من عارِ ! لكنّ ذاك ليس باختياري
فإنها من أحسَنِ الجواري بديعةٌ في أعيُنِ النُّظّارِ !
كالشمس في رائعةِ النهار فصُنتُها كدُرّةِ البحارِ ![6]
حتى أرى كُفْأً من الأصهارِ ، وإنني شيخٌ غريبُ الدارِ
صَفْرٌ من الدِّرهمِ والدينارِ أنتظِرُ العفوَ من الأحرارِ[7]
وأحسِنُ الصبرَ على الأقدارِ فاحكُمْ بما ترى ، ولا تُمارِ !

ولما فرغ الشيخ من أبياتهِ ، قال : شهِدَ اللهُ أن موت الذليل خيرٌ من

---

١ كشى : جمع كشية وهي شحمة تكون في أحشاء الضّب . الضباب : جمع ضب وهو دويبة صغيرة .

٢ بره : حسن القيام بحقه علي وهو ضد العقوق . الغر : أثر الطي في الثوب . يقال طويت الثوب على غره أي على مكسره الأول .

٣ الجوزل : فرخ الحمام قبل أن ينبت ريشه . حومل : امرأة من العرب كان لها كلبة تربطها في الليل لتحرس بيتها وتطردها في النهار لتلتمس لها طعاماً . فلما طال عليها ذلك أكلت ذنبها من الجوع فصارت مثلا .

٤ أكبر : عظم . أوى : رق .

٥ جبل : اسم مدينة كان بها قاض يحكم للخصم الواحد إذا حضر مجلسه ، فإذا جاء الآخر ينقض حكمه الأول ويحكم بخلافه .

٦ رائعة النهار : معظمه وأفضله .

٧ صفر : خال . العفو : ما يأتي بغير طلب .

حياته . واني قد كنتُ نُشبة، فصرت عُقبة . وطالما كنت اكلّل القِصاع،[1] وأجِمُّ الكَيْلَجة والصاع[2] . حتى استولتِ النُّحوس ، وخلَتْ قِدْرُ بني سَدوس . فأنكرني الصميمُ والحميمُ ، وجفاني السمير والنديم، فيا ليتني متّ[3] قبل هذا البلاء العظيم . قال : وكان القاضي قد أُشرِبَ قلبُهُ حُبَّ فتاته ، لما رأى من بلاغتها وسَمِعَ من صفاته . فقال : يا هذا إنك قد أثِمتَ بحبسك هذه الحرّة! أما سَمِعتَ أنّ امرأةً دخلت النارَ في هِرّة[4] ؟ فخذ هذه الخمس المِئِين ، ودَعِ الفتاة عندي في قرارٍ مكين ، إلى أن يأتيَ اللهُ بالفتح المبين . فأذعَنَ الشيخ لحكمه ، على رغمه . وقال : عَلِمَ اللهُ أني ما كنتُ لأرضى بِدون[5] ، ولكن إذا لم يكن ما تريدُ فأرِدْ ما يكون. ثم انثنى إلى وَداع ابنته ، ودمعه يسيل على وجنته . وأنشد :

للهِ يا ليلى اذكُري أباكِ ... إذا رأيتِ فَقرَهُ أغناكِ[6]
أثني على القاضي الذي أحياكِ ... بلطفهِ ، فإنهُ مولاكِ !
وانني هيهاتِ أن أراكِ !

---

١ كنت نشبة فصرت عقبة : مثل . أي كنت إذا نشبت برجل أصبته بما شئت واليوم قد أعقبت ورجعت . يقال قصعة مكللة إذا كانت مغشاة بقطع اللحم .

٢ أجم المكيال : ملأه إلى رأسه . والكيلجة : مكيال يأخذ أربعة أرطال . والصاع : مكيال يأخذ ثمانية .

٣ بنو سدوس : قبيلة من العرب كان لهم قدر عظيمة تسع جزورين . وكان الطم بن عياش السدوسي يطبخ فيها ويطعم الناس حتى مات فلم يخلفه أحد في ذلك فقيل : خلت قدر بني سدوس . الصميم : الخالص النسب .

٤ هو حديث يقول : إن امرأة دخلت النار في هرة حبستها فلا أطعمتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض .

٥ دون : شيء دني .

٦ أي أنها قد اتصلت إلى السعادة عند القاضي بسبب فقر أبيها .

قال سُهيلٌ : وكان الشيخ قد تنكَّر فاشتبهتُ ، إلى أن ذكر ليلى [1] فانتبهْتُ . لكنني ضربتُ عنه صفحاً ، لعلّي أرى لذلك المتن شرحاً . فلما انصرف أشار القاضي إلى بعض حَشَمِه ، أنْ ينطلق بالفتاة إلى دار حرَمِه . فبوّأها صَهْوة مهرة غرّاء ، وأخذ بها يخترقُ الغبراء . حتى إذا مرّت على دَسكَرة ، [2] وقفت مستنكرة . وقالت : يا فُلُ قد أنهكني اللغَب ، وأهلكني السَّغَب . [3] فهل تتركني ريثما أستجِمُّ من القلق ، وتُدرِكني بما يمسِكُ الرَّمَق ! فلبّى [4] وانطلق . قال : وكنت قد تبعتها بناقتي عن كثَب ، حتى لم يكن بين السرج والقتَب ، إلاّ كما بين الرَّتَب والعتَب . فلما لوى عِذاره قالت : يا سُهيلُ [5] تلقّفْ مني ، وأبلغ الغلامَ عني :

شيخٌ أَشدُّ جنوناً   من دُقّة بنِ عُبابَه [6]
قد خاتَلَتهُ فتاةٌ   واستجْهلَتْهُ صَبابَه [7]
فحيِّ شيخَكَ عني ،   وقلْ متى جئتَ بابَه :
ميعادُنا يومُ حشرٍ   إذا استجدّ شَبابَه ! [8]

---

١ تنكر : غير زيه . ذكر ليلى : حين قال : يا ليلى اذكري أباك .
٢ دسكرة : مزرعة .
٣ يا فل : يا فلان ، وهو يستعمل في النداء . اللغب : التعب . السغب : الجوع .
٤ أستجم : أستريح . الرمق : القوة .
٥ القتب : أي قتب ناقتي وهو رحلها . الرتب : ما بين السبابة والوسطى ، والعتب : ما بين الوسطى والبنصر . لوى عذاره : أي أمال وجهه عنها .
٦ رجل يضرب به المثل في شدة الجنون .
٧ خاتلته : خدعته . استجهلته : جعلته جاهلا . صبابة : شوق .
٨ تقول لغلام القاضي أن يقول له إنها لا ترضى به ، وهذا على سبيل التهكم .

ثم عَصفَت بمطيّتها كما انتشبَ السهم ، أَو كما خَطَرَ الوهم . فعلّقتُ[1] الأَبيات في رُقعة ، وأَودعتُها تلك البقعة . وانطلقتُ في أَثر الفتاة إحضاراً،[2] فلم أَلحق لها غباراً ، ولا عرفتُ لها قراراً . فخرجتُ من الديار الشاميّة ، وأنا أَحتسبُ اللهَ على الفِتَن الخزاميّة .[3]

---

١ عصفت : أسرعت . الوهم : الفكر .
٢ إحضاراً : ركضاً شديداً .
٣ أحتسب : أي أقول الله حسبي بمعنى أنني أستعيذ به . الخزامية : المنسوبة إلى ميمون بن خزام وصاحبيه .

المقـــامة السابعة عشرة

وتعرف بالحكمية

أخبر سهيلُ بنُ عبّاد قال : خرجتُ في قافلة ، بعِصابةٍ حافلة . فكُنّا نصِلُ الإسآدَ بالتأويب ، ونراوحُ بين الإهذاب والتقريب . حتى أفضَت بنا[1] الرّحلة ، إلى شاطىء دِجلة . فنزلنـا القضُّ والقضيض ، في أكناف[2] ذلـك الخضيض . فراقتنا فاكهتهُ وفُكاهتهُ ، وشاقتنا نزهتهُ ونزاهتهُ . فأقمنا ثلاثاً[3] نجتني قطوفَ أفنانهِ الميلاء،ونشربُ صافيَ تلك الجُجَيلاء . حتى إذا أزِفَ[4] الرحيل ، وزُمَّتِ الهَجْمَةَ والرعيل . قيل : هذا يوم النيروز،ولا بدَّ للناس[5] من البروز. فلبَّدَ القيرَوانُ عَجاجتهُ،وبلَّدَ لحاجتهُ. ولما ألقت الغزالةُ لعابها،[6] وضَرَبَتِ الضُّحى أطنابها نفرَ القوم ثُباتٍ في تلك الرباع ، وانتشروا[7]

---

١ الإسآد : سير الليل كله . التأويب : سير النهار كله . الإهذاب : الركض الشديد . والتقريب : المشي السريع دون الركض .

٢ فنزلنا القض والقضيض : أي بأجمعنا . ويقال : القض الحصى الصغار والقضيض الحصى الكبار ، وهذا مأخوذ منه أي نزلنا صغارنا وكبارنا . أكناف : جوانب .

٣ فكاهته : طلاوته . نزاهته : نظافته .

٤ نجتني قطوف أفنانه الميلاء : نقطف ثمار أغصانه المائلة ثقلا . الحجيلاء: الماء الذي لا تصيبه الشمس.

٥ الهجمة : جماعة الإبل . الرعيل : جماعة الخيل . النيروز : موسم يكون في أيام الربيع فيخرج الناس فيه للتنزه .

٦ لبد القيروان عجاجته أي سكنت القافلة غبارها . وهو مثل . يقال : لبد فلان عجاجته أي عدل عما كان قد عزم عليه . بلد : من البلادة وهي ضد الحدة . لعابها : شعاعها .

٧ الضحى : جمع ضحوة وهي ارتفاع النهار . نفر : انتشر . ثبات : جماعات . الرباع : جمع ربع .

مَثنى وثُلاث ورُباع . فلما انتظمت الفِئام ، وجلست القِيـامُ في الخيام . [1]
نُحِرَت الجُزُرُ وشُبّت النار ، وفاحَ العُثان والقُتار . وأخذ القوم في [2]
تداول الألحان ، وتناول بنت الحان . إلى أن نثر الأصيلُ على نور الشمس [3]
نَوْرَ البَهار، وكاد جُرف النهار ينهار . فنهضنا، من حيث ربَضْنا، وأقبلنا، [4]
إلى حيث قابَلْنا[5] . وإذا موكِبٌ من الرجال ، قد ازدحموا على شيخٍ بالٍ رَثّ الجسم والسربال[6] ، وهو قد أنّ من شدّة الكَلال ، وشرعَ يوصي رجلاً بين يديه فقال : يا بنيّ لا تسلّم نفسك إلى هواك ، ولا تستودع سِرّك سِواك . ولا تفوّض أمرك ، إلاّ لمن يعرفُ قدرَك . ونزّهْ نفسك عن الخسائس[7]، وقلبك عن الدسائس . واحفَظ لِسانكَ من الخلل ، قبل أن تحفظ رِجلك من الزَّلل . واقتصد ، في ما تعتمد . ولا تستعجل ، في ما تستعمل . ولا تهرِف[8]، بما لا تعرف. ولا تطمع، في ما تجمع، ولا تصدّق كل ما تسمع. ولا تنقل القدَم ، إلى ما يُعقِب النَّدَم . ولا تمشِ في الأرض مَرَحاً[9]، ولا يستفزّك[10] الدهرُ فرَحاً أو ترَحاً ، ولا تمتهِن الضعيف الساقط ، ولو كان ماقط بنَ لاقط . ولا يكن حبُّك كلفاً ، ولا بغضُك تلفاً[11] . وإذا استغنيتَ

---

١ الفئام : الجماعات .

٢ نحرت : ذبحت . العثان : الدخان . القتار : ما يفوح من بخار اللحم على النار .

٣ بنت الحان : الخمرة . الأصيل : آخر النهار بعد العصر .

٤ النور : الزهر . والبهار : نبات له زهر أصفر . كنى بذلك عن اقتراب زوال الشمس . الجرف : المكان المرتفع الذي أخذ السيل جوانبه . ربضنا : جلسنا .

٥ أي إلى المكان الذي قابلناه .

٦ السربال : الثوب .

٧ الخسائس : الأمور الدنية .

٨ لا تهرف : أي لا تتكلم .

٩ مرحاً : نشاطاً وبطراً .

١٠ يستفزك : يستخفك .

١١ يقولون فلان ماقط بن لاقط أي خسيس دني . واللاقط هو العبد المعتق. والماقط عبد اللاقط فيكون عبد العبد . كلفاً : غراماً . لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً: أي إذا أحببت فلا تكن عاشقاً ، وإذا أبغضت فلا تكن عدواً . يريد التوسط في ذلك .

فلا تبطَر ، وإذا افتقرت فلا تضجَر . وإذا ابتُليتَ فاصطَبِر ، وإذا رأيتَ العِبرة فاعتبر . وإذا أردتَ أن تُطاع ، فسَلْ ما يُستطاع . وإذا حدَّثتَ فعليك بالإيجاز ، ولا تُلبِّس الحقيقة بالمجاز ، ولا تَعِد إلاَّ وأنت قادرٌ على الإنجاز . ولا تبادِر بالجواب ، قبل استيفاء الخِطاب . ولا تقضِ الدَّينَ بالدَّين ، ولا تطلب أثراً بعد عين . واعلم أنَّ لكلّ صارمٍ نبوة ، ولكلّ جوادٍ[1] كبوة ، ولكلّ عالم هفوة[2] . ولكلّ مقام مقال ، ولكلّ دهرٍ رجال . ولكلّ قضاءٍ جالب ، ولكلّ دَرٍّ حالب . ومن حسُنت سريرتُه ، حُمِدت سيرته . ومن أطاع غضَبَهُ ، أضاعَ أدَبَهُ . ومن تأنَّى ، نال ما تمنى . ومن سعى ، رعى . ومن جال ، نال . ومن قلَّ ، ذلَّ . والحرُّ حُرٌّ ، وإن مسَّهُ الضُرُّ[3] . والكذِبُ داءٌ ، والصِّدقُ شفاءٌ . وطعنُ اللسان ، كوَخزِ السِّنان . وظنُّ العاقل ، أصحُّ من يقين الجاهل . والظَّمَأُ القامح ، خيرٌ من الرِّيِّ الفاضح .[4] وعليك بالمحاجَزة ، قبل المناجَزة . وبالإيناس ، قبل الإبساس . وبالعتاب ،[5] قبلَ العِقاب . واستعِذْ باللهِ من الشيطان الخنَّاس[6] ، الذي يوَسوِسُ في صدور الناس . قال : فلما استتمَّ كلامه قال : انه من سُليمان ، وانها لمن وصايا لقمان .[7]

---

١ ولا تطلب أثراً بعد عين : مثل قاله مالك بن عمرو العاملي عندما عرض عليه قاتل أخيه أن يأخذ مائة من الإبل ويتركه . صارم : سيف قاطع . نبوة : كلال . جواد : فرس كريم .

٢ كبوة : عثار . هفوة : زلة .

٣ رعى : صادف المرعى . جال : طاف في الأرض .

٤ الظمأ : العطش . والقـامح : اسم فاعل من قولهم قمح البعير أي اشتد عطشه حتى فتر شديداً .

٥ المحاجزة : الممانعة . المناجزة : المبارزة والقتال . أي عليك بالمسالمة قبل المعاجلة في الشر . الإبساس : هو أن يقال للناقة عند الحلب بس بس لتسكن وتدر . والمعنى عليك بالمؤانسة اصاحب الحاجة قبل طلبها .

٦ الخناس : الذي عادته أن يخنس أي يتأخر إذا ذكر الإنسان ربه .

٧ إنه من سليمان : أي أن هذا الكلام الذي تكلم به هو من سليمان بن داود صاحب الحكمة الشهيرة . يريد أن يشبه نفسه به . لقمان : حكيم العرب . أوصى بنيه عند وفاته وصية جليلة .

فادرُسها كلما شهِدتَ الشهر ، واذكر شيخك الذي اعتركَ الدهر ، وقلّب أهلهُ البطنَ والظهر ، فعرف منهم السّرّ والجهر . ثم ثاب إليه بعضُ الرمَق فتجلّد ، ورأرأ بحدَقتَيه[1] وأنشد :

إني لقد جرّبتُ أخلاقَ الورَى حتى عرفتُ ما بدا وما اختفى
كلٌّ يَذُمُّ الناس ، فالذي نجا من ذمّهِ يدخُلُ في ذمّ الملا[2]
والمرءُ مطبوعٌ على البخلِ إذا جادَ ، فجودُهُ عن العرض فدى
يُريدُ أن يغترفَ البحرَ ولا يتركَ منهُ قطرةً تُروي الظما
ينسى من المحسِن طوداً قد رسا ، وليس ينسى ذرّةً ممّن أسا
ولا يُحبُّ غيرَ نفسِهِ فما أحبّهُ فهْوَ إلى النفس انتهى[3]
يعرفُ كلٌّ حالهُ في ما مضى إلاّ الذي كان دنيّاً فارتقى
وكلَّ علمٍ يُدرِك المرءُ سوى عِرْفانِ قدْرِ نفسِهِ كما اقتضى
بالعقلِ والدّينِ لهُ كلُّ الرّضى ، أمّا بمالِهِ وجاهِهِ فلا
وكلّما عقلُ الفتى قلَّ اكتفى بهِ كما ظنَّ فسُرَّ وازدهى[4]
قد طُبِعَ الناسُ على الظلمِ ! فما سُلِّمَ أمرٌ لامرىءٍ إلاّ بغى !
يُؤذي الجَهولُ نفسهُ ، فإن جنَى يوماً عليكَ لا يُلامُ بالأذى
ويدّخرُ الشيخُ لدهرٍ ، ويرى بعينهِ الموتَ لدى البابِ استوى

---

١ ثاب : رجع . الرمق : بقية الروح في المريض . رأرأ : نظر نظراً مضطرباً .

٢ أي كل واحد يذم الناس مستثنياً نفسه . ولكنه يدخل في هذا الذم متى تكلم غيره به .

٣ يقول : إن الإنسان لا يحب غير نفسه محبة صحيحة لذاتها ، فإن أحب غير نفسه فإنما ذلك لعلاقة تعود إلى نفسه .

٤ ازدهى : تكبر وافتخر .

يُنَعَّمُ البعضُ بمالٍ يُختَبى ، وبعضُهم ببذلِهِ في مَا اشتَهى
مَن عاش بالتقتيرِ من ذوي الغنى ، فإنـهُ أفقَـرُ مَن فوقَ الثرى
كلٌّ يَعُـدُّ نفسَهُ نِعمَ الفتى ، فمَن هوَ اللئيم منّـا يا تُرى !
لو عَرَفَ الإنسانُ عيبَهُ ، لَما رأيتَ عيباً فيهِ ، ما طال المدى
وكلُّ عيبٍ كان من طيِّ الحشى ، في المرءِ ، ينمو فيـهِ كلّما نشا [1]
لا يشعُرُ الجاهـلُ بالجهلِ ، كما لا يشعرُ السكرانُ إلاّ إن صحا
لا يعرفُ الصحيـحُ قيمةً لِما كان منَ الصِّحّةِ حتى يُبتلى [2]
لا يَحمَدُ القومُ الفتى إلاّ متى ماتَ ، فيُعطى حقَّهُ تحت البِلى
لو كان كلٌّ يعرفُ الحقَّ سَوِى ، لكانَ كلُّ الناسِ أهلاً للقضا [3]
من قالَ: لا أغلطُ في أمرٍ جرى ، فإنهـا أوّلُ غلطةٍ تُرى
وقلّما أبصرتَ نِعمةً عـلى شخص، ولا تقول: قد ضاعت هُنا [4]
وقلّمـا كانَ شُجاعاً في اللّقا إلاّ عزيزُ النفسِ والجودُ كذا [5]
وكلُّ مـا في غيرِ مَثواهُ ثَوى يَسمُجُ في العينِ ويؤذي من رأى [6]

---

١ من طي الحشى : أي من أصل الخلقة .
٢ حتى يبتلى : حتى يبلى بالمرض .
٣ سوى : مستقيماً . أهلا للقضا : يصلح أن يكون قاضياً .
٤ أي قل من يقوم بحق النعمة إما لقصوره عن حسن التصرف بها وإما لبخله مع السعة المستفادة منها فتكون قد ضاعت عنده .
٥ يعني أن الشجاعة تستلزم عزة النفس ، فليس أحد يحب الموت ويكره الحيـاة . ولكن الشجاع لعزة نفسه وشهامته يخاطر بنفسه ويتعرض للقتـل حتى لا يقال إنه جبان ضعيف . وكذلك الكريم يبذل ماله لا كراهة للمال ولكن حتى لا يعاب بالبخل .
٦ كل شيء نزل في غير موضعه يكون قبيحاً في العين ومؤذياً في النفس .

وكلُّ ما عن منهج الطبع التوى، تُنكرهُ النفسُ ولو نفعاً جنى[1]
وكلُّ مَن تاهَ دلالاً وادّعى مستكبراً، فذاك ناقِصُ الحِجى[2]
وكلُّ من شابَ على خُلقٍ فلا تَنْصَحْهُ، فهْو ليس من أهل الهُدى[3]
وكلُّ من لا خيرَ منهُ يُرتَجى، إن عاشَ أو ماتَ على حَدٍّ سَوا

فلما فرغ من أبياته استهلَّت دموعه من المآقي[4]، وقال : سُبحانَ الحيّ الباقي، ثم سَجا على مضجعه حتى خيلَ أنَّ روحهُ قد بلغَتِ التراقي.[5] فأخذت القوم الشفقة، وقالوا لغلامه : خذ هذه الصَّدَقة، إن مات فللتجهيز[6]، وإن عاشَ فللنَّفَقة. ثم ولَّوا الأدبار، وهم يَضِجُّونَ بالدُّعاء لهُ والاستغفار. قال سهيل : فلما خلونا وانتَفَتِ التقيّة[7]، نفض عن نفسه غبار المنيَّة. وقال: يا غلامُ اذهَبْ بهذه الدَّستَجة، فجئنا بما نشربُ الهفتَجة[8]. فابتهجتُ بإرجاء حَينِه، وتأملتهُ فإذا هو الخزاميُّ بعينه، فعجبتُ من ريائه ومَينه. وقلت:[9] يا أبا ليلى، كيف تَعِظُ بما ذكرت، وتصِفُ الناس بما أنكرت؟ فأشاحَ بوجههِ خجِلًا، ثم أنشد مرتجلًا :

وصَفْتُ الناسَ بالنُّكرِ، وإني لستُ بالناسي

---

١ منهج : طريق .
٢ تاه : تكبر . الحجى : العقل .
٣ أي كل من بلغ المشيب وفيه خصلة منكرة لم يغيرها فلا تطمع في تركه إياها بعد ذلك .
٤ استهلت : سالت . المآقي ، جمع المأق : وهو مقدم العين مما يلي الأنف .
٥ سجا : شخص ببصره . التراقي : أعالي الصدر .
٦ التجهيز : قضاء حوائج دفنه .
٧ التقية : الحذر .
٨ الدستجة : الزجاجة الكبيرة . الهفتجة : سبعة أسابيع من الأيام .
٩ بإرجاء حينه : بتأخير موته . مينه : كذبه .

ولكن نَسِيَ الغافلُ أَني أَحَدُ الناسِ !

ثم قال : يا أَبا عُبادة ليسَ من العدل ، سُرعة العذل . ومن لا يؤخَذ بالأَشعبيّة ، فخُذهُ بالشَّغْربيَّة[1] . وإني قد أَفَدتُ من الحِكَم والأَمثال، ما لا يُعادَلُ بدرهمٍ ولا مثقال[2] . فإما أَن تبذلَ كما بذلَ القوم ، وإلاَّ فالسكوتَ عن اللوم. قال : فأَمسكتُ عن معاذيره الملفّقة ، وإن لم يَضِلَّ دُرَيصٌ نفَقه[3] . ولبثتُ في صُحبته بالعِراق ، إلى أَن قضى اللهُ بالفِراق .

١ من لا يؤخذ بالأشعبية : من لا يطمع في معروفه . الشغربية : حيلة تكون بين المتصارعين بأن يعثر أحدهما الآخر حتى يصرعه .

٢ مثقال : من الفضة والذهب .

٣ يقال ضللت المسجد والدار أي لم أعرف موضعهما. ودريص ولد الفأرة واليربوع، والنفق الجحر . وهو مثل يضرب لمن يعنى بأمره ويعد لخصمه حجة ثم ينساها عند الحاجة .

المقـــامة الثامنة عشرة

وتعرف بالرجبية

حكى سُهيلُ بنُ عبّادٍ قال: نزلتُ بقومٍ من العرب ، في أثناء رجَب.[١] وكانوا قد ارتبطوا القنابل ، واعتزلوا الصوارم والذوابل ، واجتمعوا حتى[٢] اختلطَ الحابلُ بالنابل . فرأيتُ جيشاً كأولاد فارزٍ وعُقفان ، قد تألّف[٣] من أُسود بـِيشةَ وظِباء عُسفان[٤]. فلبثتُ عندهم بضعة أيام ، في بعض أطراف الخيام . وكنت كلَّ يومٍ أشهدُ المحافل، وأتخلّلُ الجحافل . وأسمعُ الشاعر ، والناثر . وأطربُ للشادي ، والحادي . حتى إذا كنتُ يوماً ببعض الأندية ، وقد سالت الشّعابُ والأودية . أقبلَ شيخٌ ضئيل ، تليه امرأةٌ أكبرُ من عجوز بني إسرائيل . فلما وقفَ بنا قال : حيَّا الله الموالي ، وأعزَّ بهم المعالي[٥] والعوالي. انني طالما أيمَنْتُ وأشأمت ، وأنجدتُ وأتهمتُ ، وأحجَزتُ[٦]

---

١ رجب: الشهر المعروف.وكانت عادتهم أن يتركوا الحرب فيه حتى إذا لقي الرجل قاتل أبيه لا يتعرض له . ولذلك يقـــال له الأصم لأنه لا يسمع فيـــه صهيل الخيل ولا رنة السلاح ولا جلبة القتال .

٢ القنابل : الخيل . الصوارم : السيوف . الذوابل : الرماح .

٣ اختلط الحابل بالنابل : مثل يضرب للاشتباك . فارز : جد النمل الأسود . عقفان : جد النمل الأحمر . أي رأيت جيشاً كثيراً كالنمل .

٤ بيشة : واد بطريق اليمامة يوصف بالأسود. عسفان : مكان يوصف بالغزلان . والمراد بالأسود رجالهم وبالغزلان نساؤهم .

٥ عجوز بني إسرائيل : يقال هي مريم أخت موسى . وهو مثل عندهم في الكبر . المـــوالي : السادات . المعالي : المراتب العالية .

٦ العوالي : أسنة الرماح . أيمنت : أتيت اليمن . أشأمت : أتيت الشام . وهكذا ما يليه .

وأعرقت ، وغرَّبتُ وشرَّقتُ. وشهدت الولائم والوضائم[1]، وشاهدتُ العزائم والعظائم . ورُضتُ الرجال ، وخُضتُ الآجال . ولقيتُ السرّاءَ والضرّاءَ[2] ومارستُ الحسناءَ والخشناءَ . وأترعتُ العِساسَ والجِفان ، وملأتُ الثُّبَن[3] والأردان . وأجزتُ الخطباءَ والشعراء ، وأحسنت إلى العُفاةِ[4] والفقراء . وها أنا الآن قد صِرتُ نحساً مستمرّاً، لا أملكُ نفعاً ولا ضُرّاً ، ولا أذكر ممّا لقيتُ حلواً ولا مُرّاً . حتى كأني الآن قد وُلدتُ على هذا البساط ، تُدرِجُني هذه الحَيزَبون بالقِماط. فاعتبروا بما رأيتم وسمعتم ، وخذوا الأُهبة[5] لأنفسكم ما استطعتم . فإن الزمان ، ليس فيه أمان . والدنيا الغَرور ، لا يتمُّ فيها سرور. والحياة ظِلٌّ زائل ، والنعيم لونٌ حائل. والسعيد من نظر لنفسه، قبل حلول رمسه . وكفَّرَ عن ذنبه ، قبل لِقاء ربه . فلما فرغ الشيخ من كلامه اعتمدَ على عصاه ، وبرزتِ العجوز كالسِّعلاة[6] . وقالت : يا كِرامَ العربِ إنَّ الله قد أمر بالمعروف عِباده ، كما أمرَ بفروض العبادة . فعليكم بالمروءة والكرم ، ورعاية الذِّمم والحُرَم[7] . وحافظوا على الوفاء ولو أفضى إلى الخَسْف ، واحدُسوا لوَفدكم ولو بمُطفئة الرَّضْف . فإنَّ بئسَ[8]

---

١ الوضائم : أطعمة المنايح .

٢ رضت : من ترويض الخيل . الآجال : أوقات الموت .

٣ العساس : الأقداح العظيمة للشراب . الجفان : آنية الطعام . الثبن : جمع ثبنة وهي ذيل الثوب إذا عطفته ووضعت فيه شيئاً .

٤ العفاة : القصاد .

٥ تدرجني : تلفني . الحيزبون : العجوز الكبيرة .

٦ السعلاة : أنثى الغول .

٧ الحرم : كرامات الناس .

٨ الخسف : المشقة وتحمل المكروه . احدسوا : من الحدس وهو اضجاع الشاة للذبح . لوفدكم : للقادمين عليكم . الرضف : الحجارة تحمى ويلقى عليها اللحم . ومطفئة الرضف : النعجة المهزولة التي تطفىء الرضف بما يسيل منها من المائية . أي اكرموا ضيفكم ولو بمثل هذه النعجة . وهو مثل .

الرِّدْفُ لا بعدَ نعَم[1]، والكثير خيرٌ من القليل والقليلُ خيرٌ من العَدَم. قال: فرضخوا[2] لهما بما حضر، وقالوا: خيرُ الناس من عذَر. فتناول الشيخ ميسورهم وقال: اني قد قبلت بِرَّكم بالجَنان[3]، لا بالبنان، وحقّ عليّ مدحكم بالقلب لا باللسان. ثم دنا فتدلّى، وأنشد وهو قد ولّى:

حَلُموا فما ساءت لهم شِيَمٌ سمَحوا، فما شحّت لهم مِنَنٌ[4]
سَلِموا، فلا زلّت لهم قَدَمٌ رَشِدوا، فلا ضلّت لهم سُنَن

قال: وكان في الموقف فتًى شديدُ الخُنْزُوانة، قد انتصبَ كالأسطوانة.[5] فلما أدبرَ الشيخ قال: إني لأعرفُ هذا الخبيث، وقد رابني ذكره القلبَ في الحديث. فاقلبوا البيتين، لعلّ بهما شيئاً من الشَّين. فابتدر رجلٌ إلى قلبهما، بعد كتبهما، وإذا هو يقول بهما:

مِنَنٌ لهم شحّت، فما سَمحوا شِيَمٌ لهم ساءت، فما حَلُموا
سُنَنٌ لهم ضلّت، فلا رَشِدوا قدَمٌ لهم زلّت، فلا سَلِموا

فلما سمع القوم ذلك استشاطوا غضباً، وقالوا: من لنا بردّ هذا الرجيم فنجعله للناس أدباً؟ قال الفتى: أنا لها فإني أعلمُ بمهبّ ريحه، ومدبّ طليحه.[6] فأركبوه متنَ طِمِرّة، وقالوا: هلا يا ابنَ الحُرّة! قال سهيلٌ: وكنت[7]

١ الردف: الراكب خلف الراكب. أي بئس الأشياء المتعاقبة أن تقول لا بعدما قلت نعم.
٢ رضخوا: أعطوا قليلا.
٣ الجنان: القلب.
٤ شيم: أخلاق. منن: نعم.
٥ الخنزوانة: الكبرياء. الأسطوانة: العمود.
٦ أنا لها: أي أنا لهذه المهمة. الطليح: الجمل الذي جهده السير. يريد أنه أعلم الناس بمسالكه وطرقه.
٧ طمرة: فرس كريمة. هلا: كلمة تزجر بها الخيل حثاً على المسير.

قد عرفت سريرة تلك الصناعة[1] ، فانسللتُ في أثر الفتى من بين الجماعة . فما أدركته إلاّ على بريد[2]،وإذا هو قد جلس بين الحزاميّ وابنته على ذلك الصعيد، فلما رآني وثبَ إليّ وقال : لا يفُلُّ الحديد إلاّ الحديد. فاهتزّ الشيخُ تيهاً،[3] وأنشد بديهاً :

هذا غلامي لا تسلْ عن خيمهِ ان الشّراكَ قُدّ من أديمِهِ[4]
لمّا رأى الحيّ إلى زعيمه ، قصّر في الوفاء عن تعليمهِ
تلقّف المهرة لا من شومهِ ، لكن ليقضي الدّينَ من غريمِهِ[5]

ثم قال : يا أبا عُبادة إن الله لم يختصّ برزقه ، أحداً من خلقه ، فمن ظفِر بشيء فقد أخذهُ بحقهِ . لكن أخاف أن القوم[6] لا يأخذون بهذه الفتوى ، فلننصرفْ قبل أن تحِلّ بنا البلوى . ثم نهض إلى بعيرهِ المعقول[7] ، وهو يقول :

أنا ابنُ أمّ الدهر يا ابنَ المُنجِبه رُزِقتُ بين الناسِ حظّ الغَلَبه
بكلّ وادٍ أثرٌ من ثعلبَه[8]

قال سُهيلٌ : فسِرت في صُحبته على حَذَر ، ولبثنا في اجتماعِنا إلى أن فرّقنا القدَر .

---

١ أي عرف الأشخاص الذين كانوا يتداولون هذه الوقائع وعلم أنها حيلة منهم .

٢ بريد : أربعة فراسخ وهي اثنا عشر ميلا .

٣ يفل : يكسر . لا يفل الحديد إلا الحديد : مثل معناه أنه لا يفعل بالشيء إلا ما كان كفؤاً له . تيهاً : كبراً .

٤ غلامي : هو غلامه رجب كان معه وهم لا يدرون أنه غلامه . خيمه : طبيعته وخلقه . الشراك : سير يشد به النعل . قد : قطع طولا . من أديمه : أي من الجلد الذي قد منه الشراك . وهو مثل يضرب للمتقاربين في الأمر .

٥ تلقف : أخذ بسرعة . شومه : أي رداءته .

٦ القوم : العرب أصحاب المهرة .

٧ المعقول : المقيد .

٨ أي في كل مكان مكيدة مني . وهو مثل .

المقـــامة التاسعة عشرة

وتعرف بالخطيبية

حدّثنا سهيلُ بن عبّادٍ قال: ارتبعت ربيعاً بالبادية، أصفى من ماء غادية.[1] فما تركتُ حيّاً ولا نادياً ، ولا جبلًا ولا وادياً . إلاّ سعيت إليه على قدمي، وخاطرتُ في اعتياره بدمي . فبينما أنا في حِلّة إذ قـام مُنادٍ على كثيب،[2] يقول : حيَّ هَلَ[3] على الخطيب.فوفدتُ إليه في مَن وفد ، وإذا شيخٌ أكبر من لُبَد ، عليه حُلّةٌ من سَبَد . فلما تألّب الجيش ، وسكَنَ الطيش .[4] كبّر واستغفَر ، وقرأ ما تيسّر[5] . ثم قال: الحمد لله الذي جعل العربَ في وجنة العِباد شامة ، كما جعل أرضهم على بدن البلاد هامة[6].أما بعدُ فإنكم يا معاشرَ العرب أكرمُ الناس نسباً ، وأفضلُهم حسَباً . وأفصحُهم لِساناً ، وأثبتُهم جَناناً[7] . وأضربُهم بالسيوف ، وأقراهم للضيوف . وأكثرهم ابتذالاً للمكارم ، واحتمالاً للمغارم ، واعتقالاً بالرماح واشتمالاً بالصوارم. ولكم حفظ[8]

١ الغادية : السحابة المنتشرة صباحاً .

٢ اعتماره : قصده . حلة : منزلة قوم .

٣ حي هل : اسم فعل مركب كخمسة عشر يستحث به على الإقبال .

٤ لبد : اسم نسر من النسور السبعة التي اختارها لقمان بن عاد على ما يزعمون عاش دهراً طويلا فضرب به المثل في الكبر . سبد : شعر . وهو لباس الزهاد . تألب : اجتمع .

٥ من القرآن .

٦ جعل العرب في وجنة العباد شامة : أي جعلهم زينة للناس كما تزان الوجنة بالشامة . هامة : رأساً .

٧ جناناً : قلباً .

٨ المغارم : ما يلتزم الرجل به من الدية والكفالة وغيرهما . الاعتقال : وضع الرمح بين فخذ الفارس والسرج . الاشتمال : وضع السيف تحت الثوب .

العهود ، وإنجاز الوُعود ، . ومُراعاة الجِوار، والفِرار من العار . وحمايةُ الأرباض[1]، وبذلُ النفوس دون الأعراض. وخوضُ الليل ، بالرَّجْل والخيل. ولكم الخطاب المُفعِم ، والجوابُ المفحِم . والنظم البديه ، والنثر النبيه .[2] والقلوبُ الجريّة ، والنفوس الأبيّة . لا تدينون لسُلطان، ولا يُتيّمكم هوى[3] الأوطان . ولا ترْتكبون الدنايا ، ولا تبالونَ بالمنايا . ولا ترُوعكم الأهوال، ولو أنها من الأغوال. ولا تقبلون الهوان، ولو جاء بالهَيل والهيلمان[4]. بلادكم أفضلُ الأرض تربة، وأرفعُها هضبة . وأحلاها ماءً ، وأصفاها هواءً . وأطيبها جَرعى ، وأخصبُها مَرعى . وأطولها نخلة ، وأسمنُها رِخلةً وسخلة. وغلامكم[5] أحكم من كهُول الناس ، وأفتكُ من فتيانهم صبيحةَ الباس[6] . وفتاتكم أحذقُ من فحول الرجال ، وأفصحُ منهم في المقال . وشاعركم المرتجل ، أبلغُ من شاعرهم المحتفل . وصُعلوككم المُعسِر ، أجودُ من أميرهم الموسِر . وفيكم[7] الكاهنُ والعائف،والحكيم والقائف. والفقيه والخطيب، والمنجّم والطبيب .[8] ومنكم التبابعة والمناذرة[9] ، والأبطالُ والجبابرة . والكرام الذين تسيرُ بهم الأمثال،ويعزُّ لهم المِثال . فجدُّوا في جَدَد[10] الفخر ، وتواصَوا بالصبر ، على

---

١ الأرباض : ما حول الدار .

٢ المفعم : الذي يملأ المسامع . النبيه : الذي يذكر بين الناس .

٣ الجرية : من الجرأة . تدينون : تخضعون . يتيمكم : يستعبدكم .

٤ بالمال الكثير والخيرات العظيمة .

٥ جرعى : أرض ذات نبات طيب الرائحة . الرخلة : النعجة ، والسخلة ولدها .

٦ الباس : يوم الحرب .

٧ المحتفل : المستعد اهتماماً . صعلوككم : فقيركم .

٨ الكاهن : الساحر . العائف : الذي يتفاءل بأسماء الطير ومساقطها وأصواتها . القائف : الذي يتتبع الآثار فيعرف أصحابها من هيئتها . وهي قيافة الأثر .

٩ التبابعة : ملوك اليمن . المناذرة : ملوك العراق .

١٠ الجدد : الأرض الصلبة . وهي أحسن المسالك عندهم فإنهم يقولون من سلك الجدد أمن العثار .

نوائب الدهر . وحافظوا على ما لكم من المآثر والآثار، واشطروا شَطْرَ[1] من تقدَّمكم من خوالي[2] الأعصار، واذكروا أيامهم المخلَّدة في بطون الأسفار، لتكونَ لأنفسكم كالريحان ولعزائمكم كالمِضمار[3] . قال: فانبرى له شيخٌ كالأفعُوان ، عليه حُلَّةُ أرْجُوان. وقال: يا مولايَ قد مدحتَ فأكرَمْتَ، ونصَحْتَ فأحكَمْتَ . ولكن ما هيَ أيامُ العرب التي أشَرت إليها ، ومواقِعُها[4] المنصوصُ عليها ؟ ففكَّر ، ثم قدَّر ، ثم قال: قد أنسانيها الشيطان فذكِّر إن كنتَ ممَّن تذكَّر . فأطرق برهةً وهو ينكت في الأرض ، [5] ثم قال : تعالَوا أتلُ عليكم ما يبقى ذكره إلى يوم العَرْض[6] . وأنشد :

قد ذَكَرَ القومُ لأيامِ العَرَبِ مواقعاً تُدعى بهنَّ كاللَّقَب
من ذلكَ : الكَديدُ والبيداءُ بُعاثُ والفُترةُ والهَيماءُ
كذا كُلابٌ مَنعِجُ الجِفارُ والحَجرُ والزخيخ والسِّتار
شَمطةُ والزَّورُ غبيط المُدره كذا الغبيطانِ اللِّوَى وبَثره
جَوٌّ نَطاعٍ ذو طُلوحٍ والعِنب دُرْنى الكُحَيلُ والغديرُ ذو نجَب
نخلةُ فَيْفُ الريحِ قَرنٌ فَلْجُ طُوالةٌ وَقَبى زَرُودُ المَرْجُ
عُوَيرِضُ الحدائقُ النِّسارُ قُشاوةٌ كُفافةٌ سِنجارُ
ذرَحْرَحٌ خَوٌّ خُوَيٌّ دابُ عينُ أباغٍ قادمٌ إرابُ
عُراعِرُ النِّهْيُ الوبيعُ مَذْهَبُ نجرانُ والعينانِ غَولٌ رَقَمُ

---

١ يقال شطرت شطره إذا قصدت قصده .
٢ خوالي : مواضي .
٣ المضمار : الميدان الذي تراض به الخيل .
٤ مواقعها : الأمكنة التي وقعت فيها .
٥ ينكت : يضرب بإصبعه .
٦ العرض : القيامة .

ذو الاثْلِ ذاتُ الرِّمْرِمِ النشّاشُ　　عُنَيْزَةٌ عقبَـــةٌ أعشاشُ
وواردات الجنْوُ رَحرَحـــانُ　　والدَّرَكُ السُّوبانُ والسُّلاّنُ
شِعبٌ خَزازَى والعُظالى حاطبُ　　قُراقِرُ الدُّثَينـةُ الذنائبُ
جَبَلةُ القَرعـــاءُ والصليبُ　　ظَهْرٌ وذاتُ الحَرْمَلِ الكثيبُ
أُوارةٌ لِهـابةٌ ذو قارِ　　أَقرَنُ وَجٌّ حيرةٌ سَفارِ
شعواءُ والهبـاءَةُ المُرتَقَبُ　　قَطَنٌ ذو حِسى الفَروقُ مُحسِبُ
بُسْيان والهـريرُ ذو أَحثـالِ　　ومـا عسى نُحصي من الرمـالِ[1]

قال سهيلٌ : فكَبَّر القوم وقالوا : حَـدِّثْ عن البحر ولا حرج [2] ، إنك لأحفظُ من حمّادٍ وأجمَعُ من أبي الفرج . قال : علِمَ الله أني لستُ[3] من الأفاضل الكَمَلة ، ولكن عَرَفَ حُمَيقٌ جَمَله . فسُقِطَ في يد الخطيب[4] واستكان[5] ، وقال: قد قُدِّرَ فكان . ولقد أَبَنْتَ فأحسنت ، فمَن وممَّن أنت؟ قال : إن كنتَ لا تَرضى ، أن تأكل الجُبن عُرضاً[6] . فأنا سَرَنْدَلُ ابنُ عَرَنْدَل ، من بني الشَّمَرْدَل[7]. فعَجِبَ القوم من براعته ورقاعته ،

---

١ هذه الأسماء لأمكنة وقعت فيها الحروب بين العرب فنسبت إليها .
٢ مثل يضرب لمن توسع في الأمر .
٣ حماد : هو حماد بن ميسرة الديلمي الكوفي كان أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها ولغاتها فقيل له حماد الراوية . أبو الفرج : هو علي بن الحسين بن الهيثم الأموي المعروف بأبي الفرج الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني الذي وقع الاتفاق على أنه لم يكتب في بابه مثلـه .
٤ عرف حميق جمله : مثل معناه أن الأحمق مهما كان ناقص العقل يعرف جمله . سقط في يد الخطيب : ندم على خطبته .
٥ استكان : خضع وذل .
٦ أي لا تسأل عمن عمله .
٧ قوله فأنا سرندل بن عرندل أراد بذلك أن يموه عليه ولا يعرفه باسمه ونسبه . وأما بنو الشمردل فلا تعرف قبيلة بهذا الاسم .

وأكبروا سِرَّ صِناعته . وقالوا : هل تُملي علينا ما أنشدت، وسنجزيك بما أفَدت . قال : إن لي كاتباً أجرى من السيل ، في الليل[1] . ثم قال : هَلُمَّ يا سُهيل . فلما أقبلتُ عليه قال : اكتب يا بُنيَّ ، وأخذَ يُملي عليَّ . فلما فرغنا من الإملاء والتعليق ، أفرغوا علينا ما يليق ، واعتذروا من الإجحاف بالحليـق . قال : وكنت قد عرفت أن الشيخ صاحبُنا ابنُ الحزام ، فما صدَّقتُ أن أفلتَ من الزّحام، حتى تعقَّبتُه وهو يعدو في أُخرَيات[2] الخيام. فاستوقفتُه فأبى، وقال مَوعِدُنا مَهَبُّ الصَّبا. فرَجَعتُ بين الخَيبةِ والظَّفر، إذ حُرِمتُ صُحبتَهُ ورُزِقتُ نَفَقَةَ السَّفَر .

-----

١ مثل يضرب للماضي في أموره .

٢ أخريات : أطراف .

المقـامة العشرون

وتعرف بالبصرية

حـدّثنا سهيـلُ بنُ عبّادٍ قـال : قَدِمتُ البَصرةَ ذاتَ العُوَيم[1] ، في رَكْبٍ من بني الهُجَيم[2] . فجعلت أطوفُ بها ما أطوف ، حتى انتهيتُ إلى مِرْبَدها[3] الموصوف . وإذا في ساحته قومٌ قد توسَّدوا ثَراها،وهم كالحَلْقة المُفرَغة لا يُدرَى أينَ طرَفاها[4]. فطارحتُهم سُنّة التسليم ، وقلت : هل في الكأس حَظٌّ لنديم[5] ؟ قالوا : قد أتيتَ أهلًا ، ونزلتَ سهلًا . فجلستُ لديهم جُلوسَ التلاميذ ، بحضرة الأساتيذ . وأخذوا يتداولونَ الفنون ، ويُبرزون كلَّ مكنون . حتى خاضوا في فنّ البديع ، وأفاضوا في التجنيس والتنويع.[6] وكان في صدْر الحلقةِ شيخٌ أفطسُ العرْنَبة ، كأنه أحد الأغربة . فقال:[7] قد علمتم أيها الناس ، أن أعظم الجناس ، ما لا يستحيل بالانعكاس[8] . فمن

---

١ ذات العويم : في بعض الأعوام .

٢ بنو الهجيم : بطن من بني تميم .

٣ المربد : ساحة تحبس فيها القوافل . وكانت العرب تجتمع إليها من الأقطار فكانوا يتناشدون الأشعار ويبيعون ويشترون كما يفعلون بسوق عكاظ .

٤ سئلت فاطمة بنت الخرشب الأنمارية عن أفضل أولادها فقالت الربيع ، لا بل عمارة ، لا بل فلان ! ثم قالت : ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل . هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها . أي هم كالدائرة لا يدرى أولها من آخرها .

٥ أي هل لي نصيب في مجالستكم .

٦ التنويع : الجناس اللفظي والمعنوي .

٧ العرنبة : الأنف . الأغربة : أي أغربة العرب وهم سودانهم سموا بذلك لسوادهم .

٨ هو جناس يقال له المقلوب المستوي أيضاً .

ظفِرَ بفرائدهِ الحُسنى ، فاز بالمقام الأسنى ، وسُلِّم لهُ البديعُ لفظاً ومعنى.[1] قالوا : نراكَ من أهل الدار ، وفُرسانِ المِضمار . فحدِّثْ بنعمة ربِّك ، ولا تكتمِ ذخيرةَ لُبِّك . قال : نعم كنتُ قد نظمتُ أبياتاً منه في الصِّباء، وهي معجزةٌ عند الأُدباءِ . قالوا : إن رأيتَ أن تُنشِدنا إياها فلك المِنَّة ، وقد دفعتَ عن نفسكَ الظِّنَّة . فتلا : « إنّ بعض الظنِّ إثم » ، ثم قال : اسمعوا يا أولي العلم . وأنشد يقول :

قمرٌ يُفرِطُ عمْداً مُشرِقُ ... رشَّ ماءً دمعُ طرْفٍ يَرمُقُ[2]
قُرطُهُ يَفدي جِلاهُ أيْمَنَ ... من مياهِ الجِيدِ فيهِ لمُرُقُ[3]
قَبَسٌ يدعو سَناهُ إن جفا ... فجناهُ أُنسُ وَعدٍ يَسبُقُ[4]
قد حلا كاذبُ وعدٍ تابعٌ ... لَعِباً تدعو بذاكَ الحَدَقُ[5]
قرَّحَت ذا عَبَراتٍ أربعٍ ... عَبَراتٌ أربعٌ إذْ تُحرِقُ[6]

---

١ الفرائد : جمع فريدة وهي الدرة الكبيرة في العقد . الأسنى : الأشرف .

٢ قوله يفرط أي يتجاوز الحد ، ويرمق ينظر أي أن العين التي تنظره ترش دمعها في محبته .

٣ القرط : ما يعلق في أسفل الأذن . والجيد .. العنق . يعني أن قرطه المعلق في أذنه اليمنى يكون فداء لنقاء بدنه لأنه أنقى منه . وأراد بالمياه المضافة إلى الجيد ما يكون في نصل السيف من الفرند تشبيهاً لجيده بالسيف في البياض واللمعان .

٤ القبس : شعلة النار . وسناه : نوره . أي أن نور هذا القبس يدعو الناس إليه كما تدعو الأضياف نار القرى . وإن جفا كانت الفائدة منه التعلل بما سبق من وعد هذه النار بالضيافة .

٥ الإشارة في قوله بذاك إلى اللعب من باب وضع المظهر موضع المضمر كما في قول الشاعر تريدين قتلي قد ظفرت بذلك . أي قد حلا وعده الكاذب الذي يتبع تلاعب أحداقه التي تدعو به إلى الهوى .

٦ قوله ذا عبرات أي صاحب دموع يريد به العاشق . وذكر أنها أربع لأن كل عين يسيل منها عبرتان من طرفيها . وقوله إذ تحرق لأن دموع الحزن حارة فهي تقرح بحرارتها .

قَلِقٌ يَلثِمُ نادي عَبْلةٍ لبعيـــدٍ ، إنَّ مثلي قَلِقُ [1]
قَفِرةُ الرَّبعِ أهالت فِتْيَةً فتَلاهـا عِبَرٌ لا تَرفُقُ [2]
قد حماها رَكْبُ ليلٍ حافظٌ فاحَ ليلٌ بِكَراها مُحدِقُ [3]
قَرَّ في إلْفِ نَداهـا قلبُهُ بلِقاهـا دَنِفٌ لا يَفرَقُ [4]
قَطنَتْ هَيْفاءُ فيهِ آمناً إنما هَيْفـاءُ فيهِ تَنطِقُ
قِفْ أَلا قاضٍ فإني ضاقَ بي رَيبُ قاضينا فضاقَ الأُفُقُ [5]
قَلَمٌ يجري سيَلقى ضَرَماً مُرُّ ضيقٍ ليس يُرجى مَلَقُ [6]
قيلَ: إفتَحْ بابَ جارٍ تَلْقَهُ، قلتُ: راجٍ بابَ حتفٍ أليَقُ [7]
قَلَّ طعمٌ دُونهُ رُدَّ بكم كَبِدٌ رَهْنٌ ودمعٌ طَلِقُ [8]

---

١ النادي : المجلس . والعبلة : الممتلئة البدن . وبعيد صفة لموصوف محذوف . أي يقبل أرض نادي امرأة هذه صفتها . وهذا النادي لصاحب بعيد كناية عن رحيل قومهـا بها.

٢ يقول : إن هذه الحبيبة قد أقفرت دارها لرحيلها فألقت هولا على الفتيان الذين يتصببون بها فجرت وراءها منهم دموع متواترة لا تتلطف بهم ولا تكف عن سيلانها .

٣ أي أنها مصونة تحميها فرسان في الليل عند نومهـا . ثم يقول : إن الليـل الذي تنام فيه يتعطر بأنفاسها فتفوح روائحه .

٤ نداها : جودها . والدنف : المريض المجهود . ويفرق : يخاف . أي أن هذا العاشق المريض كان قد استقر قلبه من الخفقان عند الفته على جودها باللقاء فكان طيب القلب لا يخاف .

٥ يقول لصاحبه : قف علي أليس قاض آخر ينصفني فإن بغي قاضينا نحن العشاق قد جعلني في ضيق حتى ضاقت علي جوانب الأرض .

٦ المراد بالضرم النار وبالملق التلطف.أي أن قلم هذا القاضي الذي يجري في الحكم علينا سيلقى ناراً من عذاب الله .

٧ حاصل ما في البيت أنه يقول : قد أشير علي باستبدال هذه الحبيبة البعيدة بغيرها ممن حولي من الجيران ، فقلت : إن الراجي لفتح باب الموت أجمل من الراجي لفتح باب الاستبدال .

٨ انصرف في هذا البيت إلى خطاب أحبته فقال : إن الطعم الذي يؤدي في محبتهم إلى فك كبده المرهونة وكف دمعه الطلق هو قليل لا يعتد به . أشار بذلك إلى الحتف المذكور في البيت السابق . وفي قوله رد بكم على كلا الوجهين استخدام لا يخفى .

فلما فرَغَ من أبياته صَفّقَ القوم ، وقالوا : لا عَهْدٌ لنا بمثل هذه قبل اليوم . فإن هذا الجناس كالعدَد المعدول، لم يتجاوز أربعة في المنقول[1] . قال سهيلٌ : فانبرى لهُ رجلٌ أشمطُ العارضَين[2] ، يكادُ يشربُ الرافدَين . وقال: يا هذا إن الفخرَ بالأثير[3] ، لا بالكثير. وإنما يُنافَسُ في الثمين ، لا في السمين، فكم فِئةٍ قليلةٍ غَلبَتْ فِئةً كثيرةً بإذنِ الله واللهُ مع الصابرين. قال: صدقتَ إن خيرَ الكلام ما قلَّ وجلَّ، ولكن مِن ادّعى بلا بيِّنةٍ فقد زلَّ وذلَّ. قال: أعوذ باللهِ من زلّةِ العَمْدِ[4] ، وسفاهةِ العبد . إني نظمت بيتين لبعض الأمراء، طرْدُهما مديحٌ وعكسهما هجاءٌ. فكان يُنظَرُ إليهما بعين الأحوَل ، ويقصر[5] عنهما الباعُ الأطوَل. قال: فهلُمَّ بما فتح الله عليك، قال: لبّيكَ وسَعدَيك[6] وأنشد:

باهي المَراحِمِ لابسٌ ... كَرَماً قديرٌ مُسنِدُ[7]

بابٌ لكُلِّ مؤمِّلٍ ... غُنْمٌ لعَمْرُكَ مُرفِدُ[8]

---

١ العدد المعدول في نحو جاء القوم أحاد ومثنى ونحوهما أي واحداً واحداً واثنين اثنين وهو لم يسمع من العرب إلا إلى الأربعة وكذلك هذا الجناس فإنه لم ينظم منه أكثر من أربعة أبيات وهي التي نظمها الشيخ الحريري في مقاماته .

٢ أشمط : مختلط السواد بالبياض . العارضين : صفحتي الوجه .

٣ الأثير : النفيس .

٤ زلة العمد : أي الزلة التي صدرت عن قصد .

٥ طردهما : نقيض العكس . ينظر إليهما بعين الأحول : يقال إن الأحول يرى المنظورات مضاعفة فيرى الواحد اثنين والاثنين أربعة وهلم جراً . فيقول إن هذين البيتين إذا عكسا يحصل من عكسهما بيتان غير الأولين بخلاف الأبيات السابقة فإن البيت منها إذا عكس يكون الحاصل منه ذلك الكلام بعينه . وعلى هذا فيكون كل بيت منهما بيتين أحدهما مديح والآخر هجاء ، وهي صناعة غريبة لم يسبق إليها أحد من الشعراء .

٦ لبيك : إجابة بعد إجابة . سعديك : مساعدة بعد أخرى .

٧ قوله باهي المراحم أي حسن المراحم بناء على أنها تقع منه بحيث تحسن الرحمة لأن من المراحم ما ليس بحسن لوقوعه حيث يجب القصاص . وقوله لابس كرماً أي أن الكرم قد صار لباساً له لشدة اشتماله عليه . وقوله مسند صفة لقدير كالقيد له لأن القدير إذا لم يكن مسنداً للناس فلا خير في قدرته .

٨ الغنم بالضم : ما تناله بغير مشقة . والمرفد : المعين .

ثم عَمَدَ إلى قلبهما ، فإذا هو يقول بهما :

دَنِسٌ مَرِيدٌ قامِرٌ كَسْبَ المحارم لا يهابْ[1]
دَفِرٌ مُكِرٌ مُعلَمٌ نَغِلٌ مُؤَمَّلُ كلِّ بابْ[2]

قال : فاستفزّت القوم تلك الصّناعة العذراءُ[3] ، وقالوا : عَلِمَ اللهُ أنها لأغربُ من العنقاء. ثم أقبلوا على الرجل يَرجُمونهُ بالأحداق، وقالوا : فِداكَ[4] أهلُ العراق ! فمن أنت ومن أيّ الآفاق ؟ فتنهّد ، ثم أنشد :

أقبلتُ من أرضِ اليمامَه أبغي العِراقَ على استِقامَه[5]
جُبْتُ الدّلامِسَ بالعَرا مِسِ في النِّعامةِ كالنَّعامَه[6]
زُرْتُ الكِرامَ لأنني قد كنتُ من أهلِ الكرامه
أتلَفتُ مالي في النّدَى لا في الصبابةِ والمُدامَه
أقري الضُّيوفَ وأقتري حَمْلَ الحَمالةِ والغَرامَه[7]

---

١ المريد : العاتي المتجبر . والقامر : الذي يلعب بالقمار .

٢ الدفر : النتن . ومكر : من الكرير وهو صوت المخنوق.أي دفر محدث للكرير بخبثه . والمعلم : من وسم نفسه بعلامة الحرب . والنغل : الفاسد النسب وهو يعود إلى الرجل المهجو ، فكأنه يقول هو دفر شديد وهو نغل أيضاً .

٣ استفزت : استخفت . العذراء : التي لم يسبق إليها أحد .

٤ العنقاء : طائر يضرب به المثل في الغرابة لعظم جثته واقتداره . يرجمونه بالأحداق : تتراكم أبصارهم عليه .

٥ اليمامة : مدينة قديمة على ست عشرة مرحلة من البصرة إلى نحو الحجاز . استقامة : على خط مستقيم .

٦ جبت : قطعت . الدلامس : الظلمات . العرامس : النياق الشديدة. النعامة، بالكسر: المفازة . النعامة، بالفتح : تحتمل الطائر المعروف وفرس الحرث بن عباد التي مر ذكرها في المقامة الخزرجية .

٧ أقتري : أتتبع . الحمالة : ما يتحمله الرجل عن القوم من الدية ونحوها .

وأَسُدُّ خَلَّةَ مُقتِرٍ   وأرُدُّ لهفةَ ذي ظُلامَه [1]
وأُجيزُ كلَّ مُقرِّظٍ   عن كلِّ شِعرٍ أو مَقامَه [2]
قسَّمتُ مالي في المَلا   ونسيتُ سَهمي في الحُتامه [3]
وسَقيتُهم مائي فرُحـ   ـتُ كأنني كعبُ بنُ مامَه [4]
بَرِحَ الخَفا فندِمتُ لـ   ـكن حيثُ لا تُجدي الندامه [5]
دَرَجَ الصِّبا والمالُ والـ   ـنفسُ العزيزةُ والشهامَه [6]
عذَّبتُ نفسي بالقُنو   طِ وعذَّبتْني بالملامَه
قد كنتُ أطمَعُ في الغِنى   واليومَ أقنَعُ بالسَّلامَه

فلما انتهى إلى هذا البيت أنَّ كالمريض، وقال حالَ الجريض، دون القريض،[7] وأثِرتْ شؤونُه تفيض. فرثى القومُ لبلواه، وفثأوا ما جاش من جَواه.[8] وقالوا: جمَعَ الله شملَكَ، فأينَ خلَّفتَ أهلَكَ؟ قال: قد خلَّفتُ الحَرَبَّة، في الشَّرَبَّة، لا يملكون حبَّة. وهم ينتظرون إيابي على الأثر،[9]

---

١ وأسد خلة مقتر : أي أقضي حاجة فقير .

٢ وأجيز كل مقرظ : أي أعطي كل مادح جائزة .

٣ الحتامة : ما بقي على المائدة من الطعام . أي قسمت مالي بين الناس ونسيت أن أترك لنفسي حصة من بقية هذا المال .

٤ كعب بن مامة : هو الذي سقى رفيقه النمري نصيبه من الماء ومات عطشاً .

٥ برح الخفا : أي ظهر المكتوم .

٦ درج : ذهب .

٧ حال : اعترض . الجريض : الريق يغص به . القريض : الشعر وهو مثل أصله أن رجلا كان له ابن نبغ في الشعر فنهاه عنه ، فجاش به صدره ومرض حتى أشرف على الموت فأذن له أبوه حينئذ في قول الشعر فقال : حال الجريض دون القريض . أي أن غصة الموت حالت بينه وبين قول الشعر .

٨ أثرت : شرعت . شؤونه : مجاري دموعه . فثأوا : سكنوا . جاش : يقال جاشت القدر إذا غلت . جواه : حرقته .

٩ الحربة : العيال يأكلون ولا ينفعون . الشربة : مكان في بلاد العرب .

كما تنتظرُ الأرضُ وَسْميَّ المطر. فجمعوا لهُ قَبْصَةً من العين، وقبضةً من[1] اللُّجَين[2]. وقالوا: إن الكريم أولى بالكَرَم، قال: نعم، وأهل الحُرمةِ يَرعَونَ الحُرَم. قال سهيلٌ: وكنت قد عرَفتُ أنه الخزامي[4] عند نظري إليه، لكنني أنكرتُ إغبرار عارضَيه[3]. فلما فصلنا عن المكانِ قلتُ: حيَّا اللهُ أبا ليلى! قال: وميمونٌ يفدي سُهيلا! قلت: عهدي بك شيخاً فكيف رَجَعتَ كُهَيلا؟ فأنشد:[4]

لا تُنكِرَنَّ ما ترى من الشَّمَطْ   إن السوادَ والبياض إذ وَخَطْ
من طرَفِ الأمور فاختَرْتُ الوَسَط

فانعكفتُ عليهِ انعكافَ المُغرَم الكلِف[6]، واعتَنقتُهُ اعتناقَ اللام للألف. فأخذ يُسايرني على رِسْلِهِ، حتى انتهى بي إلى رَحْلِهِ. وأقمتُ[7] في صُحبتِهِ قريرَ العين، إلى أن نعَبَ بيننا غُرابُ البين.

---

١ الوسمي: مطر الخريف. قبصة: ما يؤخذ بين الأصابع. العين: الذهب. قبضة: ما يقبض بالكف.

٢ اللجين: الفضة.

٣ لم يثبت معرفته لأنه يعهده أشيب فرآه بين الشيب وسواد الشعر لأنه كان قد خضب لحيته.

٤ كهيلا: متوسط السن.

٥ الشمط: اختلاط السواد بالبياض. وخط: ظهر.

٦ الكلف: المولع.

٧ اعتنقته اعتناق اللام للألف: باعتبار الخط عند اجتماعهما معاً. رسله: مهله.

المقـــامة الحادية والعشرون

وتعرف بالدمشقية

أخبر سهيلُ بنُ عبَّادٍ قال : نحَوتُ[1] من بعض الأنحـاء ، نحو دمشقَ الفيحـاء . فجعلتُ أتتبَّعُ الرياحَ الدوارس ، وأتفقَّـدُ الآثارَ الطوامِس ،[2] وأتعهَّدُ الأندِيةَ والمجالس ، حتى انتهيتُ إلى إحدى المدارس . فتخلَّلتُ حلقةَ الطَّلَبة ، وقد سكَنَتِ الأبصار وسَكَتَتِ الجلبَة . وأخذ القومُ يتذاكرون هُنالِك ، حتى جرى ذكر خُلاصة ابنِ مالك[3] . فقال الأُستاذ : لا جرَمَ إنها لإحدى الكُبَر[4] ، وعبرةُ العِبَر . ولكن قد كانَ ذلك إذِ الناسُ ناس ، لا يلهَجونَ بعِذار الآس ، وحبَبِ الكاس[5] . قـال : وكان شيخنا ميمونُ بن خزام ، قد ربَضَ في ذلك المقـام ، فانتدبَ من مجثمِه[6] كالصَّمْصام[7] . وقـال : يا قوم إن المعترف بالفضل لهـذا الإمـام المشهور ، كالمعترف للشمس بالنور ، أو للطَّود بالظهور[8] . وأما في هذا الزمان فقد بقي من إذا سُئِلَ يُجيب ، وإذا تجشَّم[9] الإنشاءَ يُصيب ، فللأرض من كأس

---

١ نحوت : قصدت .

٢ الدوارس : التي تمحو الآثار . الطوامس : المختفية .

٣ خلاصة ابن مالك : هي الألفية المشهورة . وعلى ذلك قوله في آخرها أحصى من الكافية الخلاصة .

٤ الكبر : جمع كبرى .

٥ عذار الآس : كناية عن حب الجمال . حبب الكاس : ما يطفو على وجه الكاس من الفقاقيع .

٦ مجثمه : مجلسه .

٧ الصمصام : السيف الصارم الذي لا ينثني .

٨ يعني أن ذلك معلوم عند الجميع لا يستطاع إنكاره فلا فضل للمعترف به .

٩ تجشم : تكلف .

الكِرامِ نصيب . قالوا : ما نرى ذلك إلاَّ كالكِبريت الأحمر، يُذكَر ولا[1] يُبصَر . فإن لم يكن ذلك حديثاً يُفترى[2] ، لا تطمئنُّ قلوبنا حتى نرى . قال: أَشهدُ لله إنَّكم لَمِن المُنصِفين ، والله يَشهدُ أني لستِ من المُرجِفين .[3] ان عِندي أبياتاً مُعتاصة ، جامعة الباكورة والخُصاصة ، خليقةً بأن تُدعى[4] خُلاصة الخُلاصة ! قالوا : إننا نتوقع سَماع مثلِها،فإن شئتَ فاستَجْلِها .[5] فهبَّ كعاصفة القَبول[6] ، واندفع يقول :

بسائطُ الكلامِ حينَ يُبنى ... إسمٌ وفعلٌ ثُمَّ حرفُ مَعنى[7]

والحرفَ واسماً مثلَهُ والفعلَ لا ... كاسمٍ بَنَوا وأَعرَبوا ما فَضِلا[8]

واسماً كفعلٍ مثلَ فعلٍ كاسمِ ... إفتَح لمنعِ صَرفِهِ وضُمِّ[9]

ركِّب وزِن واعدِل وأَنِّثْ واجمعِ ... وزِد وصِفْ واعجِم وعرِّفْ تَمْنَعِ[10]

---

١ فللأرض من كأس الكرام نصيب : مثل . أي أن العلماء الأوائل قد تركوا فضلة للمتأخرين كما أن الكرام إذا شربوا من الكأس يتركون فضلة يفرغونها على الأرض . الكبريت الأحمر : مثل يضرب لما لا يوجد .

٢ يفترى : يختلق .

٣ المرجفين : يقال أرجف القوم إذا أكثروا من الأخبار الكاذبة .

٤ معتاصة : ممتنعة . الباكورة : أول الفاكهة . الخصاصة : ما يبقى في الكرم بعد قطافه .

٥ استجلها : أظهرها .

٦ العاصفة : الريح الشديدة . القبول : ريح الشرق .

٧ أراد ببسائط الكلام أجزاءه التي يتركب منها . وقيد الحرف بإضافته إلى المعنى احترازاً عن حرف الهجاء فإنه لا يؤتى به لمعنى .

٨ يقول : إن العرب قد بنوا الحرف والاسم الذي يشبه الحرف وهو الضمائر والموصولات والإشارات وأسماء الأفعال والاصوات والكنايات وبعض الظروف والمركبات . والفعل الذي لا يشبه الاسم وهو الماضي والأمر . وأعربوا ما بقي من الألفاظ وهو الاسم الذي لا يشبه الحرف وهو المتمكن في الاسمية . والفعل الذي يشبه الاسم وهو المضارع .

٩ الاسم الذي يشبه الفعل وهو ما لا ينصرف يجري في الإعراب مجرى الفعل الذي يشبه الاسم وهو المضارع ، فيفتح ويضم فقط ولا يكسر ولا ينون كما في الفعل وإنما قال لمنع صرفه تمييزاً له عما فيه شبه الفعل كاسم الفاعل ولكنه لا يجري هذا المجرى لكونه منصرفاً .

١٠ لما ذكر منع الصرف في البيت السابق ذكر العلل المانعة وهي التسع المذكورة في هذا البيت .

وأطلِق المصروفَ ثمَّ نَوِّنِ والجزمَ خُذْ للفعلِ واترُكْ ما بُني[1]
وكُلُّ إعرابٍ بلفظٍ حاصلُ أو نيَّةٍ حيثُ دعاهُ العاملُ[2]
فالرفعُ في اسمٍ للذي قد أُسنِدا إليهِ والمُسنَدِ منهُ اعتُمِدا[3]
وَهْوَ إذا جُرِّد لفظاً يُعتَبر بالمُبتدا والمُسنَدُ التالي خَبَر[4]
أو لا فإنْ كانَ أقامَ فعلَهُ ففاعلٌ أو لا فنائبٌ لهُ[5]
والنصبُ للمُلابِسِ الفعلِ على ما دون إسنادٍ إليهِ جُعِلا[6]
فإن يَكُن نفسَ الذي تعلَّقا بهِ فمفعولٌ يُسَمَّى مُطلَقا[7]
أو إنْ يُصِبْهُ فهو مفعولٌ بهِ أو لا فَمَعْهُ ان يكُن من صَحبِهِ[8]

---

١ أجر على الاسم المنصرف جميع الحركات منوناً واجعل الجزم للفعل واترك المبنيات فإنها ليست في شيء من الإعراب .

٢ يقول إن كل إعراب يكون باللفظ وهو الظاهر . أو بالنية وهو ما كان تقديراً أو محلا وإنما يكون ذلك حيث يدعوه العامل فإذا فقد العامل فقد الإعراب .

٣ أي أن الرفع في الاسم يكون للمسند إليه . ويدخل تحته المبتدأ والفاعل ونائبه . وللمسند أيضاً . ويدخل تحته خبر المبتدإ والصفة التي يبتدأ بها نحو هل قائم أخواك فإنها مسندة إلى ما بعدها . وذلك بحسب الوضع فلا يشكل بما تخلف عنه لعارض . وفي قوله اعتمد إشارة إلى ذلك .

٤ الاسم إذا جرد لفظاً فهو المبتدأ والمسند الذي يليه خبر له . أراد بقوله لفظاً ما يقوم به الابتداء وهو التجرد عن العوامل اللفظية . واحترز بقوله التالي عن المسند السابق في نحو هل قائم أخواك فإنه ليس بخبر . ولا يشكل بنحو قائم زيد لأن العبرة بالوضع .

٥ المسند إليه إذا لم يكن مجرداً فإن كان فعله قد قام به فهو فاعل وإلا فهو نائب الفاعل .

٦ يقول إن النصب لما تعلق به الفعل على غير جهة إسناده إليه . ويدخل تحت ذلك كل ما سوى الفاعل ونائبه من متعلقات الفعل .

٧ إن كان ذلك الاسم هو نفس الفعل الذي تعلق به في المعنى فذلك هو المفعول المطلق نحو ضربت ضرباً . فإن الضرب في المعنى هو نفس الفعل المتعلق به .

٨ إذا وقع الفعل على الاسم الملابس له فهو مفعول به . وإلا فإن وقع الفعل بمصاحبته فهو المفعول معه .

أو لا ففيهِ أو لهُ أو دونهُ إن كانَ ذاكَ وبهِ يَدعونَه[١]

أو لا فما يُبَيِّنُ الصِّفاتِ حالٌ وتمييزٌ مُبينُ الذاتِ[٢]

والخفضُ قد خُصِّصَ بالمُضافِ إليهِ مُطلَقاً بلا خِلافِ[٣]

وتابعٌ ما مرَّ إنْ يُقصَدْ حَصَل بالحرفِ عطفٌ وبلا حرفٍ بَدَل[٤]

أو لا فتأكيدٌ لتقريرٍ ومن وصفٍ لكشفٍ صِفْ ومن ذاتٍ أَبِن[٥]

ويُرفَعُ الفعلُ إذا تجرَّدا وَهْوَ جميعاً عاملٌ مُطَّردا[٦]

وحيثُما اختصَّ بجُملةٍ نَصَب ما بعدَ مرفوعٍ لهُ كيفَ انقلَب[٧]

---

١ إن لم يكن كذلك فإن كان قد وقع الفعل فيه فهو مفعول فيه . أو لأجله فهو مفعول له . أو كان قد وقع خلواً منه فهو المفعول دونه أي المستثنى وهي عبارة الجوهري . وذلك لأن قولك قام القوم إلا زيداً يفيد قيامهم دونه وهو ظاهر .

٢ إن لم يكن شيء من ذلك فما يبين الصفة منه فهو الحال . وما يبين الذات فهو التمييز . واعلم أن الذات أعم من أن تكون مذكورة أو مقدرة فيشمل تمييز النسبة .

٣ يقول إن الخفض مختص بما يضاف إليه مطلقاً أي على كل حال . فيدخل تحته المضاف إليه اللفظي والمعنوي والجمل المضاف إليها كقمت حين قام زيد . فإن الجملة مخفوضة المحل بإضافة الظرف إليها .

٤ يقول : إن التابع لهذه المذكورات إن كان مقصوداً بالنسبة بواسطة حرف فذلك هو العطف نحو جاء زيد وعمرو . فإن عمراً مقصود بنسبة المجيء إليه أيضاً وذلك بواسطة الواو . وإن كان مقصوداً بدون حرف فهو البدل نحو قام أخوك زيد . فإن زيداً مقصود بالنسبة ولكن بدون حرف .

٥ أي وإن لم يكن كذلك فإن أفاد تقريراً فهو التوكيد لأنه يقرر النسبة أو الشمول . وإن أفاد إيضاحاً فإن كان صفة فهو النعت . وإن كان ذاتاً فهو عطف البيان .

٦ الفعل المعرب يرفع إذا تجرد عن الناصب والجازم . واستغنى عن تقييده بالمعرب هنا لما سبق في أول الأبيات . والفعل جميعه عامل قياساً مطرداً . فلا يخلو من عمل في مذكور أو مقدر سواء كان معرباً أم مبنياً ، مشتقاً أم جامداً .

٧ يقول إن الفعل الذي يختص بدخوله على الجملة وهي المبتدأ والخبر يرفع ما أسند إليه وينصب ما يليه كيف كان . والمراد بذلك الأفعال الناسخة للابتداء فإنها تختص بالدخول على الجمل الاسمية .

فإنْ كفاهُ واحدٌ فهْوَ خَبَر أو لا فمفعولٌ على نسخِ الاثر [١]
والحرفُ عاملٌ إذا اختصَّ فما بمُفرَدِ اسمٍ خُصَّ جرّاً لَزِما [٢]
أَو جُملةٍ فإن يكُن كالفعلِ يَنْصِبْ فيَرفَعْ بخلافِ الأَصلِ [٣]
وشِبْهُ فعلِ النَّفْيِ مثلَهُ جُعِل ، فإن نَفى الجنسَ على العكْسِ حُمِل [٤]
وما يخُصُّ الفعلَ ممّا غيَّرا زَمانَهُ ولبس كالجُزْءِ يُرَى
إنْ يَكْفِهِ مستقبلٌ دونَ طَلَب يَنْصِبْ ، وباقيهِ بهِ الجزمُ وَجَبْ [٥]
والاسمُ إنْ ضُمِّنَ معنى عاملِ سِواهُ يَعْمَلْ مثلَهُ كالحاملِ [٦]

---

١ هذا تفصيل لمعمولات هذه الأفعال . يقول : إن كانت تكتفي بمعمول واحد بعد المرفوع فهو خبر وذلك في باب كان وكاد . وإن طلبت معمولين أو ثلاثة نصب ما تطلبه على المفعولية بناء على نسخ أثر الابتداء والخبرية .

٢ يقول : إن الحرف يعمل بشرط اختصاصه . فما اختص بالاسم المفرد عمل فيه الجر وهو الاعراب المختص بالاسم . فإن لم يختص كهل ونحوها لم يعمل .

٣ أي أن الحرف إذا اختص بدخوله على الجملة فإن كان يشبه الفعل ينصب ما يليه ويرفع الآخر عكس عمل الفعل فإنه يرفع ثم ينصب . والمراد بهذه الأحرف إن وأخواتها فإنها تشبه الأفعال في معناها وهيئتها لأنها على ثلاثة أحرف فصاعداً وهي مفتوحة الأواخر ، ولذلك يقال لها الحروف المشبهة بالأفعال .

٤ أراد بشبه فعل النفي ما ولا النافيتين المشبهتين بليس وما حمل عليهما وهو إن ولات . فإن هذه الأحرف تعمل عمل ليس في رفع الاسم ونصب الخبر . وقوله فإن نفى الجنس إشارة إلى لا ، فإنها إذا أريد بها نفي الجنس تعمل عكس هذا العمل فتنصب الاسم وترفع الخبر .

٥ يقول في هذين البيتين : إن الحروف التي تخص الفعل مما يغير زمانه وليست كالجزء منه هي التي تعمل فيه . لأنها إن لم تغير معناه بتحويل زمانه لا تغير لفظه بتحويل إعرابه . وإذا كانت كالجزء منه مثل سين الاستقبال لا تعمل فيه ولو غيرت زمانه من الشيوع إلى التخصيص لأن جزء الكلمة لا يعمل فيها . ثم يفصل هذا العمل فيقول إن هذه الحروف إذا كانت تكتفي بفعل مستقبل خالية من معنى الطلب كما في أن المصدرية تنصبه . فإن تخلف قيد الاكتفاء بالفعل الواحد كما في إن الشرطية أو قيد بقاء الاستقبال كما في لم أو قيد الخلو عن الطلب كما في لام الأمر عملت الجزم .

٦ يقول إن الاسم ليس له حق في العمل . غير أنه إذا تضمن معنى عامل غيره يعمل عمله كأنه حامل له . وذلك في الصفات والمصادر وأسماء الأفعال فإنها تتضمن معنى الفعل وتعمل عمل ما تضمنت معناه منه . وفي أسماء الشرط فإنها تتضمن معنى ان الشرطية وتعمل عملها .

وربَّما أُعمِلَ بالتشبيهِ ما ليسَ للإعمال حقٌّ فيهِ ١
وجُمْلةٌ حلَّت محلَّ المُفرَدِ لها بإعرابٍ محلاً فَلْتَدِ ٢
وقَلَّ ما نَدَّ ، وهذا يُعْتَمَدْ كأَحرُفِ الهجاءِ حتى في العَدَدْ ٣

قال : فعجِبَ القومُ من ذلك الجمع الضابط ، والسرد الرابط . وقالوا : عَلِم الله الذي أَنزلَ الفروض، انها لأجمعُ من قولهم كلُّ شَرْفاءَ وَلودٌ وكلُّ سَكَّاءَ بَيوض . فمَن ضاربُ هذه الحديقة ، وناسجُ هذه البردةِ الصفيقة ؟٤ قال : هوَ صاحبكم الذي لا يصحَبُ بناتِ غيرٍ . وقد صرفتُ عليها سنةً ٥

١ يقول : إن الغير العامل قد يشبهونه بالعامل فيعملونه . كالاسم الجامد الواقع مبتدأ فإنه يرفع الخبر في الأصح . وإنما عمل فيه لأنه طالب له طلباً لازماً وأصل العمل للطلب . فشبهوه بما يعمل فأعملوه . وكذا الواقع في باب التمييز نحو ملكت عشرين عبداً . فانهم شبهوا ذلك بالضاربين زيداً فاعملوه . ومن ذلك الصفة المشبهة فإنهم يعملونها عمل اسم الفاعل لشبهها به . وهي لا تستحق العمل لدلالتها على الثبوت بخلاف الفعل .

٢ يقول ان الجملة التي تحل محل المفرد يعطى محلها من الاعراب ما يستحقه ذلك المفرد كالواقعة خبراً أو حالا أو مضافاً إليها وغير ذلك .

٣ أي قل ما شرد من هذه الحظيرة . وذلك إما باعتبار الفروع كأحكام المنادى ، أو باعتبار الضوابط كخروج واو المصاحبة عن عمل الجر مع اختصاصها بالاسم المفرد . ثم يقول : إن هذه الأبيات تعتمد كالأحرف الهجائية في كونها واقعة بحيث تتألف منها مسائل شتى في النحو كما يتألف الكلام من الأحرف الهجائية . وقد تم هذا الشبه بكونها موافقة لأحرف الهجاء في العدد ، وهي تسعة وعشرون في الصحيح ، وقد جمعها بعضهم بقوله :

غيث خصب طوق عز ظله تاج ذكر ضد مفش أحسن

وكذلك هذه الأبيات باعتبار أن كل شطرين منها بيت كما جرى عليه شراح الخلاصة وغيرها حيث يقولون حاصل ما في البيت مثلا ويعنون به الشطرين كليهما .

٤ الشرفاء : الطويلة الأذن ونقيضها السكاء . يعنون بذلك أن ما كان لها أذن من إناث الحيوانات فهي تلد . وما ليس لها أذن تبيض . وهو ضابط يجري على كل أنثى من الناس والبهائم والطير . فيقولون إن هذه الأرجوزة قد جمعت من مسائل النحو فوق ما جمعت هذه العبارة . ضارب : مقيم . الصفيقة : المتلززة المتينة .

٥ صاحبكم : يعني نفسه . لا يصحب بنات غير : أي لا يأخذ كلام غيره .

كحوليّات زُهَير[1] . لكنني طالما كتمتُها عمَّن لا يعرفُ قدْرَها، ولا يؤدي مَهْرَها. قالوا : قدِ استكرَمْتَ فارتَبِط، وفلَجتَ سِهامُكَ فاغتَبِط[2]. لكنّ ذلك يُرتَّب ، على أن تُمليَها فنُكتَب[3] . قال : نعم فاكتب يا بُنيّ، واندفقَ في إملائِها عليّ . حتى إذا فرغنا من تعليق الأساطير ، انهالت عليّ الدراهمُ وعليه الدنانير . فلما أفعَمَ الإناء ، ودّع القومَ وأحسن الثنـاءَ ، فشيَّعوهُ إلى الفِناء . وخرجَ بي يعدو كالطريد ، حتى انتهينا إلى باب البريد،[4] فقال : كيفَ أنت وقصعةً من ثريد[5] ؟ قلتُ : على ما تريد . فدخل بي إلى غرفةٍ أبهى من قصر غُمدان ، على وَدْفةٍ أبهَج من شِعب بَوّان . وقال :[6] يا ليلى الهاجدة[7] ، قد تلوتُ لكِ سورة النجم فعليك بسورة المائدة . فقالت :

أهلًا بمن زارَ دارَ أهلٍ ، وَهْوَ لنحرِ الجزورِ أهلُ
تطابَقَ الضيفُ مع قِراهُ ذاكَ سُهيلٌ وذاكَ سَهْلُ[8]

قال : فابتدَرتها بالتَّغلية ، وقلتُ من غير ترْوية:[9]

---

١ زهير : هو زهير بن أبي سلمى المزني لم يكن يشهر قصائده حتى يأتي عليها حول . ولذلك لقبت بالحوليات .

٢ قد استكرمت فارتبط : مثل . يعني قد نزلت على كرام فارتبط مطيتك . فلجت : فازت وظفرت . فاغتبط : من الغبطة وهي حسن الحال .

٣ أي لكن هذه الكرامة لك تتوقف على أن تملي علينا هذه الأرجوزة فنكتبها .

٤ الفناء : ساحة الدار . باب البريد : مكان بدمشق .

٥ ثريد : طعام من اللحم واللبن والخبز .

٦ قصر غمدان : قصر باليمن يوصف بالرونق والزخارف . ودفة : روضة خضراء . شعب بوان : مرج ببلاد فارس .

٧ الهاجدة : المصلية ليلا .

٨ قالت ذلك لأنها لما قال أبوها قد تلوت لك سورة النجم عرفت أن المراد بذلك سهيل .

٩ التغلية : السلام من بعيد . تروية : تفكر .

بعضُ السهيْلَين زارَ ليلى في الليل ، والبعضُ زارَ ليلا[1]
فذا سُهَيلٌ وذا سُهَيلٌ ، وذاكَ ليلٌ وتلكَ لَيلى

قالت : حيّاكَ اللهُ يا أبا عُبادة ، ومَتّعَنا منك بالوِفادة[2] . انت في ضيافة الوالِد والولد ، ما دمتَ حِلاً بهذا البلد. فمكثنا ريثما انقضى شهرا قِماح ،[3] وقال السفرُ : حيَّ على الفَلاح . فاستوى كلٌّ على مطيّته ، وعادَ لِطيَّته .[4]

---

١ مفعول به لا فيه . جعل ظهوره في الليل بعد خفائه بمنزلة قدوم الزائر بعد غيبته .

٢ الوفادة : الزيارة .

٣ الولد : تريد نفسها . شهرا قماح : أشد الشتاء برداً . وهما في مقابله شهري ناجر في الصيف .

٤ حي على الفلاح : طاب السفر . مطيته : ركوبته . لطيته : للمكان الذي يقصده .

المقـــامة الثانية والعشرون

وتعرف بالسروجية

أَخبرَ سهيلُ بن عبَّادٍ قال : أَردتُ الخروج إلى سَروج[١] . لعلّي أجِدُ لأَبي زيدٍ أثراً أتيَمَّن بهِ ، أَو أعثرُ على أَحدٍ من عَقبهِ . فحسرتُ عن ساقي[٢] ويدي، وقلتُ : سَروجَ يا ناقَ فسيري وخِدي. وما زِلتُ أَستغرقُ اليومَ[٣] رَمَلًا ، وأَتَّخِذُ الليلَ جَمَلًا . حتى كنتُ في ليلةٍ أُغير وأُنجِد ، وأَسترشِدُ[٤] ولا مُرشِد ، وإذا راكبٌ يُنشد :

أَيَّتُها الناقـةُ إنْ طالَ السَّفر ... لا تجزعي منهُ ، فقد طال الحضر
أقمتِ شَهرَ صَفَرٍ حتى صَفَر ... وقد أتى شهرُ ربيعٍ واشتهَر[٥]
فبادِري لا تقفي إلى السَّحَر ... وصابري فإنني ممّن صَبَر
سِيَّان عندي كلُّ وِرْدٍ وصَدَر ... وكلُّ نومٍ عندَ جفني وسَهَر[٦]

---

١ سروج : مدينة في أرض الجزيرة بين الفرات ودجلة . وإليها نسبة أبي زيد السروجي الذي بنى الشيخ الحريري مقاماته عليه . وهو المـراد بقول سهيل لعلي أجـد لأبي زيد أثراً كما سترى .

٢ عقبه : نسله . حسرت : شمرت .

٣ خدي : أي اسرعي . وهو تضمين من أبيات للحريري في مقاماته . استغرق : يقـال استغرق الشيء إذا أحاط بجملته .

٤ الرمل : بين المشي والركض . يقال : اتخذ الليل جملا : أي ساره كله . أغير وأنجد : أي أهبط إلى الغور وهو المكان المنخفض ، وأصعد إلى النجد وهو المكان المرتفع .

٥ صفر : فرغ .

٦ سيان : مثنى سي وهو المثل . الورد : القدوم على الماء . الصدر : الرجوع عن الماء .

أطوَى وليسَ للطَّوَى بي من أثر وأخبِطُ الليلَ على غيرِ حَذَرٍ [1]
يُؤنِسُني سُهَيلُ إن غاب القمر [2]

قال : فلما سمعتُ هــذه الأبيــات الحَماسيّة ، استنشيتُ منها النفحةَ الخزاميّة [3] . فقلت :

سُهيلُ أرضٍ أم سُهيلُ الفَلَكِ يا أيها اللابسُ ثوبَ الحَلَكِ [4]
إنَّكَ عندي مَلَكٌ في ملِكِ [5]

فنزَلَ الرجلُ وقال : ما لنا وسُرى الليل ، إذا طلع سُهيل ، رُفِـع كيلٌ ووُضِـع كيل . فوثبتُ إليه كأبي فِراس ، وإذا كلُّنا في فِراسةِ [6] إياس . وقضينا غابر ليلتنا في تلك البِطاح ، إلى أن تبلَّجَ وجهُ الصباح ، [7] فنهضَ وقال : أين الوجهة يا صاح ؟ قلتُ : قد مَلَكْتَ دهراً ، فأدِلْني [8] شهراً . قال : أنا إمّعَةٌ لك في هذه المرَّة ، ولو نزلتَ بي على أبي مُرَّة ! [9] فسِرتُ بين يديه كالدليل ، وسار في إثْري كالضليل . وأخذنا نخترق الأدغال

---

١ أطوى : أجوع .
٢ سهيل : نجم صغير .
٣ يريد أنه استنشق منها رائحة ميمون الخزامي .
٤ الحلك : شدة السواد . كنى به عن سواد الليل الذي كان يستره .
٥ أي أنك عندي واحد من الملائكة قد حل في جسم ملك من البشر .
٦ رفع كيل ووضع كيل : مثل يريدون به أن هذا النجم إذا طلع تنقضي أيام الحر وتقبل أيام البرد فيتركون حوائج ذلك ويأخذون في حوائج هذا . وهــذا الرجل يقول المثل مريداً به ترك السفر وأخذ النزول في ذلك المكان . أبو فراس : الأسد . الفــراسة : صدق النظر والظن .
٧ إياس : هو إياس بن معاوية الذي يضرب به المثل في الفراسة والحذاقة . غابر : باقي . البطاح : الأراضي المنخفضة .
٨ يا صاح : يا صاحب . فأدلني : أي فاعطني الدولة .
٩ إمعة : تابع مطيع . أبو مرة : إبليس .

والشواجِن ، ونرِدُ العَذْبَ والآجِن ، حتى دخلنا سَروجَ في صُبحة يومٍ[1] داجِن . فترجَّلنا عن أنضائنا الطليحة ، ونزلنا في غرفةٍ فسيحة. ولَبِثنا هناك[2] بِضعاً من الليالي ، نتفقَّد البرجَ المشيَّد والطلَل البالي ، ونلتمس آثار من[3] كان في العصْر الخالي حتى كان يومُ المِهْرَجان ، فضَبَثَتْ مخالب الشيخ[4] بالصَّوْلجان[5] ، وقال : هذا يومٌ يجتمعُ فيه الإنسُ والجان . وخرج بي في صَدْرِ ذلك اليوم ، حتى انتهينا إلى مُنتَدَى القوم . فوجدنا هناك فِجاجاً ،[6] وماءً ثَجّاجاً ،وناساً يدخلون أفواجاً . فتوسَّم الشيخ أوجهَ الناس، وجلس[7] عن جانب أوجَه[8] الجُلاّس . فلما سَكَنَتِ الضوضاءُ ، أعرَضَ بوجهه إلى الفضاء. وقال : يا أبا عُبادة إني قد أزمعتُ السَّفَر، ولا أدري هل يجمعُ بيننا القدَر . فخُذْ عني ما أُلقيه إليك ، والله خليفتي عليك . قُلتُ : أطرِف بما عندَك، لا ذُقتُ فَقْدَك ، ولا حَيِيتُ بعدَك . فقال: يا بُنيَّ إذا ركِبتَ متن الصحراء ، فاطلُب خدَّ العذراء . وإذا نمتَ فاعتنِقِ الصبيَّ، ولا تُصَلِّ[9] على النبيّ. واقنَع بالسمراء،إذا عزَّتِ البيضاءُ . واشرب من كأس الفاجر ،[10]

---

١ الشواجن : الأودية الكثيرة الشجر . الآجن : الماء المتغير الطعم واللون

٢ يوم داجن : فيه غيوم . أنضائنا : ركائبنا المهزولة . الطليحة : التي جهدها السير .

٣ المشيد : المرفوع . الطلل : رسم الدار . نلتمس : يقال التمسه أي طلبه مفتشاً عنه .

٤ المهرجان : موسم يكون في أيام الخريف تخرج الناس فيه للتنزه . وهو من أعياد الفرس كالنيروز . ضبثت : علقت . المخالب : أظفار السباع استعارها له تشبيهاً بها في الافتراس .

٥ الصولجان : عود منعطف الرأس .

٦ فجاجاً : طرقاً واسعة بين جبال .

٧ ثجاجاً : مندفقاً . توسم الشيخ أوجه الناس : تفرس فيها .

٨ أوجه : أفضل .

٩ متن الصحراء : البرية . والمراد إذا سافرت . خد العذراء : لقب الكوفة . وإنما أمره بطلبها لأنها مدينة العراق الكبرى . الصبي : السيف .

١٠ النبي : الطريق . السمراء : الحنطة كناية عن الخبز . عزت : قل وجودها . البيضاء : الفضة . الفاجر : مستنبط الماء من الينبوع .

لا من كأس التاجر. وتصدّق على الأمير ، بجَنى غرس الفقير. وإذا كُلِّفتَ[١] حملَ الجِنازة، فاطلُب المفازة. وإذا اعتمدتَ السلبَ في الليل، فعليك بنهبِ[٢] الخيل . وإذا دخلت الحَلقةَ فاحذِفِ السلام ، واقتَصِر على ما كَذَبَ مِنَ[٣] الكلام . وحرِّم الصبر على الأسير ، والجبر على الكسير. واقطعِ السواعد،[٤] ولا تتبعِ القواعد . واختر من النساء العليلة المُتنصِّفة ، واحذَرِ المُتجمِّلة[٥] المُتعفِّفة . وأعرِض عن الشافع ، إلى الدافع ، وانحَرِ الشاريَ كالبائع .[٦] واضرِبِ الساعي ، بعصا الراعي. وفضّل القوافل ، على النوافل . والغريب،[٧] على النسيب . والإجارة، على الإمارة. وقدّم زيارة الميْت، على حجّ البيت.[٨] واحذر لنفسك من الصوم، وادخل السوق عند النوم. واتبع مِلاح الجواري، ولا[٩]

---

١ التاجر : بائع الخمر . الأمير : قائد الأعمى . غرس الفقير : حفرة تترك حول النخلة الصغيرة ليجتمع فيها ماء المطر .

٢ الجنازة : زق الخمر . المفازة : النجاة أو الفلاة . السلب : السير .

٣ نهب الخيل : نوع من الركض . أي اسرع لئلا يدركك سوء . احذف السلام : خففه ولا تطل به . كذب : وجب . ومنه قول الإمام عمر : كذب عليكم الحج أي وجب .

٤ الصبر : الحبس إلى أن يموت المحبوس . الجبر : القهر والاغتصاب . اقطع السواعد : اعبر مجاري المياه .

٥ القواعد: النساء اللواتي لم يتزوجن . العليلة : المطيبة مرة بعد أخرى . المتنصفة : المستترة بالنصيف وهو الخمار . المتجملة : التي تأكل الشحم .

٦ المتعففة : التي تشرب فضلة اللبن . الشافع : الشامة في الخد . كناية عن المنظر الحسن . الدافع : الناقة التي يدر لبنها من نفسه . الشاري : واحد الشراة وهم طائفة من الكفار . البائع : ولد الظبي .

٧ الساعي : النمام . الراعي : الوالي . القوافل : الرفاق في السفر . النوافل : أولاد الأولاد . الغريب : يريد الغريب من الكلام .

٨ النسيب : التغزل في النساء . الإجارة : من قولهم : أجاره إذا حماه ممن يطلبه بسوء . الإمارة : من قولهم أماره إذا أعطاه زاداً . الميت : المريض بنحو الغشي والصرع . حج البيت : زيارة القبر .

٩ الصوم : القيام بلا عمل . النوم : الكساد . الملاح : الريح التي تجري بها السفينة . الجواري : السفن .

تتبع الكاتب والقاري ، واطرُدِ اللابس وأكرِمِ العاري . وافترس الليلَ[1]
والنهار،حتى يتيسّر لك الفُرار. واحرِص على الأعراض دون الجواهر ،واعدل[2]
عن المُسلمات إلى الكوافر . وكُنْ من العواطل ، ولا تحاوِل قطعَ خيط[3]
الباطل . وأنكِر الشهادة،حيثُ لا ترى الإفادة . واضرِبْ كَبِدَ الإمام ،[4]
واستَعْدِ اللهَ[5] ما بقيتَ والسلام . قال : وكان القوم قد أرعَوهُ سَماعاً ،
فأنكروا عليه إجماعاً. لكنهم اعتصموا بالحزْم،فصبروا كما صبر أولو العزْم.[6]
حتى إذا فرَغَ من توصيتهِ ، أخذوا بناصيتهِ . وقالوا : أولى لك[7] يا شَوْلة
عَدْوان ، وهَيْلةَ غطَفان،قد أمرتَ بالسوء ونهيتَ عن الإحسان ! فأرغى[8]
الشيخُ وأزبَد،وقال: ما أشبَهَكُم بولد الخليلِ بنِ أحمَد[9] . لو كنتم تعلمون

---

١ الكاتب : الذي يخرز القربة إذا انشقت . القاري : صانع الضيافة . يريد أنه إذا ركب البحر مبتعداً فذلك خير له من اتباع هذين لئلا يظن أنه قد تبعهما طمعاً في الطعام والشراب . اللابس : المدلس . العاري : الضيف . الليل : ولد الكروان . وهو طائر .

٢ النهار : ولد الحبارى . وهو طائر آخر . الفرار : حمار الوحش . أي اقنع بالقليل حتى يتيسر لك الكثير . الأعراض : جمع عرض بالكسر . الجواهر : الحجارة الكريمة .

٣ المسلمات : اللواتي يبتذلن للرجال . الكوافر : المستّرات . العواطل : الذين تركوا الأعمال .

٤ خيط الباطل : ما يدخل من الكوة من شعاع الشمس كالحبل . أي كن متعطلا فارغاً من العمل ولا تعمل عملا لا فائدة فيه ولا أثر له كمن يريد قطع هذا الخيط . أنكر : لا تقبل . الشهادة : الحضور . اضرب : اقرع . كبد : وسط . الإمام : الطريق . أي اسلك في وسط الطريق غير منحرف إلى أحد الجانبين .

٥ استعد الله : استعن به .

٦ اعتصموا : تمسكوا . الحزم : ضبط الأمر والأخذ فيه بالثقة . أولو العزم : قيل المراد بهم : نوح وإبرهيم وإسحق ويعقوب ويوسف وأيوب وموسى وداود وعيسى .

٧ أولى لك : كلمة شتم وتهدد .

٨ شولة عدوان : جارية كانت لبني عدوان وكانت تنصحهم فتعود نصيحتها عليهم وبالا ، فصارت مثلا . هيلة غطفان : عنز كانت عند بني غطفان تنطح من يأتيها بالعلف وتأنس بمن يحلبها . كنى بذلك عن معاكسة الواجب .

٩ هو الخليل بن أحمد الفراهيدي مستنبط علم العروض .

ما وراءَ الفِدام ، من صفوة المُدام، لَنَنكَص عليكم الملام . قالوا : فارفعِ[1] الغِشاءَ[2] ، ولك عندنا ما تشاءُ . قال : عَلِمَ الله أنكم لو دخلتم البيوت من أبوابها ، لكنتم أهلها وأولى بها . أما الآن وقد لقيتُ منكم الأَمَرَّين ، وجاوز[3] الحزامُ الطُّبْيَين ، فلأُصلينَّكُم بنارَين ، ولا أبيعكم العبارة إلاَّ بدينارَين.[4] فأذعَنَ القوم لحكمه ، إذ رأوا طليعة علمه ، وقالوا : قد كَثَبكَ الصيدُ[5] فارمِه . حتى إذا فتَقَ ، ما كان قد رَتَقَ[6] . صاحتِ الجماعة : اللهُ أكبر ! قد نُشِر السَّروجيُّ[7] قبل يوم المحشَر . قال: إنَّا قد أحصينا كلَّ ذلك عدداً ، ولو شئنا لَجئنا بمثلِه مَدَداً . فنفحوهُ بالدنانير ، وألقَوْا إليه المعاذير. قال[8] سهيلٌ: فلما تلقَّف المال أشار إليَّ ، وقال: إن كنتم قد نَسيتم الراشنَ[9] فعليَّ . فحَصَبوني بدُريهمات ، وقالوا : لا تأسَ على ما فات . فخرجنا نَجُرُّ[10] الذُّيول ، وراح الشيخُ يقول :

يا رُبَّ يومٍ قد قرعتُ الظُّنْبوب   مندفقاً فيه اندِفاقَ الشُّؤبوب[11]

١ الفدام : ما يوضع في فم الإبريق ليصفى به ما فيه . المدام : الخمر . نكص : رجع .
٢ ارفع الغشاء : أي اشرح لنا .
٣ لو دخلتم البيوت من أبوابها : أي لو طلبتم ذلك بالطريق المأنوس . الأمرين : أي الجهد والبلاء ، وهو مثل .
٤ جاوز الحزام الطبيين : مثل ، أي بلغ الأمر غايته . والطبي حلمة الضرع من الخيل وغيرها . أصلينكم : أحرقنكم
٥ الطليعة : مقدمة الجيش . أي لما سمعوا كلامه الذي يدل على بلاغته كما تدل الطليعة على قدوم الجيش . كثبك : قاربك .
٦ رتق : خاط . أي شرح ما كان قد أبهم .
٧ نشر : عاد إلى الحياة . السروجي : يريدون أبا زيد الذي بنى الحريري مقاماته عليه . وذلك مبالغة منهم في التشبيه .
٨ مدداً : كثيراً . نفحوه : أعطوه .
٩ الراشن : ما يعطى لتلميذ الصانع حلواناً .
١٠ حصبوني : أصابوني . تأس : تحزن .
١١ الظنبوب : عظم الساق . وذلك كناية عن الجد والإسراع . الشؤبوب : الدفعة من المطر .

أشرَبُ بالزِّقِّ وأسقي بالكوب ، والناسُ بينَ غالبٍ ومغلوب[1]
أَنا أَبو ليلى وسيفي المعلوب[2]

فقلت :

أنتَ الخزاميُّ الذي يشفي الضَّنَى طافَ بكَ المدحُ ، فمن رام الثنا
لقَّبَ أو سَمَّى وإن شاءَ كَنَى ،[3] أرسلَكَ اللهُ حديقةً لنا
فيها نزاهةٌ وظِلٌّ وجَنَى ![4]

قال : أكرمتَ يا سهيل ، فشَمِّر الذيل ،وبادِرِ الليل . قلت : إني لكَ[5] أَطوَعُ من ثواب ، وأتبَعُ من البادية لمواقع السَّحاب . وخرجتُ في صُحبته[6] تلكَ الليلة إلى السواد ، وكنت أَوَدُّ لو أَصحَبُهُ إلى بَرْكِ الغِماد .[7]

---

١ الزق : إناء للخمر من جلد الكوب : الكوز الذي لا عروة له . يريد أنه لا يزال متغلباً على الناس ينال منهم الكثير ولا ينالون منه إلا قليلا .

٢ المعلوب : سيف الحرث بن ظالم المري . قتل خالداً الكلابي بثأر زهير العبسي فلحقت به جنود الملك الأسود فقاتلهم وقتل منهم وجرح فكفوا عنه . فمضى لسبيله وهو يقول : أنا أبو ليلى وسيفي المعلوب .

٣ لأن في جميع أسمائه ثناء عليه : الخزاميّ ، ميمون ، أبو ليلى .

٤ جنى : ثمر .

٥ وبادر الليل : اسبق قبل أن يدجي علينا .

٦ ثواب : هو رجل من العرب سافر سفراً طويلا ثم أنقطع خبره ، فنذرت امرأته إن جاء أن تخزم أنفه وتجيء به إلى مكة . فلما قدم أخبرته بذلك ، فأطاعها عليه ، فضرب به المثل . أتبع من البادية لمواقع السحاب : ذلك لأن العرب يتبعون في نزولهم الأراضي الممطورة طلباً للمراعي .

٧ السواد : أي سواد العراق . برك الغماد : يقال إنها آخر معمورة في الأرض .

المقـــامة الثالثة والعشرون

وتعرف بالموصلية

قال سهيلُ بنُ عبَّادٍ: شخصتُ من حلَبَ الشهباءِ، إلى المَوصِلِ الحدباءِ.[1] حتى إذا دخلتها أتيتُ الخان، وإذا شيخنا الخزاميُّ في حجرةٍ على الخِوان. فلما رآني وَثبَ عن الطعام، وابتدَرَني بالسلام. فابتهجتُ به ابتهاجَ الساري[2] بالقمر، ونَسيتُ ما مرَّ بي من بوارِحِ[3] السفر. ثم جلسنا نتناولُ ما طَهَتْ ليلى من الألوان، وهي تختلفُ[4] إلينا باللحُوم والألبان. فقال الشيخ: قد جمعنا بين ليلى وعَمِّها، أفلا نجمع بين ليلى وأُمِّها؟ فما لَبِثَت أن جاءَت[5] بزُجاجة بيضاءَ، فيها سُلافةٌ[6] سوداءُ. وقالت: ما أحسَنَ الليل، إذا اجتمع بسُهيل! قال: وكان في الحضرةِ فتًى من رَكْبِ القَيرَوان، عليه مُطرَفٌ[7] من الأُرْجُوان. فعَلِقَ الجاريةَ[8] وافتتنَ بها، لما رأى من ظَرْفها وأدبِها. فقال: ليس في المَوصِلِ، إن شاءَ الله، إلاّ صِلَةُ الحبلِ[9]، واجتماع الشمل.

....

١ الشهباء: لقب حلب. الحدباء: لقب الموصل.

٢ ابتدرني: سبقني. الساري: الماشي ليلا.

٣ بوارح: شدائد.

٤ تختلف: تتردد مرة بعد أخرى.

٥ عمها: أي سهيل. ليلى وأمها: أراد الخمرة السوداء لأنهم يقولون لها أم ليـلى.

٦ سلافة: خمرة.

٧ القيروان: القافلة. مطرف: ثوب.

٨ علق الجارية: تعلق قلبه بها.

٩ صلة الحبل: يريد اتصاله بها تفاؤلا باسم الموصل وهو قد أضمر في نفسه الزواج بها.

فقالت : إذا اجتمع الرجُلُ بأهلهِ ، فسيُغنيهِ اللهُ من فضلهِ . ففطنَ الشيخ ذو الهَول والغَول ، لما دارَ بينهما من لحن القَول . وقال : قد قضى الله باليُسرى ، فلكَ البُشرى . واعلم أنهُ قد خطب إليّ أكرمُ الأصهار ، على[2] مَهْرِ ألف دينار . فلم يسمح بفراقِ جَنَّتي جناني ، ولم يَطِبْ عن روحي وراحي ورَيحاني . غير أنّ البيع مُرتَخَصٌ وغال ، فلا يحول بيننا المال .[3] قال : إن في يدي مائةَ دينارٍ إن كانت تكفيها ، فبُورِكَ لكَ فيها . قال : هيهات ، ولكن هات! فلما قبض المال قال : جُعِلَ مُباركاً أينما كان، ولكن تُنظِرُني[4] هُنَيْهةً من الزمان . فتواعدا إلى أجلٍ مُسمّى ، وذهب الفتى جَذْلانَ بكشف الغُمَّى ، وانكِشافِ المعمَّى[5] . قالَ : فلما حان أجَلُ الزّفاف ، أقبل الفتى كالغُداف[6] . فوجد الشيخ يتأهّبُ للرحيل ، ويُوَدّع من هناك من أبناء السبيل[7] . فأجفَلَ الفتى أيّ إجفال ، وقال : ما بالكم تزمون الجمال ؟ قال:يا بُنيّ إني قد صرفتُ الدنانير بين الجِفان والكؤوس،[8] فلم يبقَ لي ما يقوم بتجهيز العروس.فأرَدتُ أن أتحوّل إلى الحِلّة[9] إذ ذاك،

....

١ الغول : من قولهم غاله إذا أخذه من حيث لا يدري . القول : ما تخاطب به صاحبك بحيث يفهمه دون غيره .

٢ اليسرى : نقيض العسرى .

٣ راحي : خمرتي . الريحان : النبات الطيب الرائحة . البيع مرتخص وغال : مثل قاله أحيحة ابن الجلاح الأوسي لقيس بن زهير العبسي لما طلب إليه أن يبيعه درعه ليثأر لأبيه من بني عامر ، فقال : يا أخا عبس ليس مثلي يبيع السلاح ولا يفضل عنه .

٤ تنظرني : تمهلني .

٥ المعمى : الكلام الغامض . أراد به ما كان يضمره ويناجي الجارية به .

٦ الغداف : النسر الكثير الريش .

٧ أبناء السبيل : المسافرين .

٨ تزمون الجمال : كناية عن الرحيل . صرفت الدنانير بين الجفان والكؤوس : أي بين الطعام والشراب .

٩ الحلة : مدينة على غربي الفرات .

لأقضيَ حقَّها بتَلِيَّةٍ لي هناك . فأشهَدَ الفتى أن ليس له عنده عَرْضٌ[1] ولا نَقْد ، وقال : هلُمَّ إلى القاضي لإمضاءِ العَقْد . فانطلق معهُ الشيخ والجارية، وهو يُريدُ أن يأخُذَها ولو بقُرْطَيْ مارية [2] . فلما دخلوا على القاضي قال الشيخ : يا مولايَ إن هذا الفتى قد خطبَ امرأتي إليَّ ، وهيَ غيرُ مُطلَّقةٍ من عِصمتي ولا مُطلَّقةٍ من يديَّ . فاعقِد لهُ عليها إن رأيت ، وإلاَّ فقل لهُ : اذهب من حيثُ أتيت ! فقال الفتى : كلاَّ يا مولايَ إنها سليلتُهُ ، لا حليلتُهُ . فقال القاضي : إن جئتَ ببيِّنةٍ لذاك ، وإلاَّ فقد سقطت دعواك . ولما نظر القاضي إلى توقُّفه ، أمر بطرده عن موقفه ، وأخذ يُعنِّفُ الشيخ على سُوءِ تصرُّفه . فتباكى الشيخ وتنهَّد ، ثم أشار إلى القاضي وأنشد :

قد رَجَمَ الدهرُ بشُهب النحسِ حتى هَمَمْتُ بفراقِ عِرسي [3]
خوفاً عليها من حلولِ الرَّمْسِ لشِدَّةِ العيشِ وضَنْكِ النفسِ ! [4]
ما بَرِحت ، مُذْ أربعٍ أو خمسٍ ، تُصبِحُ في مجاعةٍ وتُمسي !
ولا أرى في راحتي من فَلْسِ يقومُ بالطُّعمِ لها واللُّبسِ
وَهْيَ فتاةٌ من سراة عبسِ ، أخوالُها من آلِ عبدِ شمسِ [5]
معتادةٌ نحرَ المَها بالأمسِ ، وشُربَ ألبانِ العِشارِ الدُّخْسِ [6]
ومَلبَسَ السُّنْدُسِ والدِّمَقْسِ ، لكنها من طيبِ ذاك الغرسِ [7]

---

١ تلية : بقية دين . عرض : واحد العروض وهي الأسباب والأمتعة .
٢ مثل يضرب في الشيء الثمين .
٣ رجم : رمى . الشهب : هي ما يظهر في الليل كأسهم نارية . ومن الناس من يتشاءم بها . عرسي : زوجتي . يريد أن يري القاضي أنه كان يريد حقيقة أن يعطي الفتى إياها .
٤ ضنك : ضيق .
٥ سراة : أشراف .
٦ المها : بقر الوحش . العشار : النياق الوالدة . الدخس : السمان المكتنزات اللحم .
٧ السندس : الديباج . الدمقس : الحرير . الغرس : الأصل .

قد أَنِفَتَ من ارتكابِ الرِّجسِ ، فأنكَرَتَ خُروجَها من حبسي
وقد شكوتُ عِلَّتي للنَّطْسِ عساهُ يسقيني شَرابَ الوَرْسِ[2]
فيكتفي الناقِهُ شرَّ النُّكسِ[3]

ولما فرغ الشيخ من الإنشاد ، رقّ لهُ القاضي حتى استهلّ دمعهُ أو كاد . وقال: أيها الشيخ لا عَجَب، إذا أدرَكَتْكَ حِرفةُ الأدب . فاعتَنِم الآنَ[4] بهذه الدُّرَيمات على أمر نفسك، وأنفق مما رَزَقَكَ الله حَلالاً طيِّباً واتَّق اللهَ في أمر عِرسِك . فأخذَ نِحلةَ[5] القاضي وأثنى عليه بما استحقّ ، وقال : مثلُكَ مَن قضى الحقَّ ، وقضى بالحقّ . قال سُهيلٌ: فلما فَصَلْنا عن باحة[6] القَضاء ، وحصلنا في ساحة الفضاء . قال: يا بُنيَّ اقرُبْ ، وخذ هذه الرُّقعة واكتُب :

قُلْ للذي رامَ الفتاةَ المُحصَنَه : إن كنت تبغي شِركةً عن بيِّنه ،[7]
فَلْنَتَهايأْ سنةً بعدَ سَنَه ، لكنَّ هذا العامَ يَقضي لي أنَه[8]

---

١ الرجس : الدنس والإثم .
٢ النطس : الطبيب الحاذق . يريد به القاضي . الورس : ثمر شجر بلون الزعفران يقع في بعض تراكيب الأدوية . كنى به عن الذهب .
٣ النكس : الرجوع إلى المرض . أي فلا يحتاج أن يفعل مثل هذا بعد ذلك .
٤ حرفة الأدب : صناعته . اعتنم : استعن .
٥ نحلة : عطية .
٦ قضى : وفى . باحة : ساحة الدار .
٧ المحصنة : المصونة .
٨ فلنتهايأ سنة بعد سنة ، يقول : إن هذه زوجتي فإن كنت تريد أن تشاركني فيها شركة شرعية فلتكن لي سنة ولك سنة،وهو المراد بقوله فلنتهايأ . والمهايأة من أحكام الشريعة في ما لا يحتمل القسمة كالعبد ونحوه . وهذا وما يليه من باب التهكم والسخرية على الفتى . أنه : أي أنا ، بإبدال الألف هاء .

إذ قد بدأتُ فيهِ بعضَ أزمِنَه، حتى إذا ما نَفِدَت هذي الهنَه[1]
زَفَفْتُها حاليةً مُزَيَّنَه، إليكَ إذ تبغي، بأيِّ الأمكنَه[2]
لكن على شريطةٍ معيَّنَه تبذِلُ لي من مَهْرها نِصفَ الزِّنه![3]

ثم قال: يا فُلان، قد استحيتُ من دخوليَ الخان. فأرى أن تتركَ الجوادَ وتَنساب، وتأخُذَ ما لي هناك من الأسباب[4]، وتُلصِقَ هذه الرُّقعة بالباب. ثم توافيني إلى باب المدينة، لنرحلَ من هناك بالظعينة[5]. قال: ففعلتُ كما أمَر، لكنني لم أجد إلاّ خُفّاً بالياً فوافيتُه بهِ على الأثَر. حتى إذا أفضيتُ[6] إلى الميعاد[7]، لم أجِدِ الشيخ ولا الجواد. فانثنَيتُ أُريد الدخول، وإذا رقعةٌ على الرِّتاج[8] قد كتبَ فيها يقول:

ألا قُلْ لابنِ عبّادِ بنِ صخرٍ: عليكَ تحيّةٌ، ولكَ البقاءُ[9]
تركتَ ركوبةً وأخذتَ أخرى فراحلةٌ براحلةٍ سَواءُ![10]

قال: فرَجَعتُ حينئذٍ بخُفٍّ ميمون[11] واستعذتُ بالله من مكرِ كل خَؤون.

---

١ إذ قد بدأت فيه بعض أزمنة: يقول إذا تهايأنا فلتكن هذه السنة لي لأنني قد ابتدأت فيها فتلبث عندي إلى فراغها. نفدت: فرغت.

٢ يقول: متى فرغت هذه المدة اليسيرة الباقية من السنة أرسل المرأة إليك لابسة حلاها مزينة في الزمان والمكان اللذين تريدهما.

٣ نصف الزنة: نصف الدراهم التي وزنتها لأجل مهرها.

٤ الأسباب: الأمتعة.

٥ الظعينة: الجارية.

٦ أفضيت: انتهيت.

٧ الميعاد: باب المدينة الذي واعده إليه.

٨ الرتاج: الباب العظيم وعليه باب صغير. والمراد به باب المدينة.

٩ كأنه يعزيه عن فقد الفرس.

١٠ الركوبة: الفرس. الأخرى: الخف.

١١ خف ميمون: إشارة إلى خفي حنين. يقول: إنه رجع بخف ميمون كما رجع الأعرابي بخفي حنين.

المقـــامة الرابعة والعشرون

وتعرف بالمعرية

حدَّثنا سهيلُ بن عبّادٍ قـــال : أتيتُ مَعَرَّةَ النُّعمان ، في ما مرَّ من الزمان. فطفِقتُ أجوبُ في شوارِعها ، وأجولُ بين أجارِعها[١] . وأنا أتنسَّم أخبارَ العلماء والشيوخ ، وأتفقّد آثار بني تَنُوخ[٢] . حتى دُفِعتُ إلى ضريح أبي العَلاء[٣] ، وإذا حولهُ جماعةٌ من الفضلاء . وهم يُحَدِّقون إلى شيخٍ عليه شارة الجَلال ، كأنه من بقيّة الأبدال. فجعلتُ أخترِقُ الجمْع ، وأسترِقُ[٤] السَّمْع . وإذا هو قد بَسطَ ذِراعيهِ ، وخلَّل عِذارَيهِ[٥] . وقال : الحمدُ لله الذي جعل الحياة الدُّنيا ، طريقاً إلى جنَّتهِ العليا . أما بعدُ يا أهل الكتاب ، أفتَعلمون ما تحتَ هذا التراب ؟ إن تحتهُ رِمَمَ الأُمراء والكُبَراء. والعُلماء والعُظَماء . وذوي الجاه والسطوة ، وأَرباب السَّعة والثروة . وذواتِ الحُسن والجمال ، وربّات الفضل والكَمال . فإذا رفعتم هذه الرِّضام ، واستنبثتم هذا[٦] الرَّغام . فهل لكم أن تَمَسُّوا تلك الجماجم ، بإحدى البراجم؟ أو تتأمَّلوا[٧]

١ أجارعها : جمع أجرع وهو أرض ذات نبات طيب .

٢ حي من بني قضاعة من عرب اليمن خرجوا ممّن مدينة مأرب ونزل أناس منهم بمعرة النعمان وهو النعمان بن بشير الأنصاري فأقاموا بها .

٣ أبو العلاء : هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي كان شاعراً أديباً مشهوراً بالذكاء .

٤ شارة : هيئة . الأبدال : قوم من الصالحين فإذا مات أحدهم أبدله الله بآخر .

٥ عذاريه : جانبي لحيته . يقال : خلل لحيته أي أدخل أصابعه بين فروجها .

٦ الحسن يلاحظ ملاحة اللون ، والجمال يلاحظ ملاحة شكل الأعضاء . الرضام : الحجارة العظيمة . استنبثتم : نبشتم .

٧ الرغام : التراب المختلط بالرمل . البراجم : مفاصل الأصابع .

تلك الضلوع، بقلبٍ لا يخامرُهُ الهلوع[1] ? أو تنظروا بقايا تلك الأعضاء، بعينٍ لا يَغلبُها الإغضاء[2]? وهل تعرفونَ المالك من المملوك، والغنيَّ من الصُّعلوك? والبهيج ، من السميج ? والكريم ، من اللئيم ? وهل تميِّزون أَبا العَلاء ، من راعي الإبلِ والشاء? وماذا ترَونَ من عهدهِ ، بلزُومهِ وسِقط زَنْدهِ ?[3] وأينَ صِحَّةُ فِكرهِ ، وسلامةُ ذِكرهِ[4] ? بل أين عِزَّةُ لِسانِه القائل : إني لآتٍ بما لم تستطعه الأوائل ? هيهاتِ قد صار الجميع قوماً بوراً ، وجعلهم[5] الدهر هَباءً منثوراً ! فاضمحلَّت محاسنُهم، واشمَعلَّت خزائِنُهم، ونُثِلَت[6] كنائِنُهم[7] ، وأصبحوا لا تُرى إلاَّ مَساكِنُهم ! فليَنتَبِهِ الغافل ، ولا يَشتَبهِ العاقل . وليعتبر كلُّ جبَّارٍ عنيد ، ويذَّكِر من كان لهُ قلبٌ[8] أو ألقى السمعَ وهو شهيد . واعلموا أن الله قد أرسَلني إليكم نذيراً ، وأقامني بينكم سِراجاً مُنيراً، لأُذكِركم يوماً عبوساً قَمطَرِيراً[9]. فلا تغفُلوا عن ذِكر شُربِ تلك الكاس ، وهَوْل ذلك اليوم المجموعِ لهُ الناس . واتَّعِظوا بمن[10]

---

١ الهلوع : الخوف .

٢ الإغضاء : الغمض .

٣ لزومه : اسم ديوان له . سقط زنده : ديوان آخر له .

٤ كان يوصف بقوة الذكر وله في ذلك نوادر كثيرة .

٥ إني لآت بما لم تستطعه الأوائل : هذا عجز بيت يقول في صدره : وإني وإن كنت الأخير زمانه . قيل إنه لقي ذات يوم غلاماً فسأله عن الطريق فدله . وسأله الغلام عن اسمه فعرفه به . فقال أنت القائل : وإني وإن كنت الأخير . . . ? قال : نعم . فقال : يا جاهل ، إن الأوائل وضعوا تسعة وعشرين حرفاً فهل لك أن تزيد عليها حرفاً واحداً ? فسكت وقال لصاحبه : إن هذا الغلام لا يعيش لحدة ذهنه . بوراً : هالكين .

اشمعلت : تبددت . نثلت : استفرغت .

٧ كنائنهم : جعاب سهامهم .

٨ قلب : أي عقل .

٩ قمطريراً : شديداً .

١٠ الكاس : كاس الموت . اليوم : يوم القيامة .

تقدّمكم من القرون والأقران ، ومن دَرَج أمامكم من العيون والأعيان.[١]
وتوبوا إلى بارئكم واندَموا على ما فات ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده
ويعفو عن السيّئات . واعتمدوا حفظَ الفروض والسُّنَن ، ولا تلوُوا[٢]
على خضراء الدِّمَن[٣]. فإن المحافظة على الصّلوات لا تُفيدُ من يتبع الشّهَوات،
في الخلَوات . ومكابَدة الصوم ، لا تنفع من يؤذي القوم . وتجشّم[٤] الحجّ
والعمْرة[٥] ، لا يُزَكّي شاربَ الخمرة . فليسَ البِرُّ أن تُوَلُّوا وُجوهَكم
شَطْرَ المَسجدِ الحَرام ، ولكنَّ البِرَّ[٦] من اتّقى والسلام . ثمّ أطرَقَ
وتنهّد ، وكبّر وتشهّد ، وأنغَضَ رأسهُ وأنشد :[٧]

قد غَفَلَ الناسُ عن اليقينِ ، وأخذوا بالوهم والظُّنُونِ !
لا يَذكُرونَ غمْرَةَ المَنُونِ ، ومَوقِفَ الحِسابِ يومَ الدِّينِ[٨]
وهَولَ ذلك العذابِ الهُونِ ، يَلْهُونَ بالغادةِ والمَيْسُونِ[٩]

---

١ الأقران : جمع قرن بالكسر وهو الكفء في الحرب . العيون : أهالي البلدان . الأعيان : الرؤساء .
٢ تلووا : تعطفوا .
٣ ما تلبد من آثار الدار كالمزابل ونحوها ، وهو مثل . أي لا تغتروا بالنبات المزهر على مزبلة خبيثة ؛ يريد به زخارف الدنيا .
٤ تجشم : تكلف .
٥ العمرة : من مناسك الحج وهي الحج الأصغر .
٦ أي صاحب البر على تقدير المضاف المحذوف .
٧ كبر : قال الله أكبر . تشهد : قال أشهد أن لا إله إلا الله . أنغض : حرك .
٨ غمرة المنون : شدة الموت .
٩ الغادة : المرأة اللينة الناعمة . الميسون : الغلام الجميل .

وبالجَزورِ الوَدِكِ السَّمينِ ، والراحِ والقَيْنةِ والقانونِ [1]
يا أيُّها النـاسُ انهضوا في الحينِ ، واصغُوا لنُصح المُنذِرِ المُبينِ
لا تَشتروا دُنياكُمُ بالدِّينِ ، ولا تُباهُوا بالحَما المسنونِ ! [2]
وَلْيَدْعُ كلُّ خـاشعٍ رزينِ ، بقلبِ عبـدٍ خاضعٍ حزينِ
يا ربِّ خُـذ منِّيَ باليمـينِ ، وامنُن بروحِ القُدُسِ الأمـينِ
عليَّ ، واقبل توبةَ المِسكينِ

قال: فلما فرغ من أبياتهِ نَكَسَ القومُ الرؤوس والأبصار ، وخضعوا بين يديهِ كالأسْرى بين أيدي الأنصار[3]. فتهلَّل الشيخ بوجهٍ صَبوح ،وصدرٍ مشروح ، وقال: اللهُ أكبرُ قد تنزَّلتِ الملائكةُ والروحْ . فالطُفْ ، اللهُمَّ، بعِبادِكَ وكُن لهم هادياً ونصيراً، وحاسِبْهم حِساباً يسيراً ، واكفِهم خَطْبَ يومٍ كان شرُّهُ مستطيراً . فازداد القومُ على وَهْنهم وَهْناً، وصارت جِبالُ[4] قلوبهم عِهْناً[5] . حتى إذا أزمع المسير ، عن أمَدٍ يسير ، نبذوا إليهِ صُرَّةً من الدنانير ، وبسطوا لديهِ المعاذير . وقالوا : إننا ممن يُطعِم الطعامَ على حُبِّه ،[6] ويُكرم الكريمَ على ربِّهِ . فشكرَ وأثنى ، فُرادى ومَثْنى ، وانصاعَ [7]

١ الودك : الدسم . الراح : الخمر . القينة : الجارية المغنية . القانون : آلة طرب أنشأها الشيخ أبو النصر محمد الفارابي وقدم بها على سيف الدولة علي بن حمدان العدوي ؛ فجرى بينهما حديث طويل أفضى إلى أن ضرب بهـا فأضحك كل من حضر في المجلس ، ثم ضرب فأبكاهم ، ثم ضرب فأنامهم وتركهم نياماً وانصرف ، وكان أكبر فلاسفة المسلمين .
٢ المسنون : الطين الذي عركته الحوافر والأخفاف .
٣ الأنصار : أعوان الملك .
٤ مستطيراً : فاشياً منتشراً . فازداد القوم على وهنهم وهناً : على ضعفهم ضعفاً .
٥ العهن : الصوف . كنى به عن اللين .
٦ على حبه : مع حبه له .
٧ الكريم على ربه : أي الذي له كرامة عند ربه . انصاع : رجع مسرعاً .

وهو يدعو بالأسماء الحُسنى[1] . قال سهيل : وكنت قد عرفتُ الحزام بأنفاسهِ ، وإن كان قد تَنكّرَ من لباسِهِ . فقفَوتُه[2] حتى أدركتُهُ عن كَثَب ، وإذا بهِ قد جلس بين ليلى ورَجَب ، وهو يُقسّمُ دنانيرَ الذهب . فيقول : هـذا للجزور وهذا للشّراب ، وهذان للعود والرّباب ! فقلتُ : تأمُرونَ الناسَ بالبِر[3] ، واللهُ يعلمُ السِّرّ ؟ فنظر إليّ بعينِ دَحْرَش ، وزجَرني بصوت دَهْرش[4] . وقال : قد أردتُ أن أُوَدّع الدُّنيا ، فإني قلّما أحيا . وأما أنت ففي رَيعان الصِّبا وصِحّةِ المزاج ، فاقضَم الصّلصال[5] وتوَجّر الأُجاج . فأمسكتُ عنهُ مستكفياً شَرّهُ ، وسَدِكتُ بـهِ حتى[6] خرجنا من المعَرّة .

---

١ الأسماء الحسنى : أسماء الله .

٢ قفوته : تبعته .

٣ بعض آية من القرآن . والأصل «أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم» فاكتفى بما ذكرهُ .

٤ دحرش ودهرش : من آباء الجن .

٥ اقضم : من القضم وهو أكل الشيء اليابس . الصلصال : الطين اليابس .

٦ توجر : يقال توجر الدواء إذا شربه جرعة بعد أخرى لكراهته . الأجاج : الماء الذي فيه ملوحة . سدكت به : لزمته

المقـــامة الخامسة والعشرون

وتعرف بالتميمية

حَكى سهيلُ بنُ عبَّادٍ قال : رحلتُ رِحلةً إلى البـــادية ، في مفازةٍ[1] صادية . فبذلت وجهي للهجير ، ونِضْوي للعجارير . حتى إذا نَضَبَ الماءُ ،[2] وقد تهلَّل وَجْهُ السماء،أخذتني رِعْدةُ الظَّماء . فوصلتُ السير بالسُّرى ،[3] لعلّي أظفَرُ ولو بالصَّرى ، أو أبلُغُ بعض القُرى . وبينا كنتُ أخُبُّ[4] وأخِد ، وأنا أجدُ ما لا أشتهي وأشتهي ما لا أجِد . إذا راكبٌ على[5] أثَري يحدو[6] ، وهو يشدو :

ذكرتُ ليلى ! فاستهلَّ مدمعي حتى سَقى رَحْلي ، وبَلَّ مضجعي

ما لي وحَمْلَ شَكْوة الماء معي ؟[7]

فوقع كلامُهُ مني مَوقِعَ البُرْءِ من أيوب ، أو بشرى يوسُفَ من

---

١ مفازة : فلاة لا ماء فيها .

٢ صادية : أي معطشة . الهجير : شدة الحر . نضوي : مطيّتي المهزولة . العجارير : خطوط الرمل .

٣ تهلل وجه السماء : كناية عن الصحو وصفاء الجو بحيث لا يرجى المطر . الظماء : العطش .

٤ الصرى : الماء المنتن . أخب : من الخبب وهو سير متوسط في السرعة .

٥ أخد : من الوخد وهو أشد من الخبب . أجد ما لا أشتهي وأشتهي ما لا أجد : حكـــاية قول أعرابي قيل له : كيف أنت ؟ فقال : أجد ما لا أشتهي . . . الخ .

٦ يحدو : يسوق بعيره

٧ شكوة : قربة .

يعقوب . فزَفَفتُ إليهِ زفيفَ الرال ، حتى أدركتُهُ على ناقتهِ المِرقال ، [1] وهو قد التثم بِرَيطةٍ واشتاذَ بعِقال [2]. فسلَّمت عليهِ تسليمَ الصديق الأخصّ ، وقلتُ : أَغِثني بشُرْبَة ماءٍ ولا تَقُل جاوزتُ شُبَيثاً والأحصّ [3] . فقال : إنّ أخا الهيجاءِ من يسعى معك ، ومن يَضُرُّ نفسَهُ لينفعك [4]. واعلَم أني لا أُريدُ أن أَسُومَكَ الأثقال ، فأقنَعُ منك للجُرعة بمثقال . قلتُ : كُلُّ [5] الحِذاءِ يحتذي الحافي الوَقِع ، فاحتَكِم بحيثُ لا تُكلِّفُني ما لم أستطع . [6] فلما انعطفَ إلى الشَّكوة انحلَّ اللِّثام ، وإذا هو صاحبنا الميمونُ بن الخِزام . فوجدتُ من الدَّهَش ، ما أذهَلَني عن العَطَش . واستلمتُ [7] يَدَهُ البيضاءَ استلامَ الحجر الأسود ، وضَمَمتُهُ إليَّ ضمَّ العين للمِروَد . وبتُّ تلكَ [8] الليلةَ تحت رايتهِ ، متمتعاً برَوائهِ [9] ورُؤيتهِ وروايتِه . إلى أن لاح ذَنَبُ السِّرحان ، ونَعَبَ غُرابُ الصَّحصحان . فادَّلجنا في تلك السَّباريت ، [10]

---

١ فوقع كلامه مني موقع البرء من أيوب ، أو بشرى يوسف من يعقوب : ذلك لأنه سمع ذكر الماء منه . زففت : أسرعت . الرال : فرخ النعام . وأصله بالهمز . الناقة المرقال : السريعة السير .

٢ ريطة : ملاءة . اشتاذ : تعمم .

٣ قوله : أغثني بشربة ماء ، هذا قول كليب بن ربيعة لجساس بن مرة حين رماه ووقف فوق رأسه . وقوله : جاوزت شبيثاً والأحص ، هو جواب جساس لكليب لما طلب أن يسقيه ، وشبيث والأحص منهلان معروفان في تلك الديار .

٤ مثل يضرب في مساعدة الرجل لصاحبه مع إضراره بنفسه .

٥ أسومك : أكلفك . مثقال : أي من الذهب .

٦ الحافي : الذي يمشي بلا نعل . الوقع : الذي رقت قدمه من كثرة مروره على الحجارة . وهو مثل يضرب للرضى عند الحاجة بما لا يرضي . احتكم : اطلب ما أردت .

٧ استلمت : صافحت .

٨ الحجر الأسود : هو الذي في البيت الحرام يقولون إنه من جواهر الجنة كان أبيض ساطعاً ثم اسود لكثرة لمس الحجاج وتقبيلهم له . المرود : ميل الكحل .

٩ من قولهم ماء رواء أي كثير مرو .

١٠ السرحان : الفجر الكاذب . الصحصحان : المكان المستوي . ادلجنا : يقال ادلج بتشديد الدال إذا سار من آخر الليل فإن سار من أوله قيل أدلج بالتخفيف . السباريت : القفار .

وهو ينزو نزَوان المصاليت ، ويُقدمُ إقدامَ الخراريت . وما زلنا كذلك[1] حتى أقبلنا على دِيارِ بني تميم ، في غَسَق الليل البهيم. فنزلنا في أَطيب جَرعى،[2] وتركنا مطايانا ترعى . ثم أفَضْنا بين الحَيّ واللّيّ [3] ، في حديثٍ يُذهِل غَيْلان عن مَيّ . حتى لَجّتِ السِّنة ، وتلجلجت الألسِنة . فهجعنا هزيعاً[4] من الليل ، ثم قمنا نُشَمِّرُ الذيل ، وإذا ناقة الشيخ قد نَدَّت [5] فـدعا بالحَرَب والويل . فقلت لعلّها قد نَزَعت إلى بعض أَعطان القوم ، ولعلّنا[6] نُصيبها قبل انقضاء اليوم . وسرنا نتعاقب مرّةً ونترادف أُخرى ، حتى أَتينا[7] الحِلّة وإذا هي بين الإبل شاخصةَ الذِّفْرى . فلما رآها الشيخ صاح : الله [8] أكبر ، ووثَبَ إليها وِثبةَ الذِّئب الأَغبر . فدفعهُ بعض الرُّعاة وقال : لا تُعَرِّض نفسك للهَلَكة ، ولو كنتَ السُّلَيكَ بن سُلَكَة [9] . قال : علِمَ الله أَنها ناقتي الشاردة ، وغنيمتك الباردة. فقال : كذَبتَ يا شِظاظَ البادية،[10]

١ ينزو : يثب . المصاليت : الرجال الماضين في الأمور . الخراريت : جمع خريت وهو الدليل الحاذق .

٢ الليل البهيم : الأسود الخالص . أي الذي ليس فيه بياض للنجوم . جرعى : أرض طيبة النبـات .

٣ الحي : الحق . اللي : الباطل .

٤ غيلان : هو غيلان بن عقبة الملقب بذي الرمة . كان يهوى مي بنت مقاتل المنقري . وكان شديد الشغف بها فصار مثلا . السنة : النعاس . تلجلجت : عجزت عن الإفصاح . هجعنا : نمنا . هزيعاً : قطعة .

٥ ندت : ضلت .

٦ الحرب : من قولهم حربت الرجل إذا أخذت ماله وتركته بلا شيء . الاعطان : مبارك الإبـل .

٧ نتعاقب : نركب واحداً بعد واحد . نترادف : نركب كلانا معاً .

٨ الحلة : منزلة القوم . الذفرى : قفا الرأس مما يلي الأذن .

٩ السليك بن سلكة : هو أحد محاضير العرب ومغاويرهم .

١٠ الباردة : التي جاءت بلا تعب . شظاظ : هو رجل من بنى ضبة نضرب به المثل في التلصص فيقال ألص من شظاظ .

بل هي من تِلادِ صَعْصَعةَ بنِ ناجية. فتمادى بينهما اللجاج، حتى كاد يُفضي[1] إلى الشِّجاج. ورأى الشيخُ أنَّه يَنفخ في رَماد، وأن دونَ بُغيته خَرْطَ[2] القَتاد. فقال: يا أبذلَ من حاتم، وآبَلَ من حُنيفِ الحناتم. إن لي حاجة[3] بالجِفار، ولا أتيمَّن بغير هذه المِعشار، فأنا أستأجرُها كل يوم بدينار.[4] وهذا غلامي رهنٌ في يَدَيك، حتى أردَّها عليك. قال: أمَّا هذا فغيرُ محظور، على أن تُواعِدَني إلى أجل منظور. فضَرَبَ له الأجَل، وضَرَبَ[5] بها على عَجَل. قال: وكانَ قد ألاحَ إليَّ فاعتزلْتُ، حتى إذا توارَى[6] أقبلْتُ، وأردتُ الخروج من حيثُ دَخَلْتُ، فجعجع[7] الرَّجُلُ بي كصاحب السِّجْن، وقال: هيهات قد غَلِقَ الرهن[8]! إلى أن يَؤوبَ مولاك من الظَّعْن[9]. فقلتُ: ان صحَّ رهنُ المرء ما ليس لهُ، فقد رَهَنتُكَ كلَّ ما في هذه المنزلة. وأصرَّ[10] الرجُلُ على الغَيّ، حتى رافعتُهُ إلى أمير الحَيّ. فلما أتيناهُ سُئِلتُ عن المسألة، فقلت: قد رهنني صاحب تلك اليَعْملة[11]، كما باع

---

١ تلاد : ما ولد عندك من المال . صعصعة بن ناجية : هو صعصعة بن ناجية التميمي جد الفرزدق الشاعر المشهور . اللجاج : الخصام .

٢ إلى الشجاج : أي إلى أن يشج كل منهما رأس صاحبه . ينفخ في رماد : مثل يضرب في العمل بلا فائدة .

٣ خرط القتاد : أن تقبض أعلى الغصن ثم تمر يدك عليه إلى أسفله لتنزع ورقه . والقتاد : شجر له شوك كالإبر . وهو مثل يضرب في عسر الوصول إلى الحاجة . حنيف الحناتم : رجل يضرب به المثل في رعاية الإبل وحسن القيام عليها .

٤ الجفار : منهل لبني تميم في نجد . المعشار : الناقة الغزيرة اللبن .

٥ ضرب : ذهب .

٦ ألاح : أشار بكمه . اعتزلت : تنحيت إلى مكان .

٧ جعجع : أمسك .

٨ غلق الرهن : أي استحقه المرتهن .

٩ الظعن : المسير .

١٠ أصر على رأيه : تشدد في التمسك به .

١١ اليعملة : الناقة .

نُعَيمانُ سُوَيبطَ بنَ حَرْمَلة[1] . فهلُمَّ بالشيخ ليُثبِتَ امتلاكي ، وإلا فلا سبيلَ إلى إمساكي . قال الرجل : هيهات إنه قد سار أسرَعَ من ظليمِ[2] الدَّوِّ ، فصار أمنَعَ من عُقابِ الجَوِّ . فقال الأمير: مَن هذا الشيخُ ومن[3] أين ؟ فإني أراهُ أحيَلَ الثَّقلَين . قلت : أبَيتَ اللعنَ يا مولايَ ! إني لا[4] أعرفُ له مَنبِتَ أسَلة ، ولا مَضْرِبَ عَسَلة . لكنني لقيتُه سهماً حابياً[5] عند إشرافنا على المَعْهَد ، فحنَّ إليه وأنشد :[6]

هـذا حِمى قوم تميمٍ فاختَلِسْ فيهِ الخُطى من هيبـةٍ كالمحترِس
فقد حَماهُ كلُّ ليثٍ مُفتَرِس ، ليسَ بهيَّاب الوَغَى ولا نَكِس[7]
يَنسُبُهُ العِرقُ الكريمُ المنبجِس إلى كريمٍ ، ذِكْرُهُ لا يندرِس[8]
مُحيي الوَئيدات الذي لم يَبتَئِس بمالهِ المبذولِ دُونَ الملتمِس ![9]

١ نعيمان : هو نعيمان بن عمرو أحد الصحابة . سويبط بن حرملة : رجل من العرب باعه نعيمان بعشر نياق .
٢ ظليم : ذكر النعام .
٣ الدو : الفلاة . صار أمنع من عقاب الجو : مثل يضرب في صعوبة الحصول على الأمور .
٤ الثقلين : الإنس والجن . أبيت اللعن : كلمة كانت تقال لملوك العرب في الجاهلية معناها الدعاء بالبراءة من النقائص . أي لا فعلت ما تلعنك الناس بسببه .
٥ أسلة : شجرة . لا أعرف له منبت أسلة : أي لا أعرف من أي مكان هو . ولا مضرب عسلة : لا أعرف له أباً ولا قوماً . سهماً حابياً : لا يعرف راميه . وأصله أن يرسل السهم فيذهب على الأرض حبواً أي زحفاً فلا يشعر بانطلاقه .
٦ إشرافنا : إقبالنا . المعهد : المنزل الذي إذا تركه القوم عادوا إليه .
٧ نكس : منقلب أو مطأطىء رأسه .
٨ العرق : الأصل . المنبجس : من انبجاس الينابيع وهو انفجارها بالماء .
٩ الوئيدات : يقال وأده إذا دفنه حياً . ومحيي الوئيدات هو صعصعة بن ناجية الذي كان يشتري البنات الوئيدات ويربيهن في أبياته حتى اشترى أربعمائة بنت . وبنو تميم يفتخرون به . يبتئس : يحزن .

عَلِمتُ ما مجـدُ تميم ملتبس نَعَمْ ، ولا رِفـدُ تميمٍ مجتبس
يا ناقتي هاتيـك نارُ المقتبس ، فإن بلغتِ الحَيَّ فالبُشرى لكِس[1]

قال : فاهتزَّ الأمير عُجباً وعَجَباً ، حتى كاد يُصَفِّقُ طَرَباً . وقال: شَهِدَ الله كأنَّهُ أبو فِراس ، قد قامَ وعَمراً في بُردةِ أخماس . ثم قال[2] للرجل : يا هذا إن اللُّقطة قد راحت كما جاءت ، فهَبْها لا أحسنَت ولا[3] أساءت . والآن فعاوِد إبلَك ، وأحْسِن عَمَلك ، واقنع بما قسَمَ اللهُ لك . ثم قال : عَلِمَ الله العظيم ، اني لقد وجدتُ في هذا الشيخ رائحة تميم[4]. فخذ له هذه الناقة الأُخرى ، واذهب فقد يَسَّرتُكَ لليُسرى ، لئلا يضيعَ قول شاعرنا : إنّنا نَفُكُّ الأسْرَى . قال سهيلٌ : فتسنَّمتُ تلك الذَّعْلبة[5] القَوْداءَ ، وضربتُ بها في عرض البيداء . وكانت ليلةٌ بدرُها قد أنار ، حتى[6]

١ المقتبس : طالب النار . والعرب يفتخرون بكثرة النيران لأنها تدل على كثرة الأطعمة ولأنها تكون دليلا للضيوف حتى يقصدوها . لكس : أي لك . جرى على لغة بني تميم أيضاً في إلحاق السين لكاف خطاب المؤنث في الوقف محافظة على كسرة الكـاف الفارقة بين المذكر والمؤنث .

٢ أبو فراس : كنية الفرزدق شاعر بني تميم . وعمراً : الواو للمعية وعمرو اسم شيطان الفرزدق . بردة أخماس : يقال هما في بردة أخماس كناية عن الاجتماع وشده الملاصقة يقول : كأن هذا الشاعر الفرزدق وقد قام مع شيطانه في بردة واحدة يلقنه شعره

٣ اللقطة : الناقة التي التقطها . هبها : احسبها .

٤ ذلك من حنينه إلى منزلهم ومديحه لهم .

٥ إننا نفك الأسرى : كان الفرزدق في مجلس سليمان بن عبد الملك ، وكانوا قد قدموا إليه أسارى من الروم ، فأمر الفرزدق أن يضرب عنق أحدهم، ودفع إليه سيفاً ليضربه به فقال : أنا لا أضرب إلا بسيف مجاشع ، يعني سيفه . ثم ضرب الأسير فلم تؤثر ضربته شيئاً . فعيره جرير بذلك فأجابه الفرزدق :

وما نقتل الأسرى ، ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

تسنمت : تسنم البعير إذا علا سنامه . الذعلبة : الناقة السريعة .

٦ القوداء : الطويلة الظهر والعنق . ضربت : ذهبت . البيداء : الفلاة .

أَلبَسَها جِلبابَ النهار. فبينما أنا في بعض الطريق، إذا الشيخ قد تدثَّر بِبُرجُدٍ صفيق، وهو يَغِطُّ كالفنيق. فنزلتُ عن الناقة، وكتبتُ في[1] بِطاقة:

قلْ لأبي ليلى: أنا فتاكا، رهنتني في ناقة هناكا![2]
وقد عفا الأميرُ بعد ذاكا، أَطْلَقَني بناقةٍ وراكا
أهداكها، فنِعْمَ ما أهداكا! لكنني أخذتُها فَكاكا[3]
فهي فِدائي وأنا فِداكا

ثم ألقيتُ البِطاقةَ بين يديهِ، وأوفضتُ[4] وأنا أتلفَّتُ إليه. فنجوتُ من بَنانهِ[5]، ولم أنجُ من لِسانهِ.

١ تدثر ببرجد صفيق: تغطى بثوب غليظ مكتنز. الفنيق: الفحل الكريم من الجمال.
٢ أنا فتاك: أي أنا غلامك الذي تملكه.
٣ يقول: إنك قد رهنتني فصار يحق عليك أن تغترم فكاكي. وهذه الناقة قد أخذتها نظير الفكاك الذي يلزمك.
٤ أوفضت: أسرعت.
٥ فنجوت من بنانه: أي من يده.

المقـامة السادسة والعشرون

وتعرف باللغزية

حدثَ سُهيلُ بنُ عبادٍ قال : أدنفني[1] همٌّ ناصب ، بُليتُ منهُ بعيشٍ شاصب ، وعذابٍ واصب. فأجلتُ القِداح ، في استخارة البراح . وخرجتُ[2] أعدو الرَّهَقى ، على فرسٍ زَهَقَى . وجعلتُ أعتسف على غير هُدًى ، لعلي[3] أجلو بعض الصَّدا . فلما تمادى السفر ، وأنِسَ ما كان قد نَفَر . نزَعَت نفسي إلى مُعاوَدةِ الحيّ ، ولكن أعيَتِ اللُّهنةُ عليَّ . فأخذت أتفقّدُ المشاهدَ[4] جَلاة يومي[5] ، لعلّي أظفَرُ بما أُطرف به قومي . إلى أن سَقَطتُ على محفلٍ حافل ، يستوقف النَّعامَ الجافل. فجلستُ في أُخرَيات النا س ، كأنني طُفَيل[6]

1 أدنفني : أوقعني في الدنف وهو المرض الثقيل الملازم .

2 عيش شاصب : فيه مشقة وعسر . واصب : شديد . القداح : سهام لا نصل لها ولا ريش . كانوا يتخذون ثلاثة قداح يكتبون على أحدها : أمرني ربي ، وعلى الآخر : نهاني ربي ، ويتركون الثالث غفلا ؛ فإذا أرادوا أمراً يجيلون هذه القداح في خريطة ويخرجون منها واحداً ، فإن كان هو الآمر مضوا على الأمر الذي أرادوه ، وإن كان هو الناهي عدلوا عنه ، فإن خرج الغفل أجالوها ثانية حتى يخرج أحد المكتوبين . هذه القداح توضع عند سدنة الأصنام ، ويقال لها قداح الاستقسام أو الاستخارة .

3 الرهقى : نوع من السير السريع . زهقى : تسبق الخيل . أعتسف : أمشي على غير طريق .

4 أعيت عليه الحاجة : أعجزته . اللهنة : ما يهديه المسافر عند قدومه .

5 جلاء يومي : أي طول النهار .

6 محفل حافل يستوقف النعام الجافل : يضرب المثل في شدة إجفال النعام . يقول : إن النعام الجافل إذا مر على هذا المحفل يلتهي بالنظر إليه متفرجاً فيقف عن إجفاله . في أخريات الناس : في أطراف المجلس .

الأعراس ، وأجلتُ طِرْفَ طَرْفي بين الجُلاّس . وإذا شيخٌ قد اشتمل[1] الصَّمّاءَ ، واعتمَّ المِيلاءَ . والقوم قد تكاوسوا حولَ مجثِمِه ، حتى حالوا دون[2] تَوَسُّمِهِ . وبينما هم يتداولون أطرافَ الأسانيد ، ويتناولون ألطافَ[3] الأناشيد . إذ دخلَ غُلامٌ أشهَلُ الأحداق ، كأنهُ من رهط شِنِقْناق.[4] فألقى رُقعةً بها كخطّ ابن مُقلَة ، وقال : لا يُنبِتُ البقلة ، إلاّ الحقلة .[5] فتصفّح الرُّقعةَ[6] قاريها ، وإذا فيها :

ما اسمٌ ثُلاثيٌّ بهِ اجتَمَعت ... كلُّ المقاطعِ غيرَ ذي جسمِ[7]
مهما تَقَلَّبَتِ الحروفُ بهِ ، ... يأتي بمعنًى صادقِ الرسمِ
وإذا نظرتَ إليهِ منتبهاً ، ... فجميعُ ذاكَ تراهُ في الحُلُمِ

فطفِقَ القوم يَصُوغُونَ ويَكسِرونَ ، ويَرِدون ثم يَصدُرون ، من[8] حيث لا يَشعُرون . حتى صَفِرتِ الوِطاب ، واختلطَ الليلُ بالتُّراب .[9]

---

١ طفيل الأعراس : هو طفيل الكوفي الذي كان يأتي الولائم بلا دعوة . الطِرف بالكسر : الفرس الكريم ، وبالفتح : ما يتحرك من أشفار العين .

٢ اشتمال الصماء : لبسة عند العرب . واعتم الميلاء: نوع من الاعتمام . تكاوسوا : اجتمعوا .

٣ توسمه : النظر إليه لأجل معرفته . الأسانيد : الأحاديث المسندة إلى من سمعت منه .

٤ أشهل الأحداق : في عينيه حمرة . شنقناق : يزعمون أنه رئيس من رؤساء الجن .

٥ بها كخط ابن مقلة : أي بها خط كخط ابن مقلة وهو وزير الإمام المقتدر بالله . يضرب به المثل في حسن الخط . لا ينبت البقلة إلا الحقلة : مثل . يعني أن هذه الرقعة ليس لها إلا هذا المحفل .

٦ تصفح الرقعة : نظر في صفحتها .

٧ المقاطع : مقاطع الحروف .

٨ يصدرون : نقيض يردون .

٩ صفرت : فرغت . الوطاب : جمع وطب وهو سقاء اللبن من جلد . اختلط الليل بالتراب : مثل يضرب في استبهام الأمر وارتباكه .

فقالوا قَد ابتلانا الخبيث بأحرَّ من دمع الصبّ، وأعقدَ من ذنب الضبّ[1]. فلو أنَّ لنا من يقوم بحلّه، لعرَفنا فضلَ محلّه. فبرزَ ذلك الشيخُ المحجّب، وقال: أنا عُذَيقها المُرَجّب. وأنشد:[2]

قد فسّر الكاتبُ في نظمه، وقصّرَ القارئ في فهمه[3]
لو فَطِنوا للحُلمِ في قوله، لعرَفوا اللُّغزَ على رغمه[4]

فلما رأوا ما خامرَهم من تورية الغشاء، كبّروا وقالوا: إن اللهَ يهدي[5] مَن يَشاء، ويُضِلُّ من يشاء. فاهتزَّ الشيخ عُجباً وقال: إنها لإحدى الهَنات الهَيّنات[6]! ولو شئتُ لجئتُ بما فوقَ ذلك من الحَسنات المُحصنات[7]. قالوا: ذاكَ لك وإليك، وفيه مِنّةٌ علينا وعليك[8]. فشمخ بأنفه كأنهُ مَلِكٌ أو مَلَك، وأنشد مُلغِزاً في الفلَك:

ما عَدَمٌ في الحقّ، لكن ترى منهُ وُجُوداً حيثما استقبلَك[9]

١ الصب: العاشق. الضب: دويبة برية في ذنبها عقد كثيرة يضرب بها المثل.

٢ العذيق: تصغير العذق وهو النخلة بحملها. والمرجب: الذي وضعت له دعامة لئلا تنكسر أغصانه. وهو مثل يضرب للرجل يعرض نفسه لما هو كفؤ له.

٣ نظمه: لأنه قال تراه في الحلم.

٤ يقول: إنهم لو انتبهوا لقوله فجميع ذلك تراه في الحلم لعرفوا اللغز رغماً عن قائله لأن الحلم هو المراد بهذا الاسم الذي يسأل عنه فإنه من ثلاثة أحرف. وقد اجتمعت فيه مقاطع الحروف لأن الحاء حلقية واللام لسانية والميم شفهية. وكلما قلبت حروفه بالتقديم والتأخير يحصل منها اسم مستعمل، فيجتمع منه ستة أسماء وهي: الحلم والحمل واللمح واللحم والمحل والملح.

٥ خامرهم: داخلهم. تورية: تغطية.

٦ الهنات: الأمور اليسيرة.

٧ المحصنات: المصونات.

٨ المنة بالنظر إليهم بمعنى الجميل وبالنظر إليه بمعنى النعمة.

٩ أي أن الفلك الذي هو مدار النجوم هو في الحقيقة عدم لأنه خلاء ولكن الناظر يرى منه أمراً وجودياً لأنه ينظره كالقبة.

ذلكَ للهِ بإجمــــالهِ ، فإن قطعنا رأسَه فهْوَ لكَ [1]

ثم حَدَجَ [2] القومَ بالبَصَر ، وأنشد ملغزاً في القَمَر :

ومولودٍ بدونِ أبٍ وأمٍّ بلا قوتٍ يعيشُ ، ولا يموتُ
لهُ وجهٌ وليسَ لهُ لسانٌ ، فيُخبرُنا ويَلزَمُهُ السُّكوتُ [3]

ثم قال : دونَكم يا بني الحالة ، وأنشدَ ملغِزاً في الهالة : [4]

ما قولُكم في مُحيِّزٍ حَسَنٍ ليسَ لهُ أوّلٌ ولا آخر [5]
في قلبِهِ نُقطةٌ مُشَكَّلةٌ قد جانسَتْهُ بشَكلِها الظاهر [6]

ثم أشارَ إلى بعض الصِّحاب ، وأنشد مُلغزاً في قوس السَّحاب :

ماذا تَرى ، يا ابنَ الكرامةِ ، في قوسٍ بلا سهمٍ ولا وتَرِ
تلقاهُ في بعضِ النهارِ ، ولا يبقى لهُ في الليلِ من أثَرِ

ثم جعل يُنَضنِض كالأَيْم ، وأنشد ملغزاً في الغَيم : [7]

حُلَلٌ بلا صبغٍ مُلَوَّنَةٌ تَرتدُّ عنها كفُّ لامِسِها

---

١ أراد برأسه أوله ، وهو الفاء فإن حذفتها منه كان الباقي « لك » .

٢ حدج : رمى .

٣ يريد أنه يخبرنا بحساب الأوقات وهو ملازم السكوت .

٤ الهالة : الدائرة التي تكون حول القمر .

٥ المحيز : الذي ينحصر في مكان . وهذا لا بد أن يكون له طرفان بخلاف هذا المحيز الذي ذكره فإنه ليس له أول ولا آخر كما هو شأن الدوائر .

٦ قوله : في قلبه أي في وسطه ، والمراد بالنقطة القمر . وقوله مشكلة أي ذات شكل ، وهو عبارة عن الطول والعرض والعمق ، وهذه بخلاف نقط الدوائر فإنها وهمية لا شكل لها . وقوله جانسته بشكلها الظاهر يريد به أن القمر مستدير أيضاً مثل دارته وذلك على حسب ما نراه ظاهراً .

٧ ينضنض : يردد لسانه في فمه . الأيم : الحية .

مرفوعَةُ الأذيالِ باليــةٌ في البردِ تعرّقُ دون لابسِها[1]

ثم رفع طَرْفَهُ إلى السماء ، وأنشد ملغزاً في الماء :

يُميتُ ويُحيي وَهْوَ مَيْتٌ بنفسهِ ، ويمشي بـلا رجلٍ إلى كلّ جانبِ
يُرى في حضيضِ الأرضِ طَوراً، وتارةً نراهُ تسامى فوقَ طَـورِ السحـائبِ[2]

ثم قالَ : وهذه خاتمة الأسرار ، وأنشد ملغزاً في النار :

أيُّ صغيرٍ ينمو عـلى عجــلٍ يعيشُ بالريحِ وَهْيَ تُـهلِكُهُ[3]
يَغلِبُ أقوى جِسمٍ ، ويغلِبُهُ أضعَفُ جِسمٍ بحيثُ يُدرِكُهُ[4]

قـال : فلما فرغ من جلائل الألغـاز ، وألقى عليهم دلائل الإعجاز .[5] تأبّط عَصاً له كالحَفَضِ[6] ، ثم نهضَ من بيثُ رَبَض . فتعلّقوا بهِ وقالوا: نراكَ تُريدُ أن تجرَحَ وتسرَحَ، فهيهات ان تَبرح حتى تَشرح ! فحَوْلَقَ[7] واستَتَبَّ على ثَفِناتهِ ، وأفاضَ في شرح نَفَثاته . فلما كشف الغطاء،مالوا[8] عليه بالعَطاء . قال سهيلٌ : وكنت إذ برز لصحيفة الغلام[9] ، قد عرفتُ أنهُ شيخنا ابنُ الخزام . فهممتُ بالجُنُوح إليهِ ، فنهاني برمز شَفَتَيهِ ، ونهنهَني[10]

---

١ مرفوءة : مرقعة . يريد بلابسها الجو فإنها هي التي تعرق دونه ، والمراد بعرقها المطر .

٢ أي أنه يرى مرة في قرار الأرض ومرة يعلو فوق السحاب كناية عن ماء المطر .

٣ يريد أن النار تنمو بإصابة الريح لها ولكنها تفنى سريعاً بالريح .

٤ أقوى جسم : كالحديد ونحوه . أضعف جسم : يريد به الماء .

٥ جلائل : جمع جليلة . دلائل الاعجاز : علامات الغلبة .

٦ الحفض : عمود الخيمة .

٧ حولق : قال لا حول ولا قوة إلا بالله .

٨ استتب : جلس متمكناً . ثفناته : ركبه . نفثاته : كلماته .

٩ أي لما برز من بين الجماعة عند إلقاء الغلام تلك الرقعة .

١٠ الجنوح : الميل . نهنهني : كفني .

عن التسليم عليه . فلما قضى الإبانة ، واقتضى اللُّبانة [1] . أشار إليَّ وقال : إني لأرى عليك سِمَةَ الغريب ، وكلُّ غريبٍ للغريب نسيب . فخذ هذا الدينار [2] الساعة ، واشكُر نِعمةَ الجماعة . فغلب على القوم الحياءُ، وتداولوني بالحِباء. [3] حتى إذا اجتنينا الفِرصاد ، خرجنا فإذا الغلام بالمِرصاد . فوثب إليهِ الشيخ [4] يَعدُو الجَمَزَى ، وأنشد مرتجزاً : [5]

جُزيتَ خيراً يا غلامي رَجَبا ، دعوتُكَ ابناً لي، فتدعوني أبا ! [6]
بادِر إلى أُختِكَ ليلى في الخِبا ، وقُل: رُزِقتِ نُزهةً ومركبا ،
وملبساً ومطعماً ومشربا ، وسترَينَ من سُهيلٍ كوكبا ،
فاستقبلي الضيفَ وقولي : مَرْحَبا !

ثم قال : يا بُنيَّ مَن حادَ عن الكيد، عاد بلا صيد . فاذهب معي الليلة [7] للمَبيت ، وكُن من الشاكرين ما بَقيت. فانطلقتُ أتبَعُ ظِلَّهُ ، حتى أتينا المظلَّة. وأحيينا ليلتنا بالسَّمَر ، حتى انبثق السَّحَر . فودَّعني وقال : اذهب [8] إلى أهلك باليُسرى ، وأنا أذهَبُ في ارتياد قُترةٍ أُخرى . فخلَّفتُ الهمَّ في [9] تلك الدِّيار ، وعُدت إلى أهلي بالدِّرهَمِ والدينار .

---

١ اللبانة : الحاجة .

٢ سمة : علامة . وكل غريب للغريب نسيب : شطر بيت لامرىء القيس أوله :
أجارتنا إنا غريبان هاهنا

٣ الحباء : العطاء .

٤ الفرصاد : التوت الأحمر كنى به عن الذهب . الغلام : أي الذي ألقى الرقعة وهو غلام الشيخ . المرصاد : مكان الرصد . أي ينتظرنا مراقباً لنا .

٥ الجمزى : مشية سريعة . مرتجزاً : ناظماً من بحر الرجز .

٦ رجباً : منصوب على أنه عطف بيان . فتدعوني أبا : خبر في معنى الإنشاء أي فادعني أباً .

٧ الكيد : المكر . من حاد عن الكيد ، عاد بلا صيد : لأن الصيد لا يؤخذ إلا بالمكر والمخاتلة .

٨ المظلة : الخيمة . انبثق : انفجر .

٩ اليسرى : التوفيق وسعة الحال . ارتياد : طلب . القترة : ما يستتر به الصياد من حجر أو شجر لئلا يراه الصيد .

المقـامة السابعة والعشرون

وتعرف بالساحلية

قالَ سهيلُ بنُ عبَّادٍ : أَلقَتني الرواحل ، إلى بعض السواحل. وكان عُودي يومَئِذٍ رطيباً ، وفَوْدي غِربيباً . فطُفتُ المعـالم والمجاهل ، ووردتُ[1] الحِياضَ والمناهل . وشهدت المحاشد ، وافتقدت المشاهد . حتى إذا كُنت[2] بمجلس بعض الأُمراء، وقد حفَّتْ[3] به العُلماءُ والشُّعراءُ . دخل شيخٌ عريض اللَّثام،قد أخذ بتلبيب غلام[4] . وقال : أعزَّ الله الأميرَ إني ربَّيتُ هذا الغلام مُذ دبَّ، إلى أن شبَّ[5] . واتَّخذتهُ لي عُمدةً وعُدَّة،في كل رَخاءٍ وشِدَّة . واستأمنتهُ في كل مُلِمَّة[6]، على كل مُهِمَّة . فلما كان بعضُ الأيام المواضي ، أَرسلتُهُ بتقريظٍ[7] إلى القاضي . فاستبدلَ القوافي ، وحَوَّل ما في الأبيات من المديح الصافي ، إلى الهِجاء الجافي[8] . فحكم القاضي عليَّ بالحبس ، وقال : المالُ

---

١ وكان عودي يومئذ رطيباً : أي كنت في نضارة الشباب . فودي : جانب رأسي . غربيباً : أسود حالكاً . المعالم والمجاهل : الأماكن المعلومة والمجهولة .

٢ الحياض : برك المياه . المناهل : العيون . المحاشد : المجامع . المشاهد : المحاضر .

٣ حفت : أحاطت .

٤ جمع ثيابه عند صدره ونحره ساحباً إياه .

٥ أي مذ كان طفلا إلى أن صار شاباً .

٦ ملمة : نازلة من نوازل الدنيا .

٧ تقريظ : مديح .

٨ الجافي : الخشن الغليظ .

فِداءُ النفس ، فخرجتُ لا دِرهَمَ معي ولا فَلْس . فَمُرِ الغلام أن يُعطِيَني حقَّ الجِناية عليَّ ، ويُعوِّضَني ما فُقِد على يدهِ من يَدَيَّ . فقال الأمير : وماذا كتبتَ من الأبيات ، وكيف بدَّل الحسَناتِ بالسيِّئات ؟ قال : أمّا المديح المكتوب ، فعلى هذا الأُسلوب :

أرى القاضي أبا حَسَنٍ ، إذا استقضيتَهُ عَدَلا
وإن جاءَتهُ مسأَلةٌ لطالبِ رِفدِهِ بَذَلا
إمامٌ لا نظيرَ لهُ ، نراهُ بيننا جَبَلا [1]
قد اشتَهَرت خلائقُهُ ، فأَصبحَ في الورى مَثَلا!

وأما التبديل الذي طَرا ، فكما ترى :

أرى القاضي أبا حَسَنٍ ، إذا استقضيتَهُ ظَلَما
وإن جاءَتهُ مسأَلةٌ لطالبِ رفدِهِ لؤُما [2]
إمامٌ لا نظيرَ لهُ ، نراهُ بيننا صَنَما
قد اشتهرت خلائقُهُ فأَصبحَ في الورى عَدَما

فقال الأمير للغلام: أُفٍّ لك يا عُقَق ، يا ابنَ شاربِ الفَلَق ! أَتَجزِي [3] جَزاءَ سِنِمّار ، ولا تخافُ من العار ؟ قال : يا مولايَ إني غُلامٌ غِرٌّ ، [4]

---

١ جبلا : عظيماً .
٢ لؤم : بخل .
٣ عقق : الذي لا يفي أباه حق التربية . الفلق : فضلة اللبن . والعرب يعيرون بها .
٤ سنمار : رجل من الروم بنى للملك النعمان بن امرىء القيس قصره المعروف بالخورنق في ظهر الكوفة . فلما فرغ منه ألقاه من أعلاه لئلا يبني مثله لغيره ، فسقط ميتاً فضرب المثل بجزائه . غر : غبي .

لا أعرفُ الهرَّ ، من البرِّ[1] . غيرَ أنَّ هذا الشيخ قدِ استخدَمني بضعَ سنين ، وهو لا يُطعِمني ولا يَسقِين[2] . فلما أتيت القاضي بكتابه ، شكوته إلى بعض حُجَّابه . فقال : لا ظالمٌ إلاَّ سيُبلى بأظلم[3] ، وأخذ الأبيات فحرَّفها والله أعلم . فإن شئتَ فمُر بسَجْني ، لعلّي أملأ بطني . فقال الشيخ : بل فاسجُنّا جميعاً ، فإني أشدُّ منه جوعاً . وكان بينهما فتاة ، كصدر القناة . فقالت : يا مولايَ أرى أن تدفع إليهما ، ما ستُنفِقُه في السِّجن عليهما ، واغتنم الراحة من كليهما . قال : لا جرَمَ ان ذلك أحزَم ، وحصَبَ[4] كلَّ واحدٍ منهما بمائة درهَم . قال سهيلٌ : وكنتُ قد استروَحتُ ريح الخزام ، وعرفت الشيخ والفتاة والغلام . فلما انصرفوا خرجتُ على الأثر ، وإذا الشيخ يُنشِد على حذَار :

هذا أبو ليلى وهذه ليلاهْ يحومُ في طِلابِ رِزقِ مولاهْ
كطائرٍ وأنتما جَناحاهْ[5]

فزلفتُ مبتدراً إليه ، وقبَّلتُ مَفرِقَهُ ويديهِ . وقلتُ : يا مولايَ[6] ألم يَئنْ لك أن تسلُكَ الجَدَد ، وتترك اللَّدَد ؟ فحملق إليَّ كالغول ،[7]

---

١ مثل يضرب في الجهالة .

٢ حذف ياء المتكلم كما ورد في القرآن حيث يقول : هو الذي يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين .

٣ شطر بيت يقول فيه :

وما من يد إلا يد الله فوقها ولا ظالم إلا سيبلى بأظلم

٤ حصب : رمى .

٥ يريد بهما ليلى والغلام ، شبه نفسه بالطائر الذي يحوم في طلب رزقه ، وشبههما بجناحي الطائر اللذين لا يتم سعيه إلا بهما .

٦ زلفت : تقدمت . مفرقه : مقدم رأسه حيث يفترق الشعر .

٧ الجدد : الأرض الصلبة . يشير إلى قولهم في المثل : من سلك الجدد أمن العثار . اللدد : الخصام . حملق : فتح عينيه ونظر شديداً .

وأنشد يقول :

لِلناسِ طبعُ البُخل ، وهْوَ يقودني كرهاً لخُلق عَضيهةٍ ونِفاقِ[1]
فَدَعِ الجماعةَ يتركونَ طِباعَهُم حتى تراني تاركاً أخلاقي[2]

ثم قال : يا بُنيَّ ذاكَ المسجدُ إن كنتَ خطيباً، وإلاَّ فلا تُداوِ طبيباً.[3] واعلَم أنَّ الصيد لا يُؤخَذُ إلاَّ بالختل ، ولا يُدرَك إلاَّ بالنَّبل . والفُرصة[4] لا تُضاع ، والمتعنِّت لا يُطاع . فراعِ المصادرَ والموارد، وكنْ مارداً على[5] كل مارد ، ودَعِ الناس يضربونَ في حديدٍ بارد[6] . قال سهيلٌ : فأمسكت عن مِرائِهِ ، وسِرتُ من ورائِهِ ، وأنا أعجَبُ من سَفاهةِ رائِهِ .[7]

---

١ عضيهة : كذب .

٢ يقول : إن طبيعة البخل التي في الناس تضطره إلى طبيعة المكر لأنهم لا يؤخذون إلا به ، فإذا تركوا هذه الطبيعة يترك طبيعته لأنه لا يعود يحتاج إليها .

٣ أي أن الطبيب يداوي الناس فلا يفتقر إلى مداواتهم له . يريد أنه أعلم منه بالمواعظ فلا وجه لوعظه إياه .

٤ الختل : الخديعة . النبل : النشاب . أي أنه لا يدرك باليد ولا يصاد بالسهولة من مأخذ قريب .

٥ المتعنت : الذي يلومك لا لوجه ولكن لطلب زلة يرميك بها . راع المصادر والموارد : أي لاحظ حالة الناس الذين تقدم عليهم وكيف ترجع عنهم لتعرف كيف تتصرف معهم .

٦ دع الناس يضربون في حديد بارد : مثل يضرب للعمل الذي لا أثر له .

٧ مرائه : جداله . رائه : لغة في الرأي المهموز العين .

المقامة الثامنة والعشرون

وتعرف بالفلكية

حَدَّثَ سهيلُ بن عبَّادٍ قال: نَدَّتْ[1] لي ناقةٌ بالبادية ، في ليلةٍ هادية فخرجتُ أَنشُدُها تحت الغاسِق الواقب ، كأنني شِهابٌ ثاقب . وكأنَّها[2] توارت بالحِجاب ، فوقَ السَّحاب، أو تحتَ التراب. فخفتُ أن أَلحقَ بالقارظ[3] العَنَزيّ ، أو المُنخَّل اليشكُريّ . ولَبِثتُ أُحَدِّثُ نفسي بالإحجام ،[4] وهي تحدِّثُني بالإقدام.حتى نَضَبَ ضَحْضاحُ الرَّجاءِ ، واستَبْهَمَت شِعابُ[5] الأرجاء . فانقلبتُ على أحَدِ جانبيَّ ، وأزمعتُ الأوبةَ إلى الحيّ . فما شعرتُ إلاَّ وأنا بين قومٍ ثُبِين ، يَنفِرونَ إلى الداعي مُهطِعين . فقَفَوتهم[6] إلى المشهد المشهود ، لأستطلِعَ طِلعَ الأمَدِ المأمود . وإذا شيخٌ أطولُ[7] من شهر الصوم ، قد قامَ في صَدْرِ القوم . وهو يُقسِمُ تارَةً بالخُنَّس ،[8]

---

١ ندت : شردت .

٢ الغاسق : الليل المظلم . الواقب : الداخل . ثاقب : مضيء .

٣ القارظ : الذي يجني القرظ وهو نبات يدبغ به . والمراد به رجل من عنزة خرج لذلك ولم يرجع .

٤ المنخل اليشكري : رجل من العرب كان يهوى المتجردة امرأة الملك النعمان. فلما أنكر عليه أرسله في طريق لم يرجع منها . وقيل حبسه ثم غمض خبره . الإحجام : التأخر .

٥ الضحضاح : الماء القليل . استبهمت : أشكلت . الشعاب : الطرق في الجبال .

٦ ثبين : جمع ثبة بالتخفيف وهي الجماعة . ينفرون إلى الداعي : أي إلى الرجل الذي دعاهم . مهطعين : مسرعين . قفوتهم : تبعتهم .

٧ المشهد : المحضر . لأستطلع طلع الأمد المأمود : لأعرف حقيقة الغاية المنتهى إليها .

٨ أطول من شهر الصوم : مثل يضرب في الطول . الخنس : الكواكب .

وطَوراً بالجواري الكُنَّس[1] . ويلهج مرَّةً بمواقع النجوم ، وأُخرى بفواقع الرحوم . وفي خِلالِ ذلك يتفقَّد الغُضون والأسارير ، ويَرجُمُ بغُيُوبِ[2] التقادير . فصَمَد إليه رجُلٌ أدرم ، كأنهُ القضاءُ المُبرَم . وقال : اللهُ أكبر ،[3] إن البُغاث قد استنسر[4] . إن كنت من علماء الفَلَك ، فأفِدْنا ما سَيَّارةُ النجوم والفضلُ لك . فلم يكن إلاَّ كحَلِّ عِقال[5] ، حتى أنشد فقال :

تلك الدراري : زُحَلٌ فالمُشتري   وبعدهُ مِرِّيخها في الأثَرِ[6]
شمسٌ فزُهرةٌ عُطارِدٌ قَمَر ،   وكلها سائرةٌ على قَدَر[7]

قال : ذلك من أجوبَة العلماء ، فما هي أبراج السماء ؟ فنظر إليه نِظرة الصِّلِّ الأَصَمّ ، وقال اسمع وخَلاكَ ذمٌّ :[8]

من البروج في السماء الحَمَلُ   تنزِلُ فيه الشمس إذ تعتدلُ[9]
والثورُ والجوزاءُ نِعمَ المنزلَه ،   وسَرَطانٌ أسَدٌ وسُنبُلَه
كذلكَ الميزانُ ثمَّ العقربُ ،   قوسٌ وجَدْيٌ دَلْوٌ حوتٍ يشربُ

---

١ الكنس : النجوم السيارة .

٢ فواقع الرجوم : الشهب التي ترشق في الجو كأسهم من نار . الغضون : مكاسر الجلد . الأسارير : خطوط الكف والجبهة .

٣ يرجم بغيوب التقادير : يقضي بالمغيبات التي يقدرها الله . صمد : قصد . رجل أدرم : سمين أو متفتت الأسنان .

٤ البغاث : طائر دميم ضعيف . استنسر : صار نسراً . وهو من قولهم في المثل : إن البغاث بأرضنا يستنسر .

٥ العقال : ما تشد به يد البعير وهو بارك لئلا ينهض من نفسه .

٦ الدراري : الكواكب المضيئة .

٧ أي على منهج محكم .

٨ الصل : حية خبيثة . الأصم : الذي لا يقبل رقية الحاوي . خلاك ذم : سقط عنك الذم .

٩ كنى بذلك عن نزولها به في أول الربيع بين خروجها من البرد ودخولها في الحر فيكون ذلك في شهر آذار . ومن ثم يعلم تعيين بقية الأبراج لبقية الأشهر على الترتيب .

قال: أراكَ من أرباب النظر ، فهل تعرف منازل القمر ؟ فأنغضَ[1] رأسَهُ واستطال ، وأنشد في الحال :

الشَّرَطـانِ أوَّلُ المنازلِ وبعـدهُ البُطَيْنُ في القوابلِ[2]
ثم الثُّرَيَّا الدَّبَرانُ الهَقْعَـه ، كذلك الذِّراعُ بعـد الهَنْعَـه
نَثْرَةُ طَرْفٌ جَبْهَةٌ غَرَّاءُ وزُبْرَةٌ وصَرْفَـةٌ عَـوَّاءُ
ثم السِّماكُ الغَفْرُ والزُّبانَى كذاكَ إكليلٌ وقلبٌ بانا
والشَّولَةُ النعائمُ البَلْدَةُ مع تلكَ وسعدُ ذابحٍ سعدُ بُلَع
سعدُ السُّعُودِ ثمَّ سعدُ الأَخْبِيَه وفَرْغُهـا المقدَّمُ المُسْتَتْلِيَه[3]
وبعدَ ذاكَ فَرْغُهـا المُؤخَّرُ كذاك بطنُ الحوتِ ختماً يُذْكَرُ

قال : حيَّاكَ الذي سَوَّاهُ ، فهل تعرف لياليَهُ المسمَّاة؟ فنظر نظرةً في[4] السماء ، ثم تلا : إنْ هِيَ إلاَّ أسماءٌ ، وأنشد :[5]

أمَّـا لياليـهِ فتلكَ الغُرَرُ ونُفَـلٌ وتُسَعٌ وعُشَرُ[6]
وبعـدَهُنَّ البِيضُ ثم الدُّرَعُ وظُلَـمٌ حنـادسٌ تُستَتْبَعُ

---

١ انغض : حرك .
٢ في الليـــالي القادمة . وهو بـــدل من الظرف أي وبعـــد ذلك في القوابل البطين وما عطف عليه .
٣ المستتلية : المستتبعة له .
٤ سواه : الضمير للقمر . المسماة : التي وضعوا لها أسماء .
٥ إن: نافية . إن هي إلا أسماء: بعض آية من القرآن حيث يقول: إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم .
٦ الغرر : الثلاث ليال الأولى من الشهر . وهكذا ما يليها من الأسماء كل واحد لثلاث ليال حتى تنتهي إلى المحاق وهو اسم للثلاث ليال الأخيرة .

وبعدَها الدآدِيءُ المِحاقُ   كلُّ ثلاثٍ في اسمها وِفاقُ[1]
والغُرّةُ الأُولى وصَدْرُ البِيضِ   عَفْراءُ فالبلماءُ في التبعيضِ[2]
كذا المِحاقُ صَدرُهُ الدَّعجاءُ   وبعدَها الدَّهْماءُ فالدَّلْماءُ[3]

قال: قد عرفتَ سُعُود القمر، فهل تعرفُ السعودَ الأُخَرَ[4]؟ فأنشد:

هاتيكَ سعدُ مَلِكٍ سعدُ مَطَرْ   سعدُ الهُمامِ والبِهامِ في الأَثَرْ[5]
وسعدُ بارعٍ وسعدُ ناشِرَه   وذاكَ عِدَّةُ السُّعُودِ العاشِرَه[6]

قال: قد عرفتَ طوالع الأضواء، فهل تعرف غوارب الأنواء[7]؟
فأنشد:

أَوَّلُ نَوْءِ السَّنَةِ البَدريُّ   وبعدهُ الوَسْميُّ فالوَليُّ
ثمّ الغَميرُ ثم بُسْريٌّ خَوَى   وبارحُ القيظِ وإحراق الهوا[8]

---

١ أي كل ثلاث من هذه الليالي الشهرية تسمى باسم من هذه الأسماء. فيكون الشهر عشرة أقسام كل قسم منها ثلاث ليال كما ترى.

٢ يقول: إن الليلة الأولى من ليالي القمر يقال لها الغرة. وأول الليالي البيض التي ذكرها وهي الليلة الثالثة عشرة يقال لها العفراء. وبعدها البلماء وهي ليلة البدر. وقوله في التبعيض أي يقال ذلك في التكلم على أبعاض هذه الليالي افراداً لا إجمالا كما مر في الأبيات الأولى.

٣ أي أن أولى ليالي المحاق وهي ليلة الثماني والعشرين يقال لها الدعجاء، والليلة التي بعدها الدهماء، والأخرى الدلماء وهي الأخيرة.

٤ سعود النجوم عشرة. منها أربعة في برج الجدي والدلو ينزلها القمر. ومنها ستة ليست من المنازل وهي التي يذكرها هنا. وهي كواكب متناسقة وكل سعد منها كوكبان. وبين كل كوكبين مقدار ذراع.

٥ والبهام: عطف على الهمام أي وسعد البهام.

٦ وهذا السعد الأخير هو العدد العاشر من السعود.

٧ الأنواء: جمع نوء وهو سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق.

٨ خوى: يقال خوى النجم إذا سقط ولم يمطر في نوئه. وصفه بذلك لوقوعه بين حزيران وتموز. الهوا: يريد الهواء بالمد فقصره للضرورة.

قالَ سهيلٌ : فلما رأوهُ عارضاً مستقبلَ أوديتِهِم ، وتيّاراً مستغرقَ [1] أنديتِهِم . قالوا : شَهِدَ اللهُ إنكَ لَقُطبُ الأرض والسماء ، فانظُر لنا [2] واتّقِ اللهَ إنما يخشى اللهَ من عِبادِهِ العلماءُ . فقام يستقري [3] الصفوف ، ويتوسَّمُ الجِباهَ والكفوف. ويستطلع الطوالعَ والمواليد، ويفرقُ بين الشقيِّ والسعيد . حتى خُيِّلَ للقوم أنَّ عندهُ علمَ الغيب فهو يَرَى ، وأنه يعلمُ ما في السماء وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرَى. فاحرَنْجَموا [4] عليهِ بالعطايا، كما تحرنجمُ على الماء المطايا . فلما قبضَ نهَض ، ثم نكص [5] فربَض . وقال : قد تطيَّرت من نحس هذا الكابح ، فأخرجوهُ على هذه الناقة الشّوهاء فإنها [6] ضريبةٌ لهُ في المقابح . وهو بينَ ذلك ينظرُ مرَّةً إليَّ كالعائف ، ومرَّةً إلى [7] الأرض كالقائف . فأطلقوا إليَّ الناقة وقالوا : اغرُب عنَّا إلى النار، وجعل [8] الشيخ يرمي الحصباءَ في أثري كما تُرمى الجِمار [9] . فلما صِرتُ بمعزِل ، عن

١ عارضاً : سحاباً . تياراً : موجاً .

٢ أنديتهم : جمع النادي أو الندى . فانظر لنا : أي فانظر لنا في سعودنا ونحوسنا وعواقب أمورنا .

٣ يستقري : يتتبع .

٤ احرنجموا : اجتمعوا .

٥ نكص : عاد .

٦ تطيرت : تشاءمت . الكابح : ما استقبلك مما يتطير منه . الشوهاء : ذات العيوب .

٧ ضريبة : نظيرة . أخرجوه على هذه الناقة الشوهاء فإنها ضريبة له في المقابح : يقول إنه بعدما قبض المال وانصرف رجع كأنه لم يكن قد رأى سهيلا قبل ذلك وقال إنه قد تطير من نحسه . وكأنه تطير أيضاً من نحس ناقة لهم فأمرهم أن يعطوه إياها لأنها مثله في المساوىء ويخرجوهما عنهم لئلا يصيبهم النحس بسببهما وإنما ذلك حيلة منه لكي يسعى لسهيل بإعطاء الناقة . العائف : الذي يزجر الطير ويتفاءل أو يتشاءم بها .

٨ القائف : الذي يتفقد الآثار في الارض من أقدام المشاة فيعرف الغريب من الأهلي والرجل من المرأة .

٩ يقول : إن الشيخ جعل يرمي بالحصى في أثره كأنه يريد أن يطرده ويحثه على السرعة وإنما يريد أن ينصرف هو أيضاً بهذه الحجة . والجمار جمع جمرة وهي مجتمع الحصى . والمراد بها جمرات منى ، وهي ثلاث ، بين كل جمرتين مقدار غلوة ، ترميها الحجاج بالحصى ، وذلك من مناسك الحج .

المنزِل . إذا الشيخ في أثري كالغول ، وهو يقول :

إني خُلِقتُ لأحيا حتى يشاءَ القَضاءُ
ولي فؤادُ لبيبٍ يجولُ حيثُ يَشاءُ [1]
إن ضاقت الأرضُ دوني فما تضيق السماءُ ! [2]

ثم قال : خُذ من جِذْعٍ ما أعطاك ، ولا تَقُل : كيفَ ذاك؟ وانطلق [3] ينهبُ الأرض بجوادِهِ ، حتى غَمَضَتْ عين سَوادِهِ [4] . فانثنيتُ مُتَيمّناً بتلك المناحِس ، ومتعجّباً مما عندهُ من تُرّهات البَسابِس . [5]

---

١ لبيب : عاقل .

٢ يريد بها الفلك . أي إذا لم يعد لي سبيل للاحتيال على معيشتي في الأرض اتخذت لذلك سبيلا في السماء .

٣ خذ من جذع ما أعطاك : أي خذ من القوم الناقة . وهو مثل يضرب في اغتنام ما يجود به البخيل . ولا تقل كيف ذاك : ولا تسألني عما فعلت من المخرقة .

٤ أي اختفت ذات شخصه .

٥ الترهات : الطرق الصغيرة تتشعب من الطريق الأعظم . والبسابس : القفار . وهم يكنون بذلك عن الخرافات والأباطيل .

المقامة التاسعة والعشرون

وتعرف بالمصرية

قال سهيلُ بنُ عبَّادٍ: أزمعتُ الشُّخُوصَ إلى الكِنانة[١] ، في رَكْبٍ من بني كِنانة[٢] . فلما فرَغتُ من الأُهبة أتيت القافلة ، في اتِّخاذِ الراحلة . فعَرَضَ لي رجلٌ أدهم ، وقال: آجَرْتُكَ هذا المُطَهَّم[٣] ، كلَّ يومٍ بدِرهَم . فرضيتُ باشتراطهِ ، ولم أبتئِس باشتِطاطه[٤] . وخرجنا نطوي الوِهاد والرُّبَى ، بين الخَيْزَلى والهَيْذَبى . حتى حللنا تلك الدِّيار ، فنزلنا عن الأَكوار ، إلى[٥] الأوكار . وأحفَظَني صاحبُ المطيَّة ، فنَقِمتُ منه بهضم العطيَّة . حتى إذا[٦] تعذَّر التراضي ،ولجَّ في التقاضي ، نافذتُه إلى القاضي . فبينما أتيناهُ عن كَثَب،[٧] أقبل الحزاميُّ ورَجَب . فتقدَّمَ الغُلام ، وقال : حيَّا اللهُ الإمام ! إن هذا الشيخ أجدَبُ من رَمْلة ، وأحرصُ من نملة . وأسأَلُ من فلْحَس، وأبرَدُ[٨]

---

١ الكنانة : لقب مصر .

٢ بني كنانة : قبيلة من مضر .

٣ المطهم : الفرس التام الخلقة .

٤ ولم أبتئس باشتطاطه : أي ولم أجد بأساً بتجاوزه الحد .

٥ الخيزلى : مشية متثاقلة . الهيذبى : مشية سريعة . الأكوار : رحال الجمال .

٦ الأوكار : أي الأبيات . أحفظني : أغضبني . المطية : الفرس . فنقمت منه بهضم العطية : فانتقمت منه بتنقيص الأجرة .

٧ ولج في التقاضي : قبض الذي له . نافذته : رافعته .

٨ أسأل : أطلب للعطاء . فلحس : رجل من بني شيبان كان سيداً عزيزاً يطلب سهماً من غنيمة الجيش وهو في بيته لم يباشر الغزو فيعطى ، ثم يطلب لامرأته فإذا أعطي طلب أيضاً لبعيره فسار به المثل .

من عَضْرَس . يَذخَرُ الرَّمَص، ويَضَنُّ بالغَمَص . ويتبلَّغ بالقُضاعة ، في[1] إبَّان المجاعة . وقد استعبدَني لِظاظاً ، لا ألبَسُ لهُ طِحْرِبةً ولا أذوقُ لهُ[2] لَماظاً[3] . وهو يكلِّفني حَمْلَ الأثقال ، ويسومني ذُلَّ السؤال . فأنا أعول نفسي وإيّاهُ ، حتى كأنني مولاهُ . فمُرهُ أن يقوم بحقّي ، أو يتخلّى عن رِقّي[4] . وإلاّ قتلتُ نفسي ، وخلصتُ من حبسي . قال : فلما فرغ الغلام من قِصّتهِ ، مال القاضي على مِنَصّتهِ ، وجعل يتأفّفُ لغُصّتهِ . ثم سأل[5] الشيخ فتنهَّد ، واغرَوْرَقَت عيناهُ بالدموع وأنشد :

قد صَدَقَ الغُلامُ في ما يدَّعي، فإنهُ مُذ أشهُرٍ لم يشبعِ !
مُزَمَّلٌ في السَّمَل المُرَقَّعِ ، مُوَسَّدٌ فوقَ الحصَى واليَرْمَعِ[6]
يبيتُ طولَ ليلهِ لم يهجعِ ، يدعو إلى اللهِ بقلبٍ مُوجَعِ
لكنني شيخٌ شديدُ الزَّمَعِ إذا نهضتُ بُكرةً من مَضجَعي،[7]
أمشي كما تمشي ذواتُ الأربَعِ ! قد بِعتُ حتى إنني لم أدَعِ[8]
سِواهُ عندي من جميع السِّلَعِ ، فصِرتُ كالطِّفلِ الصغيرِ المُرضَعِ[9]
لا زادَ في بيتي ولا مالَ معي ، فإن أردتُ بيعَهُ لم يَقَعِ

---

١ عضرس : البرد والثلج . الرمص : الوضر الأبيض الجامد في موق العين . الغمص : الوضر السائل من موق العين . يتبلغ : يتقوت . القضاعة : غبار الرحى .
٢ لظاظاً : أي ملازمة . طحربة : قطعة من ثوب .
٣ لماظاً : يسيراً من الطعام .
٤ رقي : عبوديتي .
٥ منصته : كرسيه . لغصته : لمصيبته .
٦ مزمل : ملتف . السمل : الثوب البالي . اليرمع : حجارة رخوة .
٧ الزمع : الارتعاد .
٨ أدع : أترك .
٩ السلع : الامتعة .

لي في الحياةِ بعدهُ من مطمعٍ ، فَهْوَ أنيسي في الخَلاء البلقعِ[1]
وسَنَدي في عـثرةٍ أو مَصرَعٍ ، أراهُ في حديثهِ كالأصمعي[2]
وفي الدَّهاء كقصيرَ الأجدَعِ ، وفي المضـاء مثلَ سيفِ تُبَّعِ[3]
يقومُ بالأمرِ قيـامَ المُسرعِ ، وَهْوَ إذا ولّى قريبُ المَرجعِ
ويحفـظُ الوُدَّ بـلا تَصَنُّعِ كحفظـهِ سرائرَ المُستَودِعِ ،
فانظُر إلى ما نحنُ فيهِ واسمعِ !

قال : فلما فرغ من أبياتهِ نظر إليهِ القاضي شَزْراً ، وقال : إنَّ لك في أمر نفسك عُذْراً ، ولكنَّ عليك في أمر الغلام وِزْراً[4]. فإن رأيتَ أن تبيعهُ وتستخدمَ بثمنهِ ، ولا تبكي على أطلال الرَّبع ودِمَنهِ ، فليسَ للمرءِ ثقة[5] من زَمَنهِ . وكان الشيخ قـد أغرى[6] بالغلام من حضَر ، عندما ذكَرَ من صفاتهِ ما ذَكَر . فقام في المجلس بعضُ حاضريهِ ، وقال : إن كنت تبيعهُ فأنا أشتريهِ . فبكى الشيخ حتّى اخضَلَّ عارِضاهُ ، وقال : هل من يبيع زوجه[7] بِرضاهُ ؟ لكنني قد سَئِمتُ العيشَ المديد ، كما سَئِمَ لبيد[8] . فضَعِ الفأس ،

١ البلقع : المقفر .
٢ مصرع : سقطة .
٣ الدهاء : جودة الرأي . قصير الأجدع : هو قصير بن سعد اللخمي أحد جنود جذيمة الأبرش . والأجدع : المقطوع الأنف . تبع : هو تبع بن حسان الحميري من ملوك اليمن كان له سيف طويل أخضر كالبقل لكثرة مائه يلقب بلسان الكلب .
٤ وزراً : إثماً .
٥ تستخدم : اي تستأجر خادماً . الأطلال : رسوم الدار . دمنه : جمع دمنة وهي ما تلبد من آثار الدار .
٦ أغرى : أولع .
٧ اخضل : ابتل . عارضاه : جانبا لحيته .
٨ لبيد : هو لبيد بن ربيعة العامري أحد أصحاب المعلقات ، عاش عمراً طويلا فقال في أواخر حياته :

ولقد سئمت من الحياة وطولها ، وسؤال هذا الناس كيف لبيد ؟

فيَ الرأس ، وحَيَّهَلَ بهذه الكأس . فابتدر الرجل صَفْقَةَ العَقْد ، وقفّى[1] على أثرها بالنّقْد . وقال للغلام : هَيّا، فإنّ الفرَجَ قد تهيّا. فلما نهض به[2] لينطلق ، أجهش الشيخ بصوتٍ صَهْصَلِق . وانكفأ على الغلام يودّعُهُ،[3] ثم خرج يُشيّعُهُ . وأنشد :

لاتَنسَني،يا مَن لهُ النفسُ فِدى ! فلستُ أنساكَ ولو طالَ المَدَى
إن نَكُنِ اليومَ افترَقنا قِدَدا، فموعِدُ اللّقـاءِ بيننـا غَدا[4]
والدهرُ لا يَبقى لحَيٍّ أبَدا

قال : فلما قضى وَداعَهُ ذهب الرّجُلُ يهَرْوِل، وتركهُ وهو يُعْوِل.[5] فرَثى لهُ قلب كل جبّار ، وجبر قلبَهُ كلٌّ واحدٍ بدينار . فلما أحرز المال انقلب على عَقِبَيهِ ، وهو يمسح مدامعَ جَفْنَيهِ ، واختلس نفسهُ بحيث لا أهتدي إليهِ. فبتُّ تلك الليلةَ بين شوقٍ إلى نَظَرِهِ، وتَوقٍ[6] إلى استطلاع خَبَرِهِ . ولما كان الغَدُ خرجتُ أتخلّلُ المواكب ، وأتفقّدُ الدهـاليز[7] والمساطب . حتى رأيتهُ والغلامُ بجانبهِ، وقد لبس كلٌّ منهما بِزّةَ صاحبهِ.[8]

---

١ ضع الفأس في الرأس : مثل يضرب في طلب العجلة وإنجاز الأمر . حيهل : أعجل . بهذه الكأس : يريد كأس الموت لأنه قد أيقن به بعد ذلك . صفقة : تقابض المتبايعين بالأيدي . العقد : البيع .

٢ النقد : دفع الثمن . هيا : أسرع .

٣ أجهش : تهيأ للبكاء . صهصلق : شديد .

٤ قدداً : قطعاً . غدا : يشير في ظاهر العبارة إلى يوم البعث ، وهو في الباطن يريد غد ذلك اليوم .

٥ يعول : يرفع صوته بالبكاء .

٦ توق : ميل نفس .

٧ المواكب : الجماعات المتثاقلة في المشي لازدحامها . الدهاليز : ما بين الأبواب والدور

٨ المساطب : مقاعد الدكاكين . بزة : ثياب . أي أنه لبس ثياب الغلام وألبسه ثيابه لكيلا يعرفهما أحد .

فلما رآني هَشَّ إليَّ وبَشَّ ، وأنشد بصوتٍ أجَشَّ :

قد خالف الشرعَ الشريفَ فاشترى حُرّاً بجهلِ نفسهِ ، وما دَرَى[1]
ففـرَّ منهُ جنحَ ليـلٍ وسَرَى في طاعةِ الرحمنِ يمشي القَهْقَرى[2]
وإنني علـَّمتُـهُ بمـا جَرى كيفَ يُداري نفسهُ بينَ الوَرى
فحقَّ لي ما نِلتُهُ كما أرى[3]

قال سهيلٌ : فقلت إن كل العجب ، بين ميمونٍ ورجب[4] . وانصرفت وأنا أُصفـّق من بلابل سحرهِ ، وأَستعيذ بالله من زلازل مكرهِ .

---

١ يريد به الرجل الذي اشترى الغلام لأن الشرع لا يجيز بيع الأحرار .

٢ سرى في طاعة الرحمن : أي في السلوك على حسب شريعة الله التي تأمر بإبطال بيع الحر .

٣ يريد أن يبرر نفسه في ذلك بأنه قد علم الرجل كيف يتصرف بين الناس أي أنه لا يباشر أمراً مجهولا حتى يتحقق صحته فيسلم من الخديعة والغش ، وبحسب ذلك يكون قد أخذ المال منه بحق التعليم .

٤ هذا مثل قوله في المقامة الموصلية فرجعت بخف ميمون . ورجب : اسم الغلام .

المقـــامة الثلاثون

وتعرف بالطبية

حكى سهيلُ بنُ عبّادٍ قال: خرجتُ علـى فرسٍ جَمُوح، إلى نيّةٍ[1] طَروح. فأزعجني إهماجاً وخَبَباً، وأرهقني صَعَداً وصَبَباً.[2] حتى نهكني اللُّغوب، وأعياني الرُّكوب. فنزلتُ لأقيل، وأستقيل. وإذا ناقةٌ ترعى،[3] وهي تنسابُ كالأفعى. فوقفتُ أستشرفُ[4] المضاب والوهاد، وأنا أريدُ أن أبدِ لها بالجَواد، وإذا شيخٌ قد انقضّ عليّ كنَسْرِ لُقمانَ بنِ عادٍ[5]، وقال: هلكتَ ولو كنتَ سُهَيلَ بنَ عبّاد. فتوسّمتُهُ من تحت اللثام، وقلت:[6] قاتلكَ اللهُ ولو كنتَ ميمونَ بنَ خزام! فضحك ثم كبّر، وقال: الاجتماعُ مُقدَّر. ثم قال: الطعام، يا غُلام! فأحضَرَ ما تسنّى، ثم اندفع فتغنّى.[7]

---

١ فرس جموح: يغلب فارسه. نية: جهة ينوى السفر إليها.

٢ طروح: بعيدة. الإهماج: أشد الركض؛ والخبب: ركض مضطرب. أرهقني صعداً وصبباً: حملني فوق طاقتي صعوداً وانحداراً.

٣ نهكني اللغوب: أضعفني التعب الشديد. أعياني الركوب: عجزت عنه. أقيل: أنام نصف النهار. أستقيل: أطلب الإقالة من الجهد.

٤ أستشرف: أنظر ويداي فوق حاجبي.

٥ يقال: إن لقمان كان يعتني بتربية النسور فربى سبعة منها وهلكت إلا واحداً كان أشدها وهو لبد.

٦ هلكت ولو كنت سهيل بن عباد: قال ذلك وهو قد عرفه ولمح أنه يريد أن يأخذ الناقة. توسمته: عرفته بعلاماته.

٧ مقدر: يكون بأمر الله وقضائه. تسنى: تهيأ.

قال : فكان عندي أُنسُ ذلك الالتقاء ، أطربَ من شَدْوِ سلامةَ الزرقاء .[1]
وبتُّ معهُ ليلةً من ليالي الدهر ، أحسبُها خيراً من ألف شهر . حتى اشتعلَ
رأسها شَيباً ، وعطَّ الصباحُ لديجورها جَيباً . فاستوى الشيخ على القَتَب ،[2]
وقال : أجيبوا داعيَ الله إلى ما كُتب . فأوفضْنا في مفازةٍ صَلْدة[3] ، حتى
أفضينا إلى بلدة ، بها مدرسةٌ للطبّ عن الحرثِ بن كَلَدة[4] . فحللناها حُلولَ
النون في القِفار ، أو الضَّبّ في البِحار . ولما انجابت وعكة السَّفر ، خرج[5]
الشيخ في ارتياد[6] الظفَر . حتى أتينا المدرسة وهي حافلةٌ بالطلبة ، وقد قام
في صدرها شيخٌ طويل الأرْنَبة ، عظيم العَرْتَبة[7] . فقال : الحمدُ لله الذي
شرَّف علمَ الأبدان ، حتى قُدِّمَ على علم الأديان[8] . أما بعدُ فإن هذا العلم
أفضل علوم الدنيا جميعاً ، لأنهُ أشرَفُها موضوعاً . وهو أدقُّها نَظَراً ،
وأجلُّها خَطَراً . وأقدمُها وَضعاً ، وأعظمها نفعاً . وأغمضُها سريرة ،[9]
وأوسعُها حظيرة. وهو يستطلعُ الخبايا ، ويستوضحُ الخفايا[10] . حتى قيل : إنه

١ سلامة الزرقاء : هي جارية حسنة الصوت غنت يوماً بحضرة معن بن زائدة الشيباني وروح ابن حاتم المهلبي وابن المقفع . فأفرغ معن بين يديها بدرة من المال ، وفعل روح كذلك ، ولم يكن عند ابن المقفع مال فأعطاها صكاً فيه عهدة ضيعة له .

٢ عط : شق . ديجورها : ظلامها .

٣ أسرعنا في فلاة صلبة .

٤ الحرث بن كلدة : هو رجل من بني ثقيف كان طبيب العرب وكان حاذقاً في صناعته .

٥ النون : الحوت . الضب : دويبة برية . يعني أننا نزلنا بها غرباء لأنها ليست مكاناً لنا . انجابت : انكشفت وزالت .

٦ ارتياد : طلب .

٧ الأرنبة : طرف الأنف . العرتبة : طرف الحجاب الذي بين المنخرين .

٨ ورد في الحديث : العلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان .

٩ خطراً : شرفاً . أغمضها سريرة : لأنه يتعلق بالخفايا المكنونة في بواطن الأجسام .

١٠ لأنه يكشف الأمراض الباطنة بالدلائل الخارجية ويهتدى به إلى قوى الأدوية وطرق المعالجات .

وَحْيٌ قد هَبَطَ على الأطبّاء ، كما هَبَطَ الوحيُ على الأنبياء . وصاحب هذه الصِّناعة ،أَرْوَجُ[1] الناس بِضاعة . وأربحهم تِجارة ، وأشهاهم زيارة . وأكسَبُهم أجرةً وأجْراً ، وأنفذُهم نهياً وأمراً[2] . وعليه مَدارُ الأعمال والمِهَن ، وقيامُ الفروض والسُّنَن ، فإنَّ كلَّ ذلك لا يتمُّ إلاَّ بصِحّة البَدَن . وطالما كان هذا الفنُّ أعزَّ من جبهة الأسَد ،حتى اغتالهُ الجهلاة فأوثقوا جيدَهُ بحبلٍ من مَسَد .[3] فواهاً لهُ كيف ثُلَّ عَرشُهُ ! وآهاً لعليلهم كيفَ قُلَّ نَعشُهُ ! قال :[4] وكان في الحضرة فتًى بَاهرُ اللطافة ، ظاهرُ القَضافة [5] . فقال : يا مَولايَ إني قد مُنيتُ بجهل المتطبّبين الرَّعاع ، الذين لا يعرفون الصافن من حبل الذِّراع .[6] فلعلَّك توصيني بما يكون غُنْيَةَ اللبيب ، عند غَيبةِ الطبيب[7] . فأطرق هُنَيهةً للتروِية ، ثم هبَّ في التوصية . فقال : يا بُنيَّ لا تجلس على الطعام إلاَّ وأنت[8] جائع ، وقم وأنت بما دونَ الشّبع قانع . وباكِر في الغداء ، ولا تتماسَ في العَشاء ، والزم الرياضة على الخلاء ، واجتنبها عند الامتلاء. ولا تُدخِل طعاماً على طعام ، ولا تشرب بعد المنام . ولا تُكثر من الألوان[9] ، على الخِوان . ولا تَعْجَلْ في المضغ والازدراد ، واجتنِب كلَّ ما لم يَنضَج وما باتَ من الطعام فهو مَجلَبةٌ للفساد[10] . وإذا أمكنتك الوَجْبَة ، فهي أفضل نُخْبَة .

---

١ أروج : أنفق .

٢ على المرضى .

٣ أعز من جبهة الأسد : مثل في العزة والمنعة . جيده : عنقه . مسد : ليف .

٤ ثل : كسر أو هدم . عرشه : كرسيه . قل : رفع .

٥ القضافة : نحافة الجسم .

٦ المتطببين : المدعين بالطب . الرعاع : الأحداث السفلة . الصافن : عرق في الرجل . حبل الذراع : عرق في اليد .

٧ غنية اللبيب عند غيبة الطبيب : أي يكون غنية للعاقل عند غيبة الطبيب الصحيح . وهو اسم كتاب في الطب .

٨ التروية : التفكر . هب : شرع .

٩ الألوان : أصناف الطعام .

١٠ مجلبة للفساد : لفساد الطعام في المعدة لعسر هضمه فلا تحسن التصرف فيه .

واقطع المـــادة المُضِرَّة ، مرَّةً بعد مرَّة . وعليــك بتنقية الفُضُول، في[1] مُعتَدِلاتِ الفصول وإذا مَرِضتَ فقابلِ السبب[2]، واحرِص على القوَّة فإنها إلى الحياة سبب[3] . وبالغ في الدواء ، ما شَعَرتَ بالداء، ودَعْهُ متى وثِقتَ بالشِّفاء . وإذا استغنيتَ بالمُفرَدات[4] ، فلا تَعدِل إلى المركَّبات . وإذا اكتفيتَ بالأغذِية ، فلا تتجاوَزْ إلى الأدْوِية . وإذا تعاظم العَرَض ، فاشتغل بهِ عن المرض[5] . واعتمد الحِمْية الواقية ، ما دامت العِلّة باقية . واحذَر دواعيَ النُّكْس، فإنهُ شرٌّ من العِلّة بالأمس. واعلَم أنَّ التجربة خَطَر ، فكن منها على حَذَر. والعلاج بين استفراغ الحاصل، وقطع الواصل.[6] والصِّحَّةُ تُحفَظ بالشِّبْه وتُستَرَدُّ بالنقيض ، والحِمْيةُ للصحيح كالتخليط[7] للمريض . واستعمال الدواء حيثُ لا يُحتاج ، كتركِه عند حاجة العِلاج . والمُضِرُّ اليسير، خيرٌ من النافع الكثير. وكلُّ ما عَسُرَ قَضمُهُ، شقَّ هَضمُهُ.[8] ومن كَثُرَت تُخَمُهُ ، تفاقم سَقَمُهُ . وأكثر الأوصاب ، يكون من[9] الطعام أو الشراب . فاحفظ عني هذه المواعظ ، واحتفظ بها والله الحافظ .

---

١ مرة بعد مرة : بالتدريج . الفضول : الأخلاط .

٢ قابل السبب : انظر إلى السبب وعالجه بضده كما إذا كان المرض عن حرارة فعالجه بالبارد .

٣ سبب : وسيلة . قالوا إن القوة للمريض كالزاد للمسافر .

٤ أي بالدواء المفرد البسيط .

٥ أي إذا حدث عرض شديد يخشى منه سقوط القوة فاشتغل بعلاجه حتى يزول ، ثم ارجع إلى علاج المرض .

٦ واعلم أن التجربة خطر : يريد تجربة الأدوية المجهول أمرها فإنها خطر على المريض يخشى هلاكه بها أحياناً. والعلاج بين استفراغ الحاصل وقطع الواصل: أي أن العلاج يكون باستفراغ ما قد تولد منه المرض أولا ومنع تجدده ثانياً .

٧ الصحة تحفظ بالشبه وتسترد بالنقيض : أي أن الصحيح يحفظ صحته بما يوافق مزاجه ، وإذا زالت يسترجعها بما يناقض مزاج المرض . التخليط : ضد الحمية . قالوا إن اثنين لا يصحان : المريض المخلط والصحيح المحتمي .

٨ قضمه : مضغه . شق : عسر .

٩ تخمه : جمع تخمة وهي فساد الطعام في المعدة . الأوصاب : الأمراض .

قال : فلما فرغ من كلامه الموضون[1] ، برز شيخنا الميمون . وقال : إني لأراك من أهل الفضل والفصل ، وأرباب العقل والنقل . ولقد عثرتُ على مسائل ، في كتب الأوائل . فهل تأذنُ بدفع الظنَّة ، ولك المنّة ؟ قال: حبّذا ! فقُل إذا . قال: ما هو الدَّشبَذ ؟ وكم هي الدلائل التي تؤخذ ؟[2] وما هو أعدلُ الأعضاء، بالنسبة إلى بقيّة الأجزاء[3] ؟ فأخذ الأُستاذ في تقليب رأيه ، حتى أفرطَ في لأيه[4] . ثم قال : إن الإنسان، موضعُ النسيان، فهل من مسائلَ أخرى ، لعلّي أصادفُ بها الذِّكرى ؟ قال:قد رميتك بالفصيح فاستعجم،فهل تَفرَقُ من صوت الغُراب وتَفرِسَ الأسدَ المُشبَّم؟هيهات[5] إن العلم بتحقيق القضايا ، لا بتنميق[6] الوصايا ! فغلب على الرجل الوُجُوم ، ولعبت بالقوم الرُّجُوم[7] . حتى قالوا للشيخ : مثلكَ من يستحقُّ الإمامة، فهل لك عندنا من إقامة ؟ قال : قد علمتم أن النُّقلة ، ثِقلة . ولا سيّما مع تطارُح الشُّقّة ، وتطاوُح المشَقّة.فإن خفّفتم عني بالإمداد ، أتيتكم كورْي[8]

---

١ الموضون : المسرود .

٢ فقل إذا : أي فقل إذن ، قلبت نونها ألفاً للوقف . الدشبذ : هو مادة غضروفية تنبت على طرف العظم المكسور ليلتحم بها . الدلائل التي تؤخذ : قالوا : إن الدلائل ثلاث : إحداها المذكرة،وهي التي تذكر الطبيب بما مضى من الأعراض فيستدل به على سبب المرض وكميته . والثانية الحاضرة ، وهي التي تدل على حقيقة المرض الحاصل . والثالثة المنذرة ، وهي التي تدل على ما سيحدث .

٣ قالوا : إن أعدل الأعضاء مزاجاً بالنسبة إلى غيره من أجزاء البدن هو الجلدة التي على طرف السبابة من اليد .

٤ لأيه : إبطائه .

٥ تفرق : تخاف . المشبم : من الشبام وهو عود يعرض في فم الجدي لئلا يرضع . استعمل ذلك للأسد كناية عن شدة الجوع . وهو مثل يضرب لمن يقدم على الأمر الخطير وينزعج من اليسير .

٦ تنميق : زخرفة .

٧ الرجوم : الظنون .

٨ تطارح الشقة : تباعد المسافة . تطاوح : تقاذف . الإمداد : الإسعاف . يريد الإسعاف بالمال ليستعين به على مهمات السفر .

الزِّناد . فنفحوهُ بعدَّةٍ من الدنانير ، وقالوا : استعِن بالله ِ والله ُ على كل[1] شيءٍ قدير . قال سهيل ٌ : فلما فصلنا عن المكان أخذ الشيخ مجلساً مكتوماً ، ثم برزَ فناولني طِرْساً[2] مختوماً . وقال : إذا أصبحت َ فألقِه ِ إلى القوم ، ولا تثريب[3] عليك ولا لوم. فأجبتُه ُ إلى ما طَلَب ، وإذا به قد كَتَب :

أنا ذاك الطبيبُ ، وإنَّ طِبّي لنفسي ، لا لزيدٍ أو لعمرو
وما عالجتُ سُقْمَ الناس يوماً ، ولكني أعالجُ سُقْمَ دهري
إذا ما مَسَّني ضنكٌ ، فعندي جُوارِشُ حيلةٍ وشرابُ مكرٍ ![4]

فلما وقفوا على أبياته ِ ، تعوَّذوا بالله ِ من آفاته ِ . وقالوا : إن لم يكن طبيباً ، فكفى به لبيباً ! فهل لك أن تردَّه ُ علينا لظَرْفه ِ[5] ، إن لم يكن لعُرفه ِ ؟ قلتُ : ذاك مما لا يقْرُب ، فإنه ُ أجوَلُ من قُطرُب . ورجعت[6] إلى موعِدنا أمس ، فوجدت أنه ُ قد أفَلَ قبل الشمس .

---

١ وري الزناد : سقوط الشرار من الزند عند اقتداحه . نفحوه : أعطوه .
٢ طرساً : قرطاساً مكتوباً
٣ تثريب : توبيخ .
٤ ضنك : ضيق . جوارش : سفوف .
٥ ظرفه : ظرافته .
٦ عرفه : علمه . قطرب : دويبة تجوب الليل كله لا تنام .

المقـــامة الحادية والثلاثون

وتعرف بالعبسية

روى سهيلُ بنُ عبَّادٍ قال : أُلجِئت[1] في الحجازِ إلى الهَرَب ، وأُنبِئتُ أن بني عبسٍ من جَمَراتِ العَرَب . ففررت إلى ديارهم، معتصماً بجوارِهم.[2] ولَبِثتُ عندهم رَدَحاً من الزمان ، تحت ظِلِّ الأمان . حتى كنت يوماً بحضرة الحَكَم[3]،على بعض الأَكَم . وإذا الخزاميُّ قد أقبل تُزبِدُ شَفَتاهُ، وخلفهُ فتاتُهُ وفتاهُ[4]. فلما وقف بنا استَدْعى الجَمْع ، واسترعى السَّمْع . ثم قال : الحمدُ لله الذي شرَّف الحجاز وأهلَهُ، وأذلَّ لبني غَطَفان حَزْنَه[5] وسَهلَهُ . أما بعدُ فإنكم يا بني عبس آية[6] البِشر في البَشَر، ولنزيلكم حقُّ التِّيهِ والأَشَر . وفيكم المآثر التي تُذكَر، والآثار التي لا تُنكَر. ومنكم[7]

---

١ ألجئت : اضطررت .

٢ جمرات العرب : هم بنو عبس وبنو ضبة وبنو الحرث ، قيـــل لهم ذلك لشدة بأسهم في الحرب . معتصماً : ممتنعاً عمن يطلبني .

٣ الحكم : القاضي .

٤ فتاته وفتاه : ابنته ليلى وغلامه رجب .

٥ بنو غطفان : هوغطفان بن سعد بن قيس عيلان ، وهو جد بني عبس وفزارة وغيرهم من هذه الطائفة . الحزن : نقيض السهل .

٦ آية : علامة .

٧ الأشر : البطر . يعني ان نزيلكم يحق له أن يستكبر ويبطـــر لأنه قد صار عندكم كريماً عزيزاً لا يناله أحد . المآثر : المفاخر .

الرجال الذين سالت بذكرهم البطحاء، كقيس الرأي وعنترة الفلحاء، والكملة[1] الأصحّاء. وعنكم تروى حرب السّباق، التي بلغ عجاجها السبعَ الطّباق.[2] ولكم الرّفعة بمصاهرة الدُّوَل، والشّركة في شرف السبع الطُّوَل. وإنني[3] شيخٌ كاسفُ البال، مشارفُ الوَبال. قد سألت الله ولداً حسناً، فكان[4] لي عدوّاً وحزناً[5]. يوسعني زجراً، ولا يطيع لي أمراً، وإذا ضججتُ زادني وِقراً[6]. فلينظر المولى إليّ، ويحكم لي أو عليّ. فأقسم الفتى بحرمة الحرمين، لقد نطق الشيخ بالمَين. وقال: هو يسألني برامتين سلجماً، ثم[7] يفتري عليّ حديثاً مرجّماً. فأشكل بين القوم ذلك الخصام، وقالوا: قربة[8] شُدّت بعِصام. فإمّا أن تصرّحا لدى المولى، وإلاّ فالصّمت أولى. قال:[9] فحلّت الفتاةُ الحبْوة، وثارت كاللّبْوة. وقالت: أنا أجعلُ خادعتهما رِتاجاً،[10]

---

١ البطحاء: مسيل واسع فيه دقاق الحصى، والمراد هنا بطحاء مكة حيث تجتمع القبائل في أيام الحج. قيس الرأي: هو قيس بن زهير بن جذيمة العبسي. عنترة الفلحاء: هو عنترة ابن شداد بن قراد العبسي المشهور. والفلحاء تأنيث الأفلح: وهو المشقوق الشفة السفلى. قيل له ذلك لانه كان أفلح.

٢ الأصحاء: الأبرياء من العيوب. حرب السباق: هي حرب كانت بين بني عبس وبني فزارة. السبع الطباق: السماوات.

٣ بمصاهرة الدول: ذلك لأن البعض من ملوك العرب كانوا قد تزوجوا بنساء من أشراف بني عبس. السبع الطول: هي القصائد السبع المعروفة بالمعلقات، وكانت العرب تفتخر بها فكان لبني عبس نصيب في هذا الفخر.

٤ كاسف البال: منكسر القلب. مشارف الوبال: مقارب الهلاك.

٥ أي فأعطاني ولداً فكان لي عدواً.

٦ الوقر: الحمل الثقيل. وهو مثل يضرب لمن يتضجر من ثقل ما تكلفه إياه فتزيده ثقلا.

٧ المين: الكذب. رامتان: مثنى رامة وهي مكان جديب لا ينبت شيئاً. والسلجم: اللفت. وهو مثل يضرب لمن يطلب الشيء من غير موضعه.

٨ يفتري: يختلق. حديثاً مرجماً: على حسب الظن لا على حسب الحقيقة.

٩ قربة شدت بعصام: سير تشد به القربة، وهو مثل يضرب للأمر المجهول. المولى: القاضي.

١٠ حلت الفتاة الحبوة: كناية عن ابتذال ما كانت قد أمسكت نفسها عليه. خادعتهما رتاجاً: الخادعة الباب الصغير يفتح في باب آخر كبير. والرتاج هو الباب الكبير الذي تفتح فيه الخادعة.

وقُفلها زِلاجاً . ثم أفرَجَت عنها اللّفاع ، وانتفجَت كاليَفاع . وأنشدت:[1]

هذا البريدي أبو العبّاسِ قد كانَ بينَ الناسِ كالنّبراسِ[2]
يُحَفُّ بالقيامِ والجُلاّسِ ، ما زالَ بينَ طاعمٍ وكاسِ[3]
مُكَلَّلَ الجفانِ صافي الكاسِ ، حتى دَهَتْهُ ضربةٌ في الراسِ[4]
ورَمَتْهُ بالإقتار والإفلاسِ ، وحاجةِ الطّعام واللّباسِ[5]
فصارَ من شدّةِ ما يُقاسي يُكلّفُ ابنَهُ سُؤالَ الناسِ[6]
فينفِرُ الفتَى الشديدُ الباسِ من ذلك الذّلّ ، ولا يؤاسي[7]
وتلك دعواهُ بلا التباسِ !

فلما رأى الفتى انهتاكَ سِرِّهِ ، وانتهاكَ سِترِهِ . نَشَطَ من اعتِقالِهِ،[8] كما يُنشَطُ البعير من عِقالِه . وقال: أمّا وقد بَرِحَ الخَفاءُ ، وطُرِحَ الرِّفاءُ،[9] فإنني رجلٌ عزيزُ النفس ، كأنني من سَراة عبس . وقد رَبِيتُ في الخير

١ الزلاج : ما يغلق به الباب لكنه يفتح باليد بلا مفتاح . اللفاع : ما تلتف به المرأة . انتفجت : من قولهم نفج الثدي القميص إذا رفعه . اليفاع : ما ارتفع من الأرض .
٢ أبو العباس : موهت عليهم بتغيير لقبه وكنيته .
٣ يحف : يحاط .
٤ مكلل : يقال جفنة مكللة إذا كان عليها قطع من اللحم . ضربة في الرأس : مثل للضربة المهلكة .
٥ الإقتار : ضيق العيش .
٦ ادعت أن هذا الغلام ابنه وأنه يكلفه أن يستعطي .
٧ يؤاسي : يعامل بالإصلاح .
٨ انتهاك : من قولهم نهكت الثوب أي لبسته حتى بلي . نشط : اجتذب نفسه وخرج اعتقاله : احتباس نفسه .
٩ ينشط : يحل . برح الخفاء : مثل يضرب في ظهور الأمر . الرفاء : الاتفاق .

والمَيرِ ، كأنني مالكُ بنُ زُهَيرٍ . وكانَ هذا الشيخ يَقري الضريكَ، ويَعولُ[١] الضنيكَ، كأنه عُروةُ الصعاليك. فابتزّهُ الدهرُ الخؤونُ القاسطُ ، كما فعلَ بقيسٍ[٢] حينَ لَحِقَ بالنَّمِرِ بنِ قاسطٍ. فلما قوّضَ[٣] الدهرُ منارَهُ، وأخمدَ الفقرُ نارَهُ. أنكرتهُ المعارفُ، وضاقت عليهِ المخارفُ. فدارَ حابلُهُ على نابلِهِ ، ورضِيَ[٤] بالطَّلِّ بعدَ وابلِهِ . فصار يشتهي نُضاضةَ الجُفالِ ، ويتمنّى نُفاضةَ الثِّفالِ،[٥] وجعلَ يَسومُني ذُلَّ السؤالِ ، ويَحمِلُني على استسقاءِ الآلِ . وقد صارت[٦] الفتيانُ حُمماً ، وأصبحتِ الكرامُ رِمماً . فلا يُطمَعُ منهم بذُبالةٍ ، ولا[٧] يُؤخذونَ بحِبالةٍ، وذلكَ ضِغثٌ على إبّالةٍ. ولعلَّ اللهَ قد ساقَنا إلى حِماكُم،[٨] وأحيا سِباخَهُ بحَياكُم . فإنكم غيثُ الجُودِ ، وغِياثُ المنجودِ . ومَحَطُّ[٩]

---

١ المير : بذل الطعام للناس . مالك بن زهير : هو سيد بني عبس . وكان مالك أعز أولاده عنده . الضريك : الفقير البائس .

٢ الضنيك : المتضايق . عروة الصعاليك : هو عروة بن الورد العبسي كان يجمع الفقراء في حظيرة ويقسم عليهم مما يغتنمه فقيل له عروة الصعاليك . ابتزه : سلبه . القاسط : الظالم . قيس: هوقيس بن زهير العبسي صاحب حرب السباق، افتقر في آخر أيامه فكبرت نفسه عن الإقامة في قومه فخرج عنهم ونزل ببني النمر بن قاسط . وقيل إنه احتاج حتى صار يأكل الحنظل ولا يخبر أحداً بحاجته فمات من ذلك .

٣ قوض : هدمَ .

٤ المخارف : الطرق . فدار حابله على نابله : المراد بالحابل السدى وبالنابل اللحمة . وهو مثل يضرب في انعكاس الأمور .

٥ الطل : المطر الخفيف . الوابل : المطر الكبير القطر . نضاضة : فضلة . الجفال : رغوة الحليب على وجه الإناء حين يحلب . نفاضة : ما يبقى من فضلة لا خير فيها فينفض على الأرض . الثفال : ما يبسط تحت رحى اليد من جلد ونحوه .

٦ يسومني : يكلفني . استسقاء : طلب السقي . الآل : ما تراه نصف النهار كأنه ماء . أي يكلفني أن أطلب البر ممن لا خير عنده .

٧ الحمم : الرماد والفحم وكل ما احترق بالنار . رمماً : جثثاً بالية . ذبالة : فتيلة .

٨ حبالة : شرك صيد . ضغث : حزمة من الحشيش . إبالة : حزمة من الحطب . وهو مثل معناه بلية على بليـة .

٩ السباخ : جمع سبخة وهي أرض لا تحرث ولا تعمر . حياكم : مطركم . المنجود : المكروب . المحط : المكان الذي يقصد للنزول .

القوافل والقوافي ، فلبس القوادم كالخوافي . ثم أنشد :[1]

إذا لَؤُمَ الدهرُ في نفسهِ فللناسِ في حَذْوهِ المعذُرَه
وإن كان ذلكَ ذنباً لهُ فإن بني عبس المغفِرَه

قال : فسَمد الشيخ كَمَداً، وتنفّس الصُّعداءَ وَمَداً ، ثم مال على عصاه[2]، معتمداً . وأنشد :

أشكو إلى الله صُرُوف الدهرِ فقد رماني بالرزايا الغُبْرِ[3]
أصابني بهَرَمٍ وفقرِ وأخَذَ الكرامَ أهلَ اليُسرِ
فلم أصادِف جابراً لكسري جزاهُ مولايَ جزاءَ الغدرِ
كما جزى البُغاةَ آلَ بدرِ ، إذ سُفِكَت دِماؤهم في الجَفرِ[4]

فأَوَى القومُ لشَكيَّتهِ ، ورَثَوا لبليَّتهِ . وتصدَّقوا عليهِ بِذَوْد ،[5] وأجازوا الفتى بعَوْد. فشكراهم على تلك الجَدْوَى ،وانقطعت بينهما الدعوى.[6] فهرَّت الفتاة واكفهرَّت ، وأنشدت وقد اسمَهَرَّت :[7]

---

١ القوافل : الركبان . القوافي : أي الأشعار . يعني أن الشعراء يقصدونهم لكرمهم . القوادم : مقاديم ريش الطير وهي عشر ريشات في كل جناح ويقال لها القدامى أيضاً . والخوافي : ما دون القوادم من الريش .

٢ سمد : حزن متخشعاً . الومد : شدة الحر .

٣ صروف : حوادث . الغبر : السود .

٤ آل بدر : يريد حذيفة بن بدر وأصحابه في حرب سباق الخيل . الجفر : مستنقع ماء في بلاد غطفان بمكان يقال له الهباءة ، قتل فيه بنو عبس حذيفة وأخويه .

٥ أوى : رق . الذود : ما بين الثلاث والعشر من النياق .

٦ العود : الجمل الذي بلغ من عمره عشر سنوات . الجدوى : العطية .

٧ هرت : من هرير الكلب وهو صوت غليظ دون النباح يردده لخوف أو برد ونحو ذلك . اكفهرت : عبست . اسمهرت : تصلبت واشتدت .

نلومُ الزمانَ إذا ما أخلّ بتسويةِ الرّزقِ في أهلهِ
وها نحنُ نفعلُ فعلَ الزمانِ فكيفَ نلومُ على فعلِهِ ؟ [1]

قالوا : صدقتِ أيّتُها الحرّة ، لقد حقّت لكِ المَبَرّة . وجبروا قلبها بشيءٍ من المال ، فانقلب الجميع بحسن المآل .[2]

---

١ تقول : إن الناس يلومون الزمان لأنه لا يساوي بين أهله في الرزق وهم يفعلون كذلك فكيف يلومونه . وذلك تعريض منها بأن القوم أعطوا الشيخ والغلام ولم يعطوها شيئاً
٢ المآل : العاقبة والمرجع .

المقـامة الثانية والثلاثون

وتعرف بالعاصمية

قال سهيلُ بنُ عبَّادٍ : جمَعَتني وأبا ليلى الأقدار، في بعض الأسفار. وهو قد لبِسَ الطَّيلَسان[1] ، ولزِمَ تِلاوةَ القُرآن . فسرَّني ما رأيت بـهِ من التُّقى ، أكثرَ من ذلك الملتَقَى. وسار القوم يستضيئون بنِبْراسِهِ ، ويتيمَّنون ببركات أنفاسه . وهو يتـداول الأدعية والأوراد[2]، ويقُصُّ علينا قِصَصَ الأفراد ، حتى دخلنا عاصِمة البلاد . فنزَلنا حيثُ تنزل أبناءُ السبيل ، وبات[3] الشيخ يُطرِفنا بحديث أشهى من السَّلسبيل . فانعكفت عليهِ أخلاط الزُّمَر ،[4] كأنهُ بينهم عُثمانُ أو عُمَر ، ولم يُصبح إلاَّ وهو أشهرُ من القمر . وصار ذِكرهُ عند دِهقان[5] القوم ، يتردَّد اليومَ بعد اليوم . حتى حمله الشوقُ إلى لقائهِ ، على استدعائهِ . فلما حضر هشَّ إليهِ هَشاشةَ الصديق ، ثم قـال : أوصِني أيُّهـــا الصِّدِّيق . فأطرق برأسهِ من الخُشوع ، واستهلَّت عيناهُ بالدُّموع . ثم قال : يا مولايَ اشكُرْ نِعمَةَ الله لِئلاَّ يُغيِّرها عنك ، وكُنْ خائفاً منه كما تخاف الناس منك. وإيَّاكَ الكِبْرَ والتِّيه، فإنَّ غضَبَ الله على

---

١ الطيلسان : ثوب تلبسه المشايخ وهو من ملابس العجم .

٢ الأوراد : جمع ورد وهو الجزء من القرآن .

٣ الأفراد : الخواص الذين لا نظير لهم . عاصمة البلاد : المدينة التي هي قاعـدة البلاد . حيث تنزل أبناء السبيل : في الخان .

٤ السلسبيل : الخمر . الزمر : الجماعات .

٥ الدهقان : رئيس الإقليم .

من يأتيه[1] . وكُن في اللّين والشدّة بينَ بين ، فإن الناس لا يُؤخَذون بالمحض من الطَّرَفَين[2] . وعليك بالصبر في الشدائد، فإنهُ للفَرَج نِعمَ القائد. ولا تكن سريع النّقَم ، لئلاّ تسقُطَ في النَّدَم. وبالِغ في البحث عمّا اشتَبَه، ولا تثِق بأحدٍ قبل التجربة . واجتنب الطمع والشَّراهة ، واتّقِ البُخلَ فإنهُ مَجلَبةُ الكَراهة . واعتزِلِ الشَّراب، فإنهُ آفةُ الألباب . واحذر العَجَل ، فإنهُ مَوطِنُ الزَّلَل . وارفع شأن العلماء ، فإن لهم شرفاً من السماء . واقتصر على مجالَسة الحكيم ، فإنه يَهديك الصّراط المستقيم . وكُن قليلَ الصَّخَب[3] ، بطيء الغَضَب . وارحم ذِلّةَ الشاكي ، وعَبْرة الباكي . واحكُمْ بالحقّ ولو على نفسِك ، فضلاً عن أبناء جنسِك . ولا تَفرُقْ بين الأغنياء والصعاليك ، والسادات والمماليك . ولا تَبِعِ الحقّ بالمال ، فذاك بِئسَ الأعمال . والزَمِ الرَّصانةَ والوقار ، لتُهابَ في أعيُن النُّظّار . ولا تكُن عَبوساً فتَنفِرَ منك الناس ، ولا ضَحوكاً فتَزدَرِيَ بك الجُلاّس. ولا تَعتَدْ بنفسك في المُلِمّات ، ولا تستَبِدّ برأيك في المُهِمّات . ولا تغفُلْ عن إصلاح الهَنَات ممّا فسَد ، فإن البَعوضة تُدمي مقلةَ الأسَد .[4] ولا تشتغل بالدنيا عن الدِّين ، واجعل الموت نُصبَ عينك في كلّ حين . واعلَم أنّ كثرةَ الحِلم ، ضربٌ من الظُّلم . والرُّخصة[5] في تأديب العاصي ، مُساعَدةٌ على المعاصي . والإغضاء عن الصغائر ، توريطٌ في الكبائر . والرحمة للمَرَدة الأشرار، كالجَوْر على العَبَدة[6] الأبرار. ورفع منزلة اللّئام، كخفض شأن الكِرام . ورَزْقَ مَن ليسَ مستحقّاً ، كحِرمانِ من يستحقُّ رزقاً .

١ أفرد الضمير بناء على أن الأول هو المراد بالحديث والثاني تابع له .
٢ أي لا يؤخذون باللين الخالص ولا بالشدة الخالصة .
٣ الصخب : الضجيج .
٤ الهنات : الأمور اليسيرة . تدمي مقلة الأسد : مثل يضرب للشيء الحقير يتأذى به العظيم
٥ الرخصة : التساهل .
٦ العبدة : جمع عابد .

واعتَبِرْ أنّ الرعايا من الإنسان ، ليست كالرعايا من سائر الحيوان . فاجتهد في سياستهم بخيلك ورَجْلِك، واعتَقِدْ أنك قد خُلِقت لأجلهم وهم لم يُخلقوا لأجلك . ولا تحْسَبْ أنّ الإنسانَ يُترَك سُدًى ، ولن يحاسَبَ غداً ، والسلامُ على مَنِ اتّبعَ الهُدَى . فارقُم هذه الوصايا على صَفَحات قلبك ، واكتُب بها إلى أقرانك وصَحْبك . وأنا زعيمٌ لك بقرّة العين ، والسعادة في الدارَين. قال: فلما سمع الوالي هذه النصائح استجادَها واستحلاها، ثم استعادها واستملاها . وأمر بتوزيعها في اشتات الجوانب ، على كل عاملٍ ونائب . ثم أمَرَ للشيخ بخِلعةٍ صُوفيّة، ودنانير كوفيّة. وقال: اذهب الآن بهذه الجَدْوى،[1] ولا تكن كبارح الأرْوَى[2]. قال سهيلٌ: فلما خرجنا من مجلس الدهقان، وأتينا مَنْزِلنا بالخان. جعلتُ أحمَدُ اللهَ على تلك الهِداية، وأغبِطُ الشيخ على حسن النّهاية. فضَحِكَ بي كالساخر ، وقال : ما أشبه الأوّل بالآخِر . ثم أنشد :

علمتَ أني من رجالِ الدهرِ   أنظُرُ في أمري بعين الفكرِ
متى فشا ذِكري وشاعَ مَكْري   غالطتُ من يدري كمن لا يدري
بآيــةٍ من الصّلاحِ تسري   بينَ الورى مثلَ نسيم الفجرِ
ليستقيمَ في البــلادِ أمري

قال : فعلمتُ أنهُ لا يَحولُ عن شِنشِنته الأخزميّــة[3] ، ولا يَزولُ عن سُنّتهِ الخزاميّة . ولَبِثتُ في صُحبتهِ ما شاءَ الله ، وأنا أبكي لدينه وأضحك لدُنياهُ .

---

١ خلعة صوفية: من ملابس أهل التصوف. دنانير كوفية: أي ضرب الكوفة. الجدوى: العطية.
٢ كبارح الأروى : المراد بالبارح الذي يكون في البراح وهو الفضاء المتسع . والأروى : الإناث من الوعول . وهو مثل يضرب لمن تطول غيبته ، فكأنه يقول له : اذهب ولكن لا تطل غيابك عنا .
٣ الشنشنة : الخلق والطبيعة . والأخزمية : نسبة إلى أخزم الطائي ، كان يضرب أباه ، ثم مات وترك بنين فكانوا يضربونه أيضاً كأبيهم ، فقال :

إن بني ضَرجوني بالدم   شنشنة أعرفها من أخـزم

المقـــامة الثالثة والثلاثون

وتعرف بالرشيدية

أخبر سهيلُ بنُ عبّادٍ قال : بينما كنت يوماً في رشيد ، جالساً في صَرْحٍ[1] مَشِيدٍ[2] . إذ لمحتُ شيخنا الخزاميَّ في بعـض الأسواق ، فكدتُ أطير إليهِ بأجنحة الأشواق . وما لبثتُ أن بادرت إلى التماسهِ ، لأنقَعَ[3] ظَمَإِي بزُلال كاسهِ . فما وجـدتُ لهُ من أثر ، ولا رأيتُ من عليهِ عَثَر . وما زِلتُ أجري كأني رُميتُ عن قِسِيّ البنادق ، حتى أفضيتُ إلى بعض الفنادق . وإذا في عَرْصة الخان، شيخٌ أعجزُ من قتيل الدُّخان[4]. والناس قد أطبقوا عليه ووقفوا حَوالَيهِ . فتخلّلتُ ذلك الغَمام ، لأنظُرَ ما وراءَ الصِّمام . وإذا[5] الخزاميُّ وابنتُهُ يشتجرانِ ، وهما يستجرانِ ، ولا يزدجران . فلما رأى[6] تكأكُؤَ الناس عليهِ كتكأكُؤهِم عـلى ذي جِنّة[7]، خرج عن آداب الكِتاب والسُّنّة . وقال : شَقَحاً لكِ يا رَوق الوَعْل ، وشِسْعَ النعل ،[8]

١ رشيد : مدينة على شاطىء النيل . صرح : قصر .

٢ مشيد : مطلي بالشيد وهو الكلس ونحوه .

٣ أنقع : أروي .

٤ قتيل الدخان : هو رجل أوقد ناراً في بيته فطفح عليه الدخان ولم تكن لـه همة أن يتحول عنه حتى مات ، فضرب به المثل في العجز .

٥ الغمام : عبارة عن ازدحام الناس حتى صاروا كالسحاب . الصمام : سدادة القارورة .

٦ يشتجران : يتخاصمان . يستجران : يلتهبان بحرارة الغضب . يزدجران : يرتدعان .

٧ لما رأى اجتماعهم عليه كاجتماعهم على مجنون .

٨ شقحاً : قبحاً . الروق : القرن . والوعل : وحش طويل القرن في قرنه شعب متعرجة . الشسع : سير يشد به النعل .

وغُصّة الأهل والبعل! من أنتِ من شَراة العقائل،ومَن قومكِ من سَراة[1] القبائل ؟ إنكِ لأخَسُّ الناس أجمعَ أبصَع،وأبوكِ ألأمُ من ابن القَرصَع![2] فتقدّم إليه رجلٌ كالسارية ، وقال : ما خطبُكَ[3] وهذه الجارية ؟ قال : هي امرأةٌ جرى لي بها القلم[4] ، فبدّلت لذّتي بالألم ، ومن استرعى الذّئب فقد ظلَم! قال : أراكَ قد أكثرتَ شحناً ، وأضمرتَ لحناً ، وإني لأسمَعُ[5] جعجعةً ولا أرى طِحناً. فأبِنْ عمّا في نفسِك ، لننظر بينك وبين عرسِك.[6] فقال : إنها هلقامةٌ نهِمة ،جَشِعةٌ ملتهمة ، مُترَفِّهةٌ مُتَنَعِّمَة ، مُتَغطرِسةٌ[7] مُتَعَظِّمة . تَطلُب بَيْضَ الأنوق ، والأبلَقَ العَقُوق[8] . وتُحِبُّ التبذير والإسراف ، كأنها من بنات الأشراف . ويهون عند جوفها دَمُها[9]، وتُصبحُ ظمآنةً وفي البحرِ فَمُها . فقالت المرأة : يا لِلفَليقَةِ حَشَفٌ وسوءُ كيلة ![10]

---

١ شراة : خيار . العقائل : جمع عقيلة وهي المرأة الكريمة في الحي .

٢ أبصع : اتباع لأجمع . ابن القرصع : رجل من أهل اليمن يضرب به المثل في اللـؤم والخساسة .

٣ خطبك : شأنك .

٤ أي زوجة قسم الله لي بها .

٥ من استرعى الذئب فقد ظلم : يريد أن من اتخذ له امرأة مثل هذه فقد ظلم نفسه ،وهو مثل . شحناً : من شحن السفينة أي وسقها . اللحن : كلام يفهمه المخاطب دون غيره .

٦ الجعجعة : صوت الرحى . الطحن : الدقيق . عرسك : زوجتك .

٧ هلقامة : واسعة الشدقين شديدة الابتلاع . جشعة : شديدة الحرص على الأطعمة . متغطرسة : متكبرة .

٨ الأنوق : طائر يتخذ أوكاره في رؤوس الجبال والأماكن البعيدة الصعبة فلا ينال بيضه . والمراد بالأبلق الفرس الذكر وبالعقوق الحامل . والذكر لا يكون حاملا . وكلاهما مثل يضرب في طلب ما لا يوجد .

٩ يهون عليها القتل عند إشباع جوفها .

١٠ تصبح ظمآنة وفي البحر فمها : مثل يضرب لمن لا يكتفي بالنعمة وهو غارق فيها . الفليقة : الداهية . وهي كلمة تقال عند التعجب . حشف وسوء كيلة : الحشف أردأ التمر ، والعبارة مثل يضرب في اجتماع أمرين مكروهين .

وشيخٌ أكذب من سُهَيلة[1] . فسَلوهُ ماذا اقترفت ، وبماذا أسرَفت ؟ قال : إنها تريد جَرْدَقاً[2] كلَّ مساءٍ ، ولا ترضى بالخبز والماء ، وتأنف من المشي بلا حِذاءٍ ، والنوم بلا وِطاءٍ ، حتى كأنها ماءُ السماء ، أو فاطمةُ الزهراءُ. وأنا[3] شيخٌ فقير ، أتبلّغ بالقوت اليسير . وأنتظر زكاة العيد ، من أمَدٍ بعيد . فلا قِبَلَ لي بهذه السعة ، ولو حكَمت بها الأيمّة الأربعة[4] . ثم شَرِقَ بالبُكاء ، حتى صار نحيبُهُ كالمُكاء[5] . وأنشد :

أَلانَ ليَ الدهر بأساً شديدا فكان كنارٍ أَلانَتْ حديدا
وأظمأني كلَّ ظِمءٍ فلمّا وردتُ سقانيَ ماءً صديدا[6]
أحالَ فطالَ وصالَ فهالَ وجالَ فمالَ وغالَ العديدا[7]
وغادَرَني بعد بذلِ الصِّلاتِ لقصدِ الجوائز أنشي القصيدا
فريداً وحيداً طريداً شريدا فقيداً عميداً بعيداً حريدا[8]
وأنسانيَ الأمسَ حتى كأني خُلِقتُ به اليومَ خلقاً جديدا
كأنيَ لم أركبِ الخيلَ يوماً ، ولم أمتلكْ في العِباد العبيدا

---

١ سهيلة : رجل يضرب به المثل في الكذب .

٢ جردقاً : رغيفاً .

٣ وطاء : فراش . ماء السماء : هي أم المنذر ملك العراق . فاطمة الزهراء : هي زوجة الإمام علي بن أبي طالب .

٤ الأيمة الأربعة : يراد بها أيمة المذاهب .

٥ النحيب : صوت البكاء . والمكاء : صوت النافخ في يده ، أي انقطع صوته حتى صار كالمكاء .

٦ الظمء : ما بين الوردين أي ما بين الشرب الأول والشرب الثاني . ويكون أياماً متعددة مختلفة المقادير في الكثرة والقلة يستعملونه للجمال . والصديد : ماء الجرح المختلط بالدم .

٧ أحال : غير . طال : تغلب . صال : وثب واستطال . مال : جار . والمراد بالعديد الرجال المعدودة أو المال المعدود . غاله : أخذه من حيث لا يدري .

٨ العميد : المجهود . الحريد : المنفرد عن الحي .

ولم أَقرِ ضَيفاً ولم أَنفِ حَيفاً، ولم أنضُ سَيفاً ولم أطوِ بِيدا[1]
ولكنني قد أتيتُ رشيدا فألفيتُ ذاكَ سبيلًا رشيدا
لَقيتُ الكِرامَ الأُولى يملأُونَ يداً بالنَّدَى ويُحَلُّون جِيدا[2]
طِوالَ الأيادي ثِقالَ الغوادي ضِئالَ الأعادي غطاريف صِيدا[3]
وهَبْني سفينةَ نوحٍ ، فليسَ على البحر وِقْرٌ فيمشي وئيدا[4]

فلما فرَغَ من افتنانِهِ ، افتتَنَ القوم بفكاهة لِسانِهِ ، ونَباهةِ جَنانِهِ ، وجعلوا يَذُمُّون لَهُ صروف زمانِهِ . ثم حباهُ كل واحدٍ ديناراً ، وبسط لهُ اعتذاراً . فأثنى جميلًا وشكر ، وقال الحمدُ لله إرغاماً لمن كفر . ثم انقلبا يتمشَّيان كنسيم الخَزْرَج ، في مَنابِتِ العَرْفَج . قال: فلما خلا بنفسهِ ،[5] وثاب إلى وَقارِهِ وأُنسِهِ . دخلتُ عليه مُهلِّلاً[6] ، فقابلني مُتهلِّلًا . وقال : لولا مِنَّة الخَلاَّق، ودَماثة الأخلاق، لَفَرَطَتْ مني بادرة[7] الطَّلاق. ولكن الحِلم أَهْنَأُ المناهل، وإن كان الحليم مَطِيَّةَ الجاهل[8]. قلتُ: مثلُكَ من يُدرِك

---

١ الحيف : الظلم والجور . لم أنض : لم أسل . لم أطو : لم أقطع . البيد : الفلوات .
٢ الأولى على وزن العلى بمعنى الذين ، تكتب الواو فيها ولا تقرأ . يحلون : يلبسون حلية . الجيد : العنق .
٣ الغوادي : السحائب المنتشرة غدوة . وثقلها كناية عن حملها المطر المكنى به عن العطاء . الضئال : النحاف الضعفاء . الغطاريف : السادة الأشراف . الصيد : الأسود .
٤ يقول : احسبني ثقيلا كسفينة نوح فإن هؤلاء القوم بحار والبحر إذا كان فوقه حمل ثقيل لا يتثاقل به فيتوانى في حركته . يريد أن القوم لا ينزعجون بحمل أثقاله ولو كانت كثيرة .
٥ الخزرج : ريح الجنوب . العرفج : شجر ينبت في السهول .
٦ مهللا : قائلا لا إله إلا الله .
٧ البادرة : الكلمة يسبق اللسان إليها .
٨ مثل يراد به أن الجاهل يطمع في الحليم حتى يجعله مركوباً له .

القُصَى ، ولا تُقرَع لهُ العصا.فاحتَمِلْ أوصابَك،واصبِرْ على ما أصابَك.[1]
فشَمَخَ واستكبر ، وأنشد وهو قد أدبر :

أنا السَّفَّاح ذو الفتكِ بديعُ المكر والإفكِ !
أنا النارُ التي غلَبَتْ على الجُلمُودِ بالسبكِ
أَشَدُّ الناسِ طائلـةً وأشهَرُ من « قِفا نبكِ »[2]
ولكنَّ الزمـانَ بَغَى فغاضَ العِقدَ بالسِّلكِ[3]
وجارَ عليَّ مهتضماً كبيتِ الشِّعرِ بالنَّهْكِ[4]
تَقَاذَفَني لهُ لججٌ كأني نوحُ في الفُلْكِ
على أنّي حَمِدتُ اللهَ في سَعَةٍ وفي ضَنْكِ
ومن يَرضى بعيشتهِ فذلك صاحبُ المُلْكِ

قال سهيلٌ:فلَبِثتُ معهُ برهةً من الزمان،كأنني في حديقةٍ من الجِنان، فيها فاكهةٌ ونخلٌ ورُمَّان.حتى إذا أزمع الفِراق تسنَّم ناقةً كالعَضْرَفوط،[5] وقال : مَوعِدُنا مَنْفَلوط[6] .

---

١ القصى : جمع قصوى . أي يدرك الغايات البعيدة . مثلك من يدرك القصى ولا تقرع له العصا : مثل أصله أن عامر بن الظرب العدواني شاخ حتى ضعف عقله فقال لابنته : إذا أنكرت من عقلي شيئاً عند الحكم فاقرعي لي الترس بالعصا لأنتبه . فكانت تفعل كذلك فذهب مثلا . أوصابك : أمراضك وأوجاعك .

٢ إشارة إلى معلقة امرىء القيس التي يقول في مطلعها : قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل .

٣ السلك : الخيط الذي ينظم العقد به .

٤ مهتضماً : يقال اهتضمه إذا كسر حقه وانتقصه . النهك في الشعر : أن يحذف الثلثان من أجزاء البيت فيبقى منه الثلث .

٥ تسنم الناقة : أي علا سنامها ، وهو ما شخص من ظهرها . والعضرفوط : يقولون إنها مطية من ركائب الجن .

٦ منفلوط : مدينة في الديار المصرية .

المقامة الرابعة والثلاثون

وتعرف بالأدبية

حَدَّثَ سهيلُ بنُ عبَّادٍ قال : ترامَت بي سفرةٌ شاسعة ، في مَوْماةٍ[1] واسعة . وكنت قد انضويتُ إلى صَحْبٍ أحمَى من الجمَرات ، وأكرمَ[2] من الطَّلَحات[3] . فسِرتُ بينهم ناعم البال ، آمِنَ البلبال . وما زلنا بين تصويبٍ وإصعاد ، حتى هبطنا بطنَ واد . وإذا خيمةٌ شمَّاءُ ، على صَفاةٍ[4] صمَّاء . وفيها قومٌ نسمع لهم رِكزاً، ولا نُدرِكُ منهم رمزاً . فنزَلنا عن[5] الأقتاد ، لنُريح الأكتاد ، ونُخمِد غليل الأكباد . ثم نصبنا الاطيمة ، كما[6] تُنصَب في الوليمة . وقمنا كالنُّدُل حول النار، ونحن نتلهَّن بالعَسَم القَفار.[7] حتى أُنزِلَتِ الهَيْطَلَة، وأُحضِر الهجْمُ والنَّوْفَلَة. فجلسنا نلتهم ما حَضَر،[8] حتى لم نُبقِ ولم نَذَر. وبينما فرَغْنا إذ تراءى لنا شُبَيح[9]، وهو يُنشِد من

---

١ موماة : فلاة .

٢ انضويت : انضممت . أحمى : تفضيل من الحماية . الجمرات : أراد جمرات العرب وهم بنو ضبة والحرث وعبس .

٣ الطلحات : رجال من كرام العرب .

٤ تصويب : انحدار . صفاة : صخرة ملساء .

٥ صماء : صلبة . ركزاً : صوتاً خفياً .

٦ الأقتاد : أخشاب الرحال . الأكتاد : جمع كتد وهو ما بين الكاهل إلى الظهر . الأطيمة : الموقـدة .

٧ الندل : خدام الضيافة . نتلهن : نأكل شيئاً نتعلل به إلى أن يحضر الطعام . العسم : الخبز اليابس . القفار : الذي بلا إدام .

٨ الهيطلة : القدر من النحاس . الهجم : القدح الضخم . النوفلة : المملحة .

٩ شبيح : تصغير شبح .

وراء الحِجاب بصوت بُدَيح[1] :

كم بَطَـلٍ مُدَجَّجٍ غلابِ ... قهرتُـهُ بأسمرٍ صُلابِ[2]
معتدلِ الأوصالِ والكِعابِ ... لا يعرفُ الطِّعانَ بالأعقابِ[3]
ظَمْآنَ لا يَروى من الشرابِ ... سِنانُهُ أمضى من الشِّهابِ
يخوضُ في الأحشاءِ والألبابِ ... وينفثُ السُّمومَ كالحُبابِ[4]

قال : فأوجَسْنا خِيفةً في أنفُسِنا ، وتواصَينا بالحَرْس على مُعَرَّسِنا[5] . وبِتنا نُراعي الجِمال والخيل ، إلى أن مضى ذُهلٌ من الليل . وإذا بالرجل[6] يقول : يا غلامُ ادنُ مني ، وخذ الأدَبَ عني . ثم قال : يا بُنيَّ عامل الناس ما استطعتَ بالإحسان ، وكن بينهم عفيف الطَّرْف[7] واليد واللِّسان . وقابل النِّعمةَ بالشكر ، وأحْيِ الجميلَ بالذِّكرِ . وحافظ على الصديقِ ، ولو في الحريق . وإياكَ الغيبة ، فهي بِئسَ الرِّيبة . وانظُر إلى مَعايِبِك ، قبل مَعايِبِ صاحبِك . واجتنبِ المُزاح ، فإنه يَخفِضُ الجَناح[8] . ولا تكن إذا سألتَ ثقيلاً ، ولا إذا سُئلت بخيلاً . ولا تَطلُب ما في يد الناس ، ولو طاقةً من الآس . وإذا جلستَ فاعرف مَقامَك ، وإذا حدَّثت فانتقِدْ كلامَك . وإذا تكلَّمت ليلاً فاخفِض ، وإذا تكلَّمتَ نهاراً فانفُض[9] . وإذا دُعيتَ إلى

١ بصوت بديح : بصوت مثل صوت بديح . وهو رجل حسن الصوت .
٢ مدجج : متسلح . أسمر : صفة للرمح .
٣ الأوصال : ما بين الكعاب . الكعاب : الأنابيب . الأعقاب : جمع عقب وهو المؤخر من كل شيء . كانوا يطعنون بعقب الرمح إذا لم يقصدوا القتل .
٤ الحباب : الحية .
٥ المعرس : مكان النزول ليلا . أي خافوا منه على أمتعتهم ومواشيهم أن يسطو عليها .
٦ تراعي : تراقب . ذهل : جزء نحو الربع أو الثلث .
٧ الطرف : العين .
٨ يخفض الجناح : يقلل الحرمة .
٩ انفض : أي التفت . يقول إذا تكلمت في الليل فاخفض صوتك لئلا يكون أحد يسمعك ولا تراه ، وإذا تكلمت في النهار فالتفت إلى ما حولك لترى هل أحد يسمع حديثك ، وهو مثل .

الولائم ، فكن آخر جالسٍ وأوّل قائم . وأكرم الناسَ فتُكرَم ، ولا تُغتنِم[1] الزيارة فتُسأم . ولا تجالِس الخسيس ، فإنه يُزري بالجليس . والزَم الوَداعةَ والحياءَ ، واجتنب الرِّياءَ والكبرياءَ . واحذَر الكسل ، فإنه آفةُ العمل. ولا تَطلُب الغِنى ، بالمُنى. واطلُب النَّوَى[2]، عن الهوَى. واقصُر الطِّماح[3] ، إلى الراح . ولا تدخل في الفُضُول ، فتَخرُجَ عن القَبول. وإذا غَضِبتَ فاترُك بقيَّةً من الرِّضى ، ولا يُذهِلنَّكَ ما قد حضر عن ذكر ما مضى[4] . واطلب الإفادة جُهدَك، ولا تدَّعِ بما ليس عندك . واعتزِل البُخلَ الذميم ، والكرم الوخيم . وإذا دُعيتَ فشَمِّر الذَّيل ، وحيثما انقلبتَ فلا[5] تَمِل كلَّ الميل . ولا تأتِ ما يُلجِئك إلى المعذرة ، فتَسلَمَ من كل خُطَّةٍ مُنكَرة[6] . واعلم أن الأدب ، أشرف من النسب ، واكتساب العلم خيرٌ من اكتساب النَّشب[7] . والعِلم بلا عمل ، كالنحل بلا عسل. وصِدقٌ يَضُرُّ،خيرٌ من كذبٍ يسرُّ . وانتِشابُ المنايا ، أيسَرُ من ارتكاب الدنايا . واقتحام النار ، أهوَنُ مِن التِحاف العار . وداءُ الأسَد[8] ، أسلم من داء الحسَد . والقناعة،نِعمَ الصِّناعة.وحُبُّ السلامة، عُنوان الكرامة.والنظر في العواقب، من أحسن المناقب . فأْتَمِرْ بما أمَرناك ، واحذَر ممّا حذَّرناك ، واذكُرنا كما ذكرناك . قال : فراعتنا آدابُهُ الباذخة ، إلاَّ أن تكون كحياء مارخة.[9]

---

١ تغتم : تكثر .

٢ النوى : البعد .

٣ من قولهم : طمح بصره إليه أي ارتفع .

٤ أي لا تنس الصداقة الماضية بسبب الغضب الحاضر .

٥ الوخيم : هو ما يكون في غير موضعه . إذا دعيت فشمر الذيل : كناية عن الاستعداد للإجابة .

٦ يقول : لا تفعل شيئاً تحتاج إلى الاعتذار عنه لمن اطلع عليه فتسلم من جميع المنكرات .

٧ النشب : المال .

٨ داء الأسد : الجذام .

٩ راعتنا : أعجبتنا . الباذخة : السامية . مارخة : امرأة كانت كثيرة الحياء .

وبتنا نَعجَبُ من صفتهِ ، ونهفو[1] إلى معرفتهِ . حتى إذا رقّت حاشية الظّلماء، وشُقّت غاشية[2] السماء . برز الرجل من حجابهِ المَصون ، وإذا هو شيخنا الميمون .فحدّق القومُ إليه بالنظر ، وقالوا : قد عرفناهُ وهل يخفى القمر ؟ ووثب كلٌّ إليه وِثبةَ السِّمْع الأزَلّ[3] ، وحيّاهُ تحيّةَ الرئيس الأجلّ. ثم أهَبْنا بهِ إلى رِحالنا، وتربّصنا عن تَرْحالِنا. وأقمنا معهُ يوماً أعذَبَ من[4] مُعتّقة الديرِ ، وأقصرَ من حَسْوِ الطير . فلما تَبَوّأ للرحيل طِمِرّتَهُ[5]، اعتقل مِخصَرَتهُ ، وقدّمَ بين يديهِ أُسرَتهُ. فقلتُ : يا أبا ليلى أين رُمحُكَ[6] العَسّال[7] ، الذي قهرت به الأبطال ؟ فأشار إلى قلمهِ وقال :

وَيْكَ هذا رُمحي ، وهذا سِناني   مُنْذُ يومي أعددتُهُ للطّعانِ ![8]
ليسَ يَروَى من المِداد وقد   يَنفِثُ سَمَّ الهِجاءِ كالأفعُوانِ
وَهْوَ قد خاضَ في المحابرِ حتى   خَضَبَت رأسَهُ خِضابَ البَنانِ

قال : فقلتُ لهُ لله دَرُّكَ ما أَلعبَكَ بالقُلوب،وأبصَرَكَ بكل أُسلوب . فهل تأذَنُ لي في التحوُّل إلى صُحبَتِك،ولو فاتني وَطَري في سبيل محبَّتِك؟

---

١ نهفو : نشتاق جداً .
٢ غاشية : حجاب . كنى بذلك عن انفجار الصبح .
٣ السمع : حيوان يتولد بين الضبع والذئب ، يضرب به المثل في السرعة . الأزل : الذي لا لحم على أليبه .
٤ أهبنا به : دعوناه . تربصنا : أمسكنا .
٥ معتقة الدير : الخمرة المعتقة . حسو الطير : أي شربه . وهو مثل يضرب في القصر . ويوم السرور يصفونه بالقصر كما يصفون يوم السوء بالطول . طمرته : فرسه المستعدة للعدو .
٦ اعتقل : وضع بين فخذه وسرجه . مخصرته : عصاه . يقول إنه اعتقل مخصرته مكان الرمح أسرته : جماعته .
٧ العسال : المضطرب ؛ يشير إلى الرمح الذي ذكره في أوائل المقامة .
٨ يقول إن هذا القلم هو رمحه الذي وصفه في الأبيات .

قال : يا بُنيَّ قد وطَّنتُ نفسي هذه النوبةَ على الصِّراع[1] ، وآليتُ أن لا أترُكَ رأساً بلا صُداع ، لِما رأيتُ في الناس من لؤْم الطِّباع . فأخشى إذا طمى الوادي أن يَطُمَّ على القَرِيّ[2]، فيلتحقَ ذنب السقيم بالبرِيّ. ثم ولّى بجواده ينهَبُ الطريق ، وأذاقني ببِعادهِ عَذابَ الحريق .

---

١ الصراع : معاركة الناس .

٢ يقال : طمى الوادي إذا ارتفع الماء فيه وفاض . والقري : مجرى الماء في الروض . والشيخ يريد أن يصرف سهيلا عن صحبته بحجة فذكر له سوء نيته على الناس وحذره عاقبة الأمر ليكف عن مصاحبته .

المقـــامة الخامسة والثلاثون

وتعرف بالانطاكية

قالَ سُهيلُ بنُ عبّادٍ : شخصتُ إلى انطاكيّةِ الرومِ ، في عِصابةٍ كزُهْرِ النجومِ . فكُنّا نقطعُ الأوقاتَ بالنوادرِ ، كما نقطعُ الطُّرقاتِ بالبَوادرِ[1] . وما زِلنا نَطأُ الكِناسَ والعرينةَ ، حتّى دخلنا المدينةَ. فأتيتُ مجلسَ القاضي[2] إذ ذاكَ ، لمُراشةٍ[3] لي هناكَ . وإذا شيخنا الميمونُ ، تتقدّمهُ ليلى كالناقةِ الأمُونِ[4]. فدَهِشتُ عند إقبالهِ، واحتفزتُ لاستقبالهِ. فأعرَضَ عني مقطّباً، واقتحمَ الحضرةَ مُغْضَباً . حتى إذا وقفَ بالمحرابِ[5]، انقضّتِ الفتاةُ كالعُقابِ. وقالت : يا مولايَ إنّ هذا بعلي شيخٌ عَلَنْدى ، أظلمُ من الجُلُنْدى .[6] وهو فقيرٌ وقيرٌ ، لا يملكُ شَرْوَى نقيرٍ . إذا غسلَ ثيابَهُ لبسَ البيتَ ،[7] وإذا رأى الجِنازةَ حَسَدَ الميتَ . ولقد أسَرَني في بيتٍ لهُ كالغارِ ، لا أرى فيه غيرَ الروافدِ[8] والجِدارِ . وهو على ذلكَ مُرُّ المذاقِ ، إلى ما لا يُطاقُ .

---

١ البوادر : الرواحل السريعة .

٢ الكناس : مأوى الغزال . العرينة : مأوى الأسد .

٣ مراشة : حق صغير .

٤ الناقة الأمون : الشديدة .

٥ المحراب : صدر المجلس .

٦ علندى : جاف غليظ . الجلندى : هو ملك عمان يضرب به المثل في الظلم .

٧ الشروى : المثل . والنقير : الشق الذي في نواة التمرة. أي لا يملك شيئاً . إذا غسل ثيابه لبس البيت : أي ليس له ثياب ليلبسها فيلبث في البيت مستتراً به كأنه يلبسه .

٨ الروافد : خشب السقف .

فيبيت ساغبا، ويصبح عاصبا، ولا يزال عائبا. يذكرني زمن الفِطحل، ويُنجِزُ الوعد بالمطل . وأنا فتاةٌ غريضة الصِّباء ، لا أَعيش بالهَباءِ ، ولا[2] أَلبَسُ غزل عين ذُكاءَ[3]. ولقد خطبني كِرام الرجال، وبذلوا في مَهْري غَدَقاً من المال، إذ رأَوا عليّ لمحةً من الجَمال . فأَبى القَدَر المُتاح[4]، إلاَّ أَن أَحومَ على وِرد هذا المُلتاحْ . فمُرْهُ أَن يقوم بأَوَدِي ، أو يُطلِّقَني ويُطلِقَني[5] إلى بَلَدي ، وإلاَّ قتلتُ نفسي بيدي . فثـار الشيخ كالمجنون ، وهو واجفُ السَّوْدَل والعُثْنُون . وقال : يا لَكاعِ[6] ! تَذكُرينَ العُنُوق، وتُنكِرينَ النُّوق . أَنسيتِ أيام السُّندُس والدِّيباج ، والفالوذ والسِّكباج ؟ واللحوم[7] والأَلبان ، والغوالي والأَدهـان . والمراجل والموائد ، والحنائذ والثرائد .[8] أَمّا الآن وقد نَضَبَ الغدير ، وأَقفَرَ السَّدير . وبُدِّل الخَوَرْنَق ، بنسج[9] الخَدَرْنَق[10] . فماذا ترَينَ في شيخٍ قد فَلَذَ الدهرُ كَبِدَهُ، وابتزّ سَبَدَهُ ولَبَدَه؟ وابتلاهُ بالحَوْرِ ، بعد الكَوْرِ . ورماهُ بالغَيض، بعد الفَيض .[11]

---

١ ساغباً : جائعاً . زمن الفطحل : هو زمن قبـل أن يخلق الناس . والمراد أنه لا يزال يذكرها بأمور قديمة . وهو مثل لما تقادم عهده .

٢ غريضة : طرية . الهباء : الغبار يظهر في حبال الشمس .

٣ ذكاء : من أسماء الشمس . وغزل عينها ما تراه يضطرب من نورها عند شدة الحر .

٤ لم يرد قضاء الله المقدر .

٥ الورد : عين الماء . الملتاح : العطشان .

٦ واجف السودل والعثنون : مضطرب الشارب واللحية . لكاع : كلمة شتم .

٧ العنوق : الإناث من أولاد المعز . وهو من قولهم في المثل : العنوق بعد النوق . يضرب لمن كانت حاله حسنة ثم ساءت . السندس والديباج : هما من الثياب الثمينة . الفالوذ : من أطايب الحلوى . السكباج : من أطايب الطعام .

٨ الغوالي : جمع غالية ، وهي طيب يستعمل للزينة . الحنائذ : المشاوي ، والثرائد : أطعمة من اللحم واللبن .

٩ السدير والخورنق : قصران عظيمان في العراق .

١٠ الخدرنق : بيت العنكبوت .

١١ السبد : الشعر ، واللبد : الصوف . يكنون بهما عن المواشي . الحور : النقص . الكور : الزيادة . الغيض : غاض الماء إذا غار في الأرض .

حتى صارت نارُهُ شَراراً، وعاد طَعامُهُ بُلغة وشَرابُهُ نَشْحاً ونومُهُ غِراراً.[1] فإن كنتِ من رُوّاد الغيث، فاذهبي إلى حيث[2]. وإلا فاثبُتي على الحَرَج، إلى أن يَمُنّ اللهُ بالفَرَج. قالت: معاذ اللهِ لا أفترِشُ رَدْهة الجَنْدَل،[3] ولا أصبرُ على النار كالسَّمَنْدَل[4]! فإما إمساكٌ بمعروف أو تسريحٌ بإحسان، كما نطقت بهِ آيةُ القرآن. قال: فلما وقفَ القاضي على كُنْهِ أمرِهما، حار بينَ لومِهما وعَذْرِهما. وكانت الفتاة قد هَجَلَتْه[5] بافتنان كلامِها، وتَثَنّي قَوامِها. فتاقت نفسُهُ إلى استخلاصِها، بعد خلاصِها. وقال للشيخ: قد علمتَ أن سوءَ الجِوار، أمرُّ من عذاب النار. فأرى أن تستبدِلَ بها من توافق هواك، وترثي لبلواك، وفي ذلك صلاحٌ لدينك ودُنياك. قال: هيهاتِ مَن يَنزِلُ بقاعٍ صَلقَعٍ بَلقَع، أو يتيمَّن بالغراب الأبقَع؟[6] فدعا القاضي بالهِمْيان، وأبرَزَ لهُ نِصاباً من العِقْيان. وقال: أطلِق هذه الأسيرةَ من[7] حبسِك، واستَعِنْ بهذه الدنانير على أمر نفسك. فأشهدَ عليهِ بالطلاق، وقال: حبّذا هذا الفِراق! ولو فَعَلَ بي ما فعَلَ الباهليُّ بِعِفاق.[8] فأقبلتِ الفتاة على القاضي بالدُّعاء، وأجملت لهُ الثناء. فتناولها بيمينهِ، وأولجها إلى عرينهِ. وانصرف الشيخ بين زفيرٍ وشهيق، وهو يرفِسُ برِجلهِ الطريق، كأنهُ الصَّيْلمُ الخَنْفَقيق.[9] فلما أبعـــد نحو غَلْوة، إلى خَلْوة. قال:

١ البلغة من العيش: قدر ما يقتات به. النشح: الشرب دون الري. الغرار: النوم القليل.

٢ مقتطع من قولهم: إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم. كناية عن النار.

٣ الجندل: رجمة الصخور.

٤ السمندل: طائر هندي يقال إنه لا يحترق بالنار.

٥ هجلته: استهوته.

٦ قاع: أرض سهلة بين الجبال. صلقع: قفر. بلقع: خال من الأهل. الأبقع: ما فيه بياض بين سواده وهم يتشاءمون به. ومراد الشيخ أنه فقير نحس لا يجد امرأة تقبله.

٧ الهميان: كيس النفقة. نصاباً: عشرين ديناراً. العقيان: الذهب.

٨ عفاق: هو عفاق بن مري أخذه الأحدب بن عمرو الباهلي في أيام قحط فشواه وأكله.

٩ الصيلم: الداهية. الخنفقيق: الشديدة.

مَوعِدُنا الخان يا سُهيل ، والليل أخفَى للوَيل. قال : فلما جنَّ الظلامُ أتيتهُ في الخان، وإذا ليلى بجانبهِ وقد لبست ملابس الغِلمان. فقال : هذه بِضاعتُنا رُدَّت إلينا ، وقد حقَّ صفعُ المانَويّة علينا [1] . فهل لك في السَّفَر ، قبل السَّحر ؟ قلت : إني لك أتبعُ من الصِّفَة للموصوف ، وألزَمُ من العاطف للمعطوف . وأخذت ليلى تُحدِّثُنا باختلاس نفسِها ، بعد ثقة القاضي بأُنسِها . فقلت : الله أكبر ، إنهـا من بنات أوبَر [2] ! فتاه الشيخ دَلالاً ، وأنشد ارتجالاً :

عَرِّج على القاضي وقُلْ ولا حَرَجْ   جمعتَ مالاً بالرِّياء والعِوَجْ ،
من كلِّ من دَبَّ وكلِّ من دَرَجْ [3] ،   والمالُ لا يخرج حينما خرج
إلاَّ من الباب الذي منهُ وَلَجْ !

قال سهيلٌ : ثم هممنا بالزيال ، وخرجنا نزِفُ كالرِّئال ، فما أصبحنا إلاَّ [4] ونحنُ على أميال . وما زلتُ أسيرُ من ورائهِ ، مستسقياً برَوائهِ ، وأستظلُّ [4] بلِوائهِ ، معتصماً بوَلائهِ . إلى أن بلغنا أُرفة العِراق ، فكانت طُرْفَة [5] الفراق .

---

١ الصفع : ضرب القفا باليد . والمانوية : أصحاب ماني المثنوي الذين يقولون إن الشر كله من الظلمة .

٢ بنات أوبر : الدواهي .

٣ أي من دب كبراً ودرج صغراً .

٤ بالزيال : أي بمفارقة البلد . نزف : نسرع . الرئال : أفراخ النعام .

٥ الأرفة : الحد بين الأرضين . الطرفة : الأمر الحادث .

المقـــامة السادسة والثلاثون

وتعرف بالطائية

حكى سهيلُ بنُ عبَّادٍ قال : حللتُ بلادَ اليمن ، في سالـف الزمن، وأنا غضيض الصِّباء غريض الفَنَن. فجعلتُ أتردَّد في بواديها، بين شِعْبها وواديها .[1] وما زلتُ أطوف الحَيَّ بعد الحيّ ، حتى دُفِعتُ إلى أحيـــاء بني طَيّ . فرأيتُ بها ما شاءَ اللهُ من خيامٍ مبثوثة ، ونيران مشبوبة، وجِفانٍ[2] مصفوفة، وخيلٍ مشدودة ، ورماح مركوزة . وجمالٍ كالرُّبَى، وسِخالٍ كالدَّبَى،[3] وجَوارٍ كالظِّباء وغِلمانٍ كالظُّبى . فكان الناظرُ حيثما سَمَتَ ، يرى عَجباً[4] ممّا صأى وصَمَتَ[5] . قـــال : وكان يومئذٍ موسِمُ الحجيج ، وقد اشتبك الضجيج ، واحتبك العجيج ! فبينما القوم في هِياطٍ ومِياط ، على أَضيَقَ من[6] سُمّ الخِياط . إذ قَلَصَتِ الزماجر ، ونَشَصَتَ المحاجر . وارفضّ القوم[7]

---

١ غريض الفنن : رخص الغصن . الشعب : الطريق في الجبل .

٢ جفان : قصاع .

٣ الدبى : الجراد الصغير .

٤ الظُّبى : حدود السيوف . سمت : قصد بنظره .

٥ صأى : من قولهم صأى الفرخ ونحـــوه إذا أبدى صوتاً . أي يرى عجباً من المـــال الناطق والصامت .

٦ احتبك : تلاحم . العجيج : هدير الفحول من الجمال . الهياط : التقارب ، والمياط : التبـــاعد .

٧ سم الخياط : ثقب الإبرة . قلصت : من قولهم قلص الظل إذا انقبض ونقص . الزماجر : جمع زَمجرة وهي الصخب والجلبة . نشصت : ارتفعت . المحاجر : ما حول الأعين .

يُنفِضون ، كأنهم إلى نُصُبٍ يوفِضون. فسِرتُ كما ساروا ، إلى أن صِرتُ[1] حيثُ صاروا . وإذا شيخٌ في شَمْلة ، قد قام على دِعْص رَمْلة . وقال :[2] الحمدُ لله ذو رَفَع الخضراءَ ، وبَسَطَ الغبراء. والسلام على انبيائه الأقطاب،[3] الذين أُوتوا الحكمةَ وفصلَ الخِطاب[4] . أما بعدُ يا مَعاشِرَ جُلْهُمَة، فإنكم أربابُ الخيل المُطهَّمَة ، والبرودِ المُسهَّمة . ولكم الكتيبة السمراء، والراية[5] الصفراء . ومنكم حبيبٌ وحاتمٌ وثُعَل ، الذين يُوسَل بهم المثَل. وإني شيخٌ[6] قد طعَنتُ في سِنّي ، حتى وهَنَ العظمُ مني. وقد قطعتُ الفدافد والمهامِه،[7] وطويتُ الجداجد واللَّهالِه. وعرفتُ الشعوبَ والقبائل،والعمائر والفصائل.[8] وأدركت الأحكام والحقائق ، وكشفتُ الأسرار والدقائق . وقيَّدتُ الأوابِد[9] ، وجمعت الشوارد . وأحصيت لُغات العرَب ، واستطلعتُ ما أغرَبَ منها وما غرَب[10] . فكنُتُ من أصحاب الدَّولة ، وأرباب الصَّولة . وكان يُثنى إليَّ العِنان ، ويُشارُ نحوي بالبَنان . أما الآن وقد فُقِدَ من يعرفُ مساوِئَ الشعر من محاسِنِه ، ويفرُقُ بين مَن يرمي الكلام على

١ ينفضون : يقطعون الأرض . النصب : ما يجعل علماً أو يعبد من دون الله . يوفضون : يمشون مسرعين .

٢ شملة : ثوب من أكسية العرب . دعص : قطعة مستديرة من الرمل .

٣ الخضراء : السماء . الغبراء : الأرض . الأقطاب : السادات الذين يدور عليهم الأمر .

٤ فصل الخطاب : الفصل بين الحق والباطل .

٥ المطهمة : التامة الخلق . البرود المسهمة : الثياب المخططة وهي من نسج اليمن . السمراء : القاتمة لشدة الزحام وكثرة ما يعلوها من سواد الحديد .

٦ الصفراء : كانوا يفتخرون بها لأنها راية الملوك في اليمن . وكانت الرايات الحمر لأهل الحجاز . حبيب : هو حبيب بن أوس الطائي المعروف بأبي تمام الشاعر . ثعل : هو ثعل ابن عمرو بن طي كان حاذقاً في رمي النبال .

٧ طعنت في سني : يكنى بالسن عن الشيخوخة والكبر . وطعنت أي دخلت . الفدافد : الأراضي المستوية . المهامه : المفاوز البعيدة .

٨ الجداجد واللهاله : الأراضي الصلبة والواسعة .

٩ الأوابد : المتفرقات .

١٠ قوله أغرب من معنى الغرابة . وغرب من معنى الغروب .

عواهنه ومن يستنبث الرّكاز من معادنه . فقد ولّت المرتبة ،وحلّت[1] المتربة . حتى اضطررتُ أن أعفّرَ خدّي ، ليجدّ جدّي . وأخلقَ[2] ديباجتي ، لأظفرَ بحاجتي . قال : فصمَد لهُ فتىً أجمل من بدر التمام ،[3] وأطولُ من ليل التّمام. وقال شهدَ ربُّ الكعبة الحرام ، لقد تبازى[4] الرُّهام . وإني لأعجمُ عودَك، واستمطر رعودَك . فإن كنتَ أغلطَ[5] من دالق[6]،قذفتُكَ من حالق . وإلاّ فأنا زعيمٌ لك عند القوم ، أن يكون عليك أيمنَ يوم فافترّ الشيخ افترارَ المجنون ، وقال : قد تحرّش الحوار[7]، الزّفون،بالبازل الأمون . فهاتِ ما ترمي من الحظَى ، وخذ ما ترمَى[8] به من اللّظَى . قال : هل تعرف ما تأتّى ، من قيود جماعاتٍ شتّى ؟[9] فأطرقَ كالشّجاع الشّجعم ، ثم اندفق كالوادي المفعَم ، وانشد :[10]

زُجْلةُ ناسٍ حاصبُ الرَّجّاله وهكذا كَوْكَبَةُ الخيّاله[11]

---

١ يرمي الكلام على عواهنه : اي لا يبالي أصاب أم أخطأ . يستنبث : يستخرج . الركاز : ما في المعدن من ذهب أو فضة .

٢ المتربة : الفقر . أعفر خدي : أي أمرغه في التراب . وهو كناية عن الإذلال . ليجد جدي : أي لينجح سعيي .

٣ أخلق ديباجتي : أي أبوح بحاجتي وأتذلل للناس . صمد : قصد .

٤ ليل التمام : أطول ليالي الشتاء . تبازى : تكلف أن يجعل نفسه بازياً .

٥ الرهام : ما لا يصيد من الطيور . وإني لأعجم عودك : من قولهم : عجم العود أي عض عليه ليختبر من أي شجر هو .

٦ دالق : لقب عمارة بن زياد العبسي يقال إنه كان كثير الغلط .

٧ تحرش به : إذا تعرض له وحركه . الحوار : ولد الناقة .

٨ الزفون : الأعرج . البازل : البعير ابن تسع سنين . الأمون : الشديد الوثيق الخلق . الحظى : جمع حظوة وهي سهم صغير تلعب به الصبيان .

٩ اللظى : النار . قيود : خصائص لفظية .

١٠ الشجاع : نوع من الحيات . الشجعم : الطويل .

١١ الرجالة : المشاة . وهكذا كوكبة الخيالة : أي أن الجماعة من الناس مطلقاً يقال لها زجلة ومن الرجالة حاصب ومن الخيالة كوكبة . وهلم جراً في بقية الجماعات .

رَهْطُ رِجالٍ لُمَّةُ النساء   رَعيلُ خيلٍ وقطيعُ الشاء
ورَبْرَبُ المَها صِوارُ البقرِ   حَيْلَةُ مَعْزٍ عانةٌ من حُمُرِ[1]
وصِرْمةٌ من إبِلٍ وعَرْجَلَه   من السِّباعِ قد حكَتْها النقَلَه
خَيْط النَّعام ومن الجَرادِ   رِجْلٌ وسِرْبٌ من ظِباءِ الوادي
وهكذا عِصابةُ الطَّيرِ ورَدْ   وخَشْرَمُ النحلِ تتِمَّةُ العَدَدْ

قال : إن كنت سابغ الذَّيل ، فما مراتبُ عدْوِ الخيل ؟ فقال : إيهِ ![2] وأنشد بملء فيه :

أقلُّ عَدْوِ الخيل يُدعَى خَبَبا   عليهِ تقريبٌ فإحضارٌ رَبا[3]
ثم ابتراكٌ فوقَهُ الإهذابُ قد   رُتِّبَ والإهماج غايةُ الأمَد

قال : إن كنتَ من ذوي الكَمال ، فما مراتبُ سَيرِ الجِمال؟ فاهتزّ وطَرِب ، وأنشدَ بلسانٍ ذَرِب :[4]

أوائلُ السَّيرِ الدبيبُ للإبِلِ   ثم الذميلُ فالرسيمُ قد نُقِل
فالوَخدُ فالعسيجُ فالوَسيجُ   ثم الوَجيفُ بعده يهيجُ
وبعدهُ الإجمارُ فالإرقالُ   والاندِفاقُ جُهدُ ما تَنالُ

قال : قد أجَدتَ الوَشْيَ[5] ، فهل لك في قُيُود مُطلَق المَشْي ؟

---

١ المها : بقر الوحش .
٢ سابغ : طويل . إيه : أي زد .
٣ ربا : زاد .
٤ ذرب : حاد .
٥ الوشي : من وشي الثوب وهو نقشه وتحسينه .

فخازَرَ جفنيهِ ، وأتلعَ جيدهُ إليهِ . وأنشد :[1]

قد دَرَجَ الصبيُّ والشيخ دَلَف　　وخَطَرَ الفتى وذو القيد رَسَف
ومَشَتِ المرأةُ والمرءُ سَعى　　وقد حبا الرضيعُ يبغي المُرضِعا
ودَرَمَ الذي علاهُ الثِّقَلُ　　وفرَسٌ جرَى وسارَ الجَمَلُ
وهَدَجَ الظليمُ والغُرابُ　　يَحجُلُ حيثُ حيَّةٌ تنسابُ
ونَقَزَ العُصفُورُ حيثُ العقربُ　　دَبَّت ، وكلُّها قيودٌ تُكتَبُ

قال : وهل تعرف ما يُذكَر ، من ترتيب جماعات العسكر ؟ فروَّأ[2] رَيثما تفكَّر . ثم أنشد :

أَقلُّ جمع العسكر الجريده　　وبعدها السَّريَّة المَزيده
وفوقَها كتيبةٌ تَميسُ　　فالجيشُ فالفَيلَقُ فالخميس[3]

قال : ما أَراكَ في الباديةِ بالدخيل[4] ، ولا في الإفادةِ بالبخيل، فهل تعرف مراتبَ النَّخيل ؟ فاستطالَ اختيالاً ، وأنشدَ ارتجالاً :

فسيلةٌ قبل لصُغْرَى النخلِ　　وفوقَها قاعدةٌ تستعلي
جَبَّارة عَيدانةٌ والباسقه　　فوقهما ثم السَّحُوق الشاهقه

قال : أحياكَ اللهُ السَّمَرَ[5] والقَمَر ، فهل لك في ترتيب ما للنخل من الثمر ؟ قال : اسمع فتَرشَد ، ثم أنشد :

أَوَّلُ حَمْلِ النخل طَلْعٌ يبدو　　ثم سَيابٌ فخَلالٌ بعدُ

---

١ خازر جفنيه : ضيقهما لينظر . أتلع جيده : مد عنقه متطاولا .
٢ يقال روأ في الأمر أي نظر فيه .
٣ تميس : تمشي متكبرة .
٤ الدخيل : الغريب .
٥ السمر : ظل القمر .

بَغْوٌ فبُسرٌ فمُخطَّمٌ يـلي ثم مُوَكِّتٌ بتُذنوبٍ تَلْي
فجُمْسةٌ فثَعْدَةٌ فرُطَبُ وبعدهُ التمرُ أخيراً يُحْسَبُ

قال سهيلٌ : فلما فرغ الفتى من حِوارهِ ، وشفى غليل أُوارهِ . أقبل على الشيخ وقال: شَهِدَ اللهُ أنكَ عَلاَّمة الدنيا، وغاية الأدب القُصيا . فما بِرُّنا[1] في جانب أمركَ الجَلَل ، إلاَّ رَشْحَةٌ من بَلَل، أو هَبْوَةٌ[2] من طَلَل . ثم ألقى ديناراً في رُدْنِ البِجاد ، وقال : كلُّ صُعْلوكٍ جَواد ! وجعل[3] يطوفُ على القوم كجابي الوضيعة، وهو يقول : الصنيعة، من كَرَم الطبيعة .[4] فلم يَبْقَ في الجماعة إلاَّ من أعجبته صِفاتُهُ ، ونَدِيت لهُ صَفاتُه . فلما أتمّ[5] مَسعاهُ ، تلقَّى الشيخ وحيّاهُ ، وقال : قد جِئْناك ببضاعةٍ مُزْجاة[6] . فقبَّل مَفْرِقَهُ وقال : حيَّاكَ الله لقد انتشلتَ الغريق ، ودَرَأْتَ الخَريق[7] ، عن الحريق ، فهل لك أن تَدُلَّني على الطريق ? قال : أنا أدَلُّ من دُعَيمِيص الرمل ، في أخفى من مَدارِج النمل ، فسِر واللهُ يجمعُ لكَ الشمل . قال:[8] أَتبعِ الفرسَ لِجامَها[9] ، والناقةَ زِمامَها ، واللهُ يَكلأُ شيخ البادية وغُلامَها . قال الراوي[10]: وكنت قد تبيَّنتُ أنهما الحزاميُّ وفتاهُ ، فلما انصرفا قفوتهما

---

١ برنا : معروفنا وإكرامنا .
٢ هبوة : غبارة .
٣ في ردن البجاد : أي في كم ثوبه . كل صعلوك جواد : كل فقير كريم . وهو مثل .
٤ جابي الوضيعة : أي الذي يجمع الخراج . الصنيعة : الإحسان .
٥ نديت : رشحت . صفاته :صخرته . وهو مثل يضرب في سماحة البخيل .
٦ مزجاة : قليلة .
٧ درأت : دفعت . الخريق : الريح الباردة الشديدة الهبوب .
٨ دعيميص الرمل : رجل يضرب به المثل في الدلالة على الطرق . مدارج : جمع مدرج وهو المسدب .
٩ أتبع الفرس لجامها : مثل يضرب في اتباع أمر بآخر .
١٠ الراوي : أي سهيل .

إلى الفلاة . وإذا الشيخ يُنشِدُ بلسانٍ ذَلِق ، وصوتٍ كصوت المُصطلِق :[1]

أنا الغَمَلَّجُ الذي لا يُنكَرُ أكونُ تارةً خطيباً يُنذِرُ[2]
وتارةً زيرَ نِساءٍ يَسكَرُ وتارةً مُصلِّياً يستغفرُ
وتارةً راصدَ نجمٍ يَسحَرُ وتارةً شيخَ علومٍ يَبْهَرُ
فقل لمن جاءَ ورائي يخطِرُ إنَّ أهالي عصرنا تقتصرُ[3]
على المعاصي حيثما تقتدرُ والعبدُ يصفو تارةً ويكدُرُ[4]
فَعُد إلى القومِ بلَومٍ يزجُرُ أو لا فدَعْني! إن مثلي يُعذَرُ

قال : فانثنيتُ عنه كما أشار ، خوفاً من لسانهِ المِهذار ، وعُدتُ إلى استتمام السياحة في تلك الديار .

---

١ ذلق : ماض جري . المصطلق : هو جذيمة بن سعد الخزاعي يضرب به المثل في حسن الصوت .
٢ الغملج : هو من لا يثبت على حالة .
٣ فقل لمن جاء ورائي : يريد به سهيلا . يخطر : يحرك يديه في المشي .
٤ يريد بالعبد نفسه .

المقـامة السابعة والثلاثون

وتعرف بالعدنيّة

قال سهيلُ بنُ عبَّادٍ : دخلتُ بلاد قحطان ، بين شَيْبانَ وملْحان .[1] فأصابتنا دِيمةٌ مِدرار ،ألزَمَتْنا الوِجار ، من أوهَدَ إلى شِيار. فلما أقلعَتِ[2] السماءُ ، وغِيضَ الماءُ . خرجنا نتضحَّى في تلك الضواحي ، ونتفكَّه بابتسام[3] ثغور الأقاحي .وما زلنا نمرَحُ بين الجِدّ والدَّدَن[4] ، حتى انتهينا إلى أكنافِ عَدَن . وإذا قومٌ قيام ، حولَ شيخٍ وغُلام . والشيخ قد وَقَفَ على مُوَيْهة ، في رُدَيْهَة ، وأطرقَ برأسه بُرَيْهَة . ثم قال : الحمدُ الله الذي[5] خلق السمواتِ والأرض ، ورفع بعضَ خلقه دَرَجاتٍ فوقَ بعض .أمَّا بعدُ يا عشائرَ اليَمَن ، وبشائرَ الزَّمَن . فإنكم جِرْثومة العَرَب[6] ، وأرُومةُ النَّسَب . وأُسدُ الدَّحال ، ومَحَطُّ الرِّحال . ومَعدِنُ العربيَّة والكِتابة ،[7]

١ شيبان وملحان : هما أشد أشهر الشتاء برداً ويقال لهما شهرا قماح .

٢ ديمة : مطر يدوم أياماً على سكون بلا رعد ولا برق . الوجار : المكان الذي نستكن فيه ، مأخوذ من وجار الضبع . أوهد : يوم الأحد . شيار : يوم السبت .

٣ غيض : جف . نتضحى : نستدفىء بالشمس . نتفكه : فكه الرجل إذا طابت نفسه .

٤ الددن : اللعب واللهو .

٥ مويهة : تصغير ماة مؤنث الماء . رديهة : تصغير ردهة وهي نقرة في صخرة يستنقع فيها الماء .

٦ جرثومة العرب : أصلهم .

٧ أرومة النسب : الأرومة أصل الشجرة . كنى بها عن شجرة النسب التي يصنعونها في كتب الأنساب . الدحال : جمع دحل وهو كهف يكون في أسافل الأودية فمه ضيق ثم يتسع .

والشِّعر والخِطابة . ولكم المَشارِف المعهودة ، والمحاجر المشهودة .[1] والمخاليف المذكورة ، والمحاريب المشهورة . ومنكم سَدَنة المقام ، وحُماة[2] الكَعْبة الحرام . وعليكم مَدارُ العَزائم ، وإليكم مَحار[3] العظائم . فإنكم أهدَى في الخُطَى ، من القَطا[4] . وأثبتُ على السُّروج ، من البروج . وأمضى في المآزم ، من اللهاذم . وأصبرُ على السوافي ، من ثالثة الأثافي . وإذا ذُكِرت[5] المفاخِر ، بين الأوائل والأواخر . فلكم الرُّتبةُ الأُولى ، واليد الطُّولى . وإذا حلَّ بساحتكم النزيل ، فقد ورَد ماءَ النِّيل . وإذا استجارَ بكم المُرهَق[6] ، من العدوِّ الأزرق ، فقد تمرَّد ماردٌ وعزَّ الأبلق . وإني شيخٌ قد أدَّاني[7] القُنُوت ، والتبلُّغ بالقوت ، إلى أن صِرتُ أَوهَنَ من بيت العنكبوت ،[8] وأوحَشَ من بَرَهُوت ، في حَضْرَموت . فتركتُ وطني القديم ، وهجرت[9] السميرَ والنديم ، وهِمتُ على وجهي ابتغاءَ وجه الله الكريم . وقد اشتريت

---

١ المشارف : قرىً في بلادهم تدنو من الريف وإليها تنسب السيوف المشرفية . المحاجر : ما حول القرى من الأرض . كانت ملوك اليمن تحميها فلا يدنو منها أحد .

٢ المخاليف : كور في بلاد اليمن . المحاريب : غرف كانت لقصر غمدان بظاهر صنعاء اليمن . سدنة المقام : خدام الكعبة .

٣ محار : مرجع .

٤ القطا : طائر يوصف بالهداية .

٥ المآزم : الشدائد . اللهاذم : الأسنة القاطعة . السوافي : الرياح التي تذري التراب . ثالثة الأثافي : المراد بها الجبل . وهو مثل يضرب لمن لا يبالي بهلاك ماله .

٦ المرهق : المطلوب بشر .

٧ العدو الأزرق : الشديد العداوة . مارد : حصن في دومة الجندل . والأبلق : حصن آخر في أرض تيماء . وكلاهما للسموأل بن عادياء الغساني . قصدت هذين الحصنين هند ملكة الجزيرة المعروفة بالزباء فعجزت عنهما فقالت : تمرد مارد وعز الأبلق . فذهبت مثلا . أداني : أوصلني .

٨ القنوت : القيام في الصلاة . التبلغ : الاكتفاء بما يسد الجوع . أوهن : أضعف .

٩ أوحش : من الوحشة ضد الأنس . برهوت : اسم بئر في حضرموت يزعمون أن أرواح الكفار تجتمع إليها .

هـذا الغُرانِق الوُضَّاءَ ، بألف من الرِّقَة البيضاء . فنقدتُ شَطرَهـا ،[١] واستأنيتُ غُبرها[٢] . فلم يستطِعِ الغريم صبراً ، وارتهَن الناقة جبراً . فخرجتُ بالغلام أسعى ، حتى أفضَيتُ إلى هذه البقعة الوُسعى . وهو غلامٌ فاره ، أرى[٣] منهُ جنَّةً لم تـُحفَ بالمكاره . فإنهُ ثـَقِفٌ لقِف ، فوقَ ما أصف . وهو[٤] أشعَرُ من نُصَيِّب ، وأحكمُ من أبي الطيِّب . وأحضَرُ من تأبَّط ، وأسرى[٥] من ربيعةَ بنِ الأضبَط[٦] . ثم أشار إلى الغلام وقال : يا بُنيَّ هاتِ ما نظمتَ اليوم ، في مديح القوم . فوثب كالقضاءِ المُنزَل ، وأنشدَ بنَغمةٍ أطربَ من عُود زَلزَل :[٧]

قل للذي يشكو تصاريفَ الزَّمَن : هَلُمَّ فَوراً نحو أَحيـاءِ اليَمَن
ترى بهـا من الفُرُوض والسُّنَن نَحْرَ العَبِيطاتِ وتوزيعَ المِنَن[٨]
والغـارةَ الشعواءَ تستقصي الدِّمَن وليس تُبقي هامـةً على بَدَن[٩]
وتلتقي جَنَّةَ عَدْنٍ في عَدَن وقَصْرِ غُمدانَ الشبيهِ بحَضَن[١٠]

---

١ الغرانق : الشاب الناعم . الوضاء : الحسن . الرقة : الفضة . نقدت شطرها : دفعت نصفها .
٢ استأنيت غبرها : طلبت المهلة في باقيها .
٣ أسعى : أتسبب في تحصيل المال . فاره : حاذق .
٤ جنة لم تحف بالمكاره : مغايرة للحديث القائل إن الجنة حفت بالمكاره أي أحيطت بالموانع المكروهة . ثقف : حاذق فطن في العمل . لقف : اتباع للتوكيد .
٥ نصيب : هو نصيب بن رباح الأموي كان من فحول الشعراء . أبو الطيب : هو أحمد بن الحسين الكندي المعروف بالمتنبي . أحضر : من الحضر وهو الركض . تأبط : يريد تأبط شراً .
٦ ربيعة بن الأضبط : هو رجل من العرب يضرب به المثل في القوة على سفر الليل .
٧ زلزل : رجل من أهل بغداد يضرب به المثل في الحذاقة بضرب العود .
٨ نحر العبيطات : الذبائح التي ذبحت لغير علة بها . المنن : العطايا .
٩ الشعواء : المتفرقة في البلاد . الدمن : آثار الدار . تستقصي الدمن أي تستأصل آثار الديار ولا تبقي منها شيئاً .
١٠ قصر غمدان : هو قصر عظيم بظاهر صنعاء . حضن : جبل عظيم مشرف على أرض نجد . ومن ذلك قولهم : أنجد من رأى حضناً .

وأثَرَ الملوكِ بين ذي يَزَن ومن يلي من قومه كذي يمَن[1]
وقد أتينا القوم من أقصَى وَطَن نرجو فكاكَ الرهن أَو دفع الثمن[2]
إن لم يكونوا أهل ما نرجو فمَن ؟

قال : وكان بين القوم زعيمٌ صَلْتُ الجبين، كأنه أحدُ الذَّوين. فقال :[3] شَهِدَ الله انك أدهَى من جنّ عَبقَر، وأسحَرُ من كُهَّان حَيْدِ حُوَّر.[4] فخذ هذه الناقة الوجناء، جائزة الثناء. وسيأتي مولاك حوط المال، فتظفران[5] بحسنِ المآل. ثم انهال على الشيخ الحِباءُ وانسكَب، حتى امتلأ دلوهُ إلى عَقْد[6] الكَرَب[7]. ولما قضى الوَطَر، ودَّع النَّفَر، وأنشد على الأثر :

من أيمُن الحقّ، أنَّ اليُمْنَ في اليمَنِ أعطى يميني يمينَ المــالِ واليُمَن[8]
قد كنتُ قبلًا لكُم عبداً بلا ثمَنِ، واليومَ قد صرتُ عبدَ العبدِ بالثمن ![9]

قال سهَيلٌ: فخلع الزعيم عليهِ إحدى بُردتَيهِ، وانصرف والغُلامُ بين يديهِ . وكنت قد عرفتُ الشيخ والغلام، إنهما رَجَبٌ وابنُ الخزام. فسعيت

١ ومن يلي : فاعله ضمير ذي يزن . المراد بأثر الملوك ما لهم من الأبنية كالمدن والحصون والسدود والقصور في تلك البلاد .
٢ فكاك الرهن : رهن الناقة . أو دفع الثمن : ثمن الغلام .
٣ صلت : صقيل . كناية عن البشاشة . الذوين : ملوك اليمن الذين في صدور ألقابهم ذو .
٤ عبقر : مكان يوصف بكثرة الجن . كهان : سحرة . حيد حور : جبل باليمن فيه كهف يتعلمون فيه السحر .
٥ الوجناء : الشديدة . حوط : ما تم به الدراهم إذا نقصت عن الحاجة .
٦ انهال : انصب . الحباء : العطاء .
٧ الكرب : حبل يشد في وسط العراقي وهي أخشاب تعرض على الدلاء . وهو مثل يضرب لمن يبالغ في الأمر الذي يتولاه .
٨ أيمن : جمع يمين . واليمن : البركة . ويمين : بمعنى قوة . واليمن : جمع يمنة وهي البردة من برد اليمن .
٩ أي أنكم قد اشتريتموني بإحسانكم إلي فصرت عبداً لعبيدكم فضلا عن ساداتكم .

من ورائهما ، بعدَ انبرائهما . حتى أدركتُ الشيخ وهو قد تثبَّج بعصاهُ ،[1] وأخذ يداعب فتاهُ . فقلت :

إلى كم يا أبا ليلى تُجرِّد للوَغى خَيلا ؟
لقد سَوَّدتَ وجهَ الشيب فانقلبَ الضُّحى ليلا !

فنظر إليَّ بعين الأشوَص ، وأنشد بلسان الأشمَص :[2]

إلى كم يا ابنَ عَبّادٍ تُجازِفُ عندنا كَيلا ؟
إذا لم تقتبسْ أَدباً فشمِّرْ للنوى ذَيلا[3]

ثم قال : يا أبا عُبادة إن الناس قد أنكروا الذِّمم ، ونبذوا الوَفاءَ والكرَم ، حتى صاروا لحماً على وَضَم . فمتى لم نقض التُّلُنّة ، أخذتنا[4] اللُّتُنَّة . والآن فلنقطع هذا الطريق الطامس ، قبلَ أن يُدرِكنا الليل[5] الدامس ، لئلاّ نقعَ في هِنْدِ الأحامس[6] . وإذا وصلنا رفعتُ لك المِنبر ، وأقمتُكَ مُقامَ الخطيب الأكبر[7] . قال : فأوجَمَني الخَجَل ، وسايرتُهُ على عجل . حتى انتهينا إلى دار القَرار ، عند سَلْخ[8] النهار . فبِتنا ليلتَنا نتَداولُ الحديث ، ونتناولُ الطيِّبَ منهُ والخبيث . حتى إذا انهتك[9] حِجاب الظلام ، لم أرَهُ ولا الغلام .

١ انبرائهما : أي انصرافهما . تثبج : جعلها على ظهره وجعل يديه من ورائها .
٢ الأشوص : المضطرب الأجفان كثيراً . الأشمص : المتسرع في كلامه .
٣ تقتبس : تستفد . أي إذا لم تتأدب فاغرب عنا .
٤ الوضم : خشبة اللحام . حتى صاروا لحماً على وضم : هو مثل يضرب في تفاقم الشر . التلنة : الحاجة .
٥ اللتنة : القنفذة . أي إذا تأخرنا عن قضاء حاجتنا هان أمرنا حتى سطا علينا من لا سطوة له . الطامس : الخفي .
٦ الأحامس : كناية عن الداهية .
٧ الخطيب الأكبر : يريد التهكم عليه بسبب وعظه له .
٨ سلخ : آخر .
٩ انهتك : انشق .

المقامة الثامنة والثلاثون

وتعرف بالحميرية

أخبرَنا سهيلُ بنُ عبّادٍ قال: شَخَصنا نحو صَنعاءَ، في ليلة دَرْعاءَ[١]، فسرَينا ليلتنا جمعاءَ. حتى إذا ذَرَّ الشَّفا، وشِيبَ كَدَرُ الأُفق بالصَّفا. نظرنا من[٢] خلال العِثْيَر، وإذا نحن قد أشرفنا على أفنِية حِمْيَر. فأمعَنّا في التشمير،[٣] تحتَ أمانة قِطمير[٤]. حتى دخلناها بسلام، ونبذنا مخاوف الظلام، تحت تلك الأعلام. وأقَمنا بياض ذلك اليوم، في عِراص[٥] أولئك القوم. ونحن نسمعُ لُغتَهم الحِمْيَرِيَّة، ونرى كِتابتَهم المُسنَدِيَّة، ونتفقّد آثارَهم التُّبَّعِيَّة.[٦] ولما أصبحنا زَمَمْنا الدّلاث، وأمَمْنا الدّماث، فجعجعوا بنا وقالوا: الضيافة[٧] ثلاث. فنكصنا[٨] عمّا أزمعنا، وتربَّصنا حيثُ اجتمعنا. ولَبِثنا نجُوسُ خِلال الدّيار، إلى أن استقام قسطاس النهار. وإذا بالخُزاميّ وصاحِبَيه، إلى جانبيه.[٩]

---

١ ليلة درعاء : يطلع قمرها عند الصبح .

٢ ذر : طلع . الشفا : بقية القمر في آخر الشهر . شيب : مزج .

٣ العثير : الغبار . التشمير : كناية عن الجد .

٤ قطمير : يزعمون أنه ملك موكل بتأدية الأمانات .

٥ عراص : ساحات .

٦ لغتهم الحميرية : لأن لهم من اللغة ما يغاير كلام عامة العرب . المسندية : نسبة إلى المسند وهو خط لحمير كانوا يكتبون كل حروفه منفصلة عن بعضها . التبعية : نسبة إلى تبع . لقب بذلك لاتباع جمهور أهل اليمن له . ثم جرى هذا اللقب على كل ملك من ملوك اليمن .

٧ الدلاث : النياق السريعة . أممنا : قصدنا . الدماث : الأراضي اللينة الرملية . جعجعوا : أمسكوا .

٨ نكصنا : رجعنا .

٩ نجوس خلال الديار : أي نتردد بينها . استقام قسطاس النهار : انتصف عند الظهر . والقسطاس الميزان . صاحبيه : ابنته ليلى وغلامه رجب .

فقلت : يا بُشرايَ قد أمرَعتِ العجزاءُ ! ودُرْنا حولهُ كنِطاق الجَوْزاء .[1] فأبرَقت أسِرَّتُهُ ، وأشرَقت مَسَرَّتُهُ . وتلقَّانا بما يُنعِش الحُشاشة ، من[2] البَشاشة والهَشاشة[3] . حتى إذا استقرَّ قرارُهُ ، وانجلى اغبرارُهُ . قال : لا يترك الظبيُ ظِلَّه[4] ، فانهضوا بنا إلى أمير الحِلَّة. فلما جلسنا في ديوانه ، بين أعوانه .قال بعضهم :هذا الخزاميُّ الذي يترامى ذِكرُهُ، ويُتحامى نُكرُهُ[5] . فلنَتَوَهَّقهُ بالمُعاياة ، ونُلقِ مراديسنا في ركاياهُ . فوقع ذلك في سَماعه ،[6] وكان داعيةً لزَماعِه ، إلى محجَّة أطماعِه . فانبرى له كالرِّئبال ، وقال : أمَّا[7] إن بريتَ النِّبال ، وطلبتَ النزال . فما ستَّةٌ في العربيَّة ليس لها سابع ، ومفردٌ يُكَرَّر جمعهُ إلى الرابع ؟ فوَجمَ الرجل وانصاع، وبرز فتًى تحت[8] أنصاع ، وقال : إنَّنا نُكايلُ صاعاً بصاع . إن كنتَ من أفراد الإنسان،[9] فما قيودهُ باعتبار الأسنان ؟ فاشرأبَّ الشيخ وتعاطى ، وأنشد وما تباطا :

هوَ الجَنينُ في الحَشى يُقامُ   فالطِّفلُ فالصبيُّ فالغلامُ

---

١ أمرعت : أنبتت العشب . العجزاء : الرملة المرتفعة . الجوزاء : أحد أبراج الفلك ، وحولها كواكب يقال لها نطاق الجوزاء .

٢ أبرقت أسرته : تهلل وجهه انبساطاً . الحشاشة : الروح .

٣ الهشاشة : طيب النفس .

٤ مثل يضرب في التمسك بالأمر الذي يؤلف عليه .

٥ يتحامى نكره : أي يحترز من دهائه .

٦ توهقه بالكلام : أي أعياه وحيره . المعاياة : الكلام الذي لا يهتدى إلى بيانه . مراديسنا : جمع مرداس وهو الحجر الذي يرمى في البئر ليعلم هل فيها ماء أو ليعلم عمقها . ركاياه : جمع ركية وهي البئر .

٧ زماعه : إسراعه . الرئبال : الأسد .

٨ الستة التي لا سابع لها في العربية هي : ويب وويح وويخ وويس وويل وويه وهي متقاربة المعاني . والمفرد الذي يجمع أربع مرات هو العصمة بمعنى القلادة ، فإنها تجمع على عصم ، ثم تجمع عصم على أعصم ، ثم تجمع أعصم على أعصام ، ثم تجمع أعصام على أعاصيم ، ولا نظير له في الأسماء . انصاع : رجع .

٩ أنصاع : ثياب بيض . الصاع : مكيال يسع أربعة أمداد . والعبارة مثل في المكافأة .

١٠ الأسنان : الأعمار . تعاطى : وقف على أطراف أصابع رجليه .

وبعدَ ذاكَ يافعٌ ثم فتَى ثم طريرٌ ثم شارخٌ أتى
وبعدهُ عَنَطْنَطٌ صُمُلُ وبعدَ ذاك أشمطٌ فكَهْلُ
وبعد ذاك الشيخ ثم الهَرِمُ وبعدهُ الهِمُّ الذي يختتمُ

قال : فهل لك من جُرأة ، أن تذكُرَ ما يختصُّ بالمرأة ؟ قال : كيف لا ، وأنا ابنُ جَلا [1] ؟ وأنشد :

أمّا الذي على النساء يُقصَرُ فكاعبٌ فناهدٌ فمُعصِرُ [2]
فعاركٌ فعانسٌ فشَهْلَه وبعدَ ذاكَ نَصَفٌ أو كهله
وبعد ذلك العجوزُ تُذكَرُ والحَيْزَبونُ بعدها لا تُنكَرُ

قال : إن عرفتَ قيود الإشارة ، فلك البِشارة ، بأحسَنِ شارة [3] ! فترنّح عِطفاهُ ، ثمّ فَغَر فاهُ . وأنشد : [4]

يُقالُ قد أومأ بالرأس الفتى ، وقد أشارَ بِيَدٍ حين أتى
أومَضَ بالجَفنِ إلينا ، وغمَزَ بحاجبٍ ، وبالشِّفاهِ قد رَمَزَ
وهكذا ألمعَ بالثوبِ وقد ألاحَ بالكُمّ ، فقيِّدْ ما ورد

قال : وهل تُبلّغُنا الوَطَر ، من ترتيب المطر ؟ قال : لَبّيك ! فخذ ما يُلقَى إليك . وأنشد :

أوّلُ قطرِ الغيثِ حينَ يُنثَرُ طَلٌّ ، وبعدهُ الرَّذاذُ يَقطُرُ

---

١ مثل يضرب للمشهور المتعارف .
٢ أما الذي على النساء يقصر : أي الذي يختص بهن . وأما ما قبل هذا كالجنين والطفل فهو مشترك . الكاعب : التي قد استدار ثديها وارتفع . وهي في مقابلة الغلام .
٣ الشارة : اللباس .
٤ عطفاه : جانباه . فغر : فتح .

وبعد ذاك النَّضحُ ثم الهَطلُ، وبعـدَهنَّ الوابـلُ المنهل[4]

قال : قد سلختَ[1] من الليل النهار ، فهل تعرف ترتيب الأنهار؟ فأنشد :

أصغرُ نهرٍ جَدْوَلٌ ينحدرُ ، وبعـدهُ السَّرِيُّ ثم الجعفرُ
ثم ربيعـاً ذكروا فطِبْعـا ثم الخليجُ فوقَ ذاكَ يُدعَى

قال : إن كنت تعرف ترتيب الجِبال ، فقل ولا تُبال . فأنشد :

أصغَرُ نجد الأرض يُدعى النَّبَكَه، وفوقَهُ الرابيـة المنتبكَـه[2]
أَكَمَـةٌ فزُبْيَـةٌ فنَجْوَه ، رِيـعٌ فقُفٌ هَضْبَةٌ كالفَجْوَه[3]
قَرنٌ فدُكٌ ثم ضلعٌ فـائقُ ، نِيقٌ فطُورٌ باذخٌ فشاهِـقُ

قال : قـد مَلأتَ الكأسَ إلى الأصبار[4] ، فهل تعرف قيود الغُبار ؟ فأنشد :

أدعُ غُبار الحرب باسم القَسْطلِ، والعِثْيَرَ اخصُصْ بغُبار الأرجُلِ
والنَّقْعُ مـا بحُافرٍ يُهـاجُ ، ومـا تُثيرُ الريـحُ فالعَجاجُ

قال: إن عرفت أنواع الخيوط ، فأنت مركزُ الخطوط. فزمجر كالأسد ،[5]
وقال : أعوذُ باللهِ من شرّ حاسدٍ إذا حَسَد ، ثم أنشد :

للخَرَزِ السِّلْكُ كسِمْطِ الجوهرِ يُذكَرُ ، والنِّصاحُ خيط الإبَرِ

---

١ سلخت : نزعت واستخرجت .
٢ النجد : ما ارتفع من الأرض . المنتبكة : المرتفعة .
٣ الفجوة : ما اتسع بين شيئين . وذلك لأن الهضبة هي الجبل المنبسط على وجه الأرض .
٤ إلى الأصبار : إلى رأسها . وهو مثل يضرب في توفية الأمر .
٥ مركز الخطوط : أي المركز الذي تلتقي فيه الخطوط كوسط الدائرة الذي تلتقي فيه خطوط محيطهـا .

والزِّيجُ للبِنـاء ، والسَّبّاقُ لرجُلٍ طيرٍ جارحٍ يُساق[1]
كذا لخِلْفِ الناقةِ الصِّرارُ يُشَدُّ كي لا يرضعَ الحُوار[2]
وهكـذا رَتيمةُ التذكُّرِ تُعْقَدُ خوفَ غفلةٍ في الخِنصِرِ

قـال : فلما فرغ الفتى من النِّضال ، وشفى الداءَ العُضال . حدَّق القوم[3] إلى الشيخ بالأبصار ، وقالوا : شهد الله أنك نابغةُ الأعصار ، وداهيةُ البوادي والأمصار . وقد حقَّ علينا أن نُفرِغ عليك قِطراً[4]، كما كتبنا من أبياتك سطراً . فأملِها علينا شطراً فشطراً . قال : إن لي كاتباً أجرى من الطِّمِرَّة[5]، وأخطَّ من مُرامِر بن مُرَّة[6] . ثم أشار إليَّ وقال : اكتب يا أبا عُبادة ، واندفق في الإملاء كالمَزادة . فلما فرغنا أفاض عليه الأميرُ حُلَّةً يمانية[7]، وأتاهُ القوم بنَقَدٍ ثمانية . ثم جاؤوني بدُرَيهمات وقالوا : صِلةُ الكاتب[8]، ثانيةُ المراتب ، فلا تكن بعاتب . ولما قضى اللُّبانة، ثَنى عن القوم عِنانهُ. ثم ودَّعنا وسار ، وكان آخرَ عهدي به في تلك الأقطار .

---

١ الزيج : الخيط الذي يمده البناء على الحائط . طير جارح : من ذوات الصيد .
٢ خلف الناقة : ثديها ، والحوار : ولدها .
٣ النضال : أي المحاورة . وأصله المراشقة بالسهام . الداء العضال : الشديد الذي يعجز الأطباء
٤ القطر : الثياب المخططة .
٥ شطراً : نصف بيت . الطمرة : صفة للفرس .
٦ مرامر بن مرة : رجل من بني طي قيل إنه أول من كتب الخط العربي .
٧ المزادة : إناء للماء عظيم يتخذ غالباً من ثلاثة جلود . يمانية : نسبة إلى اليمن أصلها يمنية
٨ نقد : صنف من الغنم . صلة : عطية .

المقـامة التاسعة والثلاثون

وتعرف بالأنبارية

روى سهيلُ بن عبَّادٍ قال : سافرتُ ذات الزُّمَين[1] ، في رَكبٍ من بني القَين، يملأُونَ الأُذُنَ والعَين. وما زلنا نقطع المراحل، حتى أنضينا الرواحل.[2] فنزلنا في خَلاءٍ بَلْقَع ، وقلنا : الرشف أنقَع. وكان بين القوم رجلٌ واسع[3] الرواية ، بعيد الغاية . فباتَ يجلو علينا خرائد[4] السَّمَر ، تحتَ ظِلِّ القمر . حتى خاض في حديث علماء الأدب[5]، وحُكَماء العرب. وأخذ يذكر المشاهير والأفراد ، كعَبيدِ بنِ الأبرص[6] ولقمانَ بنِ عاد. فأخذتني الحميَّةُ هنالك ، وقلتُ : ماءٌ ولا كصدَّاءَ وفتًى ولا كمالك! أين أنتَ عن الشيخ الخزاميّ[7]، الذي يَنفرُ العِصاميَّ والعِظاميَّ ؟ قال : رُبَّ صَلَفٍ تحت الراعدة، وأينَ[8]

---

١ الزمين : بعض الأزمنة .

٢ القين : حي من بني أسد . يملأون الأذن والعين : أي يعجب الناس كلامهم ومنظرهم . أنضينا : هزلنا .

٣ بلقع : ليس فيه شيء . الرشف : الامتصاص . أنقع : أروى . أي أن امتصاص الماء يروي أكثر من كرعه . وهو مثل يضرب في فائدة التأني .

٤ خرائد : يقال لؤلؤة خريدة أي غير مثقوبة ، والجمع خرائد .

٥ علماء الأدب : أصحاب علم الأدب .

٦ عبيد بن الأبرص : من فحول شعراء الجاهلية .

٧ صداء : أفضل ماء عند العرب . ومالك : هو ابن نويرة قتل فحزن عليه أخوه حزناً طويلا . وكان إذا عـزاه النـاس وذكروا له من قتل من فتيان العرب ليتأسى بهم قال : فتى ولا كمالك .

٨ ينفر العصامي والعظامي : يقال نافره فنفره أي غالبه في الفخر فغلبه . والعصامي نسبة إلى عصام بن شهبر الخارجي كان حاجباً عند الملك النعمان ثم صار ملكاً . ونقيضه العظـامي وهو الذي ورث الشرف عن سلفائه . صلف : يقال سحاب صلف إذا كان قليل المطر .

باقل[1] بنُ ربيعةَ من قُسِّ بن ساعدة. فما فتئتُ أذكر لهُ مُلَحاً من نوادره، ولُمَحاً من بوادره. حتى قال لسهمي مَرْحَى، بعد بَرْحَى! وأوشك أن[2] يذوب من غَيْنِهِ، إلى معرفة عَيْنِهِ. قلت: فلنأكُل اليومَ من حديثِهِ رغداً،[3] وإنَّ مع اليوم غداً. ولما افترَّ ثغرُ السَّحَر، حسرنا عن ساق السَّفَر،[4] وضربنا في تلك القِفَر. فما تصرَّم النهار، إلاَّ ونحنُ في الأنبار[5]. فنزلنا بها كالشعرة البيضاء، في اللِّمَّة السوداء. ولما انجابت وَعْكة الجِهاد، ونسخ[6] الهجوعُ آيةَ السُّهاد. بدأتُ بتعهُّد مجلِس الوالي، لأتطرَّق منه على التوالي.[7] وإذا امرأةٌ سادلة النِّقاب، قد تعلَّقت بفتًى كالعُقاب. وقالت: حيَّا الله الأمير وأحياهُ، وأصلحَ دينهُ ودنياهُ. إن هذا الفتى قد أخذ أبي احتيالاً، وفتك بهِ اغتيالاً. وتركني وحيدةً في دار الغُربة، أُكابِدُ عَرَقَ القِربة،[8] وأتكبَّد شَظَفَ[9] الكُربة. وقد رفعت إليك القِصَّة، وعليك مُساغُ الغُصَّة. فأكبرَ الأمير شكواها، وسألها البيِّنة لدعواها. فانطلقت كزفير اللَّهَب،[10] ثم عادت عن كَثَب، ومعها شيخنا الميمون وغلامهُ رَجَب. فأدَّيا الشهادة على وجهها[11] في وجه الفتى، وانصرف كلاهما من حيثُ أتى. فأمرَ الأميرُ

---

١ باقل : رجل من بني إياد يضرب به المثل في البلادة .

٢ بوادر : جمع بادرة وهي البديهة . مرحى : كلمة تقال عند إصابة السهم . برحى : كلمة تقال عند إخطاء السهم .

٣ غينه : عطشه أي شوقه . عينه : ذاته . رغداً : واسعاً خصيباً .

٤ وإن مع اليوم غداً : مثل يضرب في التسويف . حسرنا : شمرنا .

٥ الأنبار : مدينة على شرقي الفرات .

٦ اللمة : الشعر يجاوز شحمة الاذن . انجابت : زالت . نسخ : أزال وغير .

٧ الهجوع : النوم . السهاد : السهر . تعهد : تفقد . أتطرق : أتوصل شيئاً فشيئاً . التوالي : التتابع . أي لأتدرج منه إلى غيره من الأماكن للتفرج .

٨ مثل يضرب لشدة المعيشة .

٩ شظف : شدة .

١٠ زفير اللهب : صوت لسان النار .

١١ فأديا الشهادة على وجهها : أي على حكم تأدية الشهادة .

باعتقاله ، وجعل في أُذُنيهِ وَقْراً عن تنصلهِ وسُؤالهِ . ثم قال : يا أمةَ اللهِ[1] إن المنـايا ، على الحوايا[2] . وإن ما عند الله خيرٌ وأبقى ، فإن شئتِ قَبُولَ ديةٍ فذلك أبرُّ وأتقى . قالت : لا جَرَمَ ان أبي كان غُرَّةَ الأبين ، [3] وعِزَّةَ البَنين ، وعِقالَ المِئين . وما كنتُ لأعدلَ منهُ سُبَيدة ، بهُنَيدة.[4] ولا أبدلَ قُلامة، بنخل اليَمامة . ولقد كان حَيَّةً صَمَّاءَ ، وداهيةً دهياءَ.[5] ولكن إذا جاء الحَين [6] ، حارت العين . وإذا حانَ القضاءُ ، ضاقَ الفَضاءُ . فإن كنتَ ترى الدِّيَةَ أولى من القَوَد ، وأخلى عن الأَوَد . فذلك أجمل[7] من أن يضيع دَمُهُ كسِلاغ ، وأتبلَّغ بعدهُ بالنُّباغ.فأخرج لها الدِّيَة من [8] مال القاتل ، وحَظَلهُ أن يَبرَح البلدة ما أرزَمَت أمُّ حائل.فلما قبَضَت [9] الدِّيَةَ أخمَدَت زَفَراتِها، وأجمَدَت عَبَراتِها . وأجمَلَت الثناء ، وأجزلت الدُّعاء . وأنشدت :

ما اليُتْمُ فَقْدَ الأبِ ، لكنَّهُ   في الحقِّ فَقْدُ الحاكِمِ العادلِ !

١ وقراً : ثقل سمع أو صمماً . تنصله : تبرؤه من التهمة .

٢ إن المنايا على الحوايا : الحوايا جمع حوية وهي كساء يحشى بهشيم النبات ويجعل حول سنام البعير . أي أن المنايا تساق إلى أصحابها على حوايا الجمال فلا يقدرون أن يفروا منها لأنها من قضاء الله .

٣ أتقى : تفضيل من التقوى . غرة الأبين : أي سيد الآباء .

٤ المئين : جمع مائة . أي أنه كان إذا اعتقله أحد يفدى بمئات من الإبل . سبيدة : تصغير سبدة أي شعرة . هنيدة : مائة من الإبل .

٥ قلامة : ما يقطع من طرف الظفر . نخل اليمامة : أرض في بلاد العرب بين نجد واليمن توصف بكثرة النخل . حية صماء : لا تقبل رقية الحاوي .

٦ الحين : الهلاك .

٧ القود : القصاص بالقتل . الأود : العوج.

٨ سلاغ : رجل من بني عبد القيس قتل فلم يطلب أحد دمه . أتبلغ : أقتات . النباغ : غبار الرحى .

٩ حظله : منعه . أرزمت أم حائل : أرزمت الناقة خرج من حلقها صوت نحو ولدها محبة له . والحائل ولدها الأنثى ، وهو مثل يضرب في الدوام .

ذلك يُحيي الناسَ من فيضه فيَظفرُ المقتولُ بالقـاتل[1]

قـال سهيلٌ : وكانت نفسي قد تاقت إلى سَبرِها ، لاكتِناهِ خُبرِها ،[2] فلما انصرَفَتْ خرَجْتُ في إثرِها . حتى إذا أفضينا إلى خَلاءٍ عَطَفَتْ إليَّ ، وأقبلت بوجهها عليَّ . وقالت :

هـذا سُهيلٌ يُفَاجِي في كلِّ أرضٍ أباه[3]
وهكذا كلُّ نجمٍ حيثُ التفتنـا نراه[4]

فعرفتُ حينئذٍ أنها ليلى الخزاميَّة،واستنبأتـُها عن تلك المقالة الحَذاميّة،[5] والفتكة الحُساميَّة . فقالت : إن هذا الكشخان قد طمع منَّا في السَّلَب،[6] فخلعنا عليه حُلَّةَ الأدب ، وتركناه أتَبَّ من أبي لَهَب . ثم انطلَقَت بي[7] إلى الحان، وأنا كشارب ابنة الحان . حتى دَخَلتُ على شيخنا المَيني ، وإذا[8] عندهُ صاحبنا القَيني . فقلت : سُبحانَ من يُحيي العِظام ، قال : ولو تُرِكَ[9] القَطا[10] ليلًا لنام . والآن دعنا نتمتَّع بالحديث ، مع صاحبك الحديث ، الذي

---

١ يظفر المقتول بالقاتل : تشير بذلك إلى ما تعلمه باطناً من ظفر أبيها بالفتى الذي اتهمته بقتله .

٢ سبرها : اختبار أمرها . لاكتناه خبرها : أي للوقوف على حقيقة أمرها .

٣ أباه : تريد أباها ولكنها تدعوه أباه على جهة التودد .

٤ حيث التفتنا نراه : ذلك لأن سهيلا اسم نجم وهذا شأن النجوم .

٥ الحذامية : نسبة إلى حذام . أشار بذلك إلى قول الشاعر فيها :

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

٦ الحسامية : نسبة إلى الحسام وهو السيف القاطع . كنى بها عن قتل أبيها الذي ادعت به ، وهذا من باب التهكم . الكشخان : كلمة شتم .

٧ فخلعنا عليه حلة الأدب : أي كان يريد أن يسلب ثيابنا فألبسناه ما يتأدب به عن مثل هذا . أتب : أخسر . أتب من أبي لهب : إشارة إلى الآية التي قيل فيها تبت يدا أبي لهب . وهو عبد العزى بن المطلب القرشي . يضربون المثل به في الخسارة لأنه لم يصدق دعوى الرسالة .

٨ ابنة الحان : كناية عن الخمرة . شيخنا : يعني أباها . الميني : نسبة إلى المين وهو الكذب .

٩ القيني : الرجل الذي جرى له معه ذلك الحديث في الطريق . سبحان من يحيي العظام : يشير على سبيل التهكم إلى أنه كان قد قتل ثم أحياه الله .

١٠ القطا : طائر معروف .

يُميِّزُ بين القشيب والرثيث ، والسمين والغثيث . فقال الرجل : علم الله[1] لقد رأيتُ أكثر مما سمعت ، ونلتُ أكثر مما طمعت . فليس عبيدٌ إلاّ عبدك ، ولا لُقمان إلاّ لُقمةً عندك . فقال : يا بُنيَّ عند الرِّهان تُعرَفُ السوابق ، والامتحانُ يُبَيِّنُ الفائق ، من المائق[3] . وإنني طالما عركتُ الدهر ، وقطفتُ الزهر ، عن النهر ، فلم يَعْرُب عني سِرٌّ ولا جهر . ولقد خَفَّ وِقْرُ العار على مَتْني ، لو ذات سِوارٍ لَطَمَتْني . ولكن لم يَفُت ، من لم يَمُت .[4] فدَعْني وشاني ، واستعذ بالمَثاني ، من حُمَةِ[5] لساني . قال : فسُقِطَ في يد الرجل كما سَقَط[6] ، ونَدِمَ على ما فَرَّط ، وقال : سُبحانَ من تنزَّهَ عن الغَلَت والغَلَط[7] . ثم أقبل على الشيخ بالإجلال ، وتقرَّب إليه بلسان الإذلال . فقال : ضيَّعتَ البِكار على طِحال[8] ، وهيهاتِ أن تعلَق ثِقَتي بالمُحال . فلما أصرَّ الشيخ على الحِفظة ، وأوشكَ أن يترامى إلى الغِلْظة . أشفَقَ الرجل[9] لعِرضِهِ من العَطَب ، وخالج قلبَهُ أن الرثيئة تفثَأُ الغضَب[10] . فأخرَجَ لهُ بُردةً مُمصَّرة ، وقال : إليك المَعذِرة . فاضطَبَنَها[11] وخرَج ، وقال : ليس على الأعمى حَرَج[12] . وكانت تلك البُردة ، آخرِ عهدنا بهِ في تلك البلدة .

-----

١ القشيب والرثيث : الجديد والبالي . الغثيث : المهزول . يشير بذلك إلى حديثه مع سهيل .

٢ مثل يضرب لبيان الأمر عند الاختبار .

٣ المائق : الأحمق الغبي .

٤ الوقر : الحمل الثقيل . والمتن : ما حول الصلب من الظهر . لو ذات سوار لطمتني : مثل قاله حاتم الطائي حين كان أسيراً في بني عنزة مكان الأسير الذي فداه بنفسه .

٥ المثاني : قيل هي آيات القرآن . حمة : شوكة العقرب ونحوها .

٦ أي ندم لأنه وقع في الكلام مع سهيل .

٧ الغلت : يكون في الحساب . والغلط : في الكلام .

٨ البكار : الإبل الفتية . وطحال : اسم مكان لبني الغبر ، بتشديد الباء .

٩ الحفظة : الحمية والغضب . يترامى : يتجاوز . أشفق : خاف .

١٠ الرثيئة : اللبن الحامض يخلط بالحلو . وقوله تفثأ أي تسكن .

١١ ممصرة : مصبوغة بالمصر وهو صبغ أحمر . اضطبنها : جعلها تحت ضبنه وهو ما بين الإبط والكشح .

١٢ نسب إليه العمى لأنه لم ينظر مناقبه التي لا تخفى على ذي بصر .

المقـــامة الأربعون

وتعرف بالجدلية

حدّثنا سهيلُ بن عبّادٍ قال : أصابتني وعكةٌ[1] شديدة ، مُدّةً مديدة . فانعكفتُ على تَوفيةِ العِلاج، وتنقيةِ الأعفاج ، من الأمشاج . حتى صِرتُ[2] أرقَّ من العِفاص ، وأدقَّ من النّماص . فلما أَمِنتُ مَسَّ العُرَواء، وثاب[3] إليَّ مَرَحُ الغُلَواء. حَمَلني الخَواءُ على الشراهة ، ودعاني المَلالُ إلى النزاهة .[4] فكنت أَلتَهِم التِهام الناعط ، وأخرُجُ خُروجَ الضافط . حتى دخلتُ يوماً[5] إلى حديقةٍ جميلة ، ذات خميلة ، قد رتعت بها عِصابةٌ جليلة . وقد سطع[6] فيها قُتار الجُزُر ، حتى غَشِيَ الجُدُر. فقلت: أَمرعتَ فانزِل ، واقتحمت[7] ذلك الزّحامَ المُتَعَثكِل . وإذا رجلٌ عليهِ رداءٌ،مثل اللّواء. وعلى رأسه[8] عِمامة ، مثل الغَمامة . وهو قد أقبَلَ عـلى شيخٍ أَدْرَد ، عليه حَنْبَلٌ[9]

---

١ وعكة : أثر الحمى في البدن .

٢ الأعفاج : الأمعاء . الأمشاج : الأخلاط .

٣ العفاص : جلدة تشد على رأس القارورة فوق السداد . النماص : خيط الإبرة . العرواء : رعدة البرد الذي يتقدم الحمى . ثاب : رجع .

٤ مرح : نشاط . الغلواء : نضرة الشباب . الخواء : خلو المعدة . الملال : الضجر . النزاهة : الخروج إلى البساتين للتفرج .

٥ الناعط : السيء الأدب في الأكل . الضافط : المسافر الذي لا يبعد .

٦ خميلة : أشجار ملتفة . سطع : ارتفع .

٧ قتار : دخان الشواء . الجزر : الذبائح . حتى غشي الجدر : حتى غطى الحيطان . أمرعت فانزل : أي وجدت خصباً فانزل بمكانه ، وهو مثل يضرب لمن أصاب حاجته .

٨ المتعثكل : المتراكب بعضه فوق بعض . اللواء : البيرق .

٩ الغمامة : السحابة . أدرد : لا أسنان له . حنبل : فرو رثيث .

أجرَد[1]، وقد التئم حتى صار كالأمرَد . فقال : قد علمتَ أيها الشيخ أن المال زينةُ الحياة الدنيا ، وعليهِ نموت ونحيا . فإنه يقضي لُبانة الأُولى بالمسرَّة ، [2] ويسهّلُ طريق الأُخرَى بالمبرَّة[3] . وعليهِ مَدارُ العيش ، ونِظامُ الجيش . وبهِ قيامُ الممالك ، وتمهيدُ المسالك ، ودفعُ المهالك . وهو قاضي الحاجات، ورافعُ الدَّرَجات، ومستعبدُ السادات، وخارقُ العادات . ومُشَدِّدُ الهِمم ، ومُبدِّدُ الغُمَم . وهو الحبيب الذي يفديه بالنفس ، كل من تحت الشمس . ويَجِدُ لفِراقهِ الكَمَد ، من لا يَسُوءُهُ فِراق الولد [4] . ولا يزال مرفوع الشان ، يشار إليه بالبَنان ، في كل مكان وزمان . وإليه تُشدُّ الرِّحالِ ، وتنتهي الآمال ، ولولاهُ لتعطَّلتِ الاعمال ، وحانت الآجال ، وانقرضت القرون والاجيال . قال : فانبَرى لهُ الشيخ كأُوَيس [5] ، وقال: لا أفلحتَ ما غَبَّ غُبَيس . إني أراكَ قد أطلقتَ العِنان ، حتى جعلتَ الزُجَّ قُدَّام[6] السِّنان . وَيْكَ إن المرء بالعلم إنسانٌ لا بالمال ، وهو المِرْقاة إلى درَجات [7] الكمال . وبه تُعلم الحقائق ، وتُدرَكُ الدقائـق ، ويَعرِفُ المخلوقُ حق الخالق . وعليهِ يُنفق الطريف والتالد[8]، وصاحبهُ ينال الذِّكرَ الخالد . فكم من الملوك والأغنياء ، الذين كانت مفاتح كنوزهم تَنُوءُ بالعُصبة الأقوياء ،[9]

---

١ أجرد : لا صوف عليه .

٢ يقضي لبانة الأولى بالمسرة : يقضي حاجة الدنيا بالتنعم .

٣ المبرة : عمل البر .

٤ الذي لا يحزن لفقد ولده يحزن لفقد ماله .

٥ أويس : اسم علم للذئب .

٦ غب غبيس : يروى ما غبا غبيس أي طول الزمان . الزج : الحديدة التي في أسفل الرمح ، وهو مثل يضرب في تقديم المتأخر .

٧ ويك : كلمة تعجب . وقيل مثل ويلك . المرقاة : السلم .

٨ الطريف : ما أحدثته من المال . والتالد : ما ولد عندك .

٩ تنوء بالعصبة : يقال ناء به الحمل أي أثقله . والعصبة الجماعة نحو الأربعين .

قد دُرِس ذكرهم وبَقِيَ ذكرُ العلماء . وحَسْبُكَ[1] أنَّ العِلم لا ينالُهُ إلاَّ أفاضل الرجال، وطالما نجَّى صاحبهُ من الأهوال ، وقرَّبهُ إلى ربِّهِ في جميع الأحوال . والمـال طالما أحرزتهُ رَعاعُ الناسِ ، وألقى أهلَهُ في المهالك والأرجاس ، وأغراهم بالنزاع فكان بينهم دونهُ عِكاسٌ ومِكاس . قال :[2] فلما سمع القوم ما دارَ بين الرَّجُلَين ، قالوا للشيخ : نرى صاحبك قد أخذ طريق المُنصُلَين، وتيمَّن بغُراب البين. وإننا لنراهُ من الأغنياء والأغبياء،[3] فإنه لا يعرف منزِلة العلم والعلماء . فاستشاط الرجل غضباً ، وقال : عِشْ رَجَباً ، تَرَ عجَباً . كيف يتأتَّى المِراءُ بين اثنين[4] ، وقد وَضَحَ الصبحُ لذي عَينَين . تَبّاً لعلمك أيها الشيخ الباهل ، الذي بنوهُ كاليتامى وزوجتهُ[5] كالعاهل . وماذا ترى عِلمَكَ،إذا كنت تشتهي فومةً من الشَّذام وجَرْوَلاً[6] من الدَّرْمَكِ؟ أتأكُلُ القَضيمَ إذا طويت؟وتشربُ النِّقسَ إذا صَديت ؟[7] وتلبَسُ القِرطاس إذا عَريت ؟ كان للعلم دولةٌ عند أنماط[8] الكِرام ، الذين

---

١ حسبك : يكفيك .

٢ الأرجاس : الخبائث . أغراهم : أولعهم . عكاس ومكاس : هو أن تأخذ بناصية الرجل في الخصام ويأخذ بناصيتك .

٣ طريق المنصلين : هو طريق مضل في بلاد العرب يضرب مثلا للرجل إذا ضل . غراب البين : هو غراب أحمر المنقار والرجلين تتشاءم به العرب .

٤ عش رجباً تر عجباً : مثل أصله أن الحرث بن عباد بن قيس الثعلبي كان له امرأة سليطة فطلقها . وكانت تحب رجلا فأرادت أن تتزوج به . وان الرجل لقي الحرث يوماً فأعلمه بمنزلته عند المرأة ، فقال المثل . شبه مدة تربصها في بيتها بشهر رجب الذي لا يكون فيه حرب فإذا انقضى حدثت الأهوال ، يريد أنه لم يكن وقت للنزاع بينه وبينها لأنها لم تدخل بيته بعد ، فإذا عاشرها رأى من سوء عشرتها عجباً . المراء : الجدال .

٥ وضح الصبح لذي عينين : مثل يضرب في شدة الظهور . الباهل : المتردد باطلا بلا عمل

٦ العـاهل : المرأة التي لا زوج لها . فومـة : قدر ما يحمل بين إصبعيك . الشذام : الملح الجرول : قدر ما يحمل في الراحة .

٧ الدرمك : الدقيق . القضيم : الجلد الأبيض يكتب عليه . طويت : جعت . النقس : الحبر صديت : عطشت .

٨ أنماط : جمع نمط وهو الجماعة أمرها واحد .

عندهم لكل مقالٍ مَقام . وأما في هذا الزمان فإن المال هو الرَّهص[1] الذي يُبنى عليهِ ، والرُّكن الذي لا يُلتفَت إلاَّ إليهِ . فهم يحرِمونَ الأَديب ، ولا يحترِمونَ اللبيب . ويَصرِمون[2] الفقيه ، ولا يُكرِمون النبيه . فتضيعُ بينهم الكلمة ،كما ضاع الحديث بين أشعَبَ وعِكرِمة[3] . ولو صحَّ وهمُك ، وأصاب سهمُك . لما برزتَ بينهم بهذه الغَدافِل ، ولا قمتَ فيهم مقامَ الوارش والواغل[4] . فخفِّضْ عنك ما أنت فيه ، ولا تتخلَّق بأخلاق السفيه . ثم أنشد :

قد عَرَفَ الشيخُ عُلومَ الورى ، لكنَّ هذا العِلمَ لم يَدرِهِ[5]
فليتَهُ أدركَ هذا ولم يُدرِك بواقي العلمِ في عُمرِهِ

فانكفأ الشيخ بذِلَّة الخائب ، وقال : مع الخواطىء سهمٌ صائب . فأنفَ القوم من ذلك الشِّجار ، وشعَروا بما مَسَّهم من نار الشَّنار ، فنفحهُ كل واحد[6] بدينار . قال سهيل : وكان الزِّحام قد حال بيني وبينهما ، فلم أملِك أن أتبيَّن عينهما[7] فرصدتُهما ارتقاباً ، حتى لقِيتُهما نِقاباً . وإذا هما شيخنا الميمون وغلامهُ رَجَب ، فكِدتُ أُصفِّق من العجب . فأمرني الشيخ بالقعود ، وقال : انتظِرْنا إلى أن نعود . فكنت كمنتظر القارظَين[8] ، ولم أظفَرْ لهما بأثرٍ ولا عين .

---

١ الرهص : العرق الأسفل من الحائط .

٢ يصرمون : يقاطعون .

٣ أشعب : هو المشهور بالطمع ، وعكرمة : أحد الصحابة . قيل إن أشعب دخل يوماً على عبد الملك بن مروان الأموي فقال : يا أشعب أنت تابعي ؟ قال : نعم ، قال : ومن أدركت من الصحابة ؟ قال : عكرمة . قال : فحدثنا ببعض ما حدثك . قال : نعم ، حدثني عكرمة عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : المؤمن لا يخلو من خلتين . فقال عبد الملك : وما هما ؟ قال : الواحدة نسيها عكرمة والأخرى نسيتها أنا . وإلى هذا يشير الرجل بقوله : كما ضاع الحديث . . .

٤ الغدافل : الثياب البالية . الوارش : المتطفل على الطعام . الواغل : المتطفل على الشراب .

٥ يشير بهذا العلم إلى معرفة عدم انتفاع العالم بعلمه .

٦ الشنار : العار ؛ وذلك لما وصف الرجل به أهل زمانهم الذين هم منهم فلا بد أن يكون لهم نصيب من ذلك . نفحه : أعطاه .

٧ عينهما : ذاتهما . نقاباً : مواجهة أو فجأة .

٨ القارظان : رجلان من بني عنزة ، خرجا يجنيان القرظ وهو نبات يدبغ به الأديم فلم يرجعا .

المقـــامة الحادية والاربعون

وتعرف بالتهامية

قـال سهيلُ بنُ عَبَّادٍ : نزَلتُ في غَور تِهامة، بقومٍ من أُولي الشهامة.[١] فكُنَّا نقضي النهار بالنزاهة ، والليل بالفكاهة . حتى إذا كنَّا في مجلس طرَب، على صِحافٍ من غرَب ، فيهـا أقِطٌ وضرَب ، إذ قيل : قد وفد خطيب[٢] العرب . فنزَعْنا عن لِقاء الطَّيب ، إلى لقاء الخطيب . وإذا رجلٌ مُقتَبَلُ الشَّباب، على يَعْبوبٍ يندفق كالعُباب. وفي إثرِه شيخٌ عليه جُبَّةٌ أَتحَميَّة،[٣] وعِمامةٌ عَندَميَّة ، وهو يرتضخ لُكنةً أعجميَّة. فعرفتهُ عند عِيانهِ ، على[٤] عُجمة لِسانهِ . وقلت : هذه فاتحة المساعي ، وفاليةُ الأفاعي[٥] . فلما احتفلَ النادي، جثم شيخنا كأنهُ صخرةُ الوادي . وجعل ينضنض كالحيَّة الرقطاء،[٦] وإذا تكلَّم يُبدِل الضاد بالظاء . فاقتَحمَته[٧] أعيُنُ الجماعة ، وعافوا منظرهُ وسماعَهُ . فبات عندهم أهوَنَ من دِرْص ، وأذلَّ من قيسيٍّ بحِمص .[٨]

---

١ الغور : ما انخفض من الأرض . وتهامة : أحـد أقاليم بلاد العرب وهي اليمن والحجاز وتهامة ونجد واليمامة .

٢ غرب : شجر تصنع منه القصاع . أقط : زبدة المخيض . ضرب : عسل أبيض .

٣ يعبوب : جواد سريع سهل في عدوه . العباب : معظم السيل وموج البحر . جبة أتحمية : نوع من منسوجاتهم .

٤ عندمية : نسبة إلى العندم وهو صبغ أحمر . اللكنة : العجمة في اللسان . ويرتضـخ من الرضخ : وهو العطاء القليل .

٥ فالية الأفاعي : أول الشر .

٦ شيخنا : الخزامي . ينضنض : يحرك لسانه في فيه . الرقطاء : السوداء المنقطة بالبياض .

٧ اقتحمته : استصغرته وازدرت به .

٨ درص : ولد الهرة . قيسي : نسبة إلى قيس ، وقيس ويمن رجلان عربيان وقعت بينهما فتنة انقسم فيها العرب، وكان أهل حمص يمنية ولم يكن بينهم من القيسية إلا رجل واحد فكان ذليلا في الغاية.

قال : وكان بين القوم فتنةٌ وشَحْناءُ ، وضغينةٌ دَكْناءُ[1]. فلما أصبحوا قام الخطيب على هَضْبة، واستهلَّ الخُطْبة. فقال: الحمدُ لله الذي أمَرَ بالمعروف ونهى عن المُنكَر ، ورَضِيَ عمَّن ذكَّرَ بآيات ربّه وتذكَّر . أما بعدُ : فإنَّ الله جلَّ جلالهُ وسما، قد نهى عن الفتنة وقَتلِ النفس الذي جعله مُحرَّماً، وقال: وإنْ طائفتانِ من المؤمنين اقتتلوا فأصلِحوا بينهما . وها أنتم قد طويتم الأكباد ، على الأحقاد . وضممتم القلوب ، على الفِتن والحروب . وأفعمتم الأحشاء ، من العداوة والبَغْضاء . هـذا وأنتم من صُفوة المسلمين ، لا من الجاهليَّة أو المخضرَمين . تَعبُدونَ ربَّ الشِّعرى[2] ، دون اللات والعزّى ، ومَناة[3] الثالثةِ الأخرى . وعندكم الكتاب المُنزل ، والحديثُ المرسَل . وليس بينكم أحمرُ عاد ، ولا فرعَونُ ذو الأوتاد . فما هذه الغِشاوة التي[4] غشِيَت أبصاركم ، حتى رَزَأتم أولياءكم وأنصارَكم[5] . أما علمتم ما جرى بين وائلٍ وعمرو، وما جَنى بين تغلِب وبكر. أتُريدون أن تلحقوا بجَديس[6] وطَسْم ، وعاد التي لم يبقَ لها رسم. وتُصبِحَ ديارُكم كإرَمَ ذاتِ العِماد،[7] التي لم يُخلَق مثلُها في البلاد . أما تعلمون أنَّ العودَ لا ينمو بلا لِحاءٍ[8]، وأن ليس الدلوُ إلاّ بالرِّشاء. ومنك أنفُكَ وإن كان أجدَع، وساعدُك وإن كان[9]

---

١ دكناء : سوداء .

٢ المخضرمون : الذين أسلموا من الجاهلية . الشعرى : الكوكب الذي يطلع بعد الجوزاء ، كانت الجاهلية تعبده .

٣ اللات والعزى ومناة : أصنام .

٤ أحمر عاد : هو قدار بن سالف الذي عقر ناقة النبي صالح . ذو الأوتاد : هو ملك مصر الطاغي قديماً، قيل له ذو الأوتاد لكثرة جيوشه وخيامهم التي كانوا يستصحبون لها الأوتاد الكثيرة

٥ أي حتى أصبتم أصحابكم .

٦ وائل : هو كليب بن ربيعة الذي قامت بسببه حرب البسوس التي دامت أربعين سنة . وعمرو : هو جساس بن مرة قاتل كليب . وتغلب : قبيلة كليب . وبكر : قبيلة جساس .

٧ جديس وطسم : هما قبيلتان من العرب البائدة . إرم ذات العماد : بلدة قوم عاد خربت فلم يبق لها أثر .

٨ لحاء : قشر .

٩ الرشاء : الحبل الذي يستقى به . أجدع : مقطوعاً .

أقطع . وليس النارُ في الفتيلة ، بأحرَقَ من التعادي للقبيلة. ومن لا أُخا لهُ كساعٍ إلى الهيجا بغير سِلاح ، وهل ينهضُ البازي بغير جَناح . والآن قد بَلَغَتِ الدّماءُ الثُّنَن ، فلا تجعلوها هُدنةً على دَخَن[1] . واعلموا أن الخَضْم ، قد يُبلَغ بالقَضْم . وليس للأُمور بصاحب ، من لم ينظر في العواقب . وإمّا[2] ينزغنّكم[3] من الشيطان نزْغٌ فاستعيذوا بالله إنه هو السميع العليم ، ومن عمِل منكم سُوءاً بجهالةٍ ثم تابَ من بعدِه وأصلحَ فإن الله غفورٌ رحيم . فعليكم بالمصالحة ، قبل المجالحة[4] . وتجمُّل الجهل ، بتجمُّل الخُلُق السَّهْل . وخذوا بالهِواء والالّواء[5] ، فذلك نِعْمَ الدواءُ . ولا يكُنْ عندكم صوت النذيرِ ، كصوت البعير . والسلامُ على من ذكرَ اسمَ ربّهِ فصلّى ، والويلُ لمن كذّب وتولّى. قال : فلما فرغَ من وعظهِ ، واستعهدَ القومَ على حِفظهِ . دَلَفَ[6] إليهِ ذلك الشيخ المستعجِم[7] ، وقال بلسانٍ يحتاجُ من يُترجِم : يا مولايَ إن للأصوات قيوداً في الحقائق ، كرغاءِ البعير وحُداءِ السائق[8] . قال: قد أطلقتُ الصوت للمُشاكَلة[9] ، وإني لأراكَ من رجال المُناضَلة . فإن كنت قد جمعت من ذلك نُبذة ، فاجعلها لمسامعنا كالرّبذة[10] . قال : اللهمَّ نَعَمْ ، وأنشد

١ الثنن : الشعر الذي في مؤخر رسغ الدابة . الهدنة : المصالحة والدعة . والدخن : هنا بمعنى الحقد .

٢ الخضم : الأكل بجميع الفم . والقضم : الأكل بأطراف الأسنان . أي أن الغاية البعيدة تدرك بالرفق . ينظر في العواقب : كل ما مر من قوله أما تعلمون إلى هنا من أمثال العرب .

٣ ينزغنكم : يفسد بينكم .

٤ المجالحة : المكاشفة بالعداوة .

٥ أي باللين مرة والشدة مرة أخرى .

٦ دلف : مشى متثاقلا .

٧ المستعجم : المتظاهر بالعجمة .

٨ أي كل صوت له اسم مختص به .

٩ أي أنه لم يقيد صوت البعير باسم الهدير قصداً للمشاكلة وهي أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته .

١٠ الربذة : الخرقة التي يجلو بها الصائغ الذهب أو الفضة .

بأشجى النَّغَم :

هزيزُ ريحٍ وحفيفُ الشجرِ　　هزيمُ رعدٍ ودويُّ المطرِ
وَسْواسُ حِليةٍ صليلُ النصلِ　　قلقلةُ المفتاحِ ضمنَ القُفْلِ [1]
رَنَّةُ قوسٍ وصريفُ النابِ　　صريرُ أقلامٍ على الكِتابِ
جَعْجَعةُ الرَّحَى وخفقُ النعلِ　　غطغطةُ القِدرِ نقيضُ الرَّحْلِ [2]
قعْقَعةُ القيدِ عزيفُ الجِنّ　　زفيرُ نارٍ نَغَمُ المُغَنّي
غطيطُ نائمٍ عويلُ الباكي　　وهكذا قهْقَهَةُ الضَّحَّاكِ
إهلالُ مولودٍ أتى في الأثرِ　　نظيرُهُ حَشْرَجَةُ المُحْتَضَرِ [3]
قَضْقَضَةُ العِظامِ نَقْرُ الأَنْمُلِ　　نشيشُ طاجنٍ أزيزُ المِرجَلِ [4]
مَعْمَعَةُ الحريقِ والحنينُ　　للنُّوق والمَرْضى لها الأنينُ
صهيلُ خيلٍ وشحيجُ البغلِ　　نهيقُ عفوٍ وخُوارُ العِجلِ [5]
كذلك الهديرُ للجِمالِ　　يُذكَرُ والصَّئِيُّ للأفيالِ
يُعارُ مَعْزٍ وثُغاءُ الشاءِ　　حُداءُ سائقٍ خريرُ الماءِ
زَئيرُ ليثٍ وضُباحُ الثعلبِ　　بُغامُ ظبيٍ وضغيبُ الأرنبِ
جَلْجَلَةُ السَّبعِ عُواءُ الذئبِ　　مُواءُ سِنَّورٍ نُباحُ الكلبِ [6]
قُباعُ خِنزيرٍ وللغِرْبانِ　　نعبٌ كذا العِرارُ للظِّلمانِ [7]

١ الحلية : ما يتزين به .
٢ أي أخشاب الرحل التي تصوت عند تحريكه .
٣ قوله نظيره أي في مقابلته . والمحتضر : الذي دخل في نزع الموت .
٤ النقر : صوت يسمع من قرع طرف الإصبع الوسطى لأصل الإبهام إذا شد عليه بطرف الإبهام ثم أفلت منه . ومن النقر ما يكون باللسان وهو صوت يسمع منه عند إلصاق طرفه بالحنك . والطاجن : المقلى . والمرجل : القدر من النحاس .
٥ العفو : ولد الحمار .
٦ المراد بالسبع كل وحش مفترس .
٧ الظلمان : ذكور النعام .

صَرصَرةُ البـازي صفيرُ النَّسرِ   هديرُ ورقاءَ وسجعُ القُمْري[1]
بَقْبَقَةُ البـطّ كذا والفَقْفَقه   للصَّقْرِ والعُصفور يُبدي الشَّقشَقَه
زُقـاءُ ديكٍ ومن الدَّجاجه   نَقْنَقَةٌ مثلُ نقيقِ الهـاجه[2]
صَئِيُّ عقربٍ فحيحُ الأفعى   بالنفخ والكشيشُ حين يسعى[3]
ويُذكَرُ الطنـينُ للذُّبابِ   واجعل صدى الوادي ختام الباب

قال : فلما فرغ من كلامه الجُرهُميّ[4]، قال : خذوا لُغتَكُم من رجلٍ أعجميّ[5] . فعَجِبَ القوم من نجابتهِ ، على غرابتهِ . وقـالوا : لله درُّك لقد فتَنْتَ ، بمـا أَبَنْتَ ، فمن وممَّن أَنت ؟ قال : أَنا عمرو بنُ عامرة ، من الأحامِرة . قـد أهلكَ الدهرُ لي كلّ خَضراء وغَضْراء ، حتى أَلقتني إليكم الغَبراءُ[7] . قالوا: إننا قد ذَهَلْنا بعُجمتِكَ، عن حِكمتِك،فلم نَقُم بحُرمتك. والآن قد عرفنا ما اجترأْنا[8] ، واعترفنا بأَننا قد أسأْنا ، فلا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأْنا. ثم أقبلوا عليه إقبالَ الطِّفل على الرَّضاع ، وقالوا: كلُّ علمٍ ليس في القِرطاس ضاع[9].قال سهيلٌ:فأَومأَ برأسهِ إليَّ، وقال:خُذ يراعَكَ يا بُنيَّ ، وشرع يُملي عليَّ . فلما فرغ منحوهُ من الشِّياهِ ما تيسَّر ، وقالوا : صلِّ لربِّكَ وانحَر . فانقلب مغتبطاً بالحِباء ، وهو يدعو للخُطباء .

١ الورقاء : الحمامة . والقمري : نوع من الحمام .
٢ الهاجة : الضفدعة .
٣ الأفعى : الحية . وهو مذكر على وزن أفعل لا فعلى .
٤ الجرهمي : نسبة إلى جرهم من أجداد العرب الأولين .
٥ هو قول أبي النصر إسماعيل بن حماد الجوهري صاحب كتاب الصحاح ، قيل إنه تردد في أحياء العرب زماناً طويلا حتى جمع اللغة في كتابه ثم دفعه إليهم وقال : خذوا لغتكم من رجل أعجمي . قال ذلك لأنه كان تركياً من فاراب .
٦ الأحامرة : قوم من العجم رحلوا من بلادهم وسكنوا بالكوفة. خضراء : شجرة . غضراء : خصب العيش .
٧ الغبراء : الأرض .
٨ أي عرفنا تجاسرنا عليك .
٩ هذا شطر بيت لبعضهم ، والشطر الآخر : كل سر جاوز الاثنين شاع .

المقـــامة الثانية والاربعون

وتعرف بالمضرية

أخبرَ سهيلُ بنُ عبّادٍ قال: طرحتني مفاوز الغبراء، إلى حواضر[1] مُضرِ الحمراءِ[2]. فكنتُ أطوفُها صَباحَ مَساءٍ، وأتفقَّد محافل الرجال والنساء. وأنا أسمع المأنوس والغريب، وأتفكَّهُ بالغَزَل والنسيب[3]. حتى جمعتُ ما استطَعت من لُغاتهم الجاهليَّة، وسمعتُ ما شاء الله من أشعارهم الهَوثريَّة والهَوجليَّة. فبينما دخلت يوماً إلى بعض الأحياء، وقد مَسَّني لُغوبُ الإعياء.[4] إذا شيخٌ طويل النِّجاد، مُزَمَّلٌ بِبِجاد. قد قام على كُثيب، مقام الخطيب.[5] فغَمَضَ عنّي توسُّمُهُ، وجَعَلت عيني تعجمُهُ. حتى ادَّكرتُ بعد أمَّة،[6] أنه الخزاميُّ باقعة الأُمَّة، وشيخ الأَيِمَّة. فاحتفزت للنهوض إليه مُلتاعاً،[7] وقد أوشك فؤادي أن يطير شَعاعاً. فنهاني بإيماض طَرْفِهِ، وأشار إلى[8] القوم بكفِّه. وقال: الحمدُ لله العليِّ الكبير، الذي أمَر بفكِّ الأسير، وجبرِ

---

١ حواضر: جمع حاضر وهو الحي العظيم.

٢ هو مضر بن نزار بن معد بن عدنان، أعطي الذهب من تركة أبيه فقيل له مضر الحمراء.

٣ الغزل والنسيب: وصف النساء بالمحاسن تصبباً.

٤ الأشعار الهوثرية والهوجلية: الأشعار الجيدة والرديئة. الإعياء: أشد التعب.

٥ النجاد: حمائل السيف، يكنون بطوله عن طول القامة. مزمل: ملتف. بجاد: كساء مخطط.

٦ توسمه: تفقد علاماته ليعرف بها. تعجمه: من عجم العود وهو عضه لتعرف شجرته. أمة: حين.

٧ الباقعة: الرجل الداهية. احتفزت: تهيأت. ملتاعاً: من اللوعة وهي حرقة في القلب من الحب أو غيره.

٨ شعاعاً: متفرقاً. بإيماض طرفه: بإشارة عينه.

الكبير ، وكلُّ ذلك يسيرٌ عليهِ غير عسير . أما بعدُ يا عشائر البشائر ، وبشائر العشائر . فإنكم مَعاذُ اللاجي ، ومَلاذُ الراجي . ومَوردُ الصادي ، ومَوعِد [1] الرائح والغادي . وبكم يُشَدُّ الأزْر ، ويُمَدُّ الجَزْر . وبعدلكم يُوثق [2] الجاني ، وبفضلكم يُطلَقُ العاني . وإنَّ لي سَبِيَّةً من ربَّات الحجال ، قد [3] سباها بعضُ زعانف الرجال . وهي بِكرٌ رقيقة القَوام ، كأنها ورد الكِمام ، [4] لها نَكهةُ [5] الخزام ، وصفاءُ ماءِ الغَمام ، وبهجَةُ بدر التمام . تفتِنُ العقول والألباب ، وتستعبد السادة والأرباب . وهي عذبةُ المراشف ، لدنةُ المعاطف . [6] باردةُ الرُّضاب ، مقصورةٌ وراءَ الحجاب . تَسفِر عن مثل السَّحَر ، وتفترُّ [7] عن مثل الدُّرَر [8] ، وتسُرُّ القلب والنظر . قد اعتقلها هذا الظلوم ، على فِداءٍ معلوم . وقد طال عنده عَناؤُها [9] ، وعزَّ عليَّ فِداؤُها . وأخاف أن يُدركها الفساد ، إذا طال عليها التماد . فهل من ابنِ حُرَّة ، يُسعِفُني على استخلاص [10] هذه الدُّرَّة ، ويَدرأُ عني هذه الفجعة المرَّة ! فرثى لهُ من حضَر ، من سَراة [11]

---

١ الصادي : العطشان . موعد : ما يعد نفسه به .

٢ الرائح : الذاهب مساء . الغادي : الذاهب بكرة . شددت أزري : تقويت . الجزر : من جزر الموج وهو انقباضه .

٣ الجاني : المذنب . العاني : الأسير . سبية : جارية مسبية . والسبية من أسماء الخمرة وهو المراد هنا . الحجال : الستور .

٤ سباها : يقال سبى الخمر أي حملها من بلد إلى بلد . زعانف الرجال : أي بعض أوباش الرجال . والمراد به الخماز . الكمام : جمع كم وهو غلاف الزهرة .

٥ النكهة : رائحة النفس .

٦ وتستعبد السادة والأرباب : أي بغلبة عادتها عليهم . لدنة : لينة . المعاطف : الجوانب .

٧ الرضاب : الريق . مقصورة : محبوسة . وراء الحجاب : يريد به الإناء الذي توضع فيه . تسفر : تكشف وجهها . تفتر : تبتسم .

٨ يريد الحباب الذي يطفو على وجه الكأس .

٩ فداء معلوم : يريد به الثمن . عناؤها : أسرها .

١٠ أن يدركها الفساد : أي أن تصير خلا . التماد : أي التمادي .

١١ يدرأ : يدفع . الفجعة : البلية . سراة : أشراف .

مُضَر. وحصَبهُ كلٌّ واحدٍ بدينار، وقالوا: بَدارِ بَدار، إلى كشف هذا[1] العار! فحمِدَ وشكَرَ، وابتدر السَّفر، على الأثر. قال سهيلٌ: فلما فصل الشيخ إلى العَراء، قفَوتهُ[2] من وراءُ وراءُ. فأخذ يدخل من القاصِعاء، ويخرج من النافقاء. حتى انتهى إلى حانة، أطيبَ من رَيحانة. وجلس بين[3] البواطي[4]، وأخذ في التعاطي. فدخلت عليهِ بنفسٍ أبِيَّة، وقلت: أين هذه السبيَّة؟ فقد أشفَقتُ أن تكون الصبيَّة. فأشار إلى دستجة من الراح، وقال:[5] هي هذه الخَود الرَّداح، التي تُفدى بالأرواح. فإن كنتَ من جُلُوسِ[6] الحضرة، فهذا الماءُ والخُضرة. وإلاَّ فإيَّاكَ الدُّخول، في الفُضول، ثم أنشأ[7] يقول:

ما لسُهَيلٍ؟ قد أراهُ عاتبا يظنُّني في ما ادَّعيتُ كاذبا!
راجِعْ بما وصفتُ فِكراً ثاقبا، تَجِدْ مقالي في الصِّفاتِ صائبا[8]
لا تحسَبِ الخمرَ جَماداً ذائبا بل هِيَ روحٌ فهيَ تحيي الشاربا
أودَعَها الخمَّارُ سِجناً لازبا ولم يزَل يَرُدُّ عنها الطالبا[9]

---

١ حصبه: رماه. بدار بدار: اسم فعل من المبادرة أي الإسراع.

٢ العراء: الفضاء الخالي. قفوته: تبعته.

٣ القاصعاء: السرب الذي يدخل اليربوع منه. والنافقاء: الذي يخرج منه. أي أخذ يدخل من مكان خفي ويخرج من آخر. ريحانة: واحدة الريحان وهو النبات الطيب الرائحة.

٤ البواطي: آنية للخمر.

٥ أشفقت: خفت. الصبية: أي ابنته ليلى. دستجة: زجاجة. الراح: الخمر.

٦ الخود: المرأة الحسنة. الرداح: السمينة.

٧ الماء والخضرة: أشار إلى قول الشاعر:

ثلاثة تنفي عن القلب الحزن الماء والخضرة والشكل الحسن

لما جعل الخمرة امرأة حسنة أشار إلى ما ينبغي أن يضم إليها وهو الماء والخضرة لأنها قد جاءت بالشكل الحسن. الدخول في الفضول: التعرض لما لا يعنيك.

٨ أي بالصفات التي وصفت السبية بها. ثاقباً: حاذقاً.

٩ سجناً: يعني الخابية ونحوها. لازباً: لازماً ثابتاً.

حتى ينـالَ منهُ حقّاً واجبـا وقـد أتيتُ فربضتُ جانبـا [1]
إذ لم يكن ليَ النُّضـارُ صاحبـا فقمتُ أعـدو في الطريق ذاهبا [2]
إلى حِمى القومِ فقمتُ خاطبـا ونِلتُ من كِرامِهم مواهبـا
إن لم تكن حـقّ فِداءٍ راتبـا فهْيَ جَزاءُ مدحهم ، لا سالبا [3]
أخـذتها أو سارقاً أو ناهبـا ، وعن قليـل ستراني تائبـــا
فيَصفَـحُ الرحمنُ عني تائبـا ، يمحو الذي كان علـيّ كاتبا [4]

قال : فسكرت من حَولهِ في احتيالهِ ، وغَولهِ في اغتيالهِ . وابتدرت [5] التسليم عليهِ ، والتسليم إليهِ [6] . فقابلني بوجهٍ طَلِقٍ ، وحيّاني بلسانٍ مَلِقٍ. وقال : أعطِ أخاك تمرة ، فإن أبى فجمرة [7] . ثم قال : يا بنيّ قد ورد النّهي عن الخمر صِرفاً ، وأنا أشربها بالماءِ فلا يُنكَرُ ذلك شرعاً ولا عُرفاً [8]. فاشرب من يميني ، إن كنتَ على يقيني ، وإلاّ فلكم دينكم ولي ديني. فجاريته [9] خوفاً من شرّ شيطانهِ الرجيم ، وقرأتُ : «فمنِ اضطُرّ غيرَ باغٍ ولا عادٍ فإنّ الله [10] غفورٌ رحيم». وبتُّ معهُ ليلةً أصفى من الزُّلال ، وأرقّ من السِّحر الحلال . [11]

---

١ حقاً واجباً : أي الثمن .
٢ النضار : الذهب أو الفضة .
٣ الراتب : الثابت . والمراد أن هذه المواهب إن لم تكن على سبيل الفداء فهي جائزة المديح الذي مدحتهم به . لا سالباً : حال مقدمة على عاملها وهو قوله أخذتها في صدر البيت الثاني .
٤ تائباً : راجعاً عن سخطه .
٥ حوله : قدرته . غوله : سلبه العقول . اغتياله : أخذه الناس بالمكر .
٦ التسليم إليه : تفويض الأمر .
٧ مثل معناه أن تأخذ صاحبك بالحسنى أولا ، فإن أبى فخذه بالعنف .
٨ عرفاً : اصطلاحاً . وهو اعتذار من باب التمويه والرقاعة .
٩ جاريته : جريت معه أي شاركته في الشرب .
١٠ اضطر : اغتصب . عاد : ظالم .
١١ الزلال : الماء العذب . السحر الحلال : ما يعمل بالصناعة اللطيفة .

حتى إذا أصبحنا نهض عن الوسادة ، وقال : اكتب يا أبا عُبادة :

أَبلِغْ سَراة مُضَر ثنائي يوماً على تلك اليدِ البيضاء [1]
مَن شكّ في سَبيّتي العذراء فإنهـا سَبيّةُ الصهباء [2]
شَربتُها حمراءَ كالدّماء فـلا تَسؤكم هِبَةُ الفِداء
عفواً فأنتم مُضَرُ الحمراء [3]

ثم ختم الصحيفة واستودَعَها الحمّار ، وقال : خذها مغَلغَلةً إلى أحياء [4] مُضَرَ بنِ نِزار ، وودّعنا جميعاً وسار . فانقلبتُ إلى حيثُ أتيت ، وكان ذلك من أعجبِ ما رأيت .

---

١ اليد البيضاء : النعمة .

٢ الصهباء : الخمر .

٣ العفو : ما يفضل عن النفقة .

٤ خذها مغلغلة : الرسالة .

المقـامة الثالثة والاربعون

وتعرف بالبحرية

قـال سُهيلُ بنُ عبَّادٍ : شهِدتُ وأبا ليلى عيد النحر ، في بعض أرياف [1] البحر . وكان ذلك المشهدُ الميمون ، حافلاً كالفُلْك المشحون[2] . والناس قد برزوا أفواجـاً ، وانتشروا أفراداً وأزواجـاً . حتى إذا سكن اللَّجَب ، [3] وتميَّز اللُّبابُ من النجَب . جلس المتأدِّبون منهم على أديم ذلـك التراب ، [4] وأخذوا يتذاكرون في حقائق العربية ودقائق الإعراب . حتى إذا أوغلوا في تلك اللُّجَج ، وأمعنوا في البراهين والحُجَج . طلَع شيخٌ أعمَشُ العين ، [5] أعنَشُ اليدين . فمسح بيديه أطراف السِّبال، وأشار إلى القوم وقال : الحمدُ[6] لله الذي جعل العربيَّة أفصح اللُّغات ، وجمع فيها أُصول البراعات ، وفُصول البلاغات . أمَّا بعدُ فاعلموا يا غُرَّةَ أهل المـدَر ، وقُرَّةَ أهل الوَبَر[7] . أن هذه اللغة المُستحسَنة ، فريدة عِقدِ الألسِنة . وهي خلاصة الذهب الإبريز ،[8] التي بها ورد الكِتاب العزيز . ولهـا الفنون العجيبة ، والشُّجُون الغريبة .[9]

١ النحر : الضحية . أرياف : جمع ريف وهو الأرض المخصبة .
٢ حافلا كالفلك المشحون : ممتلئاً كالسفينة الموسوقة .
٣ اللجب : اختلاط الأصوات .
٤ النجب : القشر . أديم : وجه .
٥ أعمش : ضعيف البصر مع سيلان في دموعه .
٦ أعنش : له ست أصابع . السبال : الشوارب .
٧ أهل المدر : سكان القرى . أهل الوبر : سكان البراري .
٨ الفريدة : الدرة الكبيرة في القلادة . خلاصة : صفوة . الإبريز : الخالص .
٩ الكتاب العزيز : القرآن . الشجون : الطرق .

والألفاظ القائمة بين الجَزْلِ[1] والرقيق، والاختصارُ المؤدّي إلى المراد من أقرب طريق . وفيها الاستعاراتُ والكِنايات، والنوادرُ والآيات . والبديع[2] الذي هو حلاوتها وحِلاها ، والشِّعرُ الذي لا نظيرَ لهُ في سِواها[3]. فضلًا عمّا بها من الحدُودِ والروابط ، والقيودِ والضوابط . والإعراب الذي يقود المعاني بزِمام، ويرفع الإبهام، عن الأوهام . وإني لأرى الناس قد نقضوا ذِمامها ، [4] وقوّضوا خِيامَها ، ورفضوا أحكامَها . فضاعَ مفتاحُها ، وانطفأ مِصباحُها، وتكسّرت صِحاحُها [5] . حتى لم تبقَ لها حُرمةٌ ولا شان ، ولم يبقَ من يتصرّفُ بها من أهل هذا الزمان . فصارَ عندهم الناحي، كاللاحي . والشاعر،[6] كبعض الأباعر . وعالم اللغة ، أحمقَ من دُغة[7] . ولقد ساءَني ما فعلَت بها الأيام ، حتى بكيتُ على أطلالها التي عفاها عَصْفُ السَّهام[8]، ولا بُكاءَ عُروةَ ابن حِزام[9] . فحافظوا على درس طُروسها ، وجاهدوا في سبيل إحيائها بعد دُروسها. فإنها الدُّرّة اليتيمة، والحُرّة الكريمة. واللهجةُ التي لم ينطِق اللسان[10]،

١ الجزل : الضخم .

٢ البديع : هو العلم الذي تعرف به وجوه تحسين الكلام .

٣ ذلك باعتبار ما فيه من أصول الأبحر وفروعها .

٤ يرفع الإبهام عن الأوهام : أي يجعل المعاني خاضعة له كما إذا قلت من يكرمني أكرمه . فإن رفعت الفعلين جعلت من موصولة ، وإن جزمتّها جعلتّها شرطية ، وإن رفعت الأول وجزمت الثاني جعلتّها استفهامية . ذمامها : عهدها .

٥ ذكر هذه الأسماء من باب التوجيه البديعي . فإن المفتاح كتاب في فنون العربية . والمصباح كتاب في النحو . والصحاح كتاب في متن اللغة .

٦ اللاحي : الشاتم .

٧ دغة : هي مارية بنت ربيعة بن سعد من بني عجل بن لجيم كانت أحمق النساء .

٨ أطلالها : رسوم ديارها . عفاها : محاها . عصف السهام : حر السموم وهي الريح الحارة .

٩ هو عروة بن حزام العذري ، كان يهوى ابنة عمه عفراء ، فخرج إلى اليمن في تحصيل مهرها فأتى بمال كثير ومائة من الإبل فوجدها قد تزوجت برجل من الشام . فزارها وبكى كلاهما بكاء شديداً ثم انصرف وهو يبكي فأصابه غشي وخفقان فمات قبل وصوله إلى الحي .

١٠ دروسها : تلاشيها . الدرة اليتيمة : التي لا نظير لها .

بمثلها ، والمطيّةُ التي لا تذلُّ إلاّ لأهلها . وعليَّ أن أنتصب لإفادتكم ما أبقى الدهرُ لي رَمَقاً ، ولا أخاف بَخساً ولا رَهَقاً . قال : فلما فرغَ من[1] خُطبتهِ ، ونزل عن مَسطبتهِ[2] . تلقّاهُ الخزاميُّ بثغرٍ باسم ، وحيّاهُ كعادة المواسم . وقال : يا مولايَ ما أنا لديكَ بمن يُساجل[3] ، فأين الفارسُ من الراجل ، والقناةُ من الزاجل ! ولكنني رأيتُك ابنَ بَجْدَتها،ورَبَّ نجدَتها.[4] فأردت أن أستفيدَكَ عما يُفيدُكَ الثواب ، إن مننتَ بالجواب. قال: سَلْ ، ولا تُبَلْ . فقال : كيف يمنع التصغيرُ عمَلَ الصّفة ، ولا يصرف الأسماءَ[5] الغير المنصرفة ؟ ولماذا لا تمنع العَلَمِيّة والوصف ، وهما الرُّكنُ في موانع الصرف ؟ وكيف تُبنَى أيُّ في نحو أيُّهُمُ أشدُّ ، ولا تُبنى في نحو أيّهم يُرَدُّ ؟ ولماذا لا يُباح في العَلَم دخول اللام،فإذا ثُنّيَ أو جُمِع دخَلَت بِسَلام ؟ ولماذا تسقط نون الإعراب كالتنوين من المضاف ، وتثبُتُ في غيره على الخِلاف ؟ ولماذا يجوز الإخبار بالأعلام،مع أنّ من شرطهِ الإبهام؟ وبماذا يتعيَّن البَدَلُ أو البَيان ، في نحو قام أخوكَ عثمان؟وكيف يُتبع اللفظ في نحو يا زيدُ الصابر ، ولا يُتبَع في نحو مضى أمسِ الدابر ؟ وكيف يُكسَر الساكن في القوافي ، ولا ساكنَ بعدهُ يُوافي ؟ وكيف يصيرُ الجائي ، إلى مِثال الرائي ؟ ولماذا يتغيّر الفعلُ المُسنَد إلى الضمير المتّصل ، بخلاف الظاهر والمنفصل ؟ وإلى كم ينتهي عدَدُ الضمائر ، عند أُولي البصائر؟ قال : فلما سمع الشيخ هذه الأسئلة ، قال : إنها لمِنَ المسائل المُشكِلة ! فإن كان لك في ذلك من يد ، فقد أجّلتك إلى الغد . قال : بل لا أعدو الساعة،إن تبرّأتَ[6]

---

١ الرمق : بقية الروح . رهقاً : تنقيص حق أو ظلماً .

٢ المسطبة : مقعد مرتفع .

٣ يساجل : يباري ويفاخر .

٤ القناة : الرمح . الزاجل : عود صغير يربط في طرف الخيط الذي يشد به الظرف . ابن بجدتها : دخيلة أمرها . وهو مثل يضرب في العالم بالشيء . نجدتها : قوتها وشدتها .

٥ لا تبل : أي لا تبال .

٦ يد : قدرة . أجلتك : أمهلتك .

من الصناعة ، بمَشهَد الجماعة . وأخذ يَفُضُّ أغلاقَ خِتامِها ، حتى أتى عليها بتمامِها ، وقال: قد رأيتم من يملِكُ زِمامَها ، ويرفعُ أعلامَها ، فدَعوا أحاديث طَسمٍ[1] وأحلامَها . فاستغزروا عارض سَيلِه ، وتعلّقوا بِرُدنِه وذَيلِه . فقال: إن لي أسيراً أسعى في فِدائهِ ، قبل أن يهلِكَ في عَنائهِ[2] بدائهِ . فليُنفِق ذو سَعَةٍ من سَعَتِه ، وكلٌّ يَعملُ على شاكلته. فأولج كلُّ واحدٍ يدهُ في هِمْيانه،[3] وأخرج لهُ ما شاءَ الله من لُجَينِه وعِقيانِه[4] . فانثنى بعدَما ودَّعَ ، وهو قد أثنى فأبدَعَ . حتى إذا ولّى قَذالَهُ ، ورَجَوتُ ابتذالَهُ . حُلْتُ دونَ[5] مَسيرِه . أو يُعرِّفَني بأسيرِه . فقال : يا بُنيَّ قد شربتُ في حان[6] سُوَيد بن الأضبَط ، فاسترهنَ مني البَرْبَط. وهو رَيحان نفسي ، ورَيْعان أُنسي. فإن[7] شئتَ أن تصحَبَني إلى العَقَبة[8] ، وتشرَكَني في تحرير رَقَبة . وإلاّ فاذهب بالسلامة ، ولا ملامة . قلتُ : لا جَرَمَ أن تقرير الرِّق[9] ، خيرٌ من تحرير البَرْبَط والزِّق[10] . وانثنيت عنهُ فوراً ، وأنا أمدحهُ تارةً وألومهُ طَوراً.

---

١ طسم : اسم قبيلة من العرب البائدة هلكت قديماً ودثرت أخبارها .

٢ عنائه : أسره .

٣ شاكلته : طريقته وجهته . أولج : أدخل . هميانه : كيس نفقته .

٤ لجينه : فضته . عقيانه : ذهبه .

٥ قذاله : قفاه . رجوت ابتذاله : أي رجوت أن يستأمن فيبوح لي بما عنده . حلت : اعترضت .

٦ حان : بيت الخمر .

٧ سويد بن الأضبط : اسم رجل خمار . البربط : آلة الطرب . ريعان : معظم .

٨ العقبة : مكان الخمار .

٩ تقرير الرق : تمكين العبودية .

١٠ الزق : إناء للخمر من جلد .

المقـــامة الرابعة والاربعون

وتعرف بالحلية

حكى سُهيلُ بنُ عبَّادٍ قال : نزلتُ بِحِلَّة ، في ديار الحَلَّة . فلقيت[1] بها شيخنا أبا ليلى ، يسحبُ في أكنافها ذيلًا ، ويخطِرُ مَيلًا . فابتهجتُ بهِ[2] ابتهاج المحبّ بزيارة الحبيب ، أو المريض بعيادة الطبيب . وانضَوَيت[3] هناك إلى حِرزهِ ، وشددتُ يَديّ بغَرْزهِ . ولبِثتُ في صُحبتهِ بُرهَــة ، أجِدُ[4] من حديثهِ أطربَ نُزْهة ، وأطيبَ نَكْهة . حتى إذا كان يومُ الأضحَى ،[5] استوى على فرسٍ أَضحَى ، وقال :هَلمَّ نتَضَحَّى . فخرجنا نطِسُ المراكِل،[6] بين تلك الشواكل. وما زِلنا نتخلّلُ القِباب، ونتخطَّى اللّحاءَ إلى اللُّباب.[7] حتى مررنا بقوم من العلماء ، قد تألَّفوا تألُّفَ الخَنْدَريس[8] بالماء. فدخلنا عليهم دخولَ المفاجي ، وإذا هم يتداوَلونَ المُعَمَّياتِ والأحاجي . فقال[9]

---

١ حلة ، بكسر الحاء : منزلة . الحلة ، بفتحها : مدينة على غربي الفرات .

٢ أبو ليلى : ميمون بن خزام . أكنافها : جوانبها . يخطر : يردد يديه في مشيه .

٣ انضويت : انضممت .

٤ حرزه : وقايته . شددت يدي بغرزه : تمسكت به .

٥ الأضحى : عيد الضحية .

٦ فرس أضحى : أشهب . نتضحى : نتدفىء بالشمس . نطس : نضرب ضرباً شديداً المراكل : خواصر الخيل .

٧ الشواكل : الطرق المتشعبة من الطريق الأعظم . نتخطى : نتجاوز . اللحاء : القشر كناية عن أوباش الناس .

٨ الخندريس : الخمر .

٩ المعميات : جمع معمى وهو أن يدمج الشاعر في أثناء نظمه اسماً مبهماً ثم يشير إلى طريقة استخراجه إشارة خفية بحيث لا يشعر السامع بما فيه من التعمية . والأحاجي : جمع أحجية وهي أن يؤتى بكلام مركب يرادفه لفظ بسيط مستقل بمعنى آخر .

الشيخ : ما الذي أنتم فيه ؟ لعلّنا نقتفيه . فأعرضوا عنهُ بوجوهٍ باسرة [1]، وقالوا : إنها لصَفْقةٌ خاسرة . فمن أنتَ يا مَن يركبُ في غير صَهْوته [2]، ويشربُ من غير ضَهوَتهِ ؟قال: أنا الرَّقْمَع بنُ أصمَع ، من بني السَّمَعْمَع . [3] ومن أنتم يا من يأبهون للنَّسَب ، ويعمَهون عن الحسَب ؟ فذُعروا لجوابه، [4] وشَمَروا بصَوابهِ . وقالوا : تَحْسَبُها حمقاء وهيَ باخس [5] ، فلا بُدَّ بيننا من حرب داحس [6] . فنظر إليهم نظرة البازي ، وصال عليهم صولة الغازي . وقال : أمّا إن كان قد غرّكم الهُزال ، حتى دَعَوتم نَزال. فلأُرِيَنَّكُم لحاً [7] باصراً ، وفتحاً ناصراً . ثم تَخازَرَ كالأرْمَد ، وأنشد مُعمّياً في محمّد : [8]

علـى من لا أُسَمّيهِ سَلامٌ ، وإن ضاعت تحيّتنـا لديهِ
مليحٌ لا أرى لي فيـه حظّاً ، وفي قلـبي دمٌ من مُقلتَيهِ [9]

ثم أدْلَم شفَتيه كالعنْبُليّ ، وأنشد مُعَمّياً في عليّ [10] :

ما لي أنادي يا عليُّ ولا تُلبّي يا علي ؟

---

١ باسرة : عابسة .

٢ الصهوة : مقعد الفارس من السرج .

٣ الضهوة : بركة الماء . أنا الرقمع بن أصمع من بني السمعمع : كل هذه النسبة تمويه عليهم وبهتان .

٤ يأبهون : يفطنون . يعمهون : يذهلون . الحسب : ما ينشئه الرجل لنفسه من المفاخر .

٥ مثل أصله أن رجلا من بني العنبر جاورته امرأة ذات مال ، فلما نظر إليها حسبها حمقاء لا تعقل فحاول أن يأخذ شيئاً من مالها وكان أن نازعته حتّى أخذت شيئاً من ماله .

٦ مثل يضرب لشدة الحرب . وداحس هو فرس قيس بن زهير العبسي الذي وقعت الحرب بسببه بين بني عبس وفزارة .

٧ الهزال : الضعف . نزال : اسم فعل يدعى به إلى الحرب .

٨ لحاً باصراً : أمراً شديداً . تخازر : ضيق جفنيه .

٩ أراد بقوله : لا أرى لي فيه ، سقوط اللام والياء من مليح فيبقى منه الميم والحاء . وبقوله بعد ذلك : وفي قلبي دم مقلوب دم ، وهو الميم والدال ، فيحصل المطلوب .

١٠ أدلم : أرخى . العنبلي : الزنجي الغليظ .

للناس نفعُكَ مُبصِرا ،   وإذا عَميتَ فأنت لي[1]

ثم اشرَأبَّ كتليع الظّلمان ، وأنشد مُعَمّياً في عُثمان :[2]

ماذا تُرَى أصنَعُ في حُسَّدٍ   قد حجبوا عني بديعَ الزمان ؟[3]

لهم عُيونٌ راصداتٌ لنـــا   إذا بَدَتْ عـينٌ تَلاها ثَمان[4]

ثم قال : اللهمَّ اهدِنا سَواء السبيل ، وأنشد مُحاجياً في سَلْسَبيل :[5]

يا لَوْذَعِيّاً نراهُ   بكلّ فنٍّ خليقـا[6]

ما رِدْفُ قولِ المحاجي   إن قال: أُطلبْ طريقا؟[7]

ثم قال : دونكم أيها الصعافيق[8] ، وأنشد محاجياً في أباريق :

يا من إذا جاءهُ المحاجي   أصابَ في كلّ ما أجـابا

مـاذا تُراهُ يكون رِدفـاً   لقولهِ لم يُرِدْ رُضـابا ؟[9]

ثم اندفع كحَجرٍ من سِجّيل ، وأنشد محاجياً في نارَجيل :[10]

ألا يا مَن أحاجيهِ   أدارت خمرةَ الكاسِ[11]

---

١ أراد بالعمى ذهاب العين من علي فتبقى اللام والياء المعبر عنهما بقوله لي ، وهو الدليل على المطلوب .

٢ اشرأب : مد عنقه . التليع : الطويل العنق . الظلمان : ذكور النعام .

٣ بديع الزمان : صفة للحبيب ، وهو لقب للشيخ الهمذاني صاحب المقامات المعروفة باسمه .

٤ أراد بقوله إذا بدت عين : الإتيان بحرف العين ابتداء . وبقوله تلاها ثمان : الإتيان بعدها بأحرف ثمان فيحصل المطلوب .

٥ السلسبيل : من أسماء الخمر .

٦ لوذعياً : جيد الذهن . خليقاً : جديراً .

٧ المراد بردف أطلب : سل ، وبردف طريق : سبيل ، فيحصل المطلوب .

٨ الصعافيق : الذين يحضرون السوق بلا مال فإذا اشترى التجار شيئاً دخلوا معهم فيه .

٩ المراد بردف لم يرد : أبى ، وبردف رضاب : ريق ، فيحصل المطلوب .

١٠ سجيل : طين متحجر . نارجيل : جوز الهند .

١١ أي أنها تسكر كالخمرة .

أبِنْ لي ما يُرادِفُهُ لَظَى صِنفٍ من الناس [1]

قال : فلما فرغ من مُعَمَّياتِهِ وأحاجيه ، جعل القومُ يَخبِطون في دياجيه . وقالوا : شهد الله أنك لأَعذَبُ من القَنْد، وأوسع من هِنْدَمَنْد. [2] فأَنَّ أنينَ الثَّكلى ، ورفع طَرْفَهُ إلى الأُفُق الأعلى . وقال : اللهمَّ فاطرَ [3] السَّموات ، ومجيبَ الدَّعوات . ارفع مَنارَ العِلمِ وآلِه ، وأَغنِني عن مِنَّة العبد وسُؤاله . وارزُقني عِمامةً مُضرَّجة ، وحُلَّةً مُدبَّجة . حتى إذا دخلت [4] على عِبادكَ يَعرِفونَ قَدْري ، ويعظِّمونَ أمري . ثم اغرَوْرَقَت عيناهُ بالعَبَرات ، وحَشْرَجَت أنفاسهُ بالزَّفَرات . فأُعجِبَ القومُ بسلامة فِطرته ، [5] وخَشعوا لمذَلَّة هَطْرَته . وقالوا : هذه عِمامةٌ فاعتذِق ، وحُلَّةٌ فالبَس [6] وانتَطِق . فشكرَ وأثنى ، على تلك الحُسنى ، وانثَنى يتثنى ، وهو يتغنَّى . وأنشد : [7]

يا طَرَبا لقد شُفِيَتُ الغُلَّه بحُلَّةٍ زهراءَ تشفي العِلَّه [8]

فحُلَّةٌ في حِلَّةٍ في حَلَّه [9]

ثم انطلقَ بي الى وكنةٍ أحرَجَ من الجَفْن ، وأحضَر ما تَسَنَّى من [10] خُبزه اللَّدْن، وطَعامِه الكَفْن. وقال: إنما الطعامُ للغذاء، فليأتِنا الطاهي [11] بما شاءَ . وقطعتُ معهُ تلك الليلة بالسَّماع ، فكانت ليلةَ الوَداع .

---

١ المراد يردف لظى : نار ، ويردف صنف من الناس : جيل ، فيحصل المطلوب .

٢ دياجيه : ظلماته . القند : السكر . هندمند : نهر بسجستان .

٣ الأفق : ما ظهر من نواحي الفلك . فاطر : خالق .

٤ مضرجة : حمراء مزينة . مدبجة : منقوشة .

٥ حشرجت : ترددت . فطرته : جبلته .

٦ الهطرة : تذلل الفقير للغني إذا سأله . كنى بها عن دعائه . يقال : اعتذق الرجل إذا أرخى لعمامته عذبتين من خلف .

٧ انتطق : من المنطقة وهي ما يشد به الوسط . انثنى : رجع . يتثنى : يتمايل .

٨ يا طَربا : الألف بدل من ياء المتكلم أي يا طربي . شفيت : أرويت . الغلة : العطش .

٩ حلة ، بالضم: ثوب . حلة ، بالكسر : منزلة . الحلة ، بالفتح: المدينة .

١٠ وكنة : عش . أحرج : أضيق . الجفن : غمد السيف . تسنى : تهيأ .

١١ اللدن : الردي الخبازة . الكفن : الذي لا ملح فيه . الطاهي : الطباخ .

المقــامة الخامسة والاربعون

وتعرف بالفراتية

حدَّث سهيلُ بنُ عبَّادٍ قال: نزَلنا بشاطىء الفُرات، في إحدى السَّفَرات. فراقَنا ما هناك من المياه الخَصِرة، والخمائل النَّضِرة[1]. ولبثنا أيَّاماً نتنقَّل في تلك المُروج، كما تتنقَّل الكواكبُ في البروج. ونجتلي مُفاكهة السَّمَر[2]، كما نجتني فاكهة الثَّمَر. ونتوسَّدُ كلَّ قِضَّة[3]، أنقى من الفِضَّة. ونرِدُ كلَّ سبيل، أعذب من السَّلْسَبيل[4]. حتى إذا أزِف الترحال، وشُدَّت الرِّحال. قيل: قد فاحَ نشر الخزام، على الأنام. فنظرتُ وإذا شيخنا الميمون، والناسُ إليه يَهيمون، وعليه يحومون. فنفرتُ إليه نفرةَ الرِّيم، في ثنايا الصَّريم[5]، وقلت: هذا الحجرُ الكريم، فكيفَ نريم؟ فنَقَضْنا غزْلنا أنكاثاً، وعُدنا[6] فأقمنا ثلاثاً. قال: وكان في الرَّكب شيخٌ غضِرُ الناصية، من عاربة البادية[7]. فالتقى الشيخُ بالشيخ، كما يلتقي سَمْهَرٌ بفُريخ. وطَفِقا يتساقطانِ الحديث[8]،

1 راقنا: أعجبنا. الخصرة: الشديدة البرد.

2 المفاكهة: المباسطة في الكلام. والسمر: حديث الليل.

3 قضة: حصى صغيرة.

4 السلسبيل: الخمر.

5 يهيمون: يذهبون على وجوههم. الريم: الغزال الأبيض وهو يسكن الرمال. ثنايا: تلال. الصريم: الرمل المنقطع.

6 نريم: نبرح. نقضنا: حللنا. أنكاثاً: جمع نكث وهو ما نقض من الخيوط ليغزل ثانية.

7 غضر الناصية: مبارك. من عاربة البادية: أي من العرب العاربة في البادية.

8 فالتقى الشيخ بالشيخ أي الشيخ ميمون بالشيخ الأعرابي. سمهر: رجل كان يقوم الرماح. فريخ: رجل كان يبري النبال. يتساقطان: يسكت الواحد منهما حتى يتكلم الآخر.

ويتلاقطانِ الشتيت منه والأثيث. حتى رَكبا متن اللغة، وأحاطا بهِ كالحلْقة[1] المُفرَغة. فتغافل الخزاميُّ كأنهُ واسطيٌّ، حتى طمِعَ ذلك الشيخ الناعطيّ.[2] فألقى إليه شيئاً من المسائل الدِّقاق، وتمادى المِراءُ[3] بينهما حتى أفضى إلى الشِّقاق. فاهتزَّ أبو ليلى كالخليع الماجن، وقال: قبل الرِّماء تُملأُ الكنائن.[4] إن كنتَ من ذوي الحَصافة[5] الضابطة، فما عندك من الألفاظ التي تَنتابُها الظاءُ القائمة والضادُ الساقطة[6]؟ فأطرَقَ برأسهِ مليّاً، وأمعَنَ النظر جليّاً. ثم قال: أراك قد أبعدت الخُطَط، وركبت الشَّطط. فإن كنتَ ممَّن[7] يُبرِزُ المِعصَم، لا لتماس الغُراب الأعصَم. فأفِض علينا من رَوائك، ونحن[8] تحتَ لِوائك. فلم يكن إلاّ كلا ولا[9]، حتى أنشد مرتجلاً:

يُدعى نقيضُ البطنِ باسْمِ الظَّهرِ وذِرْوةٌ من جبلٍ بالضَّهرِ[10]
والقَيْظُ في الصيفِ بمعنى حَرِّهِ والقَيْضُ في البَيْض لبادي قِشرِهِ[11]
والغَيْظُ والغَيْضُ وقُل فاظَ إذا ماتَ، وهذا الماءُ قد فاضَ كذا[12]

١ الشتيت: المتفرق. الأثيث: الكثير الملتف. متن اللغة: أي علم متن اللغة.

٢ تغافل الخزامي كأنه واسطي: مثل أصله أن الحجاج بن يوسف الثقفي كان يسخر أهل واسط في عمل البناء فكانوا يهربون وينامون بين الغرباء في المسجد، فيجيء الشرطي ويقول: يا واسطي، فمن رفع رأسه أخذه، فصاروا يتغافلون إذا نادى. الناعطي: نسبة إلى ناعط وهو ربيعة بن مرثد الهمداني.

٣ المراء: الجدال.

٤ مثل يراد به إيجاب التجهز للأمر قبل ممارسته.

٥ الحصافة: استحكام العقل وشدة الحزم.

٦ أي التي يكون فيها نوبة لكل واحدة منهما بحسب المعاني التي تراد بها. وتوصف الظاء بالقائمة للخط المنتصب عليها فيقال للضاد ساقطة مقابلة لها.

٧ الخطط: جمع خطة وهي المقصد البعيد. الشطط: تجاوز الحد.

٨ الغراب الأعصم: الذي في جناحه ريشة بيضاء، وهو مثل لما يعز وجوده. روائك: مائك العذب.

٩ أي كمدة قولك لا حول ولا قوة إلا بالله.

١٠ ذروة: قمة.

١١ لبادي قشره: أي لظاهر قشره وهو القشرة الصلبة.

١٢ الغيض: النقص.

ظَنٌّ وضَنّ باخلٌ والحَنْظَلُ للنبتِ والظلُّ المديدُ حَنْضَلُ
والظَّبُّ للهاذرِ ثم الضَّبُّ والظَّرْبُ نبتٌ عندهم والضَّرْبُ[1]
وقيل للروض الأثيثِ مُعظِلُ وهكذا الأمرُ عليهم مُعضِلُ[2]
وجاضَ عنهُ حائداً حين ضَلَع وجاظَ في المشيِ اختيالاً وظَلَع[3]
والحمضُ والحمظُ لعَصْرِ الرَّطبِ والمَظُّ للّوم ومَضُّ الحَطْبِ[4]
وقارظٌ على جَنَى الصِّبْغِ عَظَبْ ملازماً وقارضٌ لهُ عَضَبْ[5]
والأبرَقُ الظَّريرُ والضَّريرُ وهكذا النَّظيرُ والنَّضيرُ[6]
وقيلَ زيدٌ في القِتالِ ظَجَّا مستنجداً وفي سِواهُ ضَجَّا
ولِلّآلي في السُّمُوطِ نَظْمُ وقيلَ للبُرِّ الخصيبِ نَضْمُ[7]
والفَضُّ والفَظُّ وقيل ضُلْمَه للسَّهَرِ الطويل تحت الظُّلْمَه[8]
والظُّعْفُ للنبت وضُعف العَظْمِ ومِقبَضُ القوسِ دُعِي بالعَضْمِ[9]
والبَيظُ بَيْضُ النملِ والحظيره للشاء والناسُ لهم حضيره[10]

---

١ الهاذر : الكثير الكلام . الضب : دويبة برية .

٢ الأثيث : الكثير الملتف . معضل : شديد .

٣ ضلع : مال وجنف . ظلع : غمز في مشيه ، وهو دون العرج .

٤ للوم : أي بمعنى اللوم . مض الحطب : شدته وإيلامه .

٥ القارظ : الذي يجني القرظ وهو نبات يدبغ به . عظب : أقام ولزم . قارض : قاطع . عضب : قطع .

٦ الأبرق : الأرض الغليظة . الظرير : الحجر المستوعر . النضير : الحسن .

٧ اللآلىء : جمع لؤلؤة . السموط : خيوط النظم . البر : الحنطة .

٨ الفض : الكسر . الفظ : الغليظ .

٩ للنبت : أي للنبت المعهود ، وهو نبات ينبت في أرض البادية .

١٠ الشاء : الغنم . الحضيرة : ساحة يحضرها القوم أو جماعة يخرجون للغزو .

كـذا الوظيف ووضيف الوقفِ ظَلّ وضَلّ عن سبيل العُرفِ[1]
وعَظَّةُ الحربِ وعضّةُ الأسَد والحَظّ والحَضّ وحَسْبي ما ورد[2]

قال : فلما فرغ من ارتجازهِ ، وجلا بدائع إعجازهِ ، في سردهِ وإيجازه.[3] أُعجِبَ القومُ بسحر بَيانهِ ، وعَقْدِ بَنانهِ[4]. وقالوا: مِثْلُكَ من تُلقى إليه المقاليد ، وتجفَخُ بهِ المواليد . فشمخ بأنفهِ من التّيه ، وأنشد بغير تمويه:[5]

أَنا ابنُ الحِزامِ أَنا ابنُ الرِّزامِ أَنا ابنُ اللِّزامِ غَداةَ النِّزالِ[6]
حديدُ الشّواظِ مديدُ اللّحاظِ شديدُ الحِفاظِ سديدُ المَقالِ[7]
ولكن تجنّى عليّ الزمانُ بنقضِ الذّمام ونكثِ الحِبالِ
وأغرى بنيهِ بشَدّ الرّحالِ وعَدّ الرّخالِ وصَدّ الرجالِ[8]
وأخنى عليّ بإمحال حالي وإخمالِ مالي وبلبالِ بالي[9]

---

١ الوظيف : مستدق الذراع والساق من الخيل والإبل ونحوها . الوقف : أي الوضيف الذي هو بمعنى الوقف .
٢ عظة : شدة . الحض : الحث . وحسبي ما ورد : يريد أنه قد بقي ألفاظ أخر ولكنه اكتفى بما ذكره .
٣ ارتجازه : أي إنشاده الأبيات التي هي من بحر الرجز . جلا : كشف . سرده : حسن سياق كلامه .
٤ عقد بنانه : كناية عن إحكام الأمر .
٥ المقاليد : المفاتيح ؛ يقال ألقى إليه مقاليده أي فوض إليه أموره ، وهو مثل . تجفخ : تفتخر . شمخ بأنفه : تكبر . بغير تمويه : أي صريحاً .
٦ أنا ابن الحزام أنا ابن الرزام : أي يأكل الرجل كل يوم صنفاً من الطعام . كنى به عن الرفاهة وسعة العيش . النزال : المبارزة في الحرب استعاره للمماحكة في الجدال .
٧ الشواظ : لهب النار الذي لا دخان له .
٨ الرخال : النعاج . يعني أنه أولع بنيه بالأسفار في طلب المال أو النزاهة ، وبالنظر إلى المواشي والاعتناء بكثرتها ، وبصد الرجال عن حاجاتهم ازدراء بهم .
٩ أخنى : أفسد وخان . إخمال : إسقاط . بلبال : إقلاق .

فرُحتُ أَسيفاً ضعيفاً نحيفاً   قضيفاً سخيفاً حليفَ السُّؤَالِ[1]
على أنَّني قد تقلَّدتُ صبراً   بديعَ الجَمال كصبر الجِمالِ[2]
فلستُ أبالي بزَجِّ الإلالِ   وسلبِ اللآلي وكيدِ الليالي[3]

قال : فأَوَى[4] لهُ من حضر ، وحباهُ كلٌّ منهم بقَدَر . وتقدَّم إليه ذلك الشيخ الدُّهريّ ، بنجيبٍ مَهْريّ . وقال : لا جَرَمَ أن الشيخ من تقدَّمَ[5] جُهدُهُ ، لا من تقادَمَ عهدُهُ . وبتنا تلك الليلة نتفكَّهُ بأَنفاسه ، ونتنزَّه[6] بصهباء كأسه . حتى إذا غَمَضَتِ الجُفُون ، عن الشُّفُون . ادَّلجَ على ذلك[7] النجيب ، وتركَ القوم عليه أَلهَفَ من قضيب .[8]

١ القضيف : الدقيق الناحل . السخيف : الضعيف الساقط . الحليف : الصديق المعاهد . السؤال : طلب الصدقة .
٢ توصف الجمال بالصبر حتى يضرب بها المثل . ولذلك يكنون الجمل بأبي أيوب .
٣ بزج الإلال : أي بطعن الحراب .
٤ أوى : رق .
٥ الدهري : القديم . نجيب : بعير كريم . مهري : نسبة إلى مهرة بن حيدان أبي قبيلة من العرب كانوا يحسنون القيام على الإبل .
٦ جهده : همته وطاقته . عهده : زمانه . نتفكه : نتخذ فاكهة
٧ بصهباء كأسه : أي بخمرة كأسه، كناية عن أحاديثه . الشفون : النظر . ادلج : سار من آخر الليل .
٨ النجيب : أي البعير الذي أعطاه إياه الشيخ . ألهف : من اللهفة وهي التحسر على الفائت . قضيب : هو رجل من أهل البحرين كان يبيع التمر يضرب به المثل في شدة اللهف .

المقامة السادسة والاربعون

وتعرف بالسخرية

قال سُهيلُ بنُ عبَّادٍ :خرجتُ للصيد في بادية الخَلْصاء،مع بعض الخُلَصاء[1] الأخِصَّاء. وكنَّا في عِدَّتنا كنجوم الثرَيَّا، وفي انتظامنا كحَبَب الحُمَيَّا.[2] فاقتنصنا ما شاءَ اللهُ من سانحٍ وبارح ، وقعيدٍ وناطح.ثم أثقَبنا النار في ذلك[3] الحضيض ، وأَخذنا بالمَلّ والتعريض . وجعلنا نختزلُ الخراذلَ والأوصال ،[4] من كل خَنساءَ وذَيَّـال . إلى أن صَغَتِ الشمس نحو المَغربان ، وكادت[5] تلبَسُ حُلّة الأُرْجُوان . فنهضنا نقتضب تلك الأرض ، حتى غَشِيَتْنا[6] ظُلُماتٌ بعضها فوقَ بعض . فجعلنا نخبِطُ خبطَ عَشواءَ ، تحت غِشاء ذلك[7] العِشاء . وبينا نحن كالآرام في القِماص[8] ، إذ سمعنا منادياً يقول : القِرى يا خِماص[9] ! فخفّ ما نجِدُ من الكُرَب،وعَجِبنا من مكارم العرب . وقصدنا

---

١ الخلصاء ، بفتح الخاء وتسكين اللام : أرض في بلاد العرب . الخلصاء ، بضم الخاء وفتح اللام : الأصدقاء .

٢ كنجوم الثريا : أي سبعة . الحبب : الفقاقيع التي تطفو على وجه الكأس. والمراد بالحميا الخمر.

٣ السانح من الصيد : ما يأتي عن اليمين ، ونقيضه البارح . والقعيد : ما يأتي من خلف ، ونقيضه الناطح . أثقبنا : أوقدنا .

٤ الملّ : تغييب اللحم في الجمر . والتعريض : إلقاؤه على الجمر . نختزل : نقطع . الخراذل : قطع اللحم الصغيرة . الأوصال : ما بين المفاصل كالفخذ والساعد .

٥ الخنساء : بقرة الوحش . الذيال : الثور الوحشي . صغت : مالت . المغربان : لغة في المغرب .

٦ الأرجوان : كناية عن احمرارها عند الغروب . نقتضب : نقطع .

٧ نخبط : نمشي على غير هدى . عشواء : ناقة ضعيفة البصر أو لا تبصر في الليل .

٨ العشاء : من صلاة المغرب إلى العتمة . الآرام : الغزلان . القماص : الوثوب .

٩ القرى يا خماص : الطعام يا جياع .

ذلك الصوت على السَّماع ، كما تستروِحُ السِّباع . فإذا دارٌ قوراءُ ، ونارٌ[1] زهراءُ ، وأوجهٌ غرّاءُ. فنزلنا على الرُّحب والسَّعة ، واستقبلنا القومُ بالأُنس[2] والدَّعَة . وما لبثنا أن وُضِعَ الخِوان، ورُفِعَت الجِفان[3] . فجلسنا مليّاً. وأكلنا هنيّاً مَريّاً. وبتنا ليلتَنا في ذلك الغَور، كأننا جُلساءُ قعقاع بن شَور.[4] حتى إذا كانت الغداة ، وقد تألّب الحيُّ بمُنتَداه[5] . وفد شيخٌ بال ، في رِثاثِ أسمال . فبينما حيّا وجثَم ، وهو قد اشتمل[6] والتثم . أقبل رجلٌ قد تزمَّل بكِساءٍ خَلَق ، واعتمَّ بلفائفَ مكوَّرةٍ كالطبق، قد جمعت ألوان[7] قوس السَّحاب في الخِرَق . وأرخى لعِمامتِه عَذَبة ، أطولَ من قَصَبة. [8] وهو قد كَحَلَ إحدى عينيه ،ولبس خُفّاً بإحدى رجليه ، وأخذ عصاً بكِلتا يديه .فلما رآهُ الشيخ ازمهَرَّ، وامتُقِع لونهُ واكفهَرَّ. وقال : أخذَتْك[9] بالفَطْسة، بالثُّؤَباء والعَطْسة[10]. فقال القوم: تباركَ اسمُ ربّك الأعلى، مَنْ هذا الذي منظرُهُ يُضحِك الثَّكلى ؟ قال : هو أحمقُ مولَعٌ بالفُشار ، [11]

١ كما تستروح السباع : كما تمشي الوحوش المفترسة على رائحة الفريسة . قوراء : واسعة .

٢ زهراء : مشرقة . غراء : بيضاء .

٣ الجفان : القصاع .

٤ مرياً : سائغاً . الغور : الأرض المنخفضة . قعقاع بن شور : هو رجل من بني عمرو بن شيبان ، كان إذا جاوره أحد أو جالسه جعل له نصيباً من ماله .

٥ تألب : اجتمع . منتداه : مكان اجتماعه .

٦ اشتمل : التف بكسائه .

٧ تزمل : التف . خلق : بال رثيث . مكورة : مجتمعة مدورة .

٨ قوس السحاب : أي قوس قزح . وألوانه سبعة وهي البنفسجي والنيلي والأزرق والأخضر والأصفر والبردقاني والأحمر . أي جمع هذه الألوان في الخرق التي جمع عمامته منها . عذبة : طرفاً .

٩ ازمهر : عبس . امتقع : تغير .

١٠ الفطسة : خرزة يصنعون بها رقية سحرية يريدون بها الأذى لمن يرقونه بها . ويقولون أخذتك بالفطسة بالثؤباء والعطسة .

١١ الفشار : كلام الهذيان .

كتلفيق الخنفشار. ولسانه لا ينطلق، إلاّ بمثل الخفشلق. وقدقيّض الله لي[1] ملتقاه، فحيثما سكعت[2] أراه. وأنا أتعوّذ من منظره الذميم، كما أتعوّذ من الشيطان الرجيم. وهو يدارکني سباقاً أو لحاقاً، ويفاجئني عمداً أو وفاقاً،[3] فلا يرسل الساقَ إلاّ ممسكاً ساقاً[4]. فاقتحم الفتى وهو يرفس برجله الأرض، ويتهادى بين الطول والعرض. فانتشبت شظيّة في رجله الحافية، كما[5] أصاب رافسَ الشنفرى بالبادية. فأعول وولول، وحجل بعدما هرول.[6] وقال: قبّحك الله يا وجهَ الغول، وسحنةَ المغول[7]! أتتشاءم بي وبك يتشاءم غراب البين؟ هل تظنّ أنّ رزقَ الله يضيق عن اثنين؟ أم تحسب أنّ القوم إذا رأوا لين قامتي، ونقش عمامتي. يزدرون بشيبتك، ويعزمون على خيبتك؟ أتخالهم لم يروا بغلتك الزرقاء، والغلمانَ بين يديك كالأرقّاء؟ ولم يشمّوا عطرك، الذي يملأ قطرك؟ولم ينظروا عمامتك الحانية[8]، وجبّتك القانية، وبردتك اليمانية! وأظفارك التي كالمناجل، وما تحتها من سخام[9]

---

١ تلفيق الخنفشار: مأخوذ من قصة لبعض المشايخ كان يدعي العلم بكل فن. سئل يوماً عن الخنفشار فلفق حديثاً عنه واكتشف أمره فخجل. الخفشلق: مأخوذ من قصيدة الشيخ عبد الله الخزرجي في علم العروض حيث يقول: فرتب إلى اليازن دوائر خفشلق. فإن هذه الكلمة لا معنى لها في نفسها ولكنه أشار بكل حرف من حروفها إلى دائرة من دوائر الأبحر العروضية. قيض: قدر.

٢ يقال: سكع الرجل إذا مشى معتسفاً وهو لا يدري أين يذهب.

٣ وفاقاً: مصادفة.

٤ مثل يضرب لمن لا يترك أمراً حتى يتعلق بآخر.

٥ يتهادى: يتردد. انتشبت: دخلت. شظية: قطعة من الخشب أو العظم ونحوه.

٦ الشنفرى: هو أحد محاضير العرب. كانت عداوة بينه وبين بني سلامان لأنهم قتلوا أخاه فحلف أن يقتل منهم مائة رجل، وقد قتل منهم تسعة وتسعين رجلا، ثم احتالوا عليه فأمسكوه فهجموا عليه بغتة فقتلوه. فقام رجل منهم ورفس رأسه برجله فدخلت شظية من جمجمته في رجله وكان حافياً فمات بعد أيام فتمت القتلى مائة. حجل: مشى على رجل واحدة.

٧ السحنة: الهيئة. المغول: قوم من التتر قباح المنظر.

٨ الحانية: الشديدة الخضرة.

٩ القانية: الشديدة الحمرة. السخام: سواد القدر الملتصق بها من الدخان.

المراجل؟ فلولا حُرمةُ القوم لجعلتُ في رأسك العَشْرَ الشِّجاج، وحطَّمتك[1] كقوارير الزُّجاج! فأرغى الشيخ وأزبد، وأبرق وأرعد، وثار إليه كالبعير الأقْوَد. فانهزم الفتى كالبُحتُريّ، وعدا الشيخ في إثره كالصَّيْمَريّ.[2] والناس من ورائهما يَنظُرون، والصِّبيانُ يُصفِّقون ويَنقُرون. فتكبكب[3] الفتى وكَبا، وانتقضت عمامتُه فذهبت أيدي سَبا. فتجارَى الغِلمانُ[4] يَتَخاطفون منها القِطَع، ويتَقاذَفون الرُّقَع. وهو من ورائهم يصيح: المَدَد[5]، ويجمع تلك القِدَد، ويَسرُد العَدَد. وهم يُطارِدونه عن أخْذها، وهو يُطارِدُهم عن نَبْذِها[6]. حتى ضاقت عن الضَّحِك الصُّدور، وبرَزَتْ مقصورات الخُدور. فالتَظَى الفتى واضطرب، ونادى بالويل والحَرَب.[7] وقال: ويلٌ لكلّ هُمَزة لُمَزة، لا يعرف حقّ التاج والخَرَزة! أين بقيّة[8] القِطَع الحمراء، والشظايا[9] الصفراء، والخِرَق الخضراء؟ قد عَدَدتُها تسعين، ولا أجِدُ منها غير سَبْعِين، فأين أضَعتُمُ الأربَعين؟ فضحك القوم من حسابه

١ المراجل: القدور النحاسية. الشجاج: جمع شجة وهي ما تفعله الضربة بالرأس.

٢ البعير الأقود: الطويل الظهر والعنق. عدا: ركض. البحتري: هو الوليد بن عبيد من الطائيين، شاعر مطبوع غضب على الصيمري لأنه هجاه فخرج يركض وعدا الصيمري وراءه.

٣ ينقرون: يصوتون بألسنتهم كما تفعل النساء في الأفراح. تكبكب: وقع.

٤ كبا: سقط على وجهه. انتقضت: انحلت. ذهبت أيدي سبا: قيل إن بني الأزد لما حدث سيل العرم تفرقوا عن أرض سبا فصاروا مثلا في التفرق.

٥ المدد: يقول يا مدد الله، وهو الإغاثة والنجدة.

٦ نبذها: طرحها.

٧ مقصورات: محبوسات. الخدور: الستور. التظى: احتد غضباً. الحرب: السلب والنهب.

٨ الهمزة: الذي يعيب على الناس ما يرى منهم. واللمزة: الذي يطعن في أعراض الناس. حق التاج والخرزة: كانت ملوك الجاهلية تضع خرزاً في تيجانها، وكان الملك كل سنة يزيد خرزة في تاجه ليعلم سني ملكه. وهو يشبه عمامته بالتاج وقطعها بالخرزات الملونة.

٩ الشظايا: القدد.

الذي يَفتِنُ كلَّ حاسب ، ويُضحك مَرْوان الكاتب[1] . وقالوا : لا بأسَ يا أخا العرب، سنُعوّض عليك ما ذهب . فقال : شَهِدَ الله ما بي هذا الخراب، ولكن تَشاؤُمُ هذا الشيخ بي وهو أشأم من سَراب[2] . فإنه قد أضاع بذلك خُفّي الذي هو أغلى من خُفَّ حُنَين[3]، وعِمامتي التي جمعتها من آثار حُجّاج الحَرَمَين[4] ، وكنت لا أسمح أن يَمَسّها الحَسَن والحُسَين . قالوا : خذ هذا الخُفَّ الدارش والعِمامة الموشّاة ، وتَنَكَّبِ الشيخ أن تَغشاهُ ، أوْ تَهيجهُ بما يَخشاهُ . فأخذهما ومضى ، وقد لاحت عليهِ تباشير الرّضى . فقال الشيخ : أرأيتم يا كرام الحيّ ، أني كنت فألاً على الفتى وكان شُؤماً عليَّ ؟ قالوا : لا طِيرةَ إن شاء الله ولا شُؤم،فما نحنُ من أهل اللُّؤم . ثم وصلوهُ بِصلةٍ سنيّة[6] ، وقالوا : عليك بحُسن الظّنّ وإصلاح النيّة . قال سهيلٌ : وكنتُ قد عرفت الشيخ وفتاهُ ، وعَجِبتُ من المُجون الذي أتاهُ . فلما انصرف حثّني إليه الشّوق ، فأدركتهُ وهو حثيث السَّوق ، وقلت : يا أبا ليلى شبَّ عمرو عن الطّوق[7] . قال : يا بُنيَّ إن المزح في الكلام ، كالملح في الطعام.والإلظاظ[8] يُورث المَلَل ، ولو كان على العَسَل . وإني قد مَلِلتُ الجِدَّ واشتقت إلى الهزل ، فعسى أن تكون قد مَلِلتَ اللّومَ والعذل فاكتفيتُ من النار بالشّرار ، وانكفأتُ على قَدَم الفِرار[9]

---

١ مروان الكاتب : هو رجل من أهل بغداد كان كاتباً على الخراج وكان ضعيفاً في الحساب .
٢ سراب : هي ناقة البسوس التميمية التي ثارت الحرب بسببها .
٣ يشير إلى الأعرابي الذي أخذ حنين الإسكاف ناقته فاستعاض عنها بالخف الذي ألقاه لهفي الطريق.
٤ الحرمين : مكة والمدينة .
٥ الدارش : جلد أسود من أفضل الجلود . وهو بيان للخف . الموشاة : المنقوشة المزينة .
٦ بصلة سنية : بعطية جليلة .
٧ شب عمرو عن الطوق : مثل قاله جذيمة الأبرش حين قدم ابن أخته عمرو بن عدي الذي كان قد ضل في القفر . وكانت أمه رقاش قد نذرت أن تلبسه طوقاً من ذهب إذا عاد ، فلما قدم ألبسته الطوق وأدخلته على جذيمة فقال المثل .
٨ الإلظاظ : المواظبة .
٩ انكفأت على قدم الفرار : رجعت هارباً .

المقـامة السابعة والاربعون

وتعرف بالوصافية

حكى سهيلُ بنُ عبَّادٍ قال : سَمَرتُ ليلةً بالرُّصافة ، مع كِرامٍ من[1] أُولي الحصافة. فبِتنا نتَلاعبُ بأَطراف الكلام المشقَّق ، ونتَجاذَب أعطاف[2] الحديث المرقَّق . حتى أدَّانا حَصَرُ الحَصْرِ ، إلى ذكر أَفراد العَصْر. فقال[3] بعض القوم: ما أدراكم من وَفَد اليوم ! قد وفـــد الخزاميُّ الذي إذا انبرى لا يُبارَى[4] ، وإذا جرى لا يُجارَى ، وإذا حدَّث ترى الناسَ سُكارَى . فأُعجِبَ القومُ بارتقائه[5] ، وقالوا : من لنا بالتقائه؟ قال: إن شئتم أن تتَّخِذوا إليهِ سبيلًا ، فاتَّخِذوني دليلًا . فلما أصبحوا قالوا : أَنجَزَ حُرٌّ ما وَعَد[6]، قال : ومَن جدَّ وجَد . ثم انطلقَ بنا كالشِّمِلَّة الرافلة ، حتى أتينا القافلة.[7]

---

١ سمرت : جلست للحديث في الليل . الرصافة : هي الجانب الشرقي من بغداد .

٢ الحصافة : جودة العقل والحزم في الأمور . المشقق : يقـال شقق الكلام أي أخرجه أحسن مخرج .

٣ المرقق : من ترقيق الكلام وهو تحسينه. الحصر ، بفتح الصاد : العي وضيق الصدر. والحصر ، بتسكينها: الإحاطة بالشيء . أي حتى ضاقت صدورنا بحصر الأحـاديث فأوصلنا ذلك إلى ذكـر الأفراد المشهورين .

٤ يبارى : يعارض .

٥ بارتقائه : بعلو طبقته .

٦ أنجز حر ما وعد : مثل أصله أن الحرث بن عمرو الكندي قال لصخر بن نهشل الدارمي : هل أدلك على غنيمة على أن تجعل لي خمسها ؟ قال : نعم . فدلـه على قوم من اليمن فأغـار عليهم وغنم أموالهم فلما عاد قال الحرث المثل .

٧ الشملة : الناقة الخفيفة . الرافلة : المتبخترة .

وإذا الشيخُ قد ثار كأنهُ من رَضَفات العرب،وقال: قد أصابني سهم غَرَب،[1] فالحرْبُ بيننا والحَرَب. قال: وكان بين يديهِ رجلٌ أدرَم أثرَم، ينزو[2] كالقضاء المُبرَم، ويسطو كأبرَهةَ الأشرَم[3]. فقال: قد عرَّضتُ فرَسَيْنا للرِّهان، وجعلتُ مِضمارنا البرهان. فإن كنت من طوارق الليل، فما[4] قُيُودُ الأسنان[5] والألوان في الخيل؟ فأطرَقَ إطراق الأفعى، ثم قال: خُذها حيَّةً تسعى. وأنشد:

المُهرُ في حَوْلَيهِ باسم الجَذَعِ يُدعَى، وبالثَّنِيّ في التالي دُعي[6]
ثم الرَّباعِيْ بعدهُ في الرابعِ وقارحٌ في الحِجَج التوابعِ[7]
وَهْوَ على اختلافِ لونِ جِلدهِ يُدعَى بأوصافٍ جرَت في نقدهِ[8]
فأدهمٌ وأبيضٌ وأحمَرُ وأشقرٌ وأصفرٌ وأخضَرُ
حتى إذا اشتدَّ سَوادُ الأدهَمِ يُقالُ فيهِ الغَيهَبيُّ فاعلَمِ
فإن يُنقَّطْ ببياضٍ أَغبَشُ قيلَ، ومَع ذاكَ سِواهُ أبرش[9]
فإن تَكُنْ نُقَطُهُ تَتَّسِعُ فإنهُ مُدَنَّرٌ فأبقَعُ

١ رضفات : قبائل من العرب قيل لهم ذلك أخذاً من الرضفة ، وهي سمة تعمل بالحجارة المحماة . سهم غرب : لا يدرى راميه .

٢ الحرب ، بفتح الراء: السلب . أدرم : متفتت الأسنان . أثرم : قد ذهبت إحدى ثناياه من أصلها . ينزو : يثب .

٣ أبرهة الأشرم : هو قائد جيش الحبشة .

٤ عرضت فرسينا للرهان : أي إما أن تأخذ فرسي وإما أن آخذ فرسك . مضمارنا : المضمار غاية الفرس في السباق . ويطلق على الميدان أيضاً . جعل البرهان ميدان الرهان لأن الحرب بينهما في المسائل . طوارق الليل : دواهيه .

٥ الأسنان : الأعمار .

٦ في حوليه : في العامين الأولين من عمره . في التالي : في العام الثالث من عمره .

٧ الرباعي : بتخفيف الياء . الحجج : السنين .

٨ نقده : تمييزه .

٩ غير الأدهم إذا كان فيه نقط بيض قيل له أبرش .

وإن يَشُبْ بعضُ السوادِ الابيَضا   فذاكَ بالاشهبِ في الوصف قضى[1]
وإن أصابَ الأحمرَ السَّوادُ   فبالكُمَيتِ وصفُهُ المُعتادُ
فإن عَرا الكُمْتَةَ لونٌ أشقرُ   فذلك الوَرْدُ الذي لا يُنكَرُ
وإن يكُ الأشقرُ فيهِ خُلَسُ   من السوادِ قيلَ هذا أغبسُ[2]
وإن رأيتَ أصفراً يمتَدُّ   فيهِ السوادُ فهُوَ السَّمَنْدُ
فإن عرا الصُّفرةَ لونُ شُهبَه   فالسَّوْسَنيُّ وصفُهُ بالنِّسبه[3]
وإن يكُ الأخضَرُ فيهِ يُحوَى   شيءٌ من السوادِ فهُوَ الأحوَى

قال : إن كنت من أُولي الكمال ، فما مثل ذلك في الجِمال؟ فاضطرَبَ اضطِراب السَّراب ، ثم أنشد وما استراب :

أوَّلُ نتج الناقةِ الحُوارُ   يُدعى كما جاءت بهِ الآثارُ
وَهْوَ لِعامٍ واحدٍ فصيلُ ،   وابنَ مَخاضٍ بعدهُ تقولُ
وابنُ لَبونٍ ثم حِقٌّ جَذَعُ   ثم الثَّنيُّ فالرَّباعيْ يتبعُ[4]
ثم السَّديسُ بعدهُ والبازلُ   والعَودُ في العَشْرِ رواهُ الناقلُ[5]
فإن صَفَت حُمرتُهُ فأحمرُ   قيلَ لهُ ، وَهْوَ لديهم يُؤثَرُ[6]
فإن تَشُبْها دُهمةٌ فأرمكُ   والجَونُ ما فيهِ السوادُ أحلَكُ[7]

---

١ يشب : يخالط .
٢ خلس : جمع خلسة وهي الاختلاط .
٣ أي بلفظ النسبة إلى السوسن وهو نوع من الزنبق .
٤ يقال إنه ثني إذا سقطت ثنيته وهي السن التي في مقدم فمه ، وهي تسقط في السنة السادسة . والرباعي ما سقطت رباعيته وهي السن التي تلي الثنية ، وسقوطها يكون في السنة السابعة بخلاف الخيل فإن ثناياها تسقط في الثالثة ورباعياتها في الرابعة . ولذلك يقال للفرس في السنة الثالثة ثني وفي الرابعة رباع .
٥ في العشر : في العشر سنين من عمره .
٦ يؤثر : يختار . أي أنهم يختارون الإبل الحمر ، وهي عندهم أفضل الجمال .
٧ أحلك : أشد .

وذو البَياضِ آدَماً يُلقّبُ ، فإن عَلَتْهُ حُمرةٌ فأصهَبُ[1]
فإن يكن بياضُهُ يلتبسُ بشُقرةٍ ، فَهْوَ البعيرُ الأعيَسُ
والأخضرُ المصفرُّ في سوادِ يُدعى بأحْوى اللون في البوادي

قال : فلما رأى الرجل ما رأى من طول باعهِ ، ورَيْع رِباعِهِ[2] . قال : قد حقَّ عليَّ الخَرَس[3]، وحقَّت لك الفرَس . فهلُمَّ إليها ، وخذها غيرَ مأسوفٍ عليها . فاستعظم القومُ أمرهُ ، واستهالوا غَمْرَهُ[4] . وقالوا : من تمام العمل ، أن نزيدَكَ الجَمَل . قال : إذا ملكتُ الخِطام ، فما أُبالي بالحُطام .[5] ثم سبَّح وتشهَّد ، وترنَّح وأنشد :[6]

إذا كان العِبادُ بكلِّ عصرٍ شِمالَ غريبةٍ فأنا اليمينُ[7]
سَلُوا عمَّا أرَدتم من فُنونٍ فعندَ جُهَينةَ الخَبَرُ اليقينُ[8]

قال سهيلٌ : فلما انصرف أصحابي قلتُ هذا مَثْواي ، وقد شَغَلَتْ[9] شِعابي جَدْواي . قال : أنتَ على الرُّحْب والسَّعَة ، ولك الرَّغَدُ والدَّعَة .[10] فأقَمتُ في صُحبتهِ بأُمِّ العِراق ، حتى حُمَّ الفِراق .[11]

١ آدماً : من الأدمة وهي البياض الشديد في الجمال بخلاف ما في الناس والغزلان ، فإنها في الناس بمعنى السمرة وفي الغزلان بياض تعلوه غبرة .
٢ ريع رباعه : خصب ربوعه . كنى بذلك عن جودة قريحته .
٣ الخرس : السكوت .
٤ غمره : ماءه الكثير . كناية عن فيض خاطره .
٥ الخطام : ما يوضع في أنف البعير ليقاد به . كنى بذلك عن إذلال خصمه والغلبة عليه . الحطام : ما تكسر من الشيء يكنى به عن أمتعة الدنيا .
٦ سبح : قال سبحان الله . تشهد : قال أشهد أن لا إله إلا الله . ترنح : تمايل .
٧ غريبة : أي نكتة غريبة .
٨ عند جهينة الخبر اليقين : مثل يضرب في معرفة حقيقة الأمر .
٩ هذا مثواي : هذا منزلي الذي لا أفارقه .
١٠ الشعاب : الطرق في الجبال . الجدوى : العطية . الدعة : الراحة والسكون .
١١ أم العراق : بغداد . حم : قدر .

المقـامة الثامنة والاربعون

وتعرف باللاذقية

حدَّثنا سهيلُ بنُ عبَّادٍ قال : عنَّ[1] لي أرَب ، في لاذقيَّة العرب. فقصدتها من خُناصِرة ، مع رجلٍ صُنافِرة ، يتَبَرَّد بالهاجرة . فآدَتْني صُحبتُه[2] القَلُوب ، حتى أدَّتني إلى اللُّغوب[3] . فدخلتُ المدينة ، كما تدخل الدلوَ العدينة . ونزَلتُها واهنَ العواهن ، لا خِدْنَ لي ولا عُجاهِن . وكان بدار[4] مَنزلي السُّفلى ، مدرسةٌ حُفلى . فكنت أزورها لِماماً ، وأقومُ بها إماماً . حتى إذا كنتُ يوماً بِمحرابها،بين أضرابها وأترابها.دخل شيخٌ كفيف ، يقوده[5] غُلامٌ خفيف. وهو قد اعتمر بصِماد،وسَدَلَ لهُ عَذَبةً كالنِّجاد.فلما وقف[6] بنا لاحت عليهِ الأرْيحيّة[7]،وحيَّانا بأحسن التحيَّة.ثم قال: حمداً لمن لهُ الحمدُ والمِنَّة،الذي جعل المدارس أبواب الجنَّة . أما بعدُ فإن الله قد أمر بالقراءَة[8]

---

١ عن : عرض .

٢ خناصرة : مدينة من أعمال حلب . رجل صنافرة : لا يعرف له أب . الهاجرة : نصف النهار عند اشتداد الحر . يريد أنه متوحش لا يبالي بشيء . آدتني : أثقلتني .

٣ اللغوب : أشد التعب .

٤ العدينة : رقعة في أسفل الدلو إذا انخرق . أي دخلتها غريباً غير ممتزج بأهلها . واهن : ضعيف . العواهن : الأعضاء . خدن : صديق . عجاهن : خادم .

٥ الأضراب : الأصناف . كفيف : أعمى .

٦ اعتمر : تعمم . صماد : عمامة صغيرة . سدل : أرخى . عذبة كالنجاد : أي طرفاً كحمائل السيف .

٧ الأريحية : سعة الصدر والانبساط .

٨ إشارة إلى ما ورد في سورة العلق من قوله : اقرأ باسم ربك الذي خلق .

وأقسمَ بالقلم[1] ، وهو الذي علَّمَ بهِ الإنسان ما لم يَعلَم . فلا جَرَمَ أن هذه الصِّناعة أرجحُ الصنائع ، وأربحُ البضائع . وعليها مَدار السُّنَّة والكتاب ،[2] وبها حياة العُلوم والآداب ، ومنها استِنارةُ العقول والألباب . وهي عُنوان السِّيادة ، وعُنْفُوان[3] السَّعادة . وآية الفَلاح ، وغاية الصَّلاح والإصلاح . ولولاها لدُرِسَت الأخبار ، وطُمِسَت[4] الآثار . وهلكتْ أموالُ التجارة ، وضاعت حقوق القَضاء والإمارة . فثابروا أيها الولْدانُ المخلَّدون[5] ، ولا ترْضَوا من الصِّناعة بالدُّون. وإذا قرأتم فافتحوا الطَّرْف، وأظهروا الحرف. والزموا الدَّرْس ، ولا تُكثِروا الهَمْس . وإذا أردتم أن تبروا القَلم ، فاشحَذوا الجَلَم . وأطيلوا الجِلْفة وأسمِنوها، وحَرِّفوا القَطّة وأيمِنوها.[6] واحرصوا على صحَّة التصوير ، وإحكام التحرير[7] ، وتقويم الاساطير . واعلموا أن المُناقِش، سيتلوَّنُ عليكم كأبي براقِش. فلا تدعوا لهُ سبيلًا أن يَلوم،[8] ولا تمكِّنوهُ من حُجّةٍ تَقوم. وعليكم بعفَّة اليد واللسان، ونَقاء الثوب والبَنان ، وسُهُولة الخُلق بين الأقران ، والمذاكرة في آيات القرآن . لتكونوا زينة الحياة الدُّنيا، كما أنزل الله كلمتَهُ العُليا . وأما الأُستاذ فليكُن عفيفاً غيوراً، لطيفاً صَبُوراً ، أديباً وقوراً . ماهراً في صِناعته ، باهراً في وَداعته . ليس بالشديد العتِيّ ، ولا البليد العَيِيّ . يَرغبُ في أن يُفيد ، كما يَرغب في أن يستفيد. ويجتهد في تربية من تحت لِوائه ، كما يجتهد في تربية أبنائه. وليعلم أن التلامذة أمانةُ الله في يدهِ ، ويتأهَّبْ في يومهِ لما سيُحاسَبُ عليهِ في غدهِ .

---

١ إشارة إلى ما ورد في سورة القلم من قوله : والقلم وما يسطرون .

٢ الكتاب : القرآن .

٣ عنفوان : معظم .

٤ طمست : اختفت .

٥ المخلدون : المزينون بالأقراط .

٦ الجلم : السكين . الجلفة : برية القلم . أيمنوها : اجعلوها مائلة إلى اليمين .

٧ التحرير : الضبط .

٨ المناقش : المحاسب ، يريد به الأستاذ . أبو براقش : طائر صغير أعلى ريشه أبيض وأوسطه أحمر وأسفله أسود ، فإذا هيج انتفش وتلون ألواناً شتى .

ثم أقبلَ قُبُلَ المشهد[1]، وأنشد وهو قد تنهّد :

يا مَن لهم في السجايا عينٌ وجيمٌ وباءُ
ما طاب لي في سِواكم نونٌ وعينٌ وتاءُ
عُهُودكم ليسَ فيها نونٌ وكافٌ وثاءُ
وحظُّكم كلَّ يومٍ ميمٌ ودالٌ وحاءُ
وإنني في حِماكم شينٌ وباءٌ وخاءُ
لم يَبقَ لي في بَلائي صادٌ وباءٌ وراءُ
أنتم لكلِّ فقيرٍ كافٌ ونونٌ وزاءُ
وفي أكُفٍّ نَداكم باءٌ وسينٌ وطاءُ
هل عندكم نحوَ شيخٍ لامٌ وحاءٌ وظاءُ
وحَسبُهُ من رِضاكم عينٌ وطاءٌ وفاءُ
دِيارُكم للأماني واوٌ وجيمٌ وهاءُ
شينٌ وباءٌ وعينٌ فيها وراءٌ وياءُ[2]

قال : فلما فرغ من أبياته الحِسان ، تعلَّق به أُولئك الغِلمان . وقالوا: إنك نِعمَ الأُستاذ، والعَقْوَةَ[3] التي بها يُلاذ . فنحنُ نتَّبِعُ هَواكَ ، ولا نريدُ سِواكَ. فأَشفَقَ الأُستاذ من صَرْمِ حِبالهِ ، وهاجت بلابلُ بلبالهِ . فأسرَّ إليَّ[4] النجْوى[5]، وباحَ لي بالشَّكوَى، من هذه البَلوى. وكنت قد عرفت الشيخَ انه حامي الحِمى، وإن كان قد تظاهر بالعَمَى. فقلت للأُستاذ: إن كنتَ قد أجفلت[6]

---

١ قبل : نحو .
٢ أي فيها شبع وري .
٣ العقوة : الساحة وما حول الدار .
٤ أشفق : خاف . صرم : قطع . هاجت بلابل بلباله : اضطرب قلبه .
٥ النجوى : الحديث الخفي .
٦ حامي الحمى : كناية عن الخزامي المعهود في رواياته . أجفلت : خفت .

من مُواءِ السنانير ، فأعطني لهُ قبْصَةً من الدنانير . وأنا أدْرأ ما في نفسه [1] قد أوجَس ، وأدَعُهُ لا يأتيك سَجيسَ الأوْجَس . فناولني ما شاءَ ، وقال:[2] أَتبِعِ الدلوَ بالرِّشاء. فدعوتُ الشيخ إلى خَلْوة ، وبثثتُهُ المُرَّة والحُلوة.[3] فقهقه كما يُقَهقِهُ الرعد ،وقال: بكل وادٍ بنو سعد[4]. فعِدْهُ وَعْدَ السمَوْأَل، أنَّ أسامةَ لا ينزِلُ في وِجار جَيْأَل. قلتُ: فكيفَ تعاميتَ وأنت أبصرُ[5] من فرَس ، في بهماء غَلَس . فنظر إليَّ نظرةَ الضِّرغام ، وأنشد بصوتٍ[6] كالبُغام[7]:

تخلَّقَ النـاسُ بالأدناسِ واعتمدوا ... من الصِّفاتِ الدَّها والمكرَ والحسَدا
كرِهتُ منظرَهم من سُوءِ مَخبرِهم ... فقـد تعاميتُ حتى لا أرى أحَدا

ثم انطلقَ بي إلى مثواهُ ، وقاسمني شطرَ جَدواه[8] . وقال : أنت الليلة ضيفي وأنا غداً ضيفُ الهجير ، فإنَّ الصقر متى صادَ يطير. فقضيتُ معهُ ليلةً[9] أرَقَّ من السابريَّة ، وأطيبَ من الجاشِريَّة . حتى نسخَ الصبحُ آيةَ الظلام،[10] ونشر على الأُفُق حُمْرَ الأعلام . فودَّعَني وذهب ، وأودَعَني اللَّهَب .

---

١ مواء السنانير : كنى بذلك عن كلام الأولاد الذي خاف منه . قبصة : قدر ما يؤخذ بين الأصابع . أدرأ : أدفع .

٢ أوجس : أضمر . سجيس الأوجس : آخر الدهر .

٣ الرشاء : الحبل الذي يستقى به . وهو مثل يضرب في إلحاق شيء بآخر . بثثته : كشفت له . بثثته المرة والحلوة : أوضحت له جميع القصة .

٤ بكل واد بنو سعد : مثل يضرب لمن يجد من يلقاه كمن فارقه .

٥ أسامة : الأسد . وجار : مأوى . جيأل : ضبع .

٦ بهماء : شديد السواد . غلس : ظلمة آخر الليل . الضرغام : الأسد .

٧ البغام : صوت الظبي .

٨ شطر جدواه : أي نصف عطيته .

٩ الهجير : حر الظهيرة . كنى بذلك عن السفر .

١٠ السابرية : نوع من الثياب الرقيقة . الجاشرية : شرب يكون مع الصبح .

المقامة التاسعة والاربعون

وتعرف باللبنانية

روى سهيلُ بنُ عبّادٍ قال : ظعنتُ[1] في نفَرٍ من معدّ بن عَدْنان ، حتى مررنا بجبل لُبنان. فراعنا ما بهِ من الشِّعاب والأودية، والمجالس والأندِية.[2] والخمائل والغياض ، والمياه والرِّياض . والقُرى والدساكر، والعشائر الملتفّة[3] كالعساكر . فلبثنا أياماً في جَنَباتهِ ، نجول بين رِعانهِ وهَضَباتهِ. حتى نزلنا[4] بقوم من العظماء ، قد أحاطوا بفتىً من العُلماء . وهو يُنشِدُهم الأبيات ، ويُطرِفُهم بالغرائب والآيات . فوقفنا نَستَرِقُ السَّمْع ، في خِلال ذلك الجمع . وإذا شيخٌ من أبناء السبيل ، قد أقبل في ثوبٍ رَعابيل[5] . فتخلّلَ القومَ ولم يُسلّم، ثم احقَوْقَفَ مُشِيحاً ولم يُكَلّم . فاستثقل القومُ ظلَّه،[6] وأنكروا محلَّهُ . وقالوا : إن هذا الشيخ قد بلغَ الحَدَب[7]، ولم يَظفَر من الأدَب ، ولا بمثل الكَدَب[8] . ثم أعرضوا عنهُ ازْوِراراً ، واحتملوا فظاظتهُ اضطراراً . فانتدب لهُ الفتى وقال : من أينَ أقبلت يا أبا الشَّقَعْمَق[9]؟لا كان

١ ظعنت : رحلت .

٢ راعنا : أعجبنا . الأندية : المحافل .

٣ الخمائل : الأشجار الملتفة . الغياض : الغابات . الدساكر : المزارع .

٤ الرعان : جمع رعن وهو رأس الجبل . هضباته : تلاله المنبسطة .

٥ أبناء السبيل : المسافرين . رعابيل : ممزق .

٦ تخلل القوم : دخل بينهم . احقوقف : جلس مكباً على وجهه . مشيحاً : معرضاً عن الناس .

٧ أي شاخ حتى صار أحدب .

٨ الكدب : البياض الذي في أصل أظفار الصبيان .

٩ الشقعمق : هو مروان بن محمد الكوفي كان شاعراً فقيراً رثيث الحال .

يومُكَ الشَّمَقْمَق ! فزفر كفحيح الأفعى ، وقال : استَنَّتِ الفِصالُ حتى[1]
القَرْعَى . فمن أنتَ يا من لا يعرفُ الكوع ، من البوع؟ قال : بل أنت[2]
من لا يَعرِفُ الكاع ، من الباع!إن كنت من أنماط هـذا النَّمَط ، فما[3]
الفرق بين المَيْت والمَيِّت والوسْط والوسَط ؟ وما فرقُ اليتيم بين الناس[4]
والبهائم في الوضع ، وفرق الأُمّ بين الفريقين في صيغة الجمع ؟ فهَمهم الشيخ[5]
وجمجم ، وغمغم حَنَقاً ودمدم . وقـــال : ويك يا مرقَعان ! يا أُفُرَّةَ[6]
المَعْمَعان.إن كنت ابنَ مسألة، أو كاشفَ مُعضِلة. فأنبِئْني بقُيود القطْع،[7]
وإلاّ فأعدِدْ قفاكَ للصَّفْع!فرَنا بعين المَهَا ، إلى السُّمْهى . وأنشد :[8]

يقال : جَزُّ الصُّوفَ زيدٌ وحصَد نباتَهُ اليابسَ ، والرَّطْبَ خَضَد
وجَدَعَ الأنفَ وللأذنِ صَلَمَ ، وشَتَرَ الجَفْنَ وللكفُّ جَذَمَ

---

١ الشمقمق : الطويل . يكنى به عن يوم السوء . استنت : ركضت . الفصال : صغار الجمال .

٢ القرعى : جمع قريع وهو ما خرجت عليه بثور بيض يقال لها القرع . الكوع : طرف الزند الذي يلي الإبهام . البوع : العظم الذي يلي إبهام الرجل .

٣ الكاع : طرف الزند الذي يلي الخنصر . الباع : قدر مد اليدين وهو معروف . الأنماط : الجماعات التي أمرها واحد . والنمط : الطريقة . أي إن كنت من أهل هذه الطريقة في التفريق بين الألفاظ .

٤ الميت : بالتخفيف من مات حقيقة وبالتشديد من لم يزل فيه روح . والوسط، بالسكون: يكون بمعنى بين كجلسنا وسط القوم . وبفتحتين بمعنى في كجلسنا وسط الدار .

٥ قوله في الوضع أي باعتبار وضعه لكل من الطرفين . واليتيم من الناس الفاقد الأب ، ومن البهائم الفاقد الأم . وجمـــع الأم من الناس أمهات ، ومن البهائم أمات . همهم : ردد صوته في صدره .

٦ جمجم : لم يبين كلامه . غمغم : ضج كالأبطال في الحرب . دمـــدم : هدر مغضباً . مرقعـــان : أحمق .

٧ المعمعان : الحر ، وأفرته أوله ، كنى بذلك عن حداثته . قيود القطع : أي خصائص ألفاظ القطـــع .

٨ رنا : نظر على سكون . المها : بقر الوحش . وهي توصف بحسن العيون . السمهى : الهواء بين السماء والأرض .

وشَرَمَ الشَّفَةَ إذ قصَّ الشَّعَر، وقضَبَ الكرمَ لدى قطف الثمر
وقلَّمَ الظُّفرَ وحَزَّ اللَّحما ، وحَذَقَ الحبلَ وبتَّ الحُكْما
وقدَّ ريش السهم إذ قطَّ القلَم ، وعَصَفَ الزرعَ وللنخل جرَم
وقيلَ : قدَّ السَّيرَ ، والنعلَ حَذا وجابَ صخراً،قطَعَ الثوبَ كذا
وحَذَفَ الذَّنَبَ والغُصنَ عَضَد وفَلَحَ الحديدَ ، فاحفَظ ما وَرَد

قال : إن كنت من رجال العَصْر ، فما هي قُيود الكَسْر ؟ فاستضحك طويلًا ، ثم فكَّر قليلًا . وأنشد :

يقالُ: شَجَّ الرأسَ والأَنفَ هَشَم، ووَقَصَ العُنُقَ وللسِّنّ هَتَم
وقَصَمَ الظَّهرَ لدى رَتْم الحجر ، وحَطَمَ العَظمَ كغُصْنٍ قد هَصَر
وفَضَخ الجَبَسَ ، والنَّوى رَضَخ ، ورضَّ حَبّاً رأسَ حيَّةٍ شَدَخ[1]
وفقَسَ البَيضَ على فَدْغ البَصَل ، وهَدَّ ذاك الرُّكنَ مَن دكَّ الجَبَل
وهَضَمَ القَصَبَ والخُبزَ ثَرَد ونَقَفَ الحَنْظَلَ فاستَجلِ الرَّشَد

قال : فهل تعرف قُيود الحِصَص[2] ، من مثل هذه القِصَص ؟ فتململ كالأُفعُوان ، ثم نزا كالعُنظُوان . وأنشد :[3]

كِسرةُ خُبزٍ فِدرةُ اللحمِ ترِد كُتْلةُ تمرٍ فِلذةٌ من الكبِد
ومن طَعامٍ لُمظَةٌ وكِسْفَه من سُحُبٍ ومن سَوِيقٍ نِسفه
كذا صُبابةٌ من الشَّرابِ جُذْوةُ نارٍ حُثْوةُ الترابِ
ودُرَّةٌ من لبنٍ فَرَزْدَقَه من العجين غُرفةٌ من مَرَقَه

---

١ الجبس : البطيخ . النوى : البزر .
٢ الحصص : القطع .
٣ نزا : وثب . العنظوان : الذكر من الجراد .

وصُبرةٌ من حِنطةٍ ونُقره   من فِضّةٍ ومن حديدٍ زُبره
خُصلةُ شَعْرٍ كُبّةٌ من غزلِ   فِرصةُ قُطنٍ رُمّةٌ من حبلِ
خِرقةُ ثوبٍ نُبْذةٌ من مالِ   وهَدْأةُ الليلِ منَ الأمثالِ[1]

قال سهيلٌ : فلما أبان الفتى ما أبان ، قال القوم : قد ظهر الشُّجاعُ من الجَبان . فما أشبَهَ هذا الألْمَعيّ ، بأبي عُبَيدة والأصمَعِيّ . ولقد اعتمانا،[2] ويمّم حِمانا. فلنَحبُهُ بما هو الخَليق بهِ ، ورِعايةً لحُرمة أدَبِه. ثم أفاضوا عليهِ[3] حُلَّةً من الإستَبْرَق،وقَبْضةً من الذهب الأصفر كَبتاً لعَدُوّه الأزرق.[4] فطال على الشيخ واستطال ، وقال : قد ذلّ من يُصادم الأبطال ! فاعتصم الشيخ بالهزيمة ، واقتفاهُ الفتى بماضي العزيمة . قال سهيلٌ : فأشفقتُ على ذلك الشيخ الفاني، من صولة ذلك الفتى الجاني. وخرجت في إثرِهما، لترقيح[5] أمرهما. فإذا هما بجانب العقيق[6] ، بين الأُقحوان والشقيق ، والشيخ قد لبس الحُلّة والفتى قائمٌ لديهِ كالرقيق[7] .فتوسَّمْتهما من كَثَب،وإذا هما ميمونٌ ورجب، فصِحتُ:يا للعجب!فارتفق[8] الشيخ على يمينهِ ،وأنشد والبِشرُ يلوح من جبينه :

قد لاحَ صبحُ الشيبِ وارفضّ الدُّجى   والعمرُ ولّى والرَّدى قد عرّجا[9]

---

١ من أمثال ذلك .
٢ الألمعي : الذكي المتوقد الفؤاد . أبو عبيدة : هو معمر بن المثنى البصري ، كان أعلم الناس بلغة العرب وأخبارهم وأيامهم وأنسابهم . الأصمعي : هو صاحب الروايات المشهور . اعتمانا : اختارنا .
٣ يمم : قصد . فلنحبه : فلنعطه .
٤ الإستبرق : الديباج . قبضة : قدر ما يحمل بين الأصابع . كبتاً : يقال كبت عدوه أي أخزاه وأذله ورده بغيظه . الأزرق : الشديد العداوة . والمراد به الشيخ .
٥ ترقيح : إصلاح .
٦ العقيق : مسيل الماء .
٧ الرقيق : العبد .
٨ ارتفق : اتكأ على مرفقه وهو موصل الذراع بالعضد .
٩ ارفض : تفرق وتبدد . الدجى : كناية عن سواد شعره . الردى : الموت . عرج عليه : عطف ومال .

ورَجَبٌ كالمُهرِ عنـدي نُتِجا أُريـدُ أنْ أروضَـهُ مُخَرَّجـا[1]
حتى إذا فارقتُـهُ مُندَرِجـا رُحْتُ قريرَ العينِ صادقَ الرجـا[2]
لا أختشي مَعصِيةً أو حَرَجـا [3]

ثم قال : يا بُنيَّ إني قـد عَوَّلتُ أن أركَبَ الفُلْكَ ، وأذهَبَ إمَّا [4] هُلْكَ ، وإمَّا مُلْكَ . فعُد إلى أصحابك بالسلام، واكتُمْ حديثي مع الغلام. فانثنيتُ عنهُ بين العذر واللوم ، وكتمتُ الحديثَ حتى وصلتُ إلى القوم .

---

١ أروضه : أمرنه . مخرجاً : أي مجرئاً له على الأعمال .
٢ فارقته مندرجاً إذا مت ملتفاً بالأكفان .
٣ حرجاً : إثماً .
٤ عولت : عزمت . الفلك : السفينة .

المقامة الخمسون

وتعرف بالحموية

قال سهيلُ بن عبّادٍ : لقيتُ الخزاميَّ في حَماة ، فانضَوَيتُ[١] إلى حِماهُ ، ولَبِثتُ أتنسَّم ريّاهُ ، وأترشَّف حُمَيّاهُ[٢] . وهو يطوفُ بي على الرِّياض والغِياض ، ويَرِدُ المَعِين والحِياض . ويتفقَّدُ الأجارع النَّضِرَة ، والخمائل[٣] الغَضِرة . حتى دخلنا إلى حديقة ، بهيجة أنيقة . والدواليب حولها تَحِنُّ[٤] حنينَ الناقة الرؤوم ، وتئنُّ أنينَ المُدنَف السَّؤوم . فجعلنا نتخيَّرُ الأفياءَ ، حتى[٥] انتهينا إلى ظِلال لمياء. فجلسنا وقد أطاعنا العاصي ، وتَسخَّرَت لنا مياههُ من[٦] الأقاصي . وأخذنا نجتني الثمار الذوابل ، من الأفنان السوابل[٧] ، وقد رقص البُلبُلُ على نَغَمات البلابل[٨] . وإذا قومٌ من كرام الوُجُود ، سِيماهم في وجوههم من أثر السُّجود ، وعليهم لوائح الجُودة[٩] والجُود. قد أقبلوا بوجوهٍ ناضرة ، إلى ربِّها ناظرة . وهم يُسبِّحون بحمد ربِّهم ، ويَستغفرون لما تقدَّم وما تأخَّر من ذنبهم . فلما رآهم الشيخُ قال : أعوذُ بربِّ الناس ، وجعل

١ انضويت : ضممت نفسي .

٢ حمياه : خمرته . كناية عن حديثه .

٣ الغياض : الغابات . المعين : الماء الجاري . الأجارع : الأراضي الطيبة النبات .

٤ الغضرة : المخصبة . الدواليب : أي دواليب النواعير التي فيها . تحن : تبدي صوتاً حزيناً .

٥ الناقة الرؤوم : العاطفة على ولدها . المدنف : المريض المضنى . السؤوم : الضجور .

٦ لمياء : كثيفة . العاصي : نهر المدينة .

٧ الأفنان السوابل : الأغصان المتدلية .

٨ البلابل : جمع بلبلة وهي الأنبوبة التي ينصب منها الماء . يريد أنابيب النواعير .

٩ الجودة : ضد الرداءة .

يَضربُ أخماساً لأسداس! ثم قال: يا بُنيَّ كنتُ قد عزمتُ أن أنتبذَ مكاناً[1] قصيّاً ، ولا أُكلّمَ اليومَ إنسيّاً . ولكن ما كلُّ رامي غرَضٍ يُصيب ، وكلّ وافدٍ لهُ نصيب . فلم يَكن إلاّ كتِلاوة أمّ القرآن[2] ، حتى تقدمَ القوم يخطِرون كالمُرّان. ولما كانوا منا بمَسْمَع ، جلسوا على رصيفٍ من اليرْمَع .[3] وأخذوا يتداولون الأحاديث المُسنَدة ، ويتناشدون الأشعار العربية والمولَّدة . فقال الشيخ: التجلُّد ، ولا التبلُّد . ثم أقبل عليَّ كأنّما أُنشِطَ[4] من عِقال ، وخَلّل عِذارَيه وقال : يا بُنيَّ إنني خُضتُ القِفار ، وكشفتُ[5] الأسرار . وشاهدتُ بين الإدبار والإقبال، في السُّهول والجبال، ما لم يخطُر لِبَشَرٍ ببال . فكم رأيتُ إبرةً تَطلُب ، وخيطاً يهرُب[6] . وثعلباً في جُبّة ، وأرنبةً في قُبّة . وغزالةً في السماء ، وجمرةً[7] في الماء. وكوكباً في مُقلة ، وشِهاباً في حَقْلة . وهِلالاً في راحة ، ونجماً[8] في ساحة . وقوماً يَحبِسون الناصح ، ويَكرَهون المُصافِح . ويَجتَنِبونَ الخاشع ، ويمتهنونَ الضارع.[9]

---

١ يضرب أخماساً لأسداس : مثل يضرب لمن يسعى في المكر . أنتبذ : أعتزل .

٢ أم القرآن : الفاتحة .

٣ يخطرون : يرددون أيديهم في مشيهم . المران : الرماح . اليرمع : حجارة بيض رقيقة .

٤ الأشعار المولدة : أشعار الحضر . التبلد : الكسل والتواني .

٥ أنشط من عقال : مثل يضرب للسرعة في الوثوب بعد الإمساك عنه . والعقال : حبل يقيد به البعير ، فإذا حل ثار البعير مسرعاً من مربضه . خلل عذاريه : أدخل أصابعه مفرجة في جانبي لحيته .

٦ الابرة : حد عرقوب الفرس . والخيط : الجماعة من النعام .

٧ الثعلب : طرف الرمح الذي يدخل في السنان : والجبة : تجويف السنان الذي يدخل فيه طرف الرمح . والأرنبة : طرف الأنف . الغزالة : الشمس في أول النهار . والجمرة : ألف فارس وكل من كان يداً واحدة من القبائل .

٨ الكوكب : البياض الذي يغشى العين . والشهاب : شعلة من نار . الهلال : البياض الذي في أصل الأظفار . والراحة : الكف . والنجم : النبات الذي لا ساق له .

٩ الناصح : العسل الخالص . والمصافح : الفاسق بكل من يصادفه . الخاشع : الفلاة التي لا يهتدى فيها . والامتهان : الاحتقار . والضارع : الذليل .

ويركبون الشَّكُور ، ويدوسون الجُمهور[1] . ويرَونَ قطع ساق العبد ، ألذّ من قطف الوَرْد . ويَعتَقِدون أن الكافر ، هو الظافر . واللعين ، نِعْمَ[2] الأمين . وأن أكل الأحرار ، من شِيَم الأبرار . وقُرَّة العَين ، لمن علاه[3] الدَّين . فثِقْ بما أعتمِدُه ، وصَحّح هذا الرأيَ واعتقِدْه . واستَقِمْ ولا[4] تَتَّبِع سبيلَ الذين لا يعلمون ، فإن الله إذا أراد شيئاً فإنما يقولُ لهُ : كُنْ ، فيكون. قال: فلما سمع القوم كلامَهُ رأوا فيهِ لغواً ولحناً ، فعابوهُ[5] لفظاً ومعنًى . وقالوا : إن هذا شاعرٌ بهِ جِنَّة ،فاجعلوا قلوبكم في أكِنَّة .[6] فثار الشيخ كأنهُ ليث عِفرينٍ[7] ، وقال : إني أو إيَّاكم لَعَلى هُدًى أو في ضلالٍ مُبين. مَن أنتم يا سُلالة الأنبياء، وثُمالة الأولياء. وما بالُكم تحكمون، بما لا تَعلَمُون ، وتُنكِرون من حيثُ لا تَفكُرون . أتُعَلِّمون اليتيمَ البُكاءَ ، والنديمَ الغِناء؟ أم تحسَبون أنَّكم تحسِنون صُنعاً ، إذا تحكَّكت عقربكم بالأفعى ؟ لقد غرَّكم بالله الغَرور ، واللهُ لا يُحبُّ كلَّ مختالٍ فَخور . فليَحكُمِ الله بيننا وهو خيرُ الحاكمين ، وستعلمونَ غداً من الكذَّابُ الذي يُراغُ عليهِ ضرباً باليمين . فلما رأى القوم ما رأوا مِن ازدِهائهِ ، شَعَروا[8] بدَهائه . وقالوا : لعلَّ لهُ عُذراً وأنتَ تلوم[9] ، فلينظُرُ المولى بعِلمهِ الذي

١ الشكور : الدابة التي تسمن مع قلة العلف . والجمهور : الرملة المشرفة على ما حولها .
٢ العبد : نبات طيب الرائحة . والقطف : ضيق الخطوات في المشي . والورد : الفرس بين الكميت والأشقر . الكافر : الزارع . اللعين : شخص ينصب في المزارع كهيئة رجل .
٣ الأحرار : البقول التي تؤكل غير مطبوخة . قرة العين : نبات ينبت بجانب عين الماء .
٤ فثق بما أعتمده : يشير إلى ما يريده من دخيلة الكلام بخلاف ما يوهم ظاهر عبارته . أراد اعتقده بسكون الدال وضم الهاء فنقل ضمة الهاء التي وجب إسكانها للوقف إلى الدال التي قبلها .
٥ اللغو : الكلام الساقط الذي لا يعتد به . واللحن : الخطأ في الإعراب .
٦ لفظاً ومعنى : من باب الطي والنشر المشوش لأن عيب اللفظ يرجع إلى اللحن وعيب المعنى إلى اللغو . أكنة : جمع كنان وهو ما يتقى به . أي احفظوا قلوبكم منه خوف الفتنة .
٧ عفرين : مكان يوصف بكثرة الأسود .
٨ يراغ : من الروغ وهو الميل والإقبال . ازدهائه : استخفافه بهم .
٩ لعل له عذراً وأنت تلوم : مثل يضرب لمن يلوم من له عذر ولا يعلمه اللائم .

فيهِ حقٌّ معلوم ، للسائل والمحروم . فلما آنسَ منهم لينَ الشِّرَّة ، لاحت[1] على أساريرهِ المسَرَّة . وقال : إذا تلاحت الخُصوم ، تسافهت الحُلوم . ثمَّ[2] أفاض في نقض ما أبرَم ، وفاض كالسيل العَرَمْرَم ، وهو يحرُق الأرَّم.[3] فانقادوا أذلَّ من النَّقَد ، وقالوا : نعوذ بالله من شرِّ النفّاثات في العُقَد . ثمَّ[4] قالوا : إنّا لنراك غزير السَّيل، لكنك قصير الذَّيل ، يسير النَّيل. فخذ هذه[5] النَّفقَة ، على سبيل الصَّداقة لا الصَّدَقة . وقد انتهينا عن الصَّلَف ، إلى[6] الكلَف ، فاغفِر لنا ما قد سلَف . فأبدى الثناء الجميل ، وأسدى الشُّكر[7] الجزيل . وانقلب مفتخراً بما فاز ، ومغتبطاً بما حاز . قال : فلما أتينا المدينة انحدَرَ عن المَطا،ودخل بي إلى مثل أفحُوص القَطا . فبِتُّ معه ليلةً أشهى[8] من عصر الصِّبا ، وأرقَّ من نسيم الصَّبا . حتى إذا أصبحنا ثار بين النفير ،[9] كالعَنْقَفير[10]، وأخذ في التشمير،للمسير. وقال: إني منصرفٌ إلى بلدة أخرى ، فإن شئت أن تؤُوبَ إلى أهلك فهو الأحرى . فوَدَّعته وَداعَ الهائم المشتاق، وسِرتُ وأنا أحدُو [11] بذكرهِ النِّياق .

....

١ آنس : رأى . الشرة : الحدة .
٢ أساريره : خطوط جبهته . تلاحت : تشاتمت . تسافهت الحلوم : أي صار الحليم سفيهاً .
٣ أفاض : اندفع . نقض : حل . العرمرم : الغزير . يحرق : يسحق حتى يسمع لسحقه صوت . الأرم : الأضراس .
٤ النقد : نوع من الغنم . وهو مثل في الذل . النفاثات في العقد : الساحرات اللواتي يعقدن الخيوط عقداً ويتفلن في كل عقدة منها .
٥ غزير السيل : كناية عن شدة الدهاء والحذاقة . قصير الذيل : فقير قليل المال . يسير النيل : قليل التحصيل .
٦ الصلف : التكلم بما يكرهه صاحبك .
٧ الكلف : شدة المحبة . أسدى : قدم .
٨ المطا : الركوبة . إلى مثل أفحوص القطا : إلى بيت مثل عش هذا الطائر .
٩ النفير : الجماعة .
١٠ العنقفير : الداهية .
١١ أحدو : أسوق بالغناء .

المقــامة الحادية والخمسون

وتعرف باليامية

أَخبرنا سهيلُ بنُ عبَّادٍ قال : تقلَّدتُ السَّفَر طَوقَ الحمامة[١]، مُنْذُ اعتجرتُ بالعِمامة[٢]. وكنتُ أَهوى ديارَ العَرب العَرْباء، لما فيها من الشُّعراء والخُطباء، والفُصَحاء والأُدباء، والبُلَغاء والنُّجباء. فكنتُ أُزجي[٣] إليها الرِّكاب، وأتضمَّخ منها بالعَجاج والعُكاب. وأتعَطَّرُ بالعَرار والبَشام[٤]، وأَتفكَّهُ بالعَرْفَج والثَّغام. وأَطربُ للنَّصْب والحُداء، وأَبتهج بالثُّغاء[٥] والرُّغاء. حتى إذا كنت يوماً بحَجْر اليامة[٦]، رأَيت كتيبةً قد أطبقت كالغَمامة. فحَثحثتُ الجَواد، حتى حصحص لي ذلك السَّواد. وإذا فتًى لاغط، وشيخ[٧] ضاغط. والناس حولهما يتفرَّجون، ولا يُفرِجون. فانتصبتُ مع الوُقوف[٨]، ونظرت من خِلال الصُّفوف. وإذا الشيخ يقول : ويلَ أُمّك يا أَخبَثَ من

---

١ مثل يضرب في الملازمة للشيء كملازمة طوق الحمامة لعنقها .

٢ اعتجرت بالعمامة : لففتها على رأسي .

٣ أزجي : أسوق .

٤ أتضمخ : أتلطخ . العجاج : الغبار . العكاب : الدخان . العرار : نبات طيب الرائحة يقولون له بهار البر . البشام : شجر طيب الرائحة يستاك به .

٥ أتفكه : أتخذ فاكهة . العرفج : شجر ينبت في السهول . الثغام : نبات يكون في الجبال . النصب : غناء للعرب أرق من الحداء .

٦ اليمامة : قسم من أقسام بلاد العرب . والحجر : مدينة بها .

٧ حثحثت : أعجلت . حصحص : ظهر . السواد : العدد الكثير . لاغط : من اللغط وهو الضجيج والصياح .

٨ ضاغط : يقال ضغطه إذا زحمه إلى حائط ونحوه . ولا يفرجون : ولا يفتحون فرجة . وهي الفسحة بين الشيئين .

الشَّيْصَبان، وأروَغَ من الثعلُبان ! إلامَ تمادى في العُقوق، وتتغاضى عن[1] الحُقوق ؟ أما تذكر تثقيفي أوَدَك ، وتلقيفي رَشَدَك ؟ وهل نسيتَ ما[2] تجشّمتُ من جلَلِك، في مُداواة علَلِك؟ وكم أنفقتُ عليك في المدارس،[3] والمطاعم والملابس؟فبأيّ آلاءِ ربّك تتمارى،ولو كنتَ أبلهَ من الحُبارى؟[4] هذا والغلامُ يتظلّم، ويتململُ ويتألّم. وهو أحيَرُ من ضبّ[5]، وأنفرُ من بعيرٍ أزَبّ. فلما رأى القومُ ما رأوا من تململه،واصطخابه وتبلبُله.[6] قالوا : ليس شكوَى ، بلا بلوَى . فأبِنْ أيها الشيخ عُذرَك ، وضَعْ عنك وِزْرَك ، الذي أنقضَ ظَهْرَك.فأرِنَ كما يأرَنُ المُهر، وقال : قد تجنّى[7] عليّ هذا الغُمر ، والله يعلم أن ليس لي ذنبٌ إلاّ ذنبُ صُحْر . إن هذا الفتى[8] عربيُّ الدار ، لكنهُ روميُّ النّجار[9] . وقد بذلتُ فيهِ من الدينار والدرهم ، ما لا يبذلهُ خالدُ بنُ الأيهَم[10] . وأفرغتُ جُهدي في تهذيب لسانه ، وتعديل ميزانهِ . فلم يَزَلْ يكسِرُ شكيمة اللّجام ، وينزِعُ إلى ألفاظ الأعجام .[11]

١ الشيصبان : الشيطان . الثعلبان : الثعلب الذكر . العقوق : سوء المكافأة عن التربية .

٢ تثقيفي أودك : تقويمي اعوجاجك . تلقيفي رشدك : مناولتي لك الرشاد بالسرعة .

٣ تجشمت : تكلفت . من جللك : من أجلك .

٤ آلاء : نعم . تتمارى : تشك . والعبارة آية من القرآن . الحبارى : طائر يضرب به المثل في البله لأن أنثاه إذا فارقت بيضها تذهل عنه فتحضن بيض غيرها .

٥ أحير من ضب : إذا فارق الضب جحره لا يهتدي إليه .

٦ الأزب : الكثير الشعر . وذلك أن البعير يرى طول الشعر على عينيه فيظنه شخصاً فينفر منه ولا يتخلص من لحاقه به فلا يزال نافراً . اصطخابه : ضجيجه . تبلبله : اضطرابه .

٧ وزرك : حملك الثقيل . أنقض ظهرك : أي أثقله حتى سمع نقيضه وهو صوت مفاصل العظام عند الضغط . أرن : مرح نشاطاً . تجنى : ادعى علي بذنب لم أفعله .

٨ الغمر : الغبي الجاهل . صحر : هي بنت لقمان بن عاد يضرب بها المثل لمن يعاقب بغير ذنب .

٩ النجار : الأصل .

١٠ هو خالد بن جبلة بن الأيهم الغساني من آل جفنة ملوك الشام . أتى قيصر ملك الروم بعد ارتداده عن إسلامه فسر به وأقطعه أعمالا وطالت يده فبذخ في عيشه وكان كريماً متلافاً .

١١ الشكيمة : الحديدة المعترضة في فم الفرس . ينزع : يميل . الأعجام : يشمل كل من كان من غير العرب .

فيدعو المعلّم ، بالمؤلّم . ويُسمّي القلب ، بالكلب . والحيطان ، بالخيطان. ويعرّف المُضاف، ويؤخّر الموصوفات عن الأوصاف. وهذا ممّا تأباهُ السجيّة[1] الأدبيّة ، وتَستَكّ[2] منه المسامع العربيّة . وشهدَ الله أني أُريد تهذيبهُ ، لا تعذيبهُ. وأرغبُ في تثقيفه ، لا تعنيفهِ . لكنني أجتهدُ في تسديدهِ فيَعثُر ،[3] وأروم تشديدهُ فيَنفُر . وإن كنتم في ريبٍ من ذلِكُم فاختبروهُ ، وإلاّ فأنا أمتَحِنهُ لِتَعتبروهُ . قالوا : لا جَرَم أنّ المولى ، هو الأولى. فأمسَكَ هُنيهةً عن الكلام ، ثم قال قُلْ يا غُلام :

أنا الخزاميُّ الرقيقُ الكَلِمِ مَسَحتُ رُكنَ المسجِدِ المحرَّمِ
ولي غُلامٌ من نِتاج العَجَمِ يُشرِقُ في فُؤَادهِ وفي الفمِ
أوجَدَهُ باري الوَرَى من عَدَمِ وحاطَـهُ بالقَدَرِ المُصمَّمِ[4]
فلم يَزَل في حَرَسٍ مُتَمَّمِ

فتعزّز الفتى وتمنّع ، وهو يَروغ كالفارس الأهنَع[5] . فما زال بهِ القوم حتى أَجابَ فترَحرَح ، وأنشد بصوتٍ صَمَحْمَح :[6]

أنا الخزاميُّ الركيك الكَلِمِ مسختُ ركنَ المسجِدِ المُخرَّمِ
ولي غُلامٌ من نِتاج الأَجَمِ يُشرِك في فؤادهِ وفي الفَمِ[7]

---

١ السجية : الطبيعة .
٢ تستك : تثقل وتضيق .
٣ تعنيفه : تعييره ولومه . تسديده : توفيقه للصواب .
٤ المصمم : من معنى الصميم ، أي الخالص .
٥ الأهنع : المائل في سرجه يميناً وشمالا .
٦ ترحرح : فسح بين يديه . صمحمح : شديد .
٧ الأجم : الغابات . وعلى ذلك فيكون من الوحوش . يشرك : يكفر .

أوجَدَهُ باري الورى من أدَمٍ وخاطَــهُ بالكَدَرِ المُسَمَّمِ[1]
فلم يَزَلْ في خَرَسٍ مُتَمِّمِ

قال : فلما رأى القوم سُقم هذه الألفاظ ، وما أدّت إليه من المعاني الفِظاظ[2] . تعوّذوا بالله من سوء تلك اللُّثغة ، وقالوا : ما هذا الغلام الذي لا يُشترى بفَشْغة[3] ؟ فتبرّم الشيخ وتأفّف ، وتأوّه وتأسّف . وقال : قد علمتم أنّ عِثار اللسان شرٌّ من عِثار القَدَم ، ولكن ماذا يَنفَع النَّدَم ؟ وإنني طالما حدّثتُ نفسي بعَتاقِهِ ، وهممتُ بانعتاقي من وَثاقِهِ . ولو وجدت لي عنهُ غِنًى ، أو كان في يدي سَعَةٌ من الغِنى . لَبِعتُهُ بنِصف القيمة ، واشتريت غيرهُ بضِعف السِّيمة . ولكن قد انقطع السَّلى ، فلا حولَ ولا .[4]
فأجهَش الفتى عن كَثَب ، وأخذ رُقعةً وكتب :

هَبُوا خَطَأَ اللِّسان عليَّ عيباً أما لي غَــيرهُ شيءٌ يُصِيبُ
أنا ابنُ اقعُدْ وقُمْ ، لا في النَّدامى أُعَدُّ ، ولا سميرٌ أو خطيبُ[5]
أديرُ من المعاني كلَّ كأسٍ تطيبُ فخَلٌّ لفظي لا يطيبُ
إذا كان الجميلُ سليمَ حُسنٍ ، فليسَ بضُرُّهُ ثوبٌ مَعيبُ

فلما وقف القوم على شِعرِهِ ، ورأوا انحِطاط سِعرِهِ . قالوا: إن لم يُحسِن

---

١ أدم : جلد . المسمم : أبدل الصاد بالسين .
٢ الفظاظ : الغليظة .
٣ الفشغة : هي القطنة التي تكون في جوف القصبة .
٤ الضعف : من معنى المضاعفة . السيمة : من معنى المساومة . السلى : جلدة رقيقة يكون فيها المولود من المواشي إذا انقطعت في البطن هلكت الأم والولد . وهو مثل يضرب في ذهاب الحيلة . فلا حول ولا : أي ولا قوة إلا بالله .
٥ يقال للعبد ابن اقعد وقم وللأمة ابنة اقعدي وقومي والمراد بهما الاستخدام . أعد ولا سمير : أي ولا أنا سمير .

الكَرَّ ، فالحَلَبَ والصَّرُّ[1]. ونقَدوا الشيخ بعض المال ، وقالوا للفتى: دونكَ الجِمال . فسُرَّ كلاهما وارتضى ، وودَّعَهُم الشيخ ومضى . قال سهيلٌ : وكنتُ قد عرفتُ ذَينِكَ الصاحبين ، اللذين سَيِّئاتهما تغلِب الكاتبَين .[2] فقفَوتُ الشيخ في تلك البِقاع ، وقلتُ : يا فرَزْدَقُ أينَ وقّاع ؟ قال :[3] انزِل بنا هنا، والليلُ يواري حَضَناً . فنزلنا إلى أن استوهَنَ الليل، وإذا[4] رجبٌ على شَيْظَمَةٍ[5] من جِياد الخيل ، تندفق به كعارض السَّيل . وهو بين ذلك يُنادي ، ألليلَ وأهضامَ الوادي . واستمرَّ يعدو الهَمْلَجة ، على[6] مُهرته السَّمَلَّجة . فما أدركناهُ إلاَّ وقد اشمخرَّ الضُّحى ، وكلَّت الخيلُ[7] من الوَحَى[8] . فنزلنا جميعاً عن السُّروج ، في بعض تلك المرُوج . حتى إذا انجابَ بُهرُ الأنفاس ، وثابَ أشَرُ الأفراس . ثار رجَبٌ كالرِّئبال ، وقال:[9] لا تقسِط على أبي حِبال ، وتركَ القومَ يكسرون عليهِ أرعاظ النِّبال .[10]

---

١ الصر : ربط ضرع الناقة بخيط لئلا يرضع الفصيل . ومراد القوم أنه إن لم يحسن الكلام فهو يحسن الخدمة .

٢ عرفت ذينك الصاحبين : عرف أنهما الشيخ الخزامي وغلامه رجب . تغلب الكاتبين : أي تغلب الملكين اللذين كل واحد منهما يكتب سيئات كل منهما فلا يقدران على إحصائها لكثرتها .

٣ الفرزدق : هو همام بن غالب وكان له غلام يقال له وقاع كان يرسله في قبائحه . وسهيل يشبه الشيخ بالفرزدق وغلامه بوقاع لأنه يستخدمه في حوائجه السيئة .

٤ حضناً : هو جبل عظيم في نجد . استوهن الليل : دخل في الوهن وهو نحو نصف الليل .

٥ شيظمة : أي فرس فتية جسيمة .

٦ الأهضام : جمع هضم وهو ما اطمأن من الأرض . أي احذر الليل ومهاوي الوادي . الهملجة : هي أن يقارب الفرس بين خطواته مع الإسراع .

٧ السملجة : السريعة الخفيفة . إشمخر : ارتفع .

٨ الوحى : السرعة .

٩ انجاب : انكشف وزال . بهر الأنفاس : ضيقها . أشر : نشاط . الرئبال : الأسد .

١٠ تقسط : من القسط وهو الجور . لا تقسط على أبي حبال : مثل يضرب لمن يحذر جانبه ويخشى انتقامه . الأرعاظ : جمع رعظ وهو مدخل النصل في السهم كان يكسره الرجل من العرب إذا اغتاظ لأنه كان يخط في الأرض بسهامه فيكسر أرعاظها . وهو مثل يضرب في شدة الغيظ .

المقـــامة الثانية والخمسون

وتعرف بالعمانية

قال سهيل بن عبّادٍ : ألقتني صُروف الزمان ، إلى عُمان[1] .فدخلتها وقد آذنت بَراحِ بالبِراح، وهتف داعي الفَلاح. حتى إذا مررتُ بفِناءِ الجامع،[2] إذا الحزاميُّ هناك رانع . والناس حوله كالحجيج في المزدَلِفة[3]، أو في موقف عرَفة[4]. فابتدرتُ إليهِ العُبُور ، وقد استُطير فؤادي من الحُبور. وجلستُ للسَّمَر ، بين تلك الزُّمَر. فقضيناها ليلةً أبهجَ من زهر الرُّبى ، وأنفَجَ[5] من نشر الكِبا[6]. والشيخ يتلو علينا أساطير الأوَّلين والآخرين، ويطرِفنا بحديث العابرين والغابرين. حتى هَوَّمَ الكَرى المفارِق، وكدنا نستقبل غُرَّة الطارق.[7] فهجعنا هُنالك ، غُبَّر الليل ذلك . ولما كانت الغداة ، وقد انقضَتِ الصلاة .[8] هجم علينا شيخٌ أرمشُ أغفَش ، كأنهُ أبو الحسَن الأخفَش . فحيَّا من[9]

---

١ عمان : مدينة باليمن .

٢ براح ، بفتح الباء: علم للشمس . البراح ،بكسر الباء : الغروب . داعي الفلاح : المؤذن .

٣ المزدلفة : موضع بين عرفات ومنى يبيت فيه الحجاج .

٤ عرفة : الجبل الذي تقدم عليه الضحايا .

٥ أنفج : من قولهم نفجت الريح إذا هبت شديدة .

٦ الكبا : عود البخور .

٧ حتى هوم الكرى المفارق : حتى أمال النعاس الرؤوس غرة الطارق : كوكب الصبح .

٨ غبر : بقية . الغداة : بين صلاة الصبح وطلوع الشمس .

٩ أرمش : متفتل الأهداب . أغفش : في عينه غمص وهو الوضر الأبيض السائل منها . الأخفش : الصغير العينين . وهو لقب ثلاثة من علماء العربية .

حَضَر ، وقال : أرى عمائم البَدْوِ على وجوه الحَضَر[1]، فقال الشيخ : بل ترى تيجانَ العرب[2] على أعيان مُضَر . فمن أنت يا مَن يَسلُبُ السيفَ فِرِنْدَهُ ، والصَّريفَ زُبدَهُ ؟ قال : إن كنت من أهل تلك الأماكن،[3] فما قيود المساكن ، باعتبار الساكن ؟ فتفكَّر ، ريثما تذكَّر . ثم أنشد :

لِمَسكَنِ الناس يُقالُ الوَطنُ ومثلُ ذاك للجمالِ العَطَنُ
إصطبلُ خيل زَرْبُ شاءٍ ووَرَد وجارُ ضبعٍ والعَرِينُ للأسد
ونَفَقُ الخُلْدِ كِناسٌ للظِّبَا والنافِقاءُ لليرابيعِ خِبا[4]
جُحْرُ الضِّباب قَريةٌ للنملِ وهكذا خَلِيَّةٌ للنحلِ[5]
والوَكرُ للطيرِ وأفحُوص القَطا منهُ وأُدحِيُّ النَّعامِ ارتبطا
والكور للزُّنبُور ، والعناكِبُ لها البيوتُ فادرِها يا صاحبُ[6]

قال : حُيِّيت وحَيِيت ، وأعْيَيتَ ولا عَيِيت . فما قيود السَّعَة،[7] إن كنتَ من شُوس المَعمَعَة ؟ فأهنفَ كوَلاّدة ، وأنشد كأبي عُبادة :[8]

بيتٌ فسيحٌ دارُهُ قَوراءُ ، صَدرٌ رحيبٌ مُقلةٌ نجلاءُ
بطنٌ رغيبٌ وطريقٌ مَهْيَعُ ، والثوبُ فَضفاضٌ كدرعٍ تمنَع[9]

١ يريد أن الخزامي وسهيلا قد لبسا ملابس أهل البادية وهما من الحضر .
٢ كنى بتيجان العرب عن العمائم .
٣ فرنده : ماءه وجوهره . يريد أنه قد أراد أن يسلب منهما شرفهما وخلاصة نسبهما . الصريف : اللبن ساعة يحلب . والزبد : ما يستخرج بالمخض من لبن البقر والغنم .
٤ الظباء : الغزلان .
٥ الضباب : جمع ضب .
٦ العناكب : جمع عنكبوت .
٧ أعييت ولا عييت : أعجزت غيرك ولا عجزت .
٨ شوس المعمعة : أبطال الحرب . الإهناف : ضحك في فتور كضحك المستهزىء . وقيل : هو خاص بالنساء . وولادة : هي بنت المستكفي بالله الناصري ، كان مجلسها بقرطبة منتدى للشعراء والظرفاء .
٩ كالدرع الحديدية فإنه يقال درع فضفاضة .

وأرضُنـا واسعةٌ ، والقَدَحُ يوصَفُ بالرَّحراحِ فيما اصطلَحوا

قال : سُقيتَ الغريض، يا كعبة القريض! فما قيود الامتلاء ، عند أهل[1] الجِلاء ؟ فقال : جَريُ المُذكياتِ غِلاءٌ . وأنشد : [2]

يُقـالُ عينٌ ثـَرَّةٌ ، والبحرُ طامٍ ، وطافحٌ لدينـا النهرُ[3]
كأسٌ دِهاقٌ ، وجِفانٌ رُذُمُ ، وزاخرُ الوادي إناءٌ مفعمُ
وجَفنُكَ المُترَعُ ، والسفينه بكل كيسٍ أعجرٍ مشحونه
وقِربةٌ مُتْـأَقَـةٌ ، والطـَّرْفُ مُغْرَوْرِقٌ إذ غصَّ نادٍ فاقفُ[4]

قـال : لا شَـلَّت أناملُك ، ولا كَلَّت عواملُك . فهل تعرف قيود[5] الخَـلاء ، وتجعلها خاتمة الإملاء ؟ قال : سِيَّان الخاتمةُ والفاتحة ، فما أشبهَ الليلةَ بالبارحة . وأنشد :

أرضٌ من الناس يُقـالُ قـَفْرُ جُرُزٌ من الزرعِ إناءٌ صِفرُ
ودارُنا من الأهـالي خاويه مثلَ البطونِ من طعامٍ طاويه
والمرءُ من كل سِلاحٍ أعزَلُ ، ورَجُلٌ من دون سيفٍ أميَلُ
أجَمٌّ من رُمحٍ ، ومن قوسٍ رَمَى أنكَبُ ، والأكشفُ من ترسٍ حَمَى[6]
حـافٍ بلا نعـلٍ ، وحاسرٌ بلا عِمامةٍ ، عـارٍ من الثوب خَلا

---

١ الغريض : ماء المطر . القريض : الشعر .

٢ الجلاء : البيان . المذكيات : الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان . والغلاء: جمع غلوة وهي مقدار رمية السهم . مثل يضرب لمن يوصف بالتبريز على أقرانه .

٣ عين : المراد بها عين الماء .

٤ أي فاتبع هذه القيود .

٥ شلت : من الشلل وهو فساد يكون في اليد . يقال : كل السيف إذا ذهب مضاؤه . والعوامل : جمع عامل وهو ما يلي السنان من الرمح . كنى به عن القلم .

٦ يقال أجم : إذا كان خالياً من الرمح . وأنكب : إذا خلا من القوس . وأكشف : إذا خلا من الترس .

وقلبُ زيدٍ فارغٌ من شُغلِ ، وخَطُّهُ غُفْلٌ بغيرِ شكْلِ
وحاجبٌ أمرطُ جَفنٌ أمعَطُ ، وأصلعُ الرأسِ وجِسمٌ أملَطُ
وهكذا غيمٌ جَهامٌ من مَطَر ، وقيل : خدٌّ أمردٌ من الشَّعَر
ولبَنٌ من زُبدهِ جهيرُ ، وطُلُقٌ من قيدهِ الأسيرُ
وامرأةٌ من الحُليّ عُطُلُ زَلّاءُ لا يَشخَصُ منها الكَفَلُ[1]
وعُلُطٌ من وسمهِ البعيرُ ، ونُزُحٌ من المياهِ البيرُ
وشَجَراتٌ سُلُبٌ من وَرَقِ ، فاقنَع بما ذكرتُ واترُك ما بَقِي

قال : فلما رأى القوم وَرْيَ شَرارِهِ ، وفَرْيَ غِرارِهِ ، قالوا :[2] نُعيذُكَ بالله من نفسٍ حرّى ، وعينٍ شُرّى ! فهل لك أن تكون لنا خطيباً ؟[3] وكفى بالله حسيباً . قال : نحنُ في المشرب شَرَع ، والطيور على أشكالها تقع .[4] فإن رأيتُ ما يَسُدُّ الخَلَّة ، ويرُدُّ الغُلَّة ، فأنا منكم نَسَباً وحِلَّة .[5] ورُبَّ ظِئرٍ رَؤُوم ، خيرٌ من أمٍّ سَؤُوم . فرضخوا لهُ باحتلاب شَطْر ،[6] وقالوا : أوَّل الغيث قَطْر . فارتفق على مُصَلّاهُ ، وقرأ : إذا عزمتَ[7] فتوكَّل على الله . قال سهيلٌ : ولم يكن إلاَّ بعضُ خَذْمة[8] ، حتى وفَدَت

١ يشخص : يرتفع .
٢ وري : يقال وري الزند إذا أخرج ناراً . فري غراره : أي قطع حد سيفه .
٣ حرى : مؤنث حران بمعنى شديد العطش ، يريدون به من يضمر الحقد والعداوة . شرى : أي شريرة .
٤ حسيباً : وكيلا . شرع : سواء . الطيور على أشكالها تقع : مثل يضرب في تألف النظائر .
٥ الخلة : الفقر والحاجة . الغلة : العطش . فأنا منكم نسباً وحلة : أي أكون واحداً منكم في النسب والوطن .
٦ ظئر : حاضنة . رؤوم : عطوف . أم سؤوم : ذات ضجر . رضخوا : أعطوا قليلا . رضخوا له باحتلاب شطر : من قولهم في المثل : حلباً لك شطره ، وذلك لأن للناقة أربعة أخلاف كل اثنين منها شطر ، يعني أنهم أكرموه بشطر من الإكرام الذي كان يستحقه .
٧ ارتفق : اتكأ على مرفقه . مصلاه : البساط الذي يصلي عليه .
٨ خذمة : ساعة .

امرأةٌ حَسَنَةُ اللِّثْمة ، فقالت للشيخ : هَلُمَّ بأبي عُبادة [1] ، فقد كُلِّفتُ الشَّهادة . قال : عليَّ أن أَشهدَ بالحقِّ ، كما أَشهدُ للحقِّ . ونهض بي كالسارية ، في أثر الجارية . والقوم إليه ينظرون ، وله ينتظرون . فلما انتهينا إلى بعض المناصع ، سَفَرَت كليمتُه ، وإذا هي كريمتُه . فوقفتُ مُتدهدِهاً ، فزجرني [2] مُقَهقِهاً . وأنشد :

لم أَرْجُ سَدَّ خَلَّتي من النَّفَر ، فقد عزمتُ بغتةً على السفَر
متَّكِلاً فيه على رِدءِ القدَر ، فلم أكُن في أمرهم ممَّن غدَر [3]
وأنتَ يا بُنَيَّ كُن ممَّن عَذَر !

ثم قال : إن كنتَ الرفيق ، فهذه الطريق . وإلاَّ فعليك السَّلام ، ولا مَلام . فخرجتُ بين الحيَّة والحُيَيَّة ، ولم نَفترِق إلى ديار طُهيَّة . [4]

---

١ أبو عبادة : سهيل .

٢ المناصع : الأمكنة الخالية . سفرت : كشفت وجهها . كليمته : الجارية التي كانت تكلمه . متدهدهاً : مترجرجاً من العجب والذهول لعلمه أنها حيلة .

٣ رده : عون .

٤ الحية والحيية : أي الشيخ وابنته ، والحيية مصغر الحية . طهية : حي من بني تميم .

المقامة الثالثة والخمسون

وتعرف بالغزية

حَدَّثنا سهيلُ بنُ عبَّادٍ قال : خرجنا من العواصم ، نريدُ غزَّةَ هاشم .[1] فأَعملنا السنابكَ والفراسن ، ووَرَدنا الآجن والآسِن . حتى دخلناها بعد[2] الأين ، بين العِشاءَين . وقد علَت أوجُهَنا وَمْحةٌ من السَّفَر ، ولَـمْحةٌ[3] من الكَدَر . فاتَّخذنا بها المضاجع ، واغتنم كلٌّ منّا دَعَةَ الهاجع[4]. فلما انسلخ النهارُ من الليل ، وجرَّت الغزالة فضل الذيل . خرجنا نتفقَّد أراضيَها الخضراءَ[5] والبيضاءَ ، حتى إذا مررنا بدار القَضاء ، سمعنا لَغَطاً وضَوضاء . فعرَّجنا على[6] ذلك اللَّجَب[7]، وإذا الخزاميُّ مُتعلِّقاً برَجَب . وهو يقول : أيَّد الله القاضي، وأنفذَ حُكمَهُ المـاضي . كان لي نديمٌ رقيق المباني ، دقيق المعاني . ظريف الشَّكل، حصيفُ النَّقل[8]، خفيف الوَضع والحَمْل . بديع الفكاهة والبداهة، بعيدُ السَّفاهة والفَهاهة[9]. يُؤنِسُني الليلَ والنهار، ويُغنيني عمَّن يَزور أو يُزار.

---

١ العواصم : بلاد قصبتها أنطاكية . غزة هاشم : مدينة قديمة بالقرب من القدس الشريف .

٢ الفراسن : حوافر الخيل وأخفاف الجمال . الآجن من الماء : هو المنتن إذا كان يمكن شربه ، فإن كان فوق ذلك حتى لا يستطاع شربه فهو آسن .

٣ الأين : التعب والإعياء . العشاءين : المغرب والعتمة . ومحة : أثر الشمس .

٤ دعة الهاجع : راحة النائم .

٥ الخضراء : ذات الأغراس .

٦ البيضاء : التي لا أغراس بها . عرجنا : ملنا .

٧ اللجب : الضجيج .

٨ حصيف : محكم . البداهة : سرعة الخاطر .

٩ الفهاهة : العجز عن الكلام .

ويخدمُني الصباحَ والمساءَ ، ولا يشربُ لي قطْرة ماءٍ . ويبذِلُ المعونة، على غير مؤُونة[1]. ويُسأل فيُعطِي ، ويَخطو فلا يُخطي . طالما أبدَى ، فأهدى . وأعاد، فأفاد. لا يَهزُّهُ الدَّلال ، ولا يَستفِزُّهُ[2] الملال. ولا يعرف الغضب، ولا يُسيءُ الأدَب . ولا يكتُمُ عني سِرّاً ، ولا يَعصي لي أمراً . وإذا قطعتهُ انقطع ، وإذا استرجعتهُ رَجَع . وإذا طويتهُ انطوَى ، وإذا زَوَيتهُ انزوَى ، وإذا ضويتهُ انضوى[3] . يلقاني بصَدْرٍ مشروح ، وباب مفتوح. ووجهٍ طلِق ، ولسانٍ منطلِق . فكنتُ أتَّخِذهُ أنيساً ، ولا أُريدُ غيره جليساً . وأنعكِفُ عليهِ آناءَ الصَّرْعَين ، لما أجِدُ بهِ من طيب النفس[4] وقرَّة العين. وإن هذا الأحمق، قد مزَّقهُ كلَّ ممزَّق. وتركني ألهَف عليه ، من النُّعمان على نديمَيهِ[5] . قال : فاضطرب الرجل مرتاعاً ، وتباكى ملتاعاً . وقال : عَلِمَ الله أني كنت بهِ أبَرَّ من العَمَلَّس[6]، وعليهِ أحذر من الذئب الأطلَس[7] . فإنه كان راحي ومراحي ، وصباحي ومِصباحي. وكان يُلهيني عن سغَبي وأُوامي[8]،ويَشغَلُ الشيخ عن نِزاعي وخِصامي . ولكن قد فرَط ما فرَط ليقضيَ اللهُ أمراً كان مفعولاً، وإنَّ السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً . فإن شاء الشيخ دِيَةً أو قَوَداً[9] ، أو يسلُكَني عذاباً صَعَداً[10].فإني لهُ أطوَعُ من عِنانهِ ، وأوفقُ من بنانهِ . فقال الشيخُ : أمَّا

١ مؤونة : كلفة .
٢ يستفزه : يستخفه .
٣ إذا عزلته اعتزل وإذا ضممته انضم .
٤ آناء : ساعات . الصرعين : الليل والنهار .
٥ هما خالد بن المضلل وعمرو بن مسعود اللذان قتلهما الملك النعمان .
٦ العملس : رجل كان يكرم أمه حتى كان يحج بها حاملا إياها على ظهره .
٧ الذئب الأطلس : هو الذي في لونه غبرة إلى السواد ، قيل : هو أخبث الذئاب .
٨ سغبي : جوعي . أوامي : عطشي .
٩ دية أو قوداً : ثمن الدم أو القصاص بالقتل .
١٠ أو يسلكني عذاباً صعداً : أو يعذبني عذاباً شديداً .

وقد كان ذلك من خطإٍ فعله ، فتحريرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ودِيَةٌ مسلَّمةٌ إلى أهله . ولكن هل بالرمال أوشال ، وكيف يُرجَى الرِّيُّ من الآل ؟ قال:[1] أنا أَسعى بما تيسَّر، وتحُطُّ عني ما تعسَّر. وأخذ يطوف على الجماعة من فَورِه، وهو يُنشد في أثناء دَورِه :

آهـاً من الأيام والليالي ... قد علَّمَتْني مَهْنة السُّؤَالِ !
وعاضَتِ الإدلالَ بالإذلالِ ، ... فذُقتُ من لواعج البَلْبالِ !
ما لم يَكُنْ يخطُر لي ببالِ ... لكن قضى لي اللهُ ذو الجلالِ
برِفدِكم ، يا كعبةَ الآمالِ ، ... فإن عـدا الدهرُ فما أُبالي[2]

وجعل يُردِّدُ الأبياتَ بين مَطافهِ ، ويُلَيِّن أعطاف استعطافهِ . فعاد إلى الشيخ بقَدَر ، وقال : هذا ما قيَّضهُ القَدَر[3]. فإن رضِيتَ وإلاَّ أَلحَقتُ الحِسَّ بالإِسّ ، وأَغمضتكَ عمن يَجِسُّ أو يَحِسّ . فانكفأَ الشيخ إلى[4] خلفهِ ، وقال: ليس يُلامُ هاربٌ من حَتفِهِ[5] . قال سهيلٌ: فلما خرج قفوتهُ أَعتَقِبُ[6] ، إلى حيثُ لا مُرْتقِب . وقلت : هيهات أَن أُطلِق سبيلك ، أو تُعَرِّفني قَبيلك! قال : هو كتابٌ أَلقاهُ هذا الشيطان[7]، في بعض زوايا الخان ، فمزَّقهُ الفأرُ شَذَرَ مَذَر ، وعلاهُ بالرِّجْسِ والقَذَر . وتركني أَنوح عليهِ[8]

---

١ أوشال : جمع وشل وهو الماء المنحدر من الجبل . الآل : ما تراه نصف النهار كأنه ماء .

٢ رفدكم : مساعدتكم وانعامكم . عدا : بغى .

٣ بقدر : بمقدار من المال . قيضه : قسم به . القدر : قضاء الله .

٤ ألحق الحس بالإس : مثل يضرب في إلحاق الشيء بالشيء . أغمضتك : أخفيتك . يجس أو يحس : كلاهما بمعنى يتفقد الأخبار غير أن الأول يكون في الشر والثاني في الخير .

٥ حتفه : موته .

٦ أعتقب : أمشي بعقبه .

٧ الشيطان : أي رجب .

٨ شذر مذر : ذهبوا في كل ناحية . الرجس : الدنس .

بزَفَرات تَتْرى ، وأبكي بأجفانٍ شَكرى . ثم ناولني لِفافةً سَبَنيَّة ، [1]
وقال : إذا أصبحتَ فخُذها إلى القاضي برسم الهديَّة . وانطلق يعدو في العراء،
ولا يلتفتُ إلى الوراء . قال : ففضَضتُ تلك الغاشية ، وإذا الكتابُ فيها
كالهشيم [2] قَضِمَتْهُ الماشية، وقد علَّق فيه على الحاشية :

هـــذا القتيلُ المُهتَدَى بنارِهِ جئتُ إلى القاضي لأخذِ ثارِهِ
من جُرَذِ الفُنْدُقِ أو من فارِهِ، وَهْوَ لحُبِّ اللُّبثِ في جِوارِهِ [3]
أوصى بأن ندفِنَهُ في دارِهِ !

فأثمرتُ بإشارتِهِ ، وأطرفتُ [4] القاضي بعبارتِهِ . فضحك حتى هَوَت
قَلَنْسُوَتُهُ،والتَوَت عَنصُوَتُهُ . وقال : هل لك أن تَرُدَّهُ فأحتَمِلَ من [5]
كرامتِهِ ، فوقَ ما احتملتُ من غرامتِهِ [6] ؟ قلتُ : هيهاتِ إنهُ والعُقاب ،
فَرْخانِ في نِقاب ! وكان ذلك بيننا وسيلة الوِدادِ والتَّرداد ، حتى خرجت [7]
من تلك البلاد .

---

١ تترى : متتابعة . شكرى : ممتلئة من الدموع . سبنية : نسبة إلى سبن وهي قرية من أعمال بغداد تنسج بها الثياب .
٢ الهشيم : النبات اليابس .
٣ الفندق : الخان .
٤ أطرفت : حدثت .
٥ القلنسوة : من ملابس الرأس . عنصوته : الشعر المتفرق في رأسه .
٦ من كرامته : من إكرامي له بالعطاء . من غرامته : من الدية التي سعى بها .
٧ إنه والعقاب فرخان في نقاب : مثل يضرب للمتشابهين . الترداد : الزيارة مرة بعد أخرى .

المقــامة الرابعة والخمسون

وتعرف بالسوادية

حكى سهيلُ بنُ عبَّادٍ قال: خرجتُ على ناقةٍ أُجُد ، كأنها طَودُ أُحُد .[1] فاندَفَعَت بي تنتَهِبُ الطريق ، وتخترقُ الشِّيق والنِّيق ، حتى أشرفتُ على[2] تنوفةٍ حافلةٍ بالأشائب ، مشحونةٍ بالركائب والجنـائب . وكانت الشمس قد[3] جَنَحَت إلى مغاربها ،فألقيتُ حبل ناقتي على غاربها . حتى إذا أدركتُ القوم[4] مِلتُ عنهم بعضَ المَيل ، وقلت أخوكَ أم الليل[5] . قالوا : إنَّ أخاكَ مَن آساك ، فلا تُطِل أساك . فلما آنستُ منهم أُنساً ، طِبتُ قلباً ونفساً .[6] فعرَّجتُ إلى المُعرَّس ، وقمتُ بينهم أتفرَّج وأتفرَّس . وإذا الخزاميُّ بين[7] قومٍ قد تأزَّروا كالعِيص ، وهم يتعاطَون رحيقـــاً كالهَصِيص ، برَفْدٍ[8] كالأصِيص . فلما رآني قال : نورٌ على نور[9] ، قد التقى سهيلٌ بالشِّعرَى

---

١ ناقة أجد : قوية موثقة الخلق . أحد : جبل بالمدينة .

٢ الشيق : أصعب موضع في الجبل . النيق : أرفع موضع في الجبل .

٣ تنوفة : فلاة . الأشائب : أخلاط الناس . الجنائب : المطايا تقاد غير مركوبة .

٤ الغارب : ما بين السنام والعنق . وهو مثل يضرب في ترك المطية تذهب حيث شاءت .

٥ مثل يضرب عند الارتياب في الشخص تحت ظلام الليل .

٦ آساك : أصلح أمرك . أساك : حزنك . آنست : رأيت .

٧ المعرس : مكان النزول ليلا . أتفرس : أستثبت بنظري .

٨ تأزروا : التفوا . العيص : الشجر الملتف . رحيقاً : خمرة صافية . الهصيص : بقايا النار تلمع بين الرماد . رفد : قدح ضخم .

٩ الأصيص : وعاء تزرع فيه الرياحين . نور على نور : سهيل والخمرة .

العَبُور ! فبتناها ليلةً رقيقةَ الحواشي ، صفيقة الغواشي . حتى إذا جَشَر[1] السَّحَر ، تداعى القوم للسَّفَر . وكانت المزاود قد خفَّت ، والمزادُ قد جفَّت.[2] فجعلوا يزجون الإسراءَ بالمَسير ، ولا يُبالون بابن ثميرٍ أو جَميرٍ . وما زالوا[3] يضربون في الآفاق ، حتى تبطَّنوا سَوادَ العِراق . فنصبوا السُّرادِق ،[4] وانتصبوا حولهُ كالرَّزادِق . قال : وكان هناك شيخٌ من عُلَماء البَلَدَين،[5] كان يُلِمُّ بنا في الأبرَدَين[6] . فدخل يوماً إلى فِناء المسجِد ، وإذا الخزاميُّ هناك يُنشِد :

عاتَبُوني على القطيعة لمَّا طالَ عهدُ النَّوَى وطَالَ النِّفارُ
قُل لهم : إنَّ من يَزُرْني أزُرْهُ كلَّ يومٍ ، ومَنْ يَزُورُ يُزارُ

فتلقَّاه الشيخ مُتَعَرِّضاً، وقال له مُعترِضاً: إنَّ إخلالَ مثلك بالإعراب ، مما يُعَدُّ من الإغراب . فوثب شيخنا السَّرَنْدَى ، كأنهُ السَّبَنْدَى ،[7] وقال : أجَلْ وسقوط مثلك في الوَهم ، مما يدِقُّ على الفَهْم . إن كنت أنت الفَرَّاءَ ، أو مُعاذٌ الهَرَّاءُ ، فأينَ يعود الضمير، على مُطلَق التأخير ؟ وكم[8] هي أوجهُ الشَّبَه في بِناء الأسماء، وكم أقسامُ التنوين عند العُلماء؟ وأيُّ لفظٍ يستوي استعمالهُ اسماً وحرفاً، ويُستعمَل في حرفيَّتهِ ظرفاً ؟ وأيُّ مُضافٍ

---

١ الشعرى العبور : هما نجمان . صفيقة : مكتنزة . جشر : طلع
٢ المزاود : أوعية الطعام . المزاد : آنية الماء .
٣ الإسراء والمسير : مشي الليل والنهار . بابن ثمير أو جمير : بالليل المقمر أو المظلم .
٤ سواد العراق : رستاقه وهو عدة قرى . السرادق : الخيمة من نسيج القطن .
٥ الرزادق : الصفوف من النخل . البلدين : البصرة والكوفة .
٦ الأبردين : الغداة والعشية .
٧ السرندى : الشديد القوي . السبندى : النمر .
٨ الفراء : هو يحيى بن زياد الأسلمي ، كان عالماً جليلا في النحو . معاذ الهراء : هو معاذ ابن مسلم الهراء شيخ الكسائي المشهور ، وهو الذي وضع علم الصرف . على مطلق التأخير : على المتأخر لفظاً ورتبة.

ينصب المضافَ إليهِ ، ولفظُهما لا يَطرَأُ[1] التغيير عليهِ ؟ وأيُّ الأسماء يُعرب من مكانَين ؟ وأيُّها يحتاجُ إلى مُعَرِّفَين ؟ وأيُّها يكون في الإعراب والبناء بينَ بين ؟ وأيُّها يُعرَب أصلهُ ويُبنى فَرعُهُ ؟ وأيُّها يُمنَعُ من الصرف مُفرَدُهُ وجمعهُ ؟ وأيُّها يكون ثلثاهُ زوائد؟وأيُّها لا يبقى منهُ إلاَّ أصلٌ واحد ؟ وأين تقوم أربعة أحرفٍ في الخفض ، وتَسقُط كلُّها في اللَّفظ ؟ وكم هي طُرُقُ الإعلال ، في الأسماء والأفعال[2] ؟ قال : فأخرَد الشيخ من الإعياء ، وأقرَد من الحياء.فقال الخزاميُّ : وَيْحَكَ إن كنت من حِجارة[3] الحِرار، فإن من الحجارة لَما يتفجَّر منهُ الانهار ! ولقد أجَّلتك إلى قُباقِب،[4] عسى أن يتراءى لك النجم الثاقب[5] . فاشتدَّ بالشيخ الوُجُوم ، حتى تعذَّر أن يَفُوهَ ولو بمثل نقيق العُلجُوم . فلما رأى ماءَهُ يَنْضُب ، ولونهُ كحِرباءِ[6] تَنْضُب ،رقَّت لهُ منهُ بَناتُ ألبُب. فأخذَ معهُ في التلَطُّف والتعطُّف،[7] ونبَذَ عنهُ التَّصلُّف والتعسُّف.فلما خَمِدت جَذوتُهُ ، وأنِسَت جَفوتُهُ .[8] قال : عَلِمَ اللهُ ما بي أن أُرتِجَ عليَّ، في ما أُلقِيَ إليَّ . ولكن أن يتندَّد[9] ذلك فتسقُطَ حُرمتي ، وينصرفَ الناس عن تكرمتي . فإن شئتَ أن تقبلَ هذا الطَّيْلَسان مني، وتكتمَ هذا الشأنَ عني ! قال : لا خَوف، إني أوفى

---

١ يطرأ : يحدث .

٢ هذه القواعد مشروحة في علمي الصرف والنحو .

٣ الإعياء : العجز . أقرد : سكن وتماوت .

٤ الحرار : الأراضي الغليظة . قباقب : العام الذي يأتي بعد العام المقبل .

٥ الثاقب : المضيء .

٦ نقيق العلجوم : أي صوت ذكر الضفادع . ينضب : يجف .

٧ تنضب : اسم شجر يتعلق به الحرباء . بنات ألبب : هي عروق في القلب يقال إن الرحمة تكون بها .

٨ التصلف : التكبر والتكلم بما يكره صاحبك . التعسف : ضد الرفق . جذوته : جمرته .

٩ أرتج علي : يقال أرتج عليه بصيغة المجهول إذا استغلق عليه الكلام . يتندد : يشيع .

من عَوْف ! وحاشا الله أن أنُثَّ لك سِرّاً ، أو أغمِطَ منك بِرّاً . ثم[1] خرج يميس في طَيلسانه كالعُطبول[2] ، وهو يقول :

قُلْ لمن شِئتَ في العِراقَين : إني قد حباني الإمامُ بالطَّيلَسانِ[3]
مَأرَبٌ لا حَفاوةٌ من حريصٍ رامَ بالطَّيلَسانِ طَيَّ لِسانِ[4]

قال سهيلٌ : فلما فاءَ الشيخ إلى فُسطاطِهِ ، وعلموا ما كان من تبريزه[5] واشتطاطِهِ ، وانخذال صاحبِهِ وانحطاطه . باؤُوا لهُ بحقّ الزعامة، وبوّأوه[6] ذِرْوة الكرامة . فلبِثَ في صُحبتهم أيّاماً، لا يتَجشّم[7] نفَقةً ولا طعاماً. حتى أَزمعَ البين ، فادّلجَ لا كسَعْدٍ القَين ، وهم يُفدُّونهُ بسَواد القلب[8] والعين .

١ أوفى من عوف : هو عوف بن محلم الشيباني ، يضرب به المثل في الوفاء . أنث : أفشي . أغمط : أجحد .

٢ العطبول : المرأة التامة الخلق .

٣ العراقين : الكوفة والبصرة .

٤ المأرب : الحاجة . الحفاوة : العناية بأمر الرجل وإكرامه . طي لسان : كناية عن كتم الحديث .

٥ فاء : رجع . الفسطاط : بيت كبير من الشعر .

٦ اشتطاطه : سبقه وتجاوزه الحد . باؤوا : أقروا . بوأوه : أحلوه .

٧ يتجشم : يتكلف .

٨ أزمع البين : عزم عليه . ادلج : سار من آخر الليل . القين : الحداد . وسعد : اسم رجل كان حداداً مشهوراً بالكذب . يفدونه : يقولون له : نفديك .

المقـامة الخامسة والخمسون

وتعرف بالدمياطية

قال سهيلُ بنُ عبَّادٍ : أزمعنا الشُّخوص إلى دِمْياط ، في رَكْبٍ من الأنباط . فأعدَدْنا النواطقَ والصوامت، وأغذَذْنا حتى كلَّت بنا الشوامت.[1] وما زِلنا نَطَأُ الوَعْثَ والجَدَد ، حتى أفضينا إلى البلد . فدخلناهُ على كل[2] طَلوح ، وقد دَلَكَتْ دَلوح ، واغبرَّ لَوْح اللُّوح . فلما انجابت وعْثاءُ[3] الخَلَج ، وانجلت أغثاءُ الرَّهَج . برزنا نَجُرُّ الأرْدِية ، حتى مررنا ببعض[4] الأنـدِية . وإذا الخزاميّ ورجَب ، تليهما امرأةٌ بادية الحَدَب ، مُناديةٌ بالحَرَب.فتقدَّم رجبٌ كالأيهَم ، وهو قد بَسَر وتجهَّم ، كأنهُ من جِنّ[5] جَيْهَم . وقال:حيَّا الله السادة الذين يَحمُون الحقيقة ، ويَنسِلون الوديقة،[6]

---

١ الأنباط : قوم ينزلون بالبطائح بين العراقين . النواطق : كناية عن الخيل والجمال . الصوامت : كناية عن الدنانير والدراهم . أغذذنا : أسرعنا . الشوامت : قوائم المطايا .

٢ الوعث : الأرض اللينة . الجدد : الأرض الصلبة .

٣ طلوح : بعير طلوح إذا أعياه السفر . دلكت : غربت . دلوح : من أسماء الشمس . اللوح : الجو بين السماء والأرض . وعثاء : مشقة .

٤ الخلج : أن يشتكي الرجل عظامه من طول المشي والتعب . أغثاء : جمع غثاء وهو ما يحمله السيل من القش ونحوه ؛ يريد به ما يلصق بالبدن من الهباء على أثر العرق . الرهج : الغبار .

٥ الأيهم : المجنون . بسر : عبس . تجهم : كلح وانقبض .

٦ جيهم : مكان يوصف بكثرة الجن . يحمون الحقيقة : ما تحق حمايته . ينسلون : يسرعون العدو . الواديقة : أي في الوديقة وهي شدة الحر .

ويسوقون الوسيقة . إن امرأتي هذه عجوزٌ حمقاءُ ، قَرثعٌ خَرْقاءُ . مُتَرهِّلةٌ[1] خِدَبَّة ، خَنْثَلةٌ طُرْطُبَّة . تلقاني بلِمَّةٍ بيضاءَ ، وبَشَرةٍ سوداء ، وعينٍ[2] صفراءَ ، ونكهةٍ دفراء[3] . توشِكُ أن تأكلَ البعير ، وتشربَ الغدير . وهي على ذلك بَذِيَّة[4] اللسان ، عَرِيَّةٌ من الإحسان . لا تذكرُ حُرمة ، ولا تشكرُ نِعمة . تهِرُّ كالكلاب ، وتعوي كالذِّئاب . إذا استقبلتُها لَطَمَت ، وإذا أدبرتُ عنها رَجَمَت . تشدخ بظُفرٍ كالمِخلَب ، وتنهش بنابٍ كسِنان[5] قَعْضَب . ولقد كانت تلطِمُ بكَفِّها ، فصارت تَلطُسُ بخُفِّها . وكانت[6] تمنعني الدخول إلى الدار ، فصارت تمنعني المَبيتَ حولَ الجِدار . وقد مُنيتُ[7] منها بالداء العَياء[8] ، والداهية الدهياء . إن هَمَمتُ بطَلاقها ، عَجَزتُ عن صَداقها . وإن تكلَّفتُ عليها الجَلَد ، فلا قرارَ على زأرٍ من الأسد . فثارت تلك المرأة السفيهة ، وقالت : يا لِلعَضيهة ! قد هَتَكَ هذا الوَغْدُ[9] أستاري ، حتى كأنَّه جرَّدني من أطماري ! ويلك يا أَنْقَس ، يا ابن الفَلَنْقَس ![10] أما تذكر عَيبَك ، ورَيبَك ؟ وشُؤْمَك ، ولؤْمَك ؟ وفاقتك المُدقِعة ،[11]

---

١ الوسيقة : الإبل المأخوذة في الغارة ، أي أنهم يسوقونها بالرفق لعدم خوفهم ممن يلحقهم من أربابها . وكل ذلك من أمثال العرب . قرثع : بلهاء . سئل عنها أعرابي فقال : هي التي تكحل إحدى عينيها وتترك الأخرى وتلبس قميصها مقلوباً . خرقاء : لا تحسن العمل . مترهلة : مسترخية اللحم .

٢ خدبة : سمينة هوجاء . خنثلة : عظيمة البطن . طرطبة : عظيمة الثديين . اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . بشرة : ظاهر الجلد .

٣ دفراء : منتنة .

٤ بذية : فاحشة .

٥ تشدخ : تشق . المخلب : ظفر السبع والطائر . تنهش : تعض .

٦ قعضب : هو رجل في الجاهلية كان يعمل الأسنة . تلطس : تضرب .

٧ الجدار : حائط البيت . منيت : بليت .

٨ الداء العياء : الذي يعجز الطبيب عنه .

٩ العضيهة : الكذب والبهتان . هتك : شق . الوغد : الرجل الدنيء الذي يخدم الناس بطعامه .

١٠ أطماري : أثوابي البالية . أنقس : ابن الأمة . ابن الفلنقس : الذي أبوه عبد .

١١ المدقعة : الملصقة بالتراب .

وأسمالك المرقَّمة؟ تأتيني كلَّ يومٍ بعنتبة، وما في يدك عنظبة. ثم تجلسُ[1] على التكرمة، وأنت شامخ الهرثمة. فتأخذُ في الأمر والنهي، والإيجاب[2] والنفي. وتقول: يا حبّذا الإمارة، ولو على الحجارة! وزوجٌ من عود، خيرٌ من القعود. ساءَ ما تتوهّم، وشاهَ وجهك الأدهم[3]! وليتَ شعري ما أصنعُ برجلٍ أبردَ من عبقر، وأذلَّ من فقعٍ بقرقر. ليس لهُ ثاغية،[4] ولا راغية. ولا عندهُ حضض، ولا بضض. وهو على ذلك أظلمُ من[5] الحيفقان، وأنقصُ من الزبرقان. يُشبّب بالملامظ واللواحظ، وهو أقبحُ[6] من الجاحظ. ويدّعي ببداهة ابن جماعة، على بلاهة بني خزاعة. ويقذفُ بهجو جرول، ولا يعرف أدبَ الأخطل. ولكن قد جرى القلم، ومن[7] أشبهَ أباهُ فما ظلم. قال: فثار الشيخ كمن مسّهُ الجنون، ودارَ حولها كالمنجنون. وقال: يا دفارِ! أما اكتفيتِ بفعلك، معَ بعلك، الذي[8] وطئتهِ بنعلك، حتى تتعرّضي لي بجهلك[9]، وتلحفيني بعار أهلك؟ إن كنت

---

١ أسمالك: ثيابك البالية. عنظبة: جرادة.

٢ التكرمة: الوسادة. الهرثمة: السواد الذي بين منخري الكلب، أي شامخ الأنف.

٣ شاه وجهك الأدهم: قبحه الله.

٤ عبقر: حب البرد. الفقع: الكمأة البيضاء الرخوة. القرقر: القاع الأملس. يضرب بها المثل في الذل. ثاغية: نعجة.

٥ راغية: ناقة. حضض: نبات. بضض: رشح ماء، وهما مثلان يضربان لمن ليس عنده شيء.

٦ الحيفقان: رجل يضرب به المثل في الظلم. الزبرقان: القمر. التشبيب: التغزل بالنساء. الملامظ: ما حول الشفتين. اللواحظ: كناية عن العيون.

٧ ابن جماعة: هو أيوب بن يزيد الهلالي، وجماعة أمه، وهو ينسب إليها لشهرتها. كان معدوداً من خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة. وأما جرول فهو المعروف بالحطيئة، قيل له ذلك لقصر قامته. كان قبيح المنظر دني النفس بخيلا. وأما الأخطل فهو غياث بن الغوث التغلبي، قيل له الأخطل لاسترخاء كان في أذنيه. وكان معاصراً للفرزدق وجرير ويعد من طبقتهما في الشعر.

٨ المنجنون: الدولاب. يا دفار: يا منتنة.

٩ بناء على أنه هو أبو الرجل.

ربجاً فقد لاقيتِ إعصاراً ، ورُبَّ قرارةٍ تسَفَّهَت قَراراً . ثم اقتحَمَها [1] فاندَفعَت ، ورفسَها فانصرَعَت ، ثم قامت فوقعت . وهي تشتمُ بكل شفةٍ ولسان ، وتُبربِرُ بما لا يفهمهُ إنسٌ ولا جان. فأضحكَتِ القوم كما أضحكَ الصحابةَ نُعَيمان ، أو الهُدهُدُ جنودَ سليمان. فقال الشيخ لصاحبها : طَلِّقها [2] بتاتاً ، لا جَمَعَ الله لها شتاتاً ! وعليَّ تحصيلُ ما تخشى منه الأثقال [3]، ولو كان ألفَ مِثقال. فما نشِبَ أن طَلَّقها كما أشار ، وأخذ الشيخ يطوف على القوم وهو يقول : النار ، ولا العار ! حتى إذا فرَغ من مَسعاهُ ، دفع إليها ضِغثَ مرعاهُ ، وقال : اذهبي فقد أينعَت دَوحة الصبر ، وتمتَّع المُهتاض بالجبر . [4] فقالت : هبلَتْكُما الهوابل ، ولا بشَّرَتْ بمثلكما القوابل ! « هذا ما وعدَ [5] الرحمنُ وصدَق المرسَلون ، وسيعلمُ الذين ظلموا أيَّ مُنقَلَبٍ يَنقلِبون ، فدَعْهُم يخوضوا ويلعبوا حتى يُلاقوا يومهم الذي يُوعَدون . » ولما أدبرَت تلك الدَّرْدَبيس ، أقبل الشيخ على القوم كالعَنْتَريس . وقال : قد غبر من [6] نوالكم قُذَعمِلة ، لا تقضي أشكَلة . فإمَّا أن تستردُّوها ، أو تزيدوها . [7] فرَشَحوا لهُ ببُلالةٍ وقالوا : خذ من القُطوف ما دنا ، وقُل : لن يُصيبَنا إلاَّ ما كتب اللهُ لنا . فانقلب لهِجاً بحمدِهم ، مُبتهجاً برِفدِهم [8] . قال سهيلٌ :

---

١ إعصار : ريح شديدة تثير الغبار كالعمود ؛ وهو مثل يضرب للمعتز بنفسه إذا لقي من هو أشد منه . القرار : صنف من الغنم قصير الأرجل قبيح الصور ، والقرارة الواحدة منه .

٢ نعيمان : هو أحد الصحابة كان مزاحاً يضحكون منه كثيراً . أو الهدهد جنود سليمان : يشير بذلك إلى قصة سليمان الذي دعاه الهدهد وقدم إليه وإلى جيشه جرادة .

٣ الأثقال : المهر الذي يجب لها .

٤ الضغث : الحزمة من الحشيش . كنى به عن المال الذي جمعه . أينعت : أثمرت . دوحة : شجرة . المهتاض : الكسير .

٥ هبلتكما الهوابل : أي فقدتكما الأمهات الفاقدات أولادهن .

٦ الدردبيس : العجوز الكبيرة . العنتريس : الناقة العظيمة . غبر : بقي .

٧ قذعملة : شيء يسير . أشكلة : حاجة .

٨ رفدهم : نوالهم .

فلما باءَ على حافرته ، في أثر زافرته . تعقّبته لأعرف تلك الشّهْرَبة الطالق،[1] فإذا هي ابنته العاتق . وهي قد نفضَتْ عنها الهَرَم،واستوَت كبانة العَلَم.[2] فعجِبتُ من غَرابة حالهِ ، وخِلابة[3] مِحالهِ ، واغتنمتُ صحبتَه إلى أوان تَرحالهِ .

---

١ باء على حافرته : رجع في طريقه . زافرته : عشيرته . أي الرجل والمرأة . الشهربة الطالق : العجوز المطلقة .

٢ العاتق : الفتاة التي لم تتزوج بعد . العلم : جبل يكثر فيه شجر البان ويقال له : علم السعد .

٣ خلابة : خديعة .

المقــامة السادسة والخمسون

وتعرف بالاسكندرية

حدَّث سهيلُ بنُ عبَّادٍ قال: نَحَوْنا[1] الإسكندرية من القاهرة، في عُفُرَّةٍ صاهرة. فكُنَّا نَقيلُ بياضَ اليوم، ونستبدلُ السُّرَى من النوم. وبينا[2] نحن في ليلةٍ كالحة الإهاب، حالكة الجلباب. عرَضَ لنا شَبَحٌ أسود، على[3] جملٍ أَقْوَد. فتواثب القوم إليهِ كبَنَات طَبَق[4]، وما لبِثوا أن جاؤوا بهِ في الرِّبَق. فلما أسفر ابنُ ذُكاء، وانتقب وجه الأُفُق بالأياء. تفرَّستُ في[5] أسيرنا الظلاميّ، وإذا هو شيخنا الخزاميُّ. وقد تلبَّدَ عُثنونُهُ كالثَّرْب، وعليهِ[6] خَيْعَلٌ كطَيْلَسان ابن حرب. فقلت: اللهُ أكبر، قد مدَّرتم المِنبر![7] هذا الخزاميُّ الذي يُفيد البُهَج، ويُفدى بالمُهَج. فتأشَّبَ[8] القوم حواليهِ، وأخذوا يتنصَّلون إليهِ. فلما سَكَنَ جَزَعُهُ، واستكانَ زَمَعُهُ. قال:[9] يا بُزاة الليل، وغُزاة الخيل. أهَجَمتم على دَوْسَر النُّعمان، أم على مَرَدَة[10]

---

١ نحونا : قصدنا .

٢ في عفرة صاهرة : في شدة حر مذيبة . نقيل : ننزل للراحة والنوم .

٣ كالحة : عابسة متقبضة . الإهاب : الجلد . حالكة : شديدة السواد .

٤ أقود : طويل الظهر والعنق . بنات طبق : كناية عن الدواهي .

٥ في الربق : أي مربوطاً بالحبال . ابن ذكاء : الصبح . الأياء : الضوء .

٦ عثنونه : ما نبت من الشعر تحت الحنك . الثرب : شحم يغشى الكرش والأمعاء .

٧ خيعل : قميص بلا أكمام . ابن حرب : هو أحمد المهلبي أعطى إسماعيل البصري طيلساناً رثيثاً بالياً . مدرتم : دنستم .

٨ تأشب : اجتمع .

٩ يتنصلون : يتبرأون . الجزع : نقيض الصبر . زمعه : ارتعاده .

١٠ بزاة : جمع بلز ، من باب التهكم . دوسر النعمان : هي إحدى كتائب النعمان بن المنذر ملك العرب ، وهي أشدها بطشاً .

عَزْوان ؟ واقتنصتم سُليكَ المقانِب ، أم طمعتم بفداءِ حاجب ؟ لقد تقلّدتم[1] قلائد عَوْكَل ، بهجومكم على هذا الضَّيْكَل . ولكن قد كان ذلك في الرَّقّ[2] المنشور ، وما الحياة الدنيا إلاّ مَتاعُ الغُرور . فلما انجَلى عليهم بَدرُهُ ، علا لديهم قدرُهُ . فأحفَوا لهُ في التَّكْرِمة ، وباؤُوا من وَحشة الغُراب إلى[3] أُنس العِكْرِمة . ثم أخذوا في السَّير الضريح على متن كل إضريح ، وهو[4] يُؤْنِسُهم في التعريس والتعريج .حتى ألقَوا عصا السفَر ،في السَّرار من صَفَر .[5] فنزلنا في منزلٍ مأهول ، قد بُني للمعلوم والمجهول. وأقمنا في ذلك الحِواء ،[6] إلى ليلة السَّواء . وإذا شيخٌ قد ناهزَ العُمْرَين ، كأنه أحدُ العُمَرَين .[7] فجلس مجلِسَ الفقيه ، وأخذ يَنثُرُ اللآلىءَ من فيهِ .حتى إذا تمادت بهِ الأشواط ، في شُقّةٍ بعيدة النِّياط . تصدّى لهُ رجلٌ قُصاقِص ، كأنهُ فُرافِص .[8] وأخذ يهيمُ معه في كل واد ، ويتلوّنُ كأُم الحُبَين[9] في الأعواد .حتى أفضى الأمر إلى الشِّقاق ، والسِّترُ إلى الانشِقاق . فقال : إني أراك بين الفُقَهاء ، كالمستعصم[10] بين الخُلفاء! إن كنت فقيهَ العصر فأيُّ رجُلٍ صحَّ بيعُهُ أباهُ ،

---

١ عزوان : قبيلة من الجن . سليك المقانب : هو سليك بن سلكة . حاجب : هو حاجب ابن زرارة التميمي ، قيل إنه كان إذا وقع في أسر يفدي نفسه بأربع مائة بعير ، فضرب المثل بفدائه .

٢ قلائد عوكل : كناية عن المخازي . الضيكل : الفقير العريان . الرق : جلد رقيق يكتب عليه .

٣ احفوا : بالغوا . باؤوا : رجعوا .

٤ العكرمة : أنثى الحمام . الضريح : الشديد . إضريح : فرس جواد شديد العدو .

٥ التعريس : نزول المسافر ليلا . التعريج : نزول المسافر نهاراً . السرار : آخر ليلة من الشهر .

٦ الحواء : جماعة بيوت من الناس .

٧ ليلة السواء : ليلة أربع عشرة من الشهر . العمرين : كناية عن الثمانين سنة . العمرين : هما أبو بكر وعمر .

٨ شقة : مسافة . بعيدة النياط : طويلة الطريق . قصاقص : غليظ قصير . فرافص : أسد شديد غليظ .

٩ أم الحبين : أنثى الحرباء .

١٠ المستعصم : هو عبد الله بن المستنصر العباسي ، كان ضعيف الرأي قليل الخبرة بأمور الملك ، يقضي أوقاته بسماع الأغاني ولعب الطيور والتفرج على المساخر . وكان على جانب من الحمق والتغفل.

واستحقَّ الثمن فاستوفاهُ ؟ وأيُّ غاصبٍ لا يبرأ بالرّدّ على المالك ، وأيُّ رجلٍ أتلفَ شيئاً فلزمَهُ شيئان هُنالك؟ وأينَ تُرَدُّ شهادةُ مُسلمَين، وتُقبَلُ شهادةُ ذِمّيَّين[1]؟ فأطرقَ الشيخ أيَّ إطراق، واحتبكت عليه المسألة كحبك النطّاق . فاستطال الرجل واهتزّ، وقال : من عزّ بزّ[2] . قال: فثار الحزاميُّ كالفنيق العُذافِر[3]، وعَمَد إلى ذلك لرجل الظافر . وقال: قد علمتَ يا شيخ الحَرَم ، أن انتهاك الحُرم ، من الحُرَم . ولقد رأيتك تخوض في المعقول[4] والمنقول[5] ، وتمزُجُ الفروعَ بالأصول . إن كنت من العلماء، فما هي أنواعُ الإنشاء ؟ وبماذا يفرُقُ أهلُ الدّراية ، بين الاستعارة والتشبيه وبينها وبين الكناية؟ وما هي المقولات العشرُ والكلّيّاتُ الخمس، وما هو التناقُض في القضايا والعكس ؟ فارتبك الرجل في تلك المسائل ، ولم يكن عندهُ طائلٌ ولا نائل . قال : إن كنتَ قد أنكرتَ هذه النظائر[6]، فكم طائفةً في جناح الطائر ؟ فإن كنتَ قد استخشنت الشّرَس ، فكم دائرةً في جلدِ الفرَس ؟[7] فإن رأيت التخفيف أحبّ ، فكم عُقدةً في ذنَبِ الضّبّ ؟ فتخازر الرجل[8] وشزَر ، وقال : عدا القارصُ فحزَر . ثم غلبَت عليه الأنَفة ، فلم يفُه[9]،

---

١ هذه المسائل مفصلة في علم الفقه .

٢ من عز بز : مثل قاله رجل من طي ، ومعناه من غلب سلب .

٣ الفنيق : الفحل المكرم من الجمال . العذافر : العظيم الشديد .

٤ الحرم ، بفتح الحاء والراء : البيت الحرام . انتهاك الحرم : عبارة عن خرق المهابة . الحرم ، بضم الحاء وفتح الراء : المحرمات . المعقول : كعلم المنطق والبيان .

٥ المنقول : كعلم النحو والفقه .

٦ لم يكن عنده طائل ولا نائل : مثل يضرب للعاجز الذي لا غنى عنده . إن كنت قد أنكرت هذه النظائر : إن كنت قد استغربت هذه المسائل العقلية فأنا أسألك عن المحسوسات لعلك تدركها .

٧ فكم طائفة في جناح الطائر : ينقسم جناح الطائر إلى خمس طوائف : أولها القوادم ثم المناكب ثم الخوافي ثم الأباهر ثم الكلى وهي آخره . الشرس : جمع شرسة وهي شجر شائك . فكم دائرة في جلد الفرس : يقال إنها ثماني عشرة دائرة .

٨ فكم عقدة في ذنب الضب : قيل إنها إحدى وعشرون . تخازر : ضيق جفنيه ليحدد النظر .

٩ عدا : تجاوز . القارص : اللبن الحامض الذي يلذع اللسان . حزر : حمض جداً . وهو مثل يضرب في تفاقم الأمر واشتداده .

ببِنت شفَة. ثم شمّرَ ذيلهُ وانقلب، وقد تحطّم كالمَخْشَلَب. فلما انصاع[1] أَخبَطَ من عَشواء، وأخيَبَ من قابض على الماء. قال الشيخ: زعَمَ هذا[2] الحَبَنطى، أن يروعَنا بالضَّبَغْطى. ولم يدرِ أنّ دونَ ما يأمُلهُ نهابِر،[3] وهو أَفوَتُ من أمسِ الدابر. فثار إليه ذلك الشيخ الموتور، وقد التأم[4] صَدع قلبهِ المبتور. وقال: لا جَرَم أَنك باقعة البواقع[5]، وفَلَكُ النَّسْر الواقع[6]. وإني لأراك ضيّقَ الحال على سعة النظر، فخُذ هذه الجَدوَى واستعن بها على مَؤونة السفر. قال: وهاك مني وصيّةً تعقِدُ عليها بَنانَك، وتروضُ بها لِسانك. إنّ العلمَ إن أكرمتهُ أكرمك، والمالَ إن أكرمته[7] أهانك. فدارت وصيّتُهُ في تلك العِراص، كما دارت كلِمَةُ الإخلاص. فلم[8] يبقَ في القوم إلاّ من بضّ لهُ حَجَرُهُ، وغضّ عليهِ شجرُهُ. فودّعهم[9] وانثنى، وهو يسحَب ذيل الغِنى.

---

١ المخشلب: قطع الزجاج المتكسر. انصاع: انفتل راجعاً بسرعة.

٢ أخبط: من قولهم خبط البعير الأرض بيده إذا ضربها. العشواء: الناقة التي لا تبصر ليلا فهي تطأ كل شيء. وهو مثل في التهافت والارتباك.

٣ الحبنطى: القصير المنتفخ البطن. الضبغطى: شيء يفزع به الصبي. نهابر: مهالك.

٤ أفوت من أمس الدابر: مثل يضرب في فوات ما لا مطمع في نيله. التأم: التحم.

٥ صدع: شق. المبتور: المقطوع. باقعة البواقع: داهية الدواهي.

٦ النسر الواقع: اسم نجم. وهما نسران أحدهما يقال له النسر الواقع والآخر الطائر.

٧ إن أكرمته: إن رعيت حرمته وحافظت عليه.

٨ العراص: الساحات بين الدور. كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله.

٩ بض له حجره: أي سال منه الماء قليلا. كنى بذلك عن إعطائهم إياه شيئاً. غض: أخصب وصار طرياً.

المقامة السابعة والخمسون

وتعرف بالنجدية

قال سهيلُ بنُ عبّادٍ: عَبِثَتْ بي لواعج الوجد، إلى زيارة نجد. فتسنَّمت[1] الأكوار، وطوَيتُ الأنجاد والأغوار. حتى نقعت[2] بحلولها غُلَّتي، بعدَ اللتيّا والتي. فلما سَرَت عني وَعْكةُ السُّرى[3]، وقضَت أجفاني وَطَرَ الكَرَى. قمتُ أطوف الحِلَّة بعد الحِلَّة، وأتفقّدُ الأحياءَ المُشمَعِلّة.[4] حتى إذا كنتُ صَبيحةَ يوم، بمُنتَدَى زعيم القوم. وفدَ شيخٌ أوهَى[5] من الشِّبام، يليه فتًى أشهى من البَشام. فجثم الشيخُ مُحقَوقِفاً، وانتصبَ[6] الفتى مُخصَوصِفاً[7]. وقال: أعزَّ اللهُ الوالي، وأذلَّ لهُ أعناق الموالي! إن هذا الشيخ قد استعبدني منذُ عام، كما تُستَعبَدُ أولادُ حام. وهو عُبَيدُ[8] فَلْسِه، لا يقوم بمِيرة نفسه. فتراهُ ألأم، مِن أسْلَم. وأحمَقَ من عِجل،[9]

---

١ الوجد: الشوق. نجد: قسم من بلاد العرب.

٢ تسنمت الأكوار: علوت رحال الجمال. الأنجاد والأغوار: أي الأراضي المرتفعة والمنخفضة. نقعت: أرويت.

٣ بعد اللتيا والتي: أي بعد لقاء الشدائد والدواهي. سرت عني وعكة السرى: ذهبت مشقة مشي الليل.

٤ وطر الكرى: حاجة النعاس أي النوم. الحلة: منزلة القوم. المشمعلة: المتفرقة.

٥ أوهى: أضعف.

٦ الشبام: خيط تشد به المرأة برقعها إلى قفاها. البشام: شجر طيب الرائحة. محقوقفاً: منحنياً.

٧ مخصوصفاً: ضاماً رجليه إلى بعضهما.

٨ أولاد حام: السودان.

٩ ميرة: زاد. أسلم: رجل يضرب به المثل في اللؤم. عجل: هو عجل بن لجيم بن وائل. سئل عن اسم فرسه ففقأ عين الفرس وقال: سميته الأعور! فصار مثلا في الحماقة.

وأقلَقَ من الحِجْل ، في الرِّجْـل . بَيْدَ أنّهُ مَلاّقٌ مَذّاق ، سَفْساف ١
شَقْشاق . لا يزالُ يَهْذُر ويُهَذْرِم ، ويُبَرْبِر ويُدَمدِم . ويَلغو بالكَلِم٢
الجاهليَّة ، ويَعبَثُ بالتمويهات الخُزَعْبِليَّة. إذا طلبتُ منهُ قِطعة، أنشدني٣
أبياتاً سبعة . وإذا قلتُ : لي مسألة، قال : هاتِ الدَّواةَ والمِرْمَلَة . وإذا٤
التمستُ منهُ الصَّرْف ، جاءَني بألف حرف . وهو يتأنَّق بهُجَنٍ جامدة ،٥
من لُغة العَرَب البائدة، ليس لها طُلاوةٌ ولا فائدة. فثارَ الشيخ كالمعتوه ،٦
وقد أزبَدَ فُوهُ . وقـال : بَهْراً لك يا عَفَنْقَس ، يا ماقط الأنقَس ! متى٧
تشَدَّقتُ بهذه الشغاشغ، وتمطَّقتُ بهذه الضفاضغ؟٨ ذَرْ عنك هاتي الجَعْظَرة
الخِضَمَّة، والفَظاظة المُصْلَخِمَّة. وإلاّ قفَختُ رأسك العَفَنْجَج، ولو كنتَ٩
حفيد العَرَنْجَج. قال: فضحك القوم من هذا التنصُّل ، الذي يشهَدُ للتُّهَمَة١٠
بالتأصُّل . وكان بينهم رجلٌ أضجَم ، فتَبازَخ كالتيَّار الأعجَم . وقال :١١

---

١ الحجل : الخلخال . ملاق مذاق : غير مخلص . سفساف : سخيف العبارة .

٢ شقشاق : كثير الكلام . يهذرم : يسرع في كلامه . يبربر : يتكلم بألفاظ وحشية كألفاظ البرابرة .

٣ التمويهات : هي أن تخبر بخلاف ما سئلت . الخزعبلية : الباطلة .

٤ مسألة : أي طلبة . هات الدواة والمرملة : يحملها على المسألة العلمية .

٥ التمست منه الصرف : أن يصرفني عنه . جاءني بألف حرف : يحمل الصرف على علم التصريف. يتأنق : يتفنن معجباً . هجن : جمع هجنة وهي ما لا يستحسن من الكلام .

٦ عرب البائدة : هم الذين بادوا وانقرضت أجيالهم . المعتوه : المجنون .

٧ أزبد فوه : طلعت عليه الرغوة . بهراً : تعساً . عفنقس : لئيم . ماقط : عبد العبد المعتق . الأنقس : ابن الأمة .

٨ الشغاشغ : جمع شغشغة وهي ضرب من هدير الجمال . الضفاضغ : جمع ضغضغة وهي أن تلوك العجوز التي لا أسنان لها شيئاً بين حنكيها .

٩ ذر عنك هذه الجعظرة الخضمة : اترك هذه الغلاظة العظيمة . المصلخمة : الشديدة . قفخت : ضربت ، وهو خاص بالضرب على الرأس . العفنجج : الضخم .

١٠ العرنجج : اسم حمير بن سبأ جد ملوك اليمن . التنصل : تنصل من ذنبه أي تبرأ منه .

١١ أضجم : معوج الانس . تبازخ : أخرج صدره . التيار : الموج . الأعجم : الذي ارتفع قبل أن يتنفس .

إني أراكَ في العربيّة راسخ القَـدَم ، فهل تعرفُ أيّام الأُسبوع في القِدَم ؟
فتَخازَرَ تخازُر القِيان، ثم قال: جَرى ابنا عِيان، فاستَجْلِ البيان[1]. وأنشد:

لأوّلِ الأُسبوعِ قيلَ أوْهَدُ ، في قِدَم الدهرِ ، وأهوَنُ الغَدُ
ثمَّ جُبـارٌ بعـدهُ دُبارُ ، فمُؤْنِسٌ عَرُوبـةٌ شِيارُ[2]

قال : لا تَرِبَت يَداكَ[3] ، ولا طَرِبَت عِداكَ ! إن كنتَ تعرف ألقابَ الشُّهور، فأنت العَلَم المشهور. فاكتامَ واشرَأبَّ، ثم جثم واستَتَبَّ. وأنشد:[4]

مـؤْتمِرٌ وناجِرٌ خَوّانُ من لَقَبِ الأشهُرِ والصَّوّانُ
زَبّاءُ بائـدٌ أصَمُّ واغِـلُ وبعـد ذاكَ باطـلٌ وعاذِلُ
ورَنّةٌ ونَبرَكُ الختـامُ وقيـلَ غيرُ ذاكَ والسلامُ[5]

قـال : لله دَرُّكَ ما أبعَدَ غَوْرَكَ ، وأقربَ نَوْرَكَ! فاختِم بذِكرِ[6] الأشهُر الحُرُم، إن كنتَ ممن أتمَّ ما كَرُم. فقال: اللّهُمَّ اجعلنا ممن حَسُنَ خِتامهُ ، وانجلى قَتامهُ . ثم أنشد :

ثلاثةٌ من الشُّهور سَرْدُ وواحدٌ عقيبَ ذاكَ فرْدُ[7]
ذو قَعْدةٍ وحِجّةٍ مُحرَّمُ ورَجَبٌ وَهْيَ الشُّهورُ الحُرُمُ[8]

---

١ تخازر : ضيق جفنيه . القيان : الجواري المغنيات . ابنا عيان : هما خطان يخطهما العائف في الأرض يزجر بهما الطير ثم يقول : ابنا عيان أسرعا البيان . فإذا علم أن القامر يفوز بقدحه قيل جرى ابنا عيان .
٢ المراد بأوهد : يوم الأحد ، وهلم جراً إلى شيار : وهو السبت .
٣ تربت : افتقرت .
٤ اكتام : قعد على أطراف أصابعه . استتب : استقام وتمكن .
٥ المراد بالمؤتمر : شهر المحرم لأنه أول السنة وهلم جراً إلى ذي الحجة .
٦ غورك : عمقك . نورك : زهرك .
٧ سرد : أي مجتمعة .
٨ قيل لها ذلك لأن العرب كانوا لا يستحلون فيها القتال ، وكانت العرب تستحل دمـاء بني خثعم وبني طي لاستحلالهم الدماء فيها .

قـال : فلما رأى القومُ اتّساعَ رِوايتهِ ، وارتِفاعَ رايتهِ . علموا أنهُ صِلُّ أَصلال[1]، فنظروا إليهِ بعين الإجلال. ولما رأى إقبالهم عليهِ، وارتياحهم إليهِ . قال : يا جَهابِذة اليَلامع ، وهَرابِذة المعامع . عَلِمَ الله أني لست[2] بجَعْد الكَف[3]،كما يَزعُمُ هذا الهجَف. ولكن قد أناخَ الدهر عليّ بكَلْكَلهِ، وأخنَى عليَّ الهَرَم بأفكَلهِ . فلم يبقَ لي عافطة ، ولا نافطة . وصِرت[4] أسغب من السِّيدان، بعدما كنت أقري الهَيدانَ، والزَّيْدان. ولو استطعت[5] أن أقومَ بأمري ، لأَطلَقتُ هذا الفتى من أَسْري . ولكنني ما زلتُ أُعَلّل نفسي بالمُنى، وأُمَنّيهِ بالغِنَى. لعلّ الله يُقَيّض[6] لي فتحاً قريباً ، أو يكتبُ لي بمثلكم نصيباً . قـال : فاستعذب القومُ كلامَه ، واستعذروا غُلامَهُ.[7] وقالوا : قد كتب ربُّك على نفسهِ الرحمة ، ولكن ما كلُّ سوداءَ تمرةً ولا كلُّ بيضاءَ شحمة . فإن الناس قد لَؤُموا وجَشِعوا ، حتى لو سُئلوا الترابَ[8] أوشكوا أن يَملّوا ويمنعوا . فإن شِئتَ أن تجاوِرَنا غيرَ هذه الشَّيْبة ، وتكتفي ذُلّ السُّؤال وغُصّة الخَيبة . وإلاّ فخُذ هذه النِّحلة[9] ، واعتمد

---

١ صل أصلال : حية تقتل لساعتها إذا لسعت .

٢ جهابذة : جمع جهبذ وهو النقاد الخبير . اليلامع : جمع يلمعي وهو الذكي المتوقد الفؤاد . الهرابذة : الذين يوقدون النار عند المجوس . المعامع : مواقع الحرب .

٣ جعد الكف : بخيل . الهجف : الجافي الثقيل . كلكله : صدره . أي ضغطه كما يضغط البعير من أناخ عليه .

٤ الأفكل : الرعدة . المراد بالعافطة : النعجة ، وبالنافطة : العنز .

٥ أسغب : أجوع . السيدان : جمع سيد وهو الذئب ، يضرب به المثل في الجوع ولذلك يقال للجوع الشديد داء الذئب . أقري الهيدان والزيدان : أقري من أعرفه ومن لا أعرفه .

٦ يقيض : يقدر .

٧ استعذروا غلامه : وجدوه معذوراً .

٨ ما كل سوداء تمرة ولا كل بيضاء شحمة : ليس كل الناس موضعاً للرحمة والإحسان . لؤموا : بخلوا . جشعوا : حرصوا أشد الحرص .

٩ النحلة : العطية .

الرّحلة . قال: حبّذا جِوارُكم لولا ضَفَفٌ[١] خلّفْتُ ، ومَوعِدٌ أخلَفْتُ . فوَصَلوهُ كلُّ واحدٍ بدينار ، وأرحَلوهُ ناقةً ذاتَ سِفار[٢] . قال سهيلٌ : وكنت قد تنسّمتُ ريحَ خِزامِه ، وظَلَفتُ نفسي عن التزامِه[٣] . فلما شقّ العصا[٤] خرجت في أثرِه ، حتى صِرتُ بمَرْمى بَصَرِه . فقال : أنتَ من المولّدين[٥] في هذا الزمان ، لا تعرفُ لُغةَ يَعرُبَ بنِ قحْطان ، فعُد إلى أن يُصادِفَنا تُرْجُمان . ثم انسَدَر يعدو كالظليم ، وغادَرَني كالسّليم . فعُدت[٦] وأنا أَعجبُ من فُنونِه ، في جِدّه ومُجُونِه[٧] .

١ الضفف : أن تكون العيال على المائدة أكثر من الطعام الذي عليها .
٢ سفار : حديدة توضع على أنف البعير بمنزلة الحكمة من الفرس .
٣ ظلفت : منعت . التزامه : اعتناقه .
٤ شق العصا : فارق الجماعة .
٥ المولدين : أي عربي غير محض لأنه قد ربي بين الحضر .
٦ فعد إلى أن يصادفنا ترجمان : يقول ذلك على سبيل التهكم والرقاعة . انسدر : هرول. الظليم : ذكر النعام . السليم : الذي لسعته الحية .
٧ مجونه : هزله .

المقامة الثامنة والخمسون

وتعرف بالعكاظية

قال سهيلُ بنُ عبَّادٍ: خرجت للتجارة في البوادي[1]، مع صاحبٍ كسَلاَّمِ الحادي. فكان يُطربني بحُدائه الأنيق، ويحبِّبُ إليَّ طولَ الطريق. وما[2] زِلنا نطوي بِساط الفِجاج، وننشُرُ لِواءَ العَجاج. حتى أتينا سوق عكاظ،[3] في هاجرةٍ كالشُّواظ. فأَنخْنا كهشيمِ المُحتظِر، وإذا الناس كالجَراد المنتشر.[4] وقد أخذ بعضهم في المناشَدة والملاحَزة، وبعضهم في المحاجاة والمُعاجَزة،[5] وبعضهم في المفاكَهة والمُجارَزة[6]. فجعلنا نطوف بين تلك الطوائف، ونجتني القطائف واللطائف. حتى مررنا بلفيفٍ من نواصي العرَب، وإذا[7] الخزاميُّ بينهم ورَجَب. وهما قد أخذا في المباراة والمحاوَرة، والمُجاراة والمساوَرة. حتى مالت إليهما كل صاغية، وتفتَّقت لهما كل فاغية. فلما رأى[8]

---

١ البوادي : بلاد العرب .

٢ سلام الحادي : رجل كان حادياً للإبل حسن الصوت في الغاية . الأنيق : المعجب .

٣ الفجاج : الطرق الواسعة بين الجبال . لواء العجاج : راية الغبار أي نثيره بأخفاف جمالنا . سوق عكاظ : هي سوق للعرب بناحية مكة .

٤ الهاجرة : نصف النهار عند اشتداد الحر . الشواظ : لهب النار . الهشيم : النبات اليابس، المتكسر . المحتظر : الذي يعمل الحظيرة ، وهي بيت الغنم .

٥ الملاحزة : المجاوبة بالقوافي . المحاجاة : نوع من الألغاز . المعاجزة : مطارحة المسائل المعجزة .

٦ المجارزة : مفاكهة تشبه المشاتمة .

٧ القطائف : ما يقطف من الثمار . كنى به عن الفوائد . لفيف : قوم مجتمعين من قبائل شتى . نواصي العرب : أشرافهم .

٨ المساورة : المواثبة ، استعارها للمقاومة في الكلام . صاغية : أذن . فاغية : الزهر قبل أن يتفتح .

الشيخ انصباب الناس إليهما ، وانصيابهم عليهما . اخرَنْشَم واخرَنْطَم،[1] واندفق على صاحبهِ كالغَطَمْطَم ، وقال : ويلك يا أبرَدَ من حَرجَف ،[2] وأيبَسَ من حَرشَف ! قد أردت أن تُطاوِل السَّمْهَريّة ، بالسَّنْدَرِيّة .[3] وتُطارِدَ العناجيج ، بالحراجيج . فإمّا أن تسلُبَني أطماريَ اليوم، وإمّا أن[4] أجَرِّدَك بين القوم. قال: اشْحَذْ غِرارك يا شيخ النار[5] ، واستهدِف لِسهام العار ! قالَ : إن كنت من الأُدَباء ، فما قيود الأبناء له باعتبار ضُروبِ[6] الآباء ؟ قال : قد نادَيتَ مُجيباً ، وعادَيتَ نجيباً . ثم أنشد :[7]

للخيلِ مُهرٌ وحُوارٌ للجَمَل ، والجَدْيُ للمِعْزى وللشاء الحَمَل

والعِجلُ للثورِ وللحميرِ عَفْوٌ ، كذا الخِنَّوصُ للخِنزيرِ

وشِبلُ ليثٍ ولضَبْعٍ فُرعُلُ ، وجَرْوُ كلبٍ ولفيلٍ دَغْفَلُ

غُفْرٌ لِوَعْلٍ وفُرارٌ للفَرا ، كذاك يَعْفُورُ مَهاةٍ ذُكِرا[8]

وخِرْنِقٌ لأرنبٍ ، وتَتْفُلُ لثعلبٍ ، ولابنِ آوَى نَوْفَلُ

طَلا الغزالِ دَيسَمُ الدُّبِّ ، جارنُ حيَّةٍ وحِسْلُ الضَّبِّ

وشَقْذُ حِرباءٍ كذا للنَّملِ ذَرٌّ ، وجاءَ هُرْنُعُ للقملِ

---

١ انصبابهم : تهافتهم . اخرنشم : تكبر في نفسه . اخرنطم : تكبر رافعاً رأسه وهو مغضب .

٢ الغطمطم : البحر العظيم الكثير الماء . حرجف : الريح الباردة .

٣ حرشف : فلوس السمك . تطاول : تفاخر بالطول . السمهرية : الرماح . السندرية : نوع من السهام يعمل من السندرة وهي نوع من الشجر .

٤ العناجيج : جياد الخيل . الحراجيج : النياق الطوال على وجه الأرض .

٥ اشحذ غرارك : أي سن حد سيفك . شيخ النار : لقب إبليس .

٦ استهدف لسهام العار : انصب نفسك هدفاً لها . ضروب : أنواع .

٧ عاديت : راكضت . نجيباً : كريماً من الإبل .

٨ الفرا : حمار الوحش . المهاة : البقرة الوحشية .

قَرْءٌ الدَّجاج ، الرأْلُ للنَّعامِ ، غِطْرِيفُ بازٍ جَوْزَلُ الحَمامِ

للكَرَوانِ الليلُ ، والحُبارَى قد ذكروا لفَرْخِها النَّهارا

وللعُقابِ ضَرِمٌ ، والحَجَلُ للفَرخ منها سُلَكٌ يُستَعمَلُ

والدِّرْصُ للهِرَّة واليَربوعِ والفأرِ جارياً على الجميعِ

قال : قد أحكَمتَ السَّداد، وإن كنتَ سِبْدَ أسباد. فما هِيَ أصابع[1] الراحة، وما بينهنَّ من المِساحة ؟ قال : راجلٌ يُسابقُ الفارس، ومُحترَسٌ من كيدهِ وهو حارس[2] . ثم أنشد :

قُلْ : أَوَّلُ الأَصابع الإبهامُ ، وبعدها سَبَّابةٌ تُقامُ

وبعدها الوُسطى ، يليها البِنصِرُ ، وبعدها الصُّغرَى أخيراً خِنْصِرُ

وبين إبهامٍ وصُغرَى شِبرُ ، وما إلى سَبَّابةٍ ففِترٌ[3]

وبين ذاتِ الفِترِ والوُسْطى رَتَبُ ، وبين ذي الوُسْطى وبِنصِرٍ عَتَبُ[4]

والبُصمُ بين خِنصِرٍ وما يلي ، وبين كُلِّهنَّ فَوتُ الخَلَلِ[5]

قال : إن عرفتَ مراتبَ النَّبات ، فأنت من ثُباتِ[6] الثَّبات . فضحك حتى زَجا ، وقال : قد أشرَقتَني بالشَّجا . ثم أنشد[7] :

أَوَّلُ نبتِ الأَرض بارضٌ إذا لم يَتَميَّزْ ، والجَميمُ بعد ذا[8]

---

١ السداد : الصواب . سبد أسباد : داهية في اللصوصية يريد أنه قد استرق ذلك من كلامه .
٢ محترس من كيده وهو حارس : مثل يضرب لمن يتحفظ من غيره وهو ممن يجب التحفظ منه .
٣ أي والمسافة التي تنتهي من الإبهام إلى السبابة فتر .
٤ الفتر أراد بها السبابة لأن الفتر يتعلق بها خاصة بخلاف الإبهام فإنها يتعلق بها الشبر أيضاً .
٥ وما يلي : أي وما يليها وهو البنصر . وهو في مقابلة الفتر . فوت الخلل : المسافة التي بين كل إصبع وأخرى يقال لها الفوت . والخلل : الفرجة بين الشيئين .
٦ ثبات : جماعات .
٧ زجا : انقطع ضحكه . أشرقتني : أغصصتني . الشجا : ما ينشب في الحلق من عظم ونحوه .
٨ إذا لم يتميز : أي إذا لم تعرف أنواعه لعدم ظهور أوراقه .

وبعـدهُ البُسْرةُ فالصَّمْعاءُ ثم الكَلا ، فلتُحفَظ الأسماءُ[1]

فلمـا فرغ من إنشادِهِ أحجم الشيخ القَهْقَرى ، فازدَلَـف إليـهِ يمشي[2] الخَيْزَرى . وقال : زَعَمتَ يا شيخ مَهْو ، أن البلاغة باللَّهو ، وأن المخدَّرات[3] في البَهْو . فاخلَـع إذَنْ ما عليك ، حتى نَعلمَيْك . وإلاّ وَقَصتُ جيدك حتى[4] الكاهل ، ولو كنتَ من العَباهل . ثم أخذ بحبل وَريدهِ ، وأصرَّ على تجريدهِ .[5] فجعل الشيخ يدور كالدَّوْلَب ، ويَرفِس كالتَّولَب[6] . والفتى يتعلَّق بثيابهِ ، ويحول دون انسيابـهِ . فأخَذَتِ القومَ الأَنَفة ، وساءَتهم تلك الهُجنـة[7] المؤْتَنَفة ، والمَعَرَّة المكتَنِفة . وقالوا : نحن نفدي هذه الذعاليب ، بقُشُب[8] الجلابيب . فخلِّ عنك العَنَف ، ولا تُبلهِ بمُطفِئة الرَّضْف . قال : عَلِمَ[9] اللهُ ليس من وَسَني هذه الأطمار ، ولكن أريدُ تأديبهُ بالخِزْيِ والشَّنار .[10]

---

١ يقال للنبات بارض إذا نبت ابتداء ، ثم جميم إذا طال قليلا ، ثم بسرة إذا ارتفع فوق ذلك ، ثم صمعاء إذا أثمر ولم يتفتق ، ثم كلأ إذا بلغ النهاية .

٢ أحجم الشيخ القهقرى : مشى إلى ورائه . ازدلف : تقدم .

٣ الخيزرى : مشية فيها تفكك كمشية المخنثين . شيخ مهو : هو عبد الله بن سدرة ، ومهو بطن من بني عبد القيس ، اشترى لهم عاراً من بني إياد كانوا يعيرون به طمعـاً منه ببردين أخذهما من رجل إيادي في عكاظ .

٤ البهو : بيت يضرب في مقدم البيوت . وهذا لا تكون فيه المخدرات لأنه منزل للغرباء ومن يجري مجراهم . وقصت : كسرت ، وهو خاص بكسر العنق . جيدك : عنقك .

٥ الكاهل : ما بين الكتفين . العباهل : ملوك اليمن الذين استقروا على ملكهم لا يزولون عنه . حبل وريده : العرق الذي في عنقه .

٦ التولب : ولد الحمار .

٧ الهجنة : الشنعة .

٨ المؤتنفة : التي لم يسبق إليها . المعرة : العيب . المكتنفة : المحيطة . الذعاليب : قطع الحرق . قشب : جمع قشيب وهو الجديد .

٩ الجلابيب : الأقمصة . العنف : نقيض الرفق . لا تبله بمطفئة الرضف : مثل يضرب للداهية التي تنسي ما قبلها .

١٠ وسني : حاجتي . الشنار : العار .

فلا يَلِجَ[1] بعد ذلك في مثل هذا الباب، ويُلقِيَ نفسهُ بين المِخلَب والناب، فتُصَرَّ عليه رِجْلُ الغُراب[2]. قالوا: إن عندنا من الفُروض، شِراءَ الأعراض بالعُروض. على أن تكونَ ناصحِ الجَيْب، في الشهادة[3] والغَيْب، فلا تُسَوِّد وَجهَ الشَّيْب. ثم جاؤُوه بحُلَّةٍ وصُرَّة، وقالوا: إن في ذلك لأعيُنِكُما[4] قُرَّة، واللهُ لا يُضيعُ مِثقال ذَرَّة. فاضطَبَنَهما وقال: قد دبَّر القومُ[5] تدبيرَ من طَبَّ، لمن حبَّ، فادْرُج أيها القِرشَبّ[6]، وخَلِّ دَرَجَ الضَّبّ[7]. فتعلَّق به وقال: إنك بي قد وَصَلتَ إلى ما وَصَلت، وحَصَلتَ على ما حَصَلْت. فهلمَّ نقتسم شَقَّ الأبلَمة، ولا يسمع الناس لنا أيْلَمة.[8] قال: هذا البحر[9] فاغترِف، وإلاّ فانصرِف. فانتشب بينهما الجَذْب والدَّفْع، حتى أفضى ذلك إلى الصَّفْع. فرثى القوم لشيخهِ الجلحاب، وأمطَروهُ كِسفاً[10] من سَحاب. وقالوا: باءَت عَرارِ بكَحْل، فدونَكُما الرَّحْل، وحَسبُكما[11] الضَّحْل. فقالا: شاعَكُمُ السَّلام، وانطلقا بسلام.[12]

---

١ يلج: يدخل.

٢ تصر رجل الغراب: ضرب من صرار الإبل لا يقدر الفصيل أن يرضع معه ولا يقدر أن يحله. والصرار: ربط أخلاف الناقة بخيط لئلا يرضعها الفصيل.

٣ العروض: الأمتعة. ناصح الجيب: أميناً. الشهادة: الحضور.

٤ فلا تسود وجه الشيب: فلا تهتك ستره

٥ ذرة: نملة صغيرة. فاضطبنهما: أي احتملهما تحت ضبنه وهو ما بين الإبط والكشح.

٦ تدبير من طب لمن حب: أي تدبير رجل حاذق لمن يحبه. ادرج: امض لسبيلك. القرشب: اليابس الجافي.

٧ خل درج الضب: أي اترك طريقه. يقال إن الضب إذا دخل بين أرجل الناس أصابها ورم فانتفخت.

٨ الأبلمة: هي بقلة تخرج لها قرون كالباقلى إذا شقت طولا انشقت نصفين مستويين من أولها إلى آخرها. أيلمة: صوتاً.

٩ هذا البحر: يشير به إلى القوم.

١٠ الجلحاب: الكبير الفاني. كسفاً: قطعة.

١١ من سحاب: أي اعطوه شيئاً. باءت عرار بكحل: يقال أبأت القاتل بالقتيل إذا قتلته به. وعرار وكحل بقرتان انتطحتا فماتتا جميعاً. دونكما الرحل: انصرفا إلى رحلكما.

١٢ الضحل: الماء القليل. شاعكم السلام: أي كان السلام صاحباً لكم.

المقـــامة التاسعة والخمسون

وتعرف بالمكية

حَدَّثَ سهيلُ بنُ عبَّادٍ قال: قَدِمتُ مَكَّةَ، في ليلةٍ عَكَّةٍ[1]، فنزلتُ بِبَكَّةَ. ولما أصبحنا كان يومٌ طَلْقٌ، حَسَنُ الخُلُقِ والخَلْقِ. فجعلتُ[2] أتفقَّـد المناسك والمشاعر، وأتَرَدَّد بين العشائر والمعاشر. فبينما أنا أَستشرف[3] وجه الدَّوّ، كأنني زَرْقاءُ جَوّ. رأيت رَكباً يمشون الهَرْجَلة، على مطايا[4] هَمَرْجَلة. فناجتني القَرُونة أنهم الخزاميُّ وصاحباهُ، حتى ازدَلفوا فإذا هما[5] هُما وإذا هو إيّاهُ. فوجدتُ ما يجدُ مَن بُشّر بالماءِ، على فَوْرة الظَّماء.[6] وابتدرت إليهِ كالغُداف، فالتقاني كفارس خَصاف. واعتنقنا حتى صِرنا في[7] التزامنا الدَّرْجِيّ، كأننا المركَّب المَزْجِيّ. ثم تبوَّأنا صَهَوات الخيل،[8] وأتينا المدينة في ناشئة الليل[9]. وكان يومئذٍ قد أُذّنَ في الناس بالحجّ، فأتوا

---

١ عكة: حارة.

٢ بكة: اسم لبطن مكة. طلق: لا حار ولا بارد. الخلق، بضم الخاء: الطبيعة. الخلق، بفتح الخاء: المنظر.

٣ المناسك: المواضع التي تذبح فيها الذبائح. المشاعر: مواضع العبادات. أستشرف: أنظر متطلعاً.

٤ الدو: الصحراء. زرقاء جو: هي زرقاء اليمامة، وجو اسم بلادها. الهرجلة: مشية مختلطة.

٥ همرجلة: سريعة. القرونة: النفس. صاحباه: أي ابنته وغلامه. ازدلفوا: اقتربوا.

٦ الظماء: حدة العطش.

٧ الغداف: النسر. خصاف: هو فرس كان إذا ركبه صاحبه يقدم على الأهوال ولا يخاف من اللحاق به إذا انهزم.

٨ الدرجي: نسبة إلى الدرج أي اللف. كأننا المركب المزجي: أي حتى صرنا كلانا واحداً كما يجعل الاسمان المركبان اسماً واحداً كبعلبك وسيبويه. صهوات: جمع صهوة وهي مقعد الفارس من البرج.

٩ ناشئة الليل: أول ساعة منه.

رِجالاً وعلى كل ضامرٍ من كل فَجّ. فلبثنا يوماً أو بعض يوم، نطوف بمحافل[1] القوم . حتى مررنا بلفيفٍ[2] مقرون ، كأمثال اللُّؤلُؤِ المكنون. فلما وقفَ الشيخ بهم قال: سلاماً ، ثم قامَ أمامَهم إماماً . وقال : الحمدُ لله الذي أَمَرَ بحجّ البيت مَن استطاعَ إليهِ سبيلًا ، ووَعَدَ عِبادَهُ المُتّقينَ جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهارُ وعيناً تُسمّى سلسبيلًا . أما بعد يا معاشِرَ العرَبِ الكِرام، وحُجّاجَ البيت الحرام . فإن الله لا يَرضى بالوذائِم[3] والضحايا، ممن أصَرَّ على الخطايا. ولا بزيارة الحرَمَين، ممن فاهَ بالنميمة والمَين . ولا باستلام الحجَر،[4] ممن طَغى وفجَر . ولا بالطَّواف حولَ البيت ، من نشاوى الكُمَيت .[5] ولا برَمْيِ الجِمار، من ذوي الشَّحْناء والأغمار. إنَّ الله يَنظُرُ إلى السرائرْ[6] المُكمَنة[7]، لا إلى الشِّفاه والألسِنة. وإنَّ حجَّ القلوب خيرٌ من حجّ الأقدام، ولباسُ التقوى ذلك خيرٌ من لِباس الإحرام[8]. فاعبُدوا الله مخلِصين لهُ الدّين، ولا تكونوا ممن يَعبُدُه على حَرْفٍ[9] فذلك هو الضَّلالُ المُبين . واذكروا أن الزمانَ ربحٌ قُلَّب ، والدنيا برقٌ خُلَّب . والحياةَ سَحابٌ جَهام ،[10] والحِمامَ ليثٌ حُمام. فلا تغترُّوا برَهْرَهة الآل ، ولا يُذهِلْكُمُ الحال،[11]

---

١ ضامر : مهزول . فج : طريق .

٢ لفيف : قوم مجتمعين من قبائل شتى .

٣ الوذائم : الهدايا التي تهدى إلى البيت الحرام .

٤ الحرمين : مكة والمدينة . المين : الكذب . الحجر : هو الحجر الأسود الذي في البيت الحرام . والاستلام : التقبيل والمصافحة باليد .

٥ نشاوى : سكارى . الكميت : الخمر .

٦ الجمار : هي جمار منى التي ترميها الحجاج . الأغمار : الأحقاد .

٧ المكمنة : المستورة .

٨ الإحرام : نية الدخول في الحج .

٩ على حرف : على حالة واحدة أي في السراء دون الضراء .

١٠ برق خلب : فارغ لا مطر فيه . سحاب جهام : ليس فيه ماء .

١١ الحمام ليث حمام : الموت أسد ضار . رهرهة : لمعان . الآل: ما تراه نصف النهار كأنه ماء . الحال : الوقت الحاضر .

عن المآل . وإذا جرّدتم أنفسَكم للاعتكاف ، وتجرّدتم للطّواف . فقولوا :[1] لبّيكَ يا مَن يدعو إلى دار السّلام ، ولك الحمدُ الذي لا يَنفَدُ ولو أنّ ما في الأرض من شَجَرَةٍ أقلام . اللهُمّ يا مجيب السُّؤال ، ورحيب النّوال ، ومُنجحَ الآمال ، ومُصلِحَ الأعمال . تقبَّلْ جِدّنا وجَهْدَنا ، واغفِر سَهْوَنا وعَمْدَنا. ولا ترفُض العَجَّ والثّجّ ، ممن حَجّ منّا أو دجّ . واطبَع قلُوبنا[2] على محبَّتك المُخلَصة ، وطاعتك المخلَصة . واعصِمْنا بألطافكَ وقُواك ، ولا تكِلْنا إلى إمداد سِواك . اللهُمّ يا جزيل الثّواب ، وقابلَ كلّ أوّاب .[3] لا تُقصِنا[4] عن وجهك الميمون ، يومَ لا ينفَعُ مالٌ ولا بَنون . وآتِنا كتُبَنا بأيمانِنا ، وكفّر أعمالَنا بإيمانِنا . ولا تحاسِبْنا حِساباً عسيراً ، ولا تجعَلْنا[5] ممن يَضحكونَ قليلاً ويَبكون كثيراً . اللهُمّ يا سابغ الآلاء ، ونابغ الإيلاء.[6] هَب لنا قُلوباً طاهرة ، وعيوناً ساهرة . وأنفُساً عفيفة ، وألسُناً حصيفة .[7] وأخلاقاً سليمة ، ونِيّاتٍ مستقيمة. ويسّر لنا توبةً صادقة ، وندامةً حاذقة . وسيرةً هادية ، وعِيشةً راضية . وعاقبةً حميدة ، وخاتمةً سعيدة . وأفِضْ علينا نِعمتَك ، ورَحمتَك . ولُطفَك ،وعَطفَك . وهُداك ، ونَداك . واجعَل حَجّنا مبروراً ، وذنبَنا مغفوراً . وأحصِنا معَ أصحابِ اليمين ، في فِردَوسك الأمين ، برحمتك يا أرحَمَ الراحمين . قال : فلما فرَغَ من دُعائِه ، انثنى إلى ورائِه . فحالَ القوم دونَ مَسرَبه[8] ، لعُذوبةِ مشرَبِه . وقالوا لهُ :

---

١ المآل : العاقبة . تجردتم : خلعتم ثيابكم .

٢ العج : رفع الصوت بالتلبية . الثج : سيلان دماء الذبائح . دج : حضر مع الحجاج تابعاً لهم كالخادم والمكاري ونحوهما .

٣ أواب : راجع إليك .

٤ تقصنا : تبعدنا .

٥ أيماننا : جمع يمين لليد . وكفر أعمالنا بإيماننا : أي واجعل إيماننا كفارة لأعمالنا .

٦ سابغ الآلاء : كامل النعم . نابغ الإيلاء : ظاهر الإحسان .

٧ حصيفة : مستحكمة رصينة .

٨ مسربه : انصرافه .

بورِكَ فيك، ما أحلى نفَثاتِ فيك! فهيهاتِ أن تبرَحَ من بينِنا، قبل بيننا .[1]
قال: إني إلى ما تريدون أقربُ من حبل الوَريد[2]، وأجرَى من خيل البريد.
ثم انقادَ إلى مَربِضِهِ، وعاد إلى مَعرِضِهِ . فتأشَّب القوم عليهِ كدَوْح[3] البريص[4]، وبذلوا في صُحبتهِ جُهدَ الحريص . وأقام يُطرِفُهم بالمُلَح المُستَعذَبة، والنوادر المُستَغرَبة. ويجلو عليهم الخُطَب المنبِّهة، والزواجرَ المنهِنِهة . ويَقدُمُهم بالأدعية، وهم يجاوبونهُ كالمستفقهة . حتى انقضَت أيامُ[5] الشَّعَث، وقَضَوا شعائرَ التَّفَث[6] . فشرَّقوا وغرَّب، وتفرقوا تحت كل كوكب[7] .

---

١ بيننا : افتراقنا .
٢ حبل الوريد : العرق الذي في العنق .
٣ إلى معرضه : إلى طريقته في الوعظ . تأشب : التف . دوح : جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة .
٤ البريص : موضع في نواحي دمشق .
٥ المنهنهة : الرادعة . المستفقهة : المرأة التي تجاوب النائحة .
٦ أيام الشعث : ترك الادهان والطيب وهو كناية عن الإحرام . الشعائر : أعمال الحج . التفث : آداب المناسك كقص الأظفار والشارب وحلق الرأس ونحو ذلك .
٧ تفرقوا تحت كل كوكب : في كل ناحية .

المقـــامة الستون

وتعرف بالقدسية

قال سهيلُ بنُ عبّادٍ : لَقِيتُ أبا ليلى في المسجِدِ الأقصى[1] ، بين جُمْهورٍ لا يُحصَى . والناس قد تألّبوا عليهِ كالأجرَبَين ، وأحاطوا بهِ كالأخشَبَين.[2] وهو يخاطِبُهم بالوعظ والإنذار ، ويحذّرُهُم عَذابَ النـار ، وسُوءَ عُقْبى الدار . حتى صارت مدامعهم تَصُوب[3] ، وكادت أكبادهم تَذوب . فلما رآني تحفّز ، وهو قـد استوفز . فانقَضَضتُ إليـهِ كالأجْدل ، وسقطتُ عليهِ[4] كالجَنْدَل[5] . فحيّاني تحيّة الأحِبّة ، ثم استأنف الخُطبة ، فقال : الحمدُ لله الذي جعل حَرَمَهُ أمناً للعِباد ، ومقاماً للعُبّاد . وهو الذي خَلَقَ فسَوّى ، وقدّرَ فهَدَى ، وأضحَكَ وأبكَى ، وأمات وأحيا . والذي جعل الأرض مِهاداً ، والجبالَ أوتاداً ، وبنى فوقكم سبعاً شِداداً . والذي مَرَجَ البحرَين[6] يَلتقيانِ ، بينهما بَرزَخٌ لا يَبغِيان ، وهو كلّ يومٍ في شان . لا إله إلاّ هوَ[7] الفرْدُ الصّمَد ، الذي لم يلِد ولم يولَد، ولم يَكُن لهُ كُفُوّاً أحَد. سبحانَهُ وريحانَه[8]، ما أعظم قُدرتَهُ وشانَهُ، وأوسَعَ مِنّتَهُ وإحسانَهُ . أمّا بعدُ

---

١ المسجد الأقصى : بيت المقدس .

٢ الأجربان : بنو عبس وبنو ذبيان . الأخشبان : جبلا مكة .

٣ تصوب : تنسكب .

٤ استوفز : جلس غير متمكن . الأجدل : الصقر .

٥ الجندل : الصخر .

٦ مرج البحرين : خلاهما لا يلتبس أحدهما بالآخر .

٧ برزخ : حاجز . لا يبغيان : لا يتجاوزان حدهما . شان : شغل .

٨ تنزيهاً له واسترزاقاً منه .

فإنني قد قمتُ فيكم مقامَ الفقيه الخاطب ، وهي صَفقهْ لم يَشهَدها حاطب .[١]
فإني طالما ارتكبتُ الأوزار ، وتبطَّنتُ الأقذار . واجترحتُ المغارم ،[٢]
واستَبَحتُ المحارم . وانتهكتُ الأعراض ، فسوَّدتُ منها كلَّ بياض .[٣]
وما زال ذلك دأبي مُذ شَبَبْت ، إلى أن دبَبْت . فليسَ لي أن أعِظَ أحَداً ،[٤]
ولا أفوهَ بخُطبةٍ أبداً . وعليَّ أن أقصُرَ دَرْسي ، على وَعظ نفسي . وها أنا
قد اعتمدتُ الأوْبة ، واعتصمت بالتوْبة . فادعوا اللهَ لي أن يأخُذَني بحِلمه ،[٥]
لا بحُكْمه . ويُعاملَني بفضله ، لا بعدله . ثم أخذ في الأجيج[٦] والضجيج ،
وجعل يُراوِح بين النحيب والنشيج . حتى أبكى مَن حَضَر ، من البَدْو[٧]
والحَضَر . فأخذ القومُ في تسكينِ ارتعاشه ، وتمكين انتعاشه . حتى خَمَدَت
لوعتُه ، وهَمَدَت رَوعتُه . فحباهُ كل واحدٍ بدينار ، وقال : ادعُ ربَّكَ
لي واستَغفِرْهُ بالأسحار . قال : إني قد تجرَّدتُ عن عَرَض[٨] الدنيا ، إلى الغاية
القُصيا ، فلا أقبلُ منهُ مِثقال ذَرَّةٍ ما دمتُ أحيًا . ثم نهض بي مُكبِّراً ،[٩]
وولَّى مُدبِراً . فباتَ بليلِ أنقَد ، يُساهرُ الفرْقَد . وهو لا يفتُرُ من[١٠]
ذِكرِ الله ، ولا يَمَلُّ من الصلاة حتى إذا أخذت الدراريُّ في الأفول ، قام[١١]

١ حاطب : هو حاطب بن أبي بلتعة . كان حازماً لبيباً إذا باع بعض قومه أو اشترى جعل ذلك على يده لئلا يغبن فيه . فباع بعض أهله بيعة ولم تكن على يده فغبن فيها فقيل المثل .
٢ الأوزار : الآثام . اجترحت : اكتسبت . المغارم : الجنايات .
٣ انتهكت الأعراض : انتهك عرضه إذا بالغ في شتمه وجرح صيته .
٤ إلى أن دببت : إلى أن صرت شيخاً يدب على العصا .
٥ الأوبة : الرجوع . اعتصمت : تمسكت .
٦ الأجيج : التوهج .
٧ يراوح : يأخذ في هذا مرة وفي ذاك أخرى . النحيب : البكاء مع صوت . النشيج : البكاء من غير صوت .
٨ عرض : متاع .
٩ مكبراً : قائلا الله أكبر .
١٠ أنقد : علم للقنفذ يقال إنه لا ينام ليله أجمع . الفرقد : اسم النجم المشهور .
١١ الدراري : الكواكب . الأفول : الغروب . أي عند طلوع الفجر .

على مَرْقبةٍ[1] وأنشأ يقول :

قُم في الدُّجى يا أيها المُتَعَبِّدُ — حتى متى فوقَ الأسِرَّةِ ترقُدُ
قُم وادعُ مولاكَ الذي خلق الدُّجى — والصُّبحَ وامضِ فقد دَعاكَ المسجدُ
واستغفرِ اللهَ العظيمَ بذِلَّةٍ — واطلُب رِضاهُ فإنه لا يحقِدُ
واندَم على ما فاتَ واندُب ما مَضى — بالأمسِ واذكُر ما يجيءُ بهِ الغَدُ
واضرَعْ وقُل يا ربِّ عفوَكَ إنَّني — من دون عفوكَ ليسَ لي ما يَعضُدُ
أسَفاً على عمري الذي ضيَّعتُهُ — تحتَ الذُّنوبِ وأنت فوقي ترصُدُ
يا ربِّ لم أحسَب مَرارةَ مَصدَرٍ — عن زَلَّةٍ قد طابَ منها المَورِدُ[2]
يا ربِّ قد ثَقُلَت عليَّ كبائرٌ — بإزاءِ عيني لم تزَل تَتَردَّدُ
يا ربِّ إن أبعَدتُ عنك فإنَّ لي — طمعاً برحمتكَ التي لا تُبعِدُ
يا ربِّ قد عَبِثَ البَياضُ بلِمَّتي — لكنَّ وجهي بالمعاصي أسوَدُ[3]
يا ربِّ قد ضاعَ الزمانُ وليسَ لي — في طاعةٍ أو تركِ مَعصيةٍ يَدُ[4]
يا ربِّ ما لي غيرَ لُطفِكَ ملجأٌ — ولعلَّني عن بابهِ لا أُطرَدُ
يا ربِّ هَبْ لي توبةً أقضي بها — دَيناً عليَّ بهِ جَلالُكَ يَشهَدُ
أنتَ الخبيرُ بحالِ عبدِكَ إنهُ — بسلاسلِ الوِزرِ الثقيلِ مقيَّدُ[5]
أنتَ المجيبُ لكلِّ داعٍ يلتجي — أنتَ المُجيرُ لكلِّ مَن يَستنجِدُ
من أيِّ بحرٍ غيرِ بحرِكَ نستقي — ولأيِّ بابٍ غيرِ بابكَ نَقصِدُ

---

١ مرقبة : مكان مرتفع .
٢ مصدر : عاقبة .
٣ عبث : لعب . لمّي : شعر رأسي .
٤ أي وليس لي عمل في فعل ما أمرت به أو ترك ما نهيت عنه .
٥ الوزر : الإثم .

قال سهيلُ : فلما فرَغَ من أبياتهِ غاصَ في التهليل والتحميد ، والترتيل والتجويد . حتى تهافَتَ من وَجدِهِ ، وكادَ يغيبُ عن رُشْدِهِ . فعَجِبتُ[1] من استحالةِ حالهِ ، وأيقَنتُ بحُؤُولهِ عن مِحالهِ . ولَبِثتُ عندهُ شهراً ، أجتني من روضِهِ زَهراً ، وأجتَلي من أُفقهِ زُهْراً . إلى أن حُمَّ الفِراق ،[2] وقالَ ناعبُهُ : غاق ! فاعتنقَني مُودِّعاً ، ثم سايَرَني مُشيِّعاً . وقال: مَوعِدُنا[3] دارُ البَقاءِ[4] ، فكان ذلكَ آخِرَ عهدِنا باللِّقاء .

---

١ التجويد : إحكام القراءة في القرآن على آداب مخصوصة . تهافت : سقط .

٢ زهراً ، بضم الزاي : نجوماً ساطعة . حم : قدر .

٣ ناعبه : غرابه . غاق : حكاية صوت الغراب .

٤ دار البقاء : دار الآخرة .

خاتمة

قال مؤلّفهُ الفقير :

هذا آخر ما علّقتهُ من هذه الأحاديث الملفّقة . كما فتحت عليّ القريحةُ المُغلّقة . وأنا ألتمسُ ممّن سلِمَت بصيرتُهُ . وطابت سريرتُه . أن يغضّ الطّرْف عمّا يرى من الإخلال والإجحاف ، وأن ينظُرَ إليّ بعين الحِلم والإنصاف . فإنّي قد تلقّيتُ هذه الصّناعة من باب التّطفّل والهُجوم . إذ لم أقِفْ على أُستاذٍ قطّ في عِلمٍ من العلوم . وإنّما تلقّفتُ ما تلقّفْتُه بجُهد المطالَعة ، وأدركتُ ما أدركتُهُ بتَكْرار المراجعة . فإن أصبتُ فرَمْيةٌ من غير رام . وإن أخطأتُ فلي معذِرَةٌ عند الكِرام . والله المسؤول أن يُحسِنَ خواتمنا اللاّحقة . كما أحسَنَ فواتحنا السابقة . إنّهُ ولِيّ الإجابة ، وإليهِ الإنابة . والحمدُ للهِ أوّلاً وآخِراً .

وكان الفراغ من تبييضهِ في شهر نيسان سنة ألف وثماني مائة وخمس وخمسين .

ديوان العرب

ظهر في هذه المجموعة :

١ ديوان المتنبي
٢ شرح ديوان المتنبي لليازجي (جزآن)
٣ « المعلقات السبع للزوزني
٤ سقط الزند لأبي العلاء المعري
٥ اللزوميات « « (جزآن)
٦ جمهرة أشعار العرب
٧ ديوانا عروة بن الورد والسموأل
٨ ديوان عبيد بن الأبرص
٩ « امرىء القيس
١٠ « عنترة
١١ « عبيد الله بن قيس الرقيات
١٢ « أبي فراس
١٣ « عامر بن الطفيل
١٤ « الخنساء
١٥ « زهير بن أبي سلمى
١٦ « النابغة الذبياني
١٧ « ابن زيدون
١٨ « ابن حمديس
١٩ « الفرزدق (جزآن)
٢٠ « جرير
٢١ « الأعشى
٢٢ « أوس بن حجر
٢٣ ديوان جميل بثينة
٢٤ « الشريف الرضي (جزآن)
٢٥ « طرفة بن العبد
٢٦ « عمر بن أبي ربيعة
٢٧ « حسان بن ثابت الأنصاري
٢٨ « ابن المعتز
٢٩ « ابن خفاجة
٣٠ « ترجمان الأشواق
٣١ « البحتري (جزآن)
٣٢ « صفي الدين الحلي
٣٣ « أبي نواس
٣٤ « حاتم الطائي
٣٥ « ابن الفارض
٣٦ « أبي العتاهية
٣٧ « بهاء الدين زهير
٣٨ « ابن هاني الأندلسي
٣٩ « العباس بن الأحنف
٤٠ « لبيد بن ربيعة العامري
٤١ « الحطيئة
٤٢ نقائض جرير والفرزدق